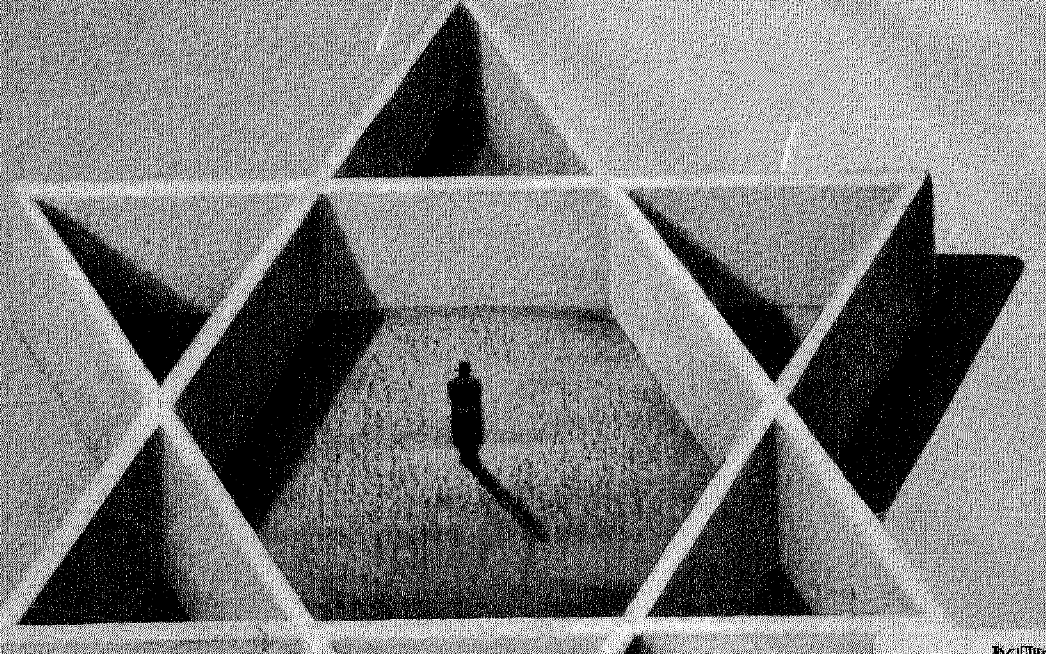
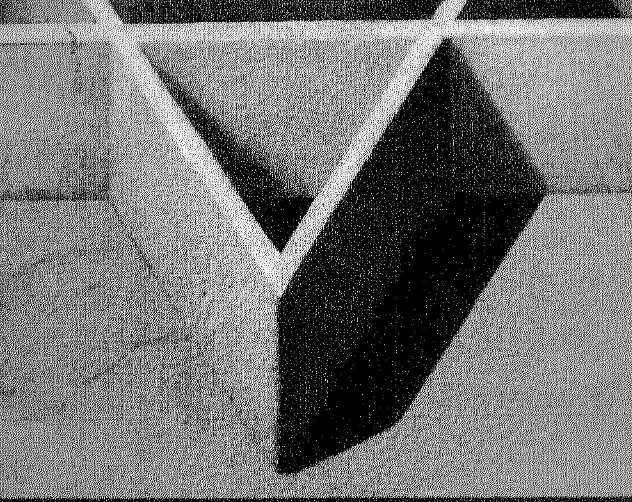
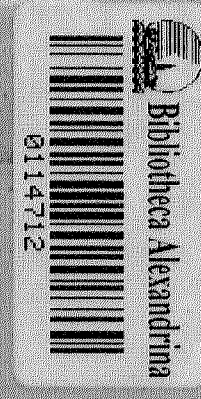
مأمون كيوان

اليهود في الشرق الأوسط

الخروج الأخير من الجيتو الجديد







الأهلية

اليهود في الشرق الأوسط

الخروج الأخير من الجيتو الجديد

مأمون كيوان



الطبعة الأولى
١٩٩٦م

تصميم الغلاف والاخراج: زكريا شريف
التنضيد الالكتروني: نسيبة شريف

مقدمـــــة

خلال العقود المنصرمة من الزمن، وتحديداً تلك العقود التي أعقبت الإعلان عن قيام الكيان الصهيوني (١٩٤٨)، جرى إعتبار قضية يهود البلاد العربية من القضايا المثيرة للجدل والجديرة بالإهتمام، وإزاء هذه القضية نظمت الحركة الصهيونيه حملات إعلامية ضد العرب تصفهم بالتعصب والعداء لليهودية ، ووصلت الى حد الزعم المغرض ان هنالك « مسالة يهودية » في البلاد العربية . كما اخذت الدوائر الصهيونية بالعمل على تشجيع ماتبقى من يهود البلاد العربية على الهجرة الى فلسطين المحتلة ، التي اقيم عليها الكيان الصهيوني، الذي اعتبره قادة الحركة الصهيونية بمنزلة الملجأ الآمن لليهود وكونه يشكل الحل النهائي والشامل للمسألة اليهودية، ونتيجة للظروف التي يعيشها يهود البلاد العربية في داخل الكيان الصهيوني بسبب التفرقة والتمييز السياسي والاجتماعي والاقتصادي بينهم وبين اليهود الغربيين (الاشكناز)، ظهرت أزمة طائفية داخل الكيان الصهيوني اتخذت وفي مراحل مختلفة اشكالاً مختلفة من التعبير عن درجة عمق أو سطحية التناقضات بين اليهود الشرقيين (السفارديم) واليهود الغربيين. وإزاء هذه الأزمة التي ربطتها جهات عربية وفلسطينية رسمية بقضية اليهود العرب المشار إليها ، تم الاهتمام بإحتمالات عودة يهود البلاد العربية الى بلادهم الاصلية العربية، واطلق على هذه الاحتمالات مصطلح « نزوح العودة ». وتم وضع خطط سياسية واعلامية لمخاطبة اليهود العرب داخل الكيان الصهيوني. وعلى المستوى السياسي الاستراتيجي لم يتم وضع إفتراضات موضوعية لمعالجة تلك الاحتمالات بل اثيرت تساؤلات وطائفة من التكهنات حول الهوية الطائفية للكيان الصهيوني في اعقاب النزوح المحتمل لليهود العرب منه، من شاكلة التساؤل: هل عودة اليهود العرب تعني قيام: « دولة يهودية غربية نقية » في المنطقة طبقاً للدعوة الصهيونية الأصلية؟

ومجدداً أثار قادة الحركة الصهيونية وأصحاب القرار السياسي داخل الكيان الصهيوني قضية يهود البلاد العربية أوما تبقى منهم، وذلك في أعقاب انطلاق عملية تسوية الصراع العربي -الصهيوني في مدريد (١٩٩١)، وفي الآن ذاتة عولوا على الدور الذي يمكن لليهود العرب في الكيان الصهيوني القيام به كجسر « للسلام »، وتطبيع العلاقات مع الدول العربية.

ونظراً للعلاقة الخاصة والحساسة بين قضية اليهود في البلاد العربية وأوضاع اليهود داخل الكيان الصهيوني، لابد أولاً من بحث كل قضية على حدة، ومن ثم تحديد أوجه الترابط بينهما ودرجة تأثر وتأثير كل واحدة بالأخرى .ويجب ثانياً وضع هاتين القضيتين في موقعهما الصحيح في صلب الصراع العربي -الصهيوني الذي اندلع منذ قرابة قرن ونيف من الزمن.

بصدد قضية اليهود في الأقطار العربية، يتوجب تسليط الضوء على التوزع الجغرافي لليهود في تلك الأقطار إستناداً إلى آخر المعطيات المتوفرة، وتبيان ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك السياسية، وخلفية مواقفهم من قضايا المجتمعات العربية التي عاشوا بين ظهرانيها قبل وبعد الاعلان عن قيام الكيان الصهيوني. وكل ذلك لفهم خلفية الادعاء الصهيوني القائل بأن هنالك مسألة يهودية في البلاد العربية.

ولمعالجة قضية الأزمة الطائفية أومايسمى بـ« اسرائيل الثانية »داخل الكيان الصهيوني، هذه القضية التي تؤثرتأثيراً كبيراً على اليهود العرب في ذلك الكيان يجب الوقوف عند وضع يهود البلاد العربية في الكيان الصهيوني، وذلك على مستويين أولهما، يتعلق بأصولهم التاريخية وأوضاعهم الاقتصادية الاجتماعية في الأقطار العربية، وظروف هجرتهم أو« تهجيرهم »-لدقة المصطلح -وتوقيت ذلك. والمستوى الثاني، يتعلق بالظروف الإجتماعية والاقتصادية لليهود العرب في الكيان الصهيوني، وبدرجة مشاركتهم السياسية وتمثيلهم في مراكز صنع القرار السياسي الصهيوني سواء أكانت مراكز حكومية أم حزبية وستتم دراسة هذا المستوى في إطار دراسة التمثيل السياسي لليهو د الشرقيين في أجهزة السلطة الاسرائيلية سواء منها « التشريعية »او التنفيذية .وهنا لابد من الاشارة إلى أهمية المصطلح في معالجة «الأزمة الطائفية » أو ما يسمى بـ« المشكلة السفاردية » داخل الكيان الصهيوني، التي ظهرت في خضم عملية تبلور حالة الانقسام الأثني في ذلك الكيان، وأفرزت مصطلحي اليهود الشرقيين (السفارديم) واليهود الغربيين (الاشكنازيم)، فالمصطلح الأول أطلق على المجموعات الأثنية اليهودية التي قدمت من البلاد العربية وغير العربية في قارتي آسيا وإفريقيا -ما عدا جنوب إفريقيا -بينما أطلق المصطلح الثاني على المجموعات الأثنية اليهودية التي قدمت إلى أوروبا (وخاصة أوروبا الشرقية) وأميركا.

وفي هذا السياق تذكر إحدى الدرسات الاسرائيلية* أربع تسميات تُطلق على المجموعات الاثنية اليهودية في الكيان الصهيوني، ولكل تسمية من تلك التسميات مزاياها وعيوبها. فمصطلح السفارديون « يتميز بانه يشير الى كل اليهود الذين ينسبون لأنفسهم ماضياً في مهجر اسبانيا اوالبرتغال. ولهذا فإن في هذا المصطلح نوعاً من الابراز لذخيرة ثقافية محدودة تختلف عما ترمز إليه لغةالايديش. وعيوب هذا المصطلح تتمثل في ان اصحاب الماضي الاسباني ينقسمون إلى مهاجر مختلفة، إقتربوا فيها احياناً من اليهود الآخرين دون ماضٍ اسباني ، وكثير من اليهود الاشكنازيين لم يعرفوا التراث الاسباني. وبالمقابل يشير مصطلح (اليهود الشرقيون) إلى كل اليهود الذين ليس لهم اي إرتباط بالثقافة الاسبانية اليهودية او بلغة الايديش. وتكمن عيوب هذا المصطلح في انه يخلق تميزاً مصطنعاً احياناً بين اليهود الذين يعيشون إلى جانب بعضهم في الطوائف نفسها، ومن جهة اخرى يجمع تحت التسمية نفسها، مجموعات مختلفة جداً، بعضها من الدول الاسلامية وبعضها الاخر من الهند أوحتى من البلدان المسيحية (جورجيا).

اما مصطلح آسيوي – إفريقي، فيستند إلى بعد جغرافي ويتمثل عيبه في انه يحمل معناً مغلوطاً من حيث الفوارق الاثنية بالنسبة للمصطلحين السابقين –السفارديون، والشرقيون– كماان مصطلح « من اصل شمالي إفريقي وشرقي أوسطي » يتميز بإ شارته إلى منطقة جغرافية فيها عناصر ثقافية مشتركة –الاسلام واللغة العربية ومصطلح الأمة العربية–اثرت على الطوائف الشرقية. وعيوب هذا المصطلح كثيرة اهمها، انه لايشمل مجموعات بشرية محدودة مثل الجورجيين والاثيوبيين والهنود والباكستانيين الذين لا يستطيعون الاتصال بالسفارديين والشرقيين، الذين ينظر إليهم على أنهم جزء من هذه المجموعة.

وبالمقابل، فإن مصطلح « الاشكناز » يشيرلليهود الذين استوطنوا– أو الذين استوطن آباؤهم –في وسط اوروبا وشرقها، والذين كانت لغتهم الايديش، والذين ينتشر أبناؤهم اليوم --عدا عن اسرائيل وشرق أوروبا –بصورة خاصة في غرب اوروبا والبلدان الامريكية واقيانوسيا .ومن عيوب هذا المصطلح ان اليهود الذين يشير إليهم لايرتبطون بشرق أوروبا (يهود روما أويهود السفارديين) الذين وصلوا إلى غرب أوروبا وامريكا. وهم لا يعتبرون ضمن هذه المجموعة على الرغم من قلة اهمية تميزهم عنها.

أما مزايا مصطلح اليهود الغربيون فهي ذاتها مزايا مصطلح «الاشكناز»، إلا أن عيوبه تكمن في أن معظم أبناءالجموعة البشرية التي يشملها يأتون من شرق أوروبا،لذا فإن استخدام هذا المصطلح يعتبر استخداماً مغلوطاً. وكذلك الحال بالنسبة لمصطلح «أوروبي -أمريكي» الذي يشير إلى المجموعة البشرية ذات الثقافات المختلفة جداً،بحيث أنه من المشكوك فيه أن يكون بالامكان إعطاؤه أهمية تتجاوز المفهوم الجغرافي المجرد.

وفي هذا السياق نذكر أن المصادر التاريخية** ترجع وجود اليهود في المنطقة العربية إلى موجات متتالية بدأت بالمستوطنين الاول منذ القرن السادس عشر قبل الميلاد. ثم موجة أخرى أتت بعد سقوط القدس في القرن الاول للميلاد .وهاجرت هذه المجموعات شرقاً نحوالعراق أوجنوباًنحو الجزيرة العربية أوجنوباً بغرب نحومصر،وتسربت أعداد منها إلى شمال إفريقيا لكن الموجة الكبرى التي أتت بعد خروج اليهود الجماعي من اسبانية على إثر انهيار الحكم العربي -مجيء السفارديم- وقدم بعد ذلك عدد لابأس به من يهود Gornyim غورنيم من إيطاليا في القرن السابع عشر واستوطنو الجزائر وليبية .ويختلف السفارديم والغورنيم عن اليهود القدامى ،إذ كانوا أكثر غنى وثقافة .

ويقسم اليهود من حيث الفرق الدينية إلى فئتين هما :اليهود الحاخاميين Rab-binite،ثم فرق شبه يهودية .فالحاخاميون هم الذين يتبنون العقائد المبنية على العهد القديم كما شرحت في التلمود .ولا نجد في هذه الفئة انقسامات إلى شيع وكنائس وهناك مثلاً فروقاً معينة في الطقوس والتقاليد بين الاشكنازيم الذين يتكلمون اليديش والسفارديم .

أما الفرق شبه اليهودية فهي جماعة القرائيين Karaites وجماعة السامريين. فالقراؤون هم الذين إنشقوا عن الجسم الأصلي لليهود في القرن الثامن الميلادي. ومنشأ فرقتهم في بغداد ثم انتشرت نحو سورية ومصر والقرم وكان هدفهم هو العودة نحو اليهودية الأصلية Scriptures الشفوية .أما السامريون Sa-maritans،فهم يقبلون بأسفار موسى الخمسة Pentateuch وطقوسهم الدينية مبنية على أساس الشريعة الموسوية وتختلف تماماً عن تلك التي لسائر اليهود ولغتهم هي لهجة من الآرامية لم تعد مستعملة. كما أن العبرية تستعمل لدراسة الطقوس الدينية، بينما العربية هي اللغة الشائعة بينهم.

.محور الكتاب :

يعالج هذا الكتاب إحتمالات عودة اليهود العرب إلى بلدانهم الأصلية، وذلك على ضوء دراسة نتائج الجهود العربية في هذا المجال وتقويمها من جميع الجوانب وخاصة مايتعلق منها مباشرة بالصراع العربي -الصهيوني ، من جهة، وعلى قاعدة رؤية موضوعية لتلك الإحتمالات اخذاً بالاعتبار امرين اولهما يتعلق بدرجة استجابتهم للإغراءات الصهيونية التي دفعتهم للهجرة إلى فلسطين المحتلة. وثانيهما يتعلق بدرجة ارتباطهم او تمثلهم للقيم الصهيونية، وتماهيهم مع السلطة الأشكنازية في الكيان الصهيوني .

و تجدر الاشارة إلى ان الفكرة الرئيسة ومحور الكتاب تتمثل في تحديد الخطوط الأولية لمشروع حل عربي للمسألة اليهودية، حلاً حضارياً إنسانياً،يشكل وسيلة حاسمة لحل الصراع العربي -الصهيوني، أيضاً، فهذا الصراع من حيث جوهره العميق، نتاج لحل إمبريالي - صهيوني للمسألة اليهودية على حساب الأمة العربية وليس فقط على حساب تهجير وتغييب الشعب الفلسطيني. لذا فإيجاد حل عربي للمسأله اليهودية ؛يعتبر تحدياً كبيراً يشكل أساس التحديات التي تواجهها الأمة العربية منذ قرن ونيف من الزمن.

والأفكار الواردة في متن هذا الكتاب سواء بدت للقارىء المهتم أو للقارىء المختص، جديدة أم قديمة، فإن إثارتها اوعادة إثارتها من جديد ليست أمر عبثياً ،بل هي مساهمة مقدمة للقارىء والمختص وصاحب القرار السياسي العربي ،قابلة للإغناء والتطوير ،إذ انها لاتتسم بسمة الاطلاقية ،ولاترتقي إلى مصاف الأفكار المقدسة ،فهي مجرد نتائج بحث ومتابعة تهدف الخروج من أزمة تاريخية عميقة الجذور نحو فضاء حل حضاري إنساني، يكفل للأمة العربية النهوض من حالة السبات القسري الراهنة، ويؤهلها لتوظيف طاقاتها الهائلة المهدورة عبثاً في غالب الأحيان، توظيفها في عملية بناء وحدتها، والمساهمة بقسطها في إيجاد عالم متحضر،يكون بدوره نتاجاً لفكر إنساني يضع حلولاً ناجعة لأزمات البشرية تستند إلى وعي واقعي، صحيح، غير زائف لتلك الأزمات و الصراعات مهما إختلفت حدتها .

وهذا الكتاب يعرض افكاره وموضوعاته في ثلاثة أجزاء مترابطة مع بعضها البعض، ويتكون كل جزء من عدد من الفصول .فيعرض الجزء الأول لواقع اليهود في مختلف البلاد العربية واصولهم التاريخية، وظروفهم الإجتماعية، والإقتصادية

ودرجة مشاركتهم السياسية، والتطورات التي طرأت على أعدادهم،خلال تسعة عقود من الزمن.وذلك عبر فصلين، يتناول أولهما توزع اليهود في الشطر الشرقي من الوطن العربي(الآسيوي).ويتناول ثانيهما، توزع اليهود وأحوالهم على كافة المستويات في الشطرالغربي من الوطن العربي (الإفريقي) . ويخصص الجزءالثاني بفصوله الثلاث ، لعرض ظروف هجرة اليهود من البلاد العربية وتوجهات النشاط الصهيوني في البلاد العربية قبل وبعد قيام الكيان الصهيوني وواقع حال يهود البلاد العربية في الكيان الصهيوني. وثانيهما يعرض باقتضاب للنظام السياسي في إسرائيل ولموقع اليهود الشرقيين وبضمنهم (اليهودالعرب) في العملية الإنتخابية وصولاً إلى إنتخابات الكنيست الثالثة عشرة وتشكيل الحكومة الإسرائيلية الراهنة. ويخصص الفصل الثالث لبحث مسألة التمثيل السياسي لليهود الشرقيين في أجهزة السلطة في إسرائيل .

أما الجزء الثالث، فيعرض فكرة (نزوح اليهود) من إسرائيل أوما أصطلح عليه إسم «نزوح العودة» أي عودة يهود البلاد العربية إلى بلادهم الأصلية، والمواقف المؤيدة والمعارضة لهذه الفكرة، وكذلك الظروف السياسية التي شكلت حاضنة لها.

ويعرض الفصل الثاني من هذا الجزء وبتكثيف الحلول الغربية الأوربية للمسألة اليهودية التي واجهتها أوروبا، بينمايعرض الفصل الثالث للتعبيرات الجديدة للمسألة اليهودية التي تواجهها الأمة العربية في خضم الصراع العربي –الصهيوني وسبل حلها، برؤية عربية جديدة .

وللأهمية، وللفائدة الموضوعية المرتبطة بموضوعات الكتاب الأساسية والفرعية، وجدت ضرورة لتزويد هذا الكتاب بقائمة بالمراجع التي تمت الإستفادة منها ووفرت معطيات وحقائق إنبثقت من ثناياها، وبعد البحث والتدقيق أفكار هذا الكتاب إضافة إلى قائمة بالصحف اليهودية والصهيونية التي صدرت في الوطن العربي منذ العام (١٨٦٣) حتى (١٩٥٠) كمؤشر على الدعاية الصهيونية لتشكيل غيتو شرق أوسطي جديد .

المؤلف

---

* اليعزر بن رفائيل، الطائفية والمجتمع في اسرائيل، سكيرا حودشيت، ١١/٥/١٩٨٦ ص٥٦.

** راجع ، علي ابراهيم عبده، ود. خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، مركز الابحاث الفلسطينية، بيروت، ١٩٧١، ص ١٠–١٣

الجزء الأول
اليهود في الوطن العربي

الفصل الأول

يهود الشطر الشرقي من الوطن العربي

١- يهود العراق
٢- يهود بلاد الشام
٣- يهود الجزيرة العربية

اليهود في البلاد العربية
اليهود في بلدان الشطر الشرقي من الوطن العربي

لدى معالجة وعرض واقع حال اليهود في مختلف البلاد العربية، لا يمكن النظر إلى هذا الواقع بشكل إجمالي وعام، بل لابد من التخصيص، فنحن امام مجتمعات عربية متعددة لكل مجتمع منها خصائصة وميزاته التي تميزه عن الآخر، سواء لجهة درجة تطوره أو تخلفه على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وايضاً لجهة ميزات وخصائص الأقلية اليهودية المتواجدة بين ظهراني هذا المجتمع في بلد عربي مشرقي أو مغاربي، ودرجة مساهمتها وانخراطها في جميع أوجه النشاط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في هذا البلد العربي أو ذاك.

ونشير إلى أن العامل الرئيسي المؤثر على أوضاع اليهود في اي بلد عربي، يتمثل في درجة انخراط البلد العربي المعني بالصراع العربي - الصهيوني، وطريقة تعاطيه معه ومع المتغيرات التي تطرا عليه، سلباً او ايجاباً. وفي هذا السياق ينبغي الحذر من التسرع في اطلاق الأحكام على أساس هذا العامل ، من شاكلة الاعتقاد أن يهود البلاد العربية كانوا بمثابة «رهائن»، او موضع قصاص، أو انتقام من قبل العرب، لدى ارتفاع بروفيل الصراع العربي - الصهيوني، وانعكاس هذا الارتفاع سلباً على الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية للبلدان العربية.

ونظراً لانتشار اليهود، كاقلية في غالبية الدول العربية، واخذاً بالاعتبار الاعتبارات السابقة، ستعالج قضية اليهود في البلاد العربية الواقعة في الشطر الشرقي من الوطن العربي، بشكل منفصل عن أوضاعهم في البلاد العربية المكونة للشطر الغربي من الوطن العربي.

فالشطر الشرقي الذي يضم كلاً من سوريا، ولبنان والاردن والعراق ودول الخليج العربي واليمن، تتماثل فيه إلى حد ما اوضاع اليهود، وفي الشطرالغربي ، تتشابه

المؤثرات الداخلية والخارجية على اليهود في بلدانه سواء في مصر أو تونس أو الجزائر أو المغرب، كما تختلف أصول وطوائف اليهود في بلدان المشرق العربي عنها في أقطار المغرب العربي، فهنالك اليهود الربانيون الارثوذكس، واليهود القراؤون، واليهود السامريون. فاليهود الربانيون الارثوذكس يتواجدون في فلسطين المحتلة وفي أقطار المغرب العربي ويبلغ عددهم (٣,٥٠٠,٠٠٠) يهودي. أما اليهود القراؤون فينتشرون في فلسطين المحتلة وأقطار المشرق العربي ويبلغ عددهم (٥٠,٠٠٠) يهودي. بينما يتمركز اليهود السامريون في فلسطين المحتلة ويبلغ عددهم أيضاً (٥٠,٠٠٠) يهودي.(١)

وقبل البدء بمعالجة أوضاع اليهود في البلاد العربية، لابد من إلقاء الضوء، وبشكل مركز على بعض الخصائص التي يتميز بها المجتمع في الوطن العربي ككل، ومنها أن التكوينات الاجتماعية في أقطار الوطن العربي، يتمركز تضامنها الداخلي على أسس أما طبقية أو أثنية أو قبلية. وفي حالات ليست بالقليلة، يمكن أن تتداخل هذه التكوينات الاجتماعية، إما بالتطابق أو التقاطع. فالتكوينة الاجتماعية نفسها يمكنها أن تكون أثنية (عرقية أو دينية أو طائفية أو لغوية أو قومية) تحتل بمعظم أفرادها موقعاً معيناً في السلم الطبقي، أو في علاقات الانتاج في المجتمع، ويكون هذا نموذجاً للتطابق بين الروابط الداخلية التضامنية الخاصة في تكوينتين اجتماعيتين من نوعين مختلفين. أما حالة التقاطع، فتحدث حينما يكون أفراد تكوينة اجتماعية نوعية محددة موزّعين على تكوينات اجتماعية مختلفة، كأن يكون الفرد في تكوينة اجتماعية أثنية، و يشعر مع أفرادها بالتضامن الداخلي، ويكون في تكوينة اجتماعية ذات طبيعة طبقية ويشعر معها بالتضامن أيضاً، رغم أنها تضم أفراداً من جماعات أثنية أخرى مضادة، أو متنافرة مع جماعته الأثنية. إن عضويته في هاتين التكوينتين، تجعله مهياً لنوعين مختلفين من السلوك الجماعي السياسي، ويكون عليه في لحظات معينة أن يختار واحداً منهما فقط.

ونتيجة للتشوهات التي حدثت في مسيرة التطور الاجتماعي- الاقتصادي خلال القرنين الأخيرين، نلاحظ أن التكوينات الاجتماعية غير منسقة في تسلسلها الرأسي أو تقسيمها الافقي.

من ذلك، مثلاً، نجد أن التكوينات الاجتماعية الحضرية في بعض الاقطار اكثر

نزوعاً إلى تمركزها حول الطبقة كوحدة أساسية للتنظيم الاجتماعي - الاقتصادي، ومن السلوك السياسي. بينمانجد ان التكوينات الاجتماعية الريفية أكثر تمركزاً حول العشيرة أو الطائفة والتكوينات الاجتماعية البدوية أكثر تمركزاً حول القبيلة أو العشيرة كاسس للتنظيم، ومن ثم للولاء ، والسلوك السياسي.(٢)

وفي هذا السياق يعتقد د. سعد الدين ابراهيم انه «إذا نظرنا إلى التكوينات التقليدية، فإننا نجد تقسيماً آخر لأقطار الوطن العربي، ليس على أساس حزام شمالي وحزام جنوبي، ولكن على أساس إقليمي وقطري. فإقليما المشرق والجزيرة العربية بصفة عامة، مازالت التكوينات الاجتماعية التقليدية فيهماذات تأثير كبير. ففي المشرق، وبخاصة لبنان وسوريا والعراق، نجد مثل هذه التكوينات التقليدية ترتكز على معايير التضامن الديني- الطائفي- «العرقي». فالمشرق هو اكثر الأقاليم العربية تنوعاً من حيث تركيبته «الأثنية»، وكثير من المستشرقين الذين وصفوا الوطن العربي بأنه «مجتمع فسيفسائي كانوا متأثرين بواقع هذا الاقليم، دون الأقاليم الثلاثة الأخرى في الوطن العربي (والتي تضم أكثر من ٨٠٪ من السكان والمساحة). وفي اقليم الجزيرة العربية، نجد ان التكوينات التقليدية ترتكز على معايير التضامن العشائري القبلي، وبدرجة اقل على التضامن المذهبي (سنّة، شيعة)». فإذا تركنا الأقاليم الكبرى، فإننا نجد ان السودان والمغرب والجزائر وموريتانيا، ذات تكوينات تقليدية تعتمد على تضامن قبلي - اثني في الوقت نفسه. بينما في ليبيا والصومال ترتكز التكوينات التقليدية على التضامن القبلي وهي في ذلك اقرب إلى اقاليم الجزيرة العربية».(٣)

وهذا، بالطبع يقودنا نحو ابراز الملامح العامة للخريطة الأثنية في الوطن العربي، وتوزع الجماعات الأثنية فيه، مع العلم ان المقصود بـ«الجماعة الأثنية» هو الجماعة التي تختلف عن جماعة او جماعات اخرى تعيش معها في المجتمع نفسه، في ان واحد أو اكثر من المتغيرات التالية: اللغة، الدين، المذهب داخل الدين الواحد أو السلالة «العرقية». وبناء على هذه المتغيرات فإن الشكل العام للخارطة الأثنية العامة في الوطن العربي، هو حسب الجدول التالي:(٤)

الجماعات الاقلية اللغوية في الوطن العربي في منتصف الثمانينات

متغيرات أثنية أخرى الجماعة الأقلية	العدد الاجمالي في الوطن العربي	الدين لدى أغلبيتهم	السلالة	الموطن الأصلي	مناطق التركز الحالية بترتيب أهميته
الأكراد	٣,٥٠٠,٠٠٠	مسلمون	حاميون ساميون	الموطن الحال نفسه	العراق – سورية
الأرمن	٣٠٠,٠٠٠	مسيحيون	حاميون ساميون	ارمينيا (تركيا والاتحاد السوفياتي	لبنان – سورية العراق – مصر
الاراميون والسريان	١٠٠,٠٠٠	مسيحيون	حاميون ساميون	الموطن الحالي نفسه	سورية– العراق–
التركمان والشركس	١٠٠,٠٠٠	مسلمون	حاميون ساميون	(جنوب الاتحاد السوفياتي وتركيا	لبنان الأردن – سورية
الأتراك	١٠٠,٠٠٠	مسلمون	حاميون ساميون	تركيا	العراق – أقطار
الأيرانيون	٢٥٠,٠٠٠	مسلمون	حاميون ساميون	ايران	الخليج العربي
اليهود الغربيون	١,٢٥٠,٠٠٠	اليهودية	حاميون ساميون	أوروبا– الأمريكيتان	فلسطين المحتلة
القبائل الزنجية	٤,٥٠٠,٠٠٠	وثنيون	زنوج	الموطن الحال نفسه	جنوب السودان جنوب المغرب
النوبيون	٤٥٠,٠٠٠	مسلمون	حاميون ساميون	الموطن الحال نفسه	جنوب مصر – شمال السودان
البربر	١٠,٠٠٠,٠٠٠	مسلمون	حاميون ساميون	الموطن الحالي نفسه	المغرب– الجزائر تونس– ليبيا
الجملة	٢٠,٠٥٠,٠٠٠				

ولجهة توزع الجماعات الدينية غير الاسلامية في الوطن العربي، وانعدامها في الشطر الغربي منه، نورد الجدول التالي :(٥)

الجماعات الدينية غير الاسلامية في الوطن العربي في منتصف الثمانينات

الاقليات الدينية غير الاسلامية	العدد الاجمالي في الوطن العربي	مناطق التركز الحالية بترتيب اهميتها
١- المسيحيون	٧,٨٠٠,٠٠٠	
أ- اليونان (الروم) الارثوذكس	١,٢٥٠,٠٠٠	سورية - لبنان - الاردن - فلسطين - مصر
ب- النساطرة (الاشوريون)	٧٥,٠٠٠	سورية -العراق - لبنان -
ج- المونوفيزيون	٤,٤٠٠,٠٠٠	
(الاقباط الارثوذكس)	(٤,٠٠٠,٠٠٠)	مصر - السودان
(اليعاقبة الارثوذكس)	(١٥٠,٠٠٠)	سورية - لبنان - العراق
(الارمن الارثوذكس)	(٢٥٠,٠٠٠)	سورية - لبنان - العراق- مصر
د- الكاثوليك	١,٩٧٥,٠٠٠	
(اتباع الكنيسة الغربية - اللاتين)	(٤٥٠,٠٠٠)	السودان - سورية - لبنان - فلسطين - مصر
(اليونان - الروم الكاثوليك)	(٢٧٠,٠٠٠)	لبنان- سورية — مصر
(السريان - الروم الكاثوليك)	(٥٥,٠٠٠)	سورية - لبنان
الارمن - الروم الكاثوليك)	(٥٠,٠٠٠)	سورية - لبنان
(الاقباط - الروم الكاثوليك)	(١٠٠,٠٠٠)	مصر - السودان
الكلدان - الروم الكاثوليك)	(٢٠٠,٠٠٠)	العراق - سورية - لبنان
(الموارنة - الروم الكاثوليك)	(٨٥٠,٠٠٠)	لبنان سورية
هـ- البروتستانت	١٥٠,٠٠٠	السودان - لبنان - سورية - مصر
٢- اليهود	٣,٦٠٠,٠٠٠	
أ-الربانيون الارثوذكس	٣,٥٠٠,٠٠٠	فلسطين المحتلة (اسرائيل) اقطار المغرب
ب- القراؤون	٥٠,٠٠٠	فلسطين المحتلة (اسرائيل) اقطار المشرق
ج- السامريون	٥٠,٠٠٠	فلسطين المحتلة (اسرائيل)
٣- الديانات التوفيقية وغير السماوية	٤,١٦٠,٠٠٠	
الصابئة (المانديون)	١٠,٠٠٠	العراق
اليزيدية والشوابك	١٠٠,٠٠٠	العراق
البهائية	٥٠,٠٠٠	فلسطين المحتلة (اسرائيل) - العراق
الديانات القبلية الزنجية	٤,٠٠٠,٠٠٠	السودان
اجمالي الجماعات الدينية غير الاسلامية	١٥,٥٦٠,٠٠٠	

وعلى أساس المذهب داخل الدين الواحد نورد الجدول التالي الذي يبين توزع الطوائف الاسلامية غير السنّية في الوطن العربي. (٦)

الطوائف الاسلامية غير السنية	العدد الاجمالي في الوطن العربي	القرن الميلادي الذي ظهرت فيه الطائفة	مناطق التركز الحالية بترتيب اهميتها
١- الشيعة الاثنا عشرية	٨,٠٠٠,٠٠٠	السابع - التاسع	العراق - لبنان - اقطار الخليج
٢- الشيعة الزيدية	٢,٥٠٠,٠٠٠	الثامن	اليمن - جنوب الجزيرة العربية
٣- الشيعة الاسماعيلية	٢٠٠,٠٠٠	الثامن	سورية - لبنان - العراق - اقطار الخليج
٤- الدروز (الموحدون)	١,٠٠٠,٠٠٠	الحادي عشر	سورية - لبنان فلسطين المحتلة (اسرائيل)
٥- العلويون (النصيرية)	١,٥٠٠,٠٠٠	التاسع	سورية لبنان
٦- الخوارج الاباضية	١,٣٠٠,٠٠٠	السابع	عمان - الجزائر - تونس - ليبيا
الجملة	١٤,٥٠٠,٠٠٠		

وعند الجمع بين المتغيرات المتعددة (اللغة، الدين، المذهب، والسلالة) نجد أن حجم ونسبة الجماعات الأثنية المنتشرة في الوطن العربي نسبة للحجم الكلي لسكان الوطن العربي البالغ (١٨٥) مليوناً، حسب احصائيات تعود إلى منتصف عقد الثمانينات، هو على الشكل التالي :(٧)

أنواع الأقليات	العدد الاجمالي في الوطن العربي	النسبة المئوية إلى اجمال السكان	اقطار التركز العددي للاقليات حسب اهميتها
الجماعات اللغوية (غير العربية)	٢١,٠٠٠,٠٠٠	١١,٤	المغرب - السودان - الجزائر - العراق
الجماعات الدينية (غير الاسلامية)	١٢,٥٠٠,٠٠٠	٧,٦	فلسطين المحتلة - السودان - مصر - لبنان
الجماعات الاسلامية المذهبية (غير السنية)	١٤,٥٠٠,٠٠٠	٧,٨	العراق - سورية - لبنان - فلسطين - الخليج
الجماعات السلالية (غير الحامية - السامية)	٤,٥٠٠,٠٠٠	٢,٤	السودان
الجملة	٥٢,٥٠٠,٠٠٠	٢٨,٤	

على ضوء ما سبق، سنلقي الضوء أولاً على أوضاع اليهود في كل من العراق وسوريا ولبنان ودول الخليج العربي واليمن، هذه الاقطار المكونة لما اسميناه بـ « الشطر الشرقي » للوطن العربي.

لكن قبل ذلك نذكر انه ووفق المعطيات المتوافرةحول اعداد اليهود في الوطن العربي، فقد بلغ عددهم التقريبي حوالي (٣٩,٤١٥) يهودياً، حسب تقديرات عام ١٩٩٠(٨)

يهود العراق
طائفة تحتضر..

تشير بعض الكتب التاريخية والدراسات المتعلقة بيهود البلاد العربية إلى أن أصل يهود العراق يعود إلى الذين اقتيدوا إلى بابل على يد «نبوخذ نصر» عام (٥٨٦) ق.م(٩) وتشير مصادر أخرى إلى حدوث حملات ضد اليهود قبل ذلك، أي قبل السبي البابلي، فقد قام ملك آشور «شلما نصر» عام ٧٢١ ق.م بحملة ضد «هوشع» - يهوشع - ملك اسرائيل (السامرة)، وحاصر خلالها مدينة السامرة واقتاد بعد ذلك أكثر من (٢٥) ألفاً من الاسرائيليين في وادي نهر الخابور. كذلك شن «سنحاريب» ملك «آشور» حملة على مملكة يهوذا (اليهودية) عام (٧٠٢) ق.م فاجتاح عشرات المدن وأسر من سكانها عشرات الألوف. بينما تقدرهم المصادر اليهودية بأكثر من (٢٠٠) ألف نسمة، وأجبر سكان عاصمة مملكة يهوذا على دفع الجزية في عهد ملكها حزقيال.(١٠)

وحول السبي البابلي تشير المصادر التاريخية ذاتها إلى أنه في عام (٦٠٣) ق.م تولى «نبوخذ نصر» العرش الكلداني البابلي، وفي عهده بلغت الدولة الأوج، فمد حدودها وعززها، وحالف لفترة الملك اليهودي «يواقيم»، إلا أن العلاقات تدهورت بين الفريقين. عندما حاول «يواقيم» التملص من الحلف مع «نبوخذ نصر» جاره القوي، الذي جرد حملة حاصر فيها القدس، ثم فتحها، واقتاد الملك الجديد يهوياكين - الذي تولى العرش بعد وفاة يواقيم - وحاشيته وأركان حكمه وأشراف دولته إلى بابل عام (٥٨٦) ق.م.

وهكذا إلتقت الموجة الجديدة من المسبيين المجلوين بالجماعة التي كانت قد أجليت من قبل على أيام «شلما نصر»، وقدر عددها بعشرات الألوف. وتشير الآثار التاريخية إلى سبي آخر لاحق حدث بعد تمرد صدقيا ملك «يهوذا» - عم يهوياكين - الذي نصبه الكلدان، مما أدى إلى تجريد حملة أخرى انتهت عام

(٥٨٦) ق.م، بحرق هيكل سليمان بن داوود»والقضاء على دولة يهوذا وسبي حوالي (٥٠) الف يهودي إلى العراق، هم اغلبية من تبقى في القدس، ولم يترك فيها تبعاً للمصادر اليهودية إلا افقر الفلاحين، بينما فر كثيرون إلى مصر بينهم النبي «ارميا».

وفي العراق عكف احبار اليهود على التاليف وتحرير الأسفار التوراتية المنقولة شفاهة، وجمع التلمود البابلي (واعد) – هو احد التلمودين إلى جانب التلمود الفلسطيني الذي جمع وحرر بمعظمه في البرية – وتنظيم اوضاع مؤسساتهم الدينية، وصار الكنيس مركز تلاقيهم ايام السبت.

وفي الموطن الجديد ازدهرت اعمال الجالية اليهودية، واصابت نجاحاً كبيراً في المجالات الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، فامتلك افرادها الأراضي والمزارع، ومارسوا الزراعة والحرف والصيرفة. وتشير «جوان كوماي» زوجة الدبلوماسي الاسرائيلي «مايكل كوماي» في كتابها «قصة الشتات»، إلى ان التجار اليهود، تاجروا بالصوف والقمح والخمور والأحجار الكريمة والمعادن، وعملوا في حرف الحياكة والصباغة والخياطة وصيد السمك والتجارة وصنع القوارب. ولكن مع مرور الزمن ظهرت فوارق معيشية بين سكان الأرياف الفقراء وسكان المدن المكتفين ادت إلى تطورات سياسية.

وفي عام (٥٣٩) ق.م سقطت بابل بايدي الفرس تحت قيادة قورش أول ملوكهم، وفي السنة التالية أصدر قورش – الذي تزوج من يهودية – امراً سمح فيه لليهود بالمغادرة وإعادة بناء الهيكل. ولكن لم يغادر إلا قلة ضئيلة منهم، مما يشير بوضوح إلى انهم الفوا مكان إقامتهم، ولم يجدوا بواعث دينية جوهرية تفرض عليهم العودة إلى يهوذا.

في عهد الفرس والفريثيين – موطنهم الأصلي جنوب شرقي بحر قزوين – تقدمت المؤسسة الدينية والثقافية اليهودية في العراق اكثر فاكثر، وخطي اليهود في ظل تسامح عام مع تقاليدهم، حظوا واقعياً باستقلال ذاتي في شؤونهم العائلية و الدينية واحوالهم الشخصية، وحرروا التلمود البابلي – كلمة تلمود تعني التعليم او التتلمذ – واسسوا معاهد علمية دينية مهمة أبرزها اكاديمية نهر دعا ثم اكاديمية سورا واكاديمية بومبيدوثا الشهيرتان. ونظموا شؤون الجماعة تحت زعامة راس الجالوت «الاكسيلارخ» أو رئيس الجلوين او الطائفة (الزعيم الزمني ذو

السلطة الوراثية للطائفة) وتعاليم الأحبار (الغاوونيم) - مفردها غاوون - خصوصاً في الأكاديميات.(11)

*** اليهود في ظل الحكم الاسلامي:**

ومع مجيء الفتح الاسلامي رحب يهود العراق، الذين قدر عددهم بحوالي (٩٠) ألف نسمة عام (٦٥٥) م. بقدوم المسلمين لتخليصهم من معاناتهم تحت الحكم الفارسي الزرادشتي، التي وصلت - المعاناة- إلى حد إعدام رأس الجالوت وكبار رجالات الطائفة ومحو الحي اليهودي في مدينة أصفهان. وفضلاً عن ذلك كانت مؤسساتهم الدينية والعلمية التي عدت في يوم من الأيام أهم المرجعيات اليهودية في العالم آنذاك، قد أخذت تتدهور بفعل نزاعاتهم الداخلية والظروف السياسية المحيطة بهم. وبعد قتل قيادتهم واغلاق الأكاديميات فقد يهود العراق مرحلياً مركزهم العالمي المتميز، وانتقلت القيادة الدينية إلى الأندلس بفضل اسحق الفاسي، ثم «موسى بن ميمون» «رمبم» أشهر فلاسفة اليهود وعلمائهم على الاطلاق.

وتحت الحكم الاسلامي، تمتع يهود العراق بالاعتراف بهم «أهل كتاب» و«اهل ذمة» داخل ديار الاسلام وفي ظل حمايتهم. وقرب العديد من الخلفاء وأهل العلم والدراية من اليهود، ولا سيما الخليفة «المأمون» الشغوف بالعلم والعلماء. وصار رأس الجالوت يعد بفضل أهمية العراق عالمياً رئيس الطائفة اليهودية في العالم أجمع. واستفاد اليهود من جو التسامح والرعاية، فلمع منهم العديد من العلماء والأطباء والحرفيين والخازنين ورجال المال، ومنهم الطبيب «فرات بن شحناتا»، و«حسداي بن اسحق»واستمروا في ذلك حتى عهد الخليفة المتوكل إذ مورس ضدهم فيه بعض التمييز السلبي. ولكن فيما بعد، في أيام الخليفة المعتضد عادت أوضاعهم إلى التحسن. وازدهرت معاهدهم من جديد، خصوصاً أكاديمية سورا التلمودية، ولمع من الأحبار والعلماء «سعديا بن يوسف» المعروف «بسعديا الفيومي»، و«هارون بن يوسف» وغيرهم.

وفي ابان الحكم الاسلامي ظهرت في العراق فرقة «القرائيين» اليهودية التي رفضت التلمود واكتفت بالتوراة، وكان مؤسسها «داود بن عنان»(12)

في منتصف محرم (٦٥٦هـ ، ١٢٥٨م) سقطت بغداد على يد هولاكو المغولي وقد ارتكب جنده الفظائع والفضائح بعد أن أعملوا السيف والنار وارتكبوا

الموبقات فهلك كثير من أبناء مدينة بغداد على اختلاف أديانهم، وبذلك انتهت الدولة العباسية بعد أن دامت نحو خمسة قرون تعاقب خلالها (٣٧) خليفة .

ولم يسلم اليهود من هذه الكارثة فنالهم ما نال المسلمين والمسيحيين وغيرهم، إلا أن امرهم تحسن عندما نال أحدهم حظوة طيبة لدى المحتلين هو الطبيب « سعد الدولة » الذي أصبح مستشاراً للسلطان آرغون (١٢٨٤ - ١٢٩١م) وبعد موت هذا السلطان فقد اليهود سندهم .

اشتهر في هذه الفترة « عز الدولة سعد بن منصور بن سعد » الملقب بـ « ابن كمونة » . وكان عالماً متضلعاً في علم النفس الف كتاباً سنة (٦٨٣هـ - ١٢٨٤م) سماه « الابحاث عن الملل الثلاث » .

توصل سعد الدولة إلى السلطان عن طريق الطب وشرح له أحوال بغداد وبعد ان اقتنع منه مكنه من العراق وعده من الناصحين له والمخلصين لمصالحه، فصارت بيده خزائن المغول، نال كل سلطة وصار قوله الفصل . فعين اخوته ولاة في بغداد والموصل، وبالغ الشعراء في مدح سعد الدولة حتى جمعت المدائح التي قيلت فيه مجلد كامل . غير ان سعد الدولة ما لبث ان اساء إلى المسلمين واضر بنفقات مساجدهم واوقافهم فتالموا منه وثاروا عليه فانتقم منهم بقسوة اكسبته عداوة الأمراء وزادت من كراهية الناس له ولليهود .

وكانت عاقبة سعد الدولة القتل وثارت العامة على اليهود ونهبوا أحياءهم ثلاثة أيام وقتلوا عدداً منهم وحدث مثل ذلك في الموصل وعلى ذلك قام « جمال الدين الاستجرداني » الذي فوض اليه أمر العراق بمنع العوام عن ذلك وحبس جماعة منهم وقتل شخصين فسكتت الفتنة .

وفي سنة (٨٠٢هـ ١٤٠٠م) احتل تيمورلنك العراق فهلعت قلوب سكانه وخاف اليهود بطشه واجتمعوا في بغداد إلا ان كثيرين منهم قتلوا اضافة إلى المسلمين .

ويقال ان تيمورلنك قتل في تلك السنة نحو ١٠ آلاف يهودي في البصرة والموصل ودمر مدارسهم وانقطعت الرئاسة بينهم زمناً وتبددت الجماعة في المدن والاقاليم فغدت حالتهم مؤلمة موجعة كما يقول المؤرخون .

سليمان القانوني واليهود

كان عدد اليهود قد قل كثيراً بعد نكبة المغول وسقوط بغداد وساءت احوالهم

كبقية السكان، أما السلطان سليمان الأول (القانوني) والذي أمر بالسيطرة على بغداد سنة ٩٤١هـ – ١٥٣٤م فانه لم يلحق الأذى باليهود لما عرف عنه من الحكمة والتساهل، يقول لونجريك(LONGRIGG) : ان النصارى واليهود عاشوا في ظل نظام كان التساهل فيه يزيد على ما كان في الولايات الأخرى فان بغداد كانت عالمية إلى حد أنها لا تشجع شيوع التعصب، وعلى ذلك فان هذه الطوائف ذوات أقليات من السكان كانت تسلك سلوكاً أخلاقياً حسناً، كما كان الناس قد ألفوهم نظراً لطول اقامتهم ولعدم وجود ما يمنع اختلاطهم بباقي السكان.

وفي أوائل القرن السابع عشر زارالعراق الرحالة تكسيرا (TEXEIRA) (١٦٠٤ – ١٦٠٥م) فذكر أن يهود العراق ما بين ٢٠إلى ٣٠ الف بيت منهم ٢٠٠ – ٣٠٠ بيت من اليهود الأوائل. أي من الأسرى الأوائل، وقال أن عدداً من ابناء هذه الطائفة أغنياء، ولكن اغلبهم في فقر مدقع وجميعهم يسكنون محلة واحدة ولهم كنيس ومصلى ويقومون بشعائر دينهم بكل حرية.

وقال عن يهود (عنه) : ان مائة وعشرين بيتاً من سكانها يهود عرب، وان لم يكونوا أغنياء، فانهم يعيشون عيشاً وسطاً، ويراعي جانبهم أمير البلاد،وموظفوه ، ولابد من أن ذلك يكلفهم شيئاً حسب العادة ويملكون بيوتاً واراضي كما يملك العرب الذين يؤلفون بقية سكانها.

وفي هذه الفترة جاءت جماعات يهودية مهاجرة من فارس إلى بغداد وسبب الهجرة أن الشاه عباس الأول أراد أن يكثر سكان مملكته، فأنعم على الغرباء كثيراً فأتوا إليها من كل صوب للاقامة فيها وللتجارة، وكان بينهم جماعة من اليهود الذين استأثروا بالتجارة واغتنوا بها. غير أن عدداً كبيراً من الايرانيين لم ترق لهم السياسة فانتقموا من اليهود وكانت الحجة ظهور شباتي صبي، الذي ادعى أنه المسيح المنتظر فتعرض يهود ايران إلى اضطهاد قاسوا منه كثيراً واستمر الحال حتى سنة ١٦٦٦ م.

الحاخام باشي والناسي

تمتعت الاقليات الدينية في العهد العثماني باستقلال ذاتي في الاشراف على امورها الدينية وادارة مؤسساتها الخيرية والتعليمية. وكان على رأس الطائفة اليهودية جهازان ديني ومدني.

كانت الامور الروحية بيد رئيس الحاخامين (حاخام باشي) الذي يعينه الباب العالي، والادارات الطائفية بيد احد اعضاء أرفع الاسر مكانة واسمه (الناسي) وهي كلمة عبرية معناها قائد أو زعيم.

ولم يكن (الحاخام باشي) زعيماً روحياً بل كان في الدرجة الأولى رجل اعمال يمثل الطائفة امام الحكومة وينقل اوامرها إلى الطائفة.

اما (الناسي) وهو أكثر اليهود غنى واحتراماً، فيقوم بنفس المهام، ولكن بشكل غير رسمي ويكتسب مكانته لثروته، وغالباً ما كان النسيم (جمع ناسي) يقومون بمهام مستشاري مالية الولاة في بغداد (صراف باشي) وعملهم هذا جعلهم مسؤولين عن النشاط المالي للادارة الحكومية، كما ان مركزهم في طائفتهم جعلهم مسؤولين عن الضرائب التي يدفعها اليهود في المدينة أو المقاطعة.

ويأتي بعد هذين الزعيمين (مجلس ملي) من عشرة رجال يعرف بـ Nibbarim Asarah ومحكمة حاخامية برئاسة (الحاخام باشي).

كانت للطائفة في بغداد مؤسساتها الخيرية والتعليمية والدينية التي تتلقى دخلها من صندوق الطائفة، وحتى بداية هذا القرن كانت الدولة العثمانية تعين سنوياً مبلغاً معيناً يعرف ببدل العسكرية تدفعه الطائفة مرة واحدة وتعين لجنة التقدير حصة كل فرد من هذا المبلغ. وقد أعفى القانون العثماني رجال الدين وأولادهم من دفع الضريبة العسكرية.

ولقد ورثت اسرة (ساسون) منصب التمثيل الديني للطائفة اليهودية لعدة اجيال ولدى مجيء داود باشا آخر حكام المماليك في العراق – والذي تولى السلطة سنة ١٨١٧م اعتمد على اسرة (ساسون) غير ان عدداً من هذه الاسرة دخل في منازعات مع بعض الحكام العثمانيين مما ادى إلى هجرة عدد من افراد هذه الاسرة إلى الهند وجنوب شرق آسيا ثم إلى بريطانيا.

وفي سنة ١٧٦٦م زار العراق الرحالة الدنماركي (نيبور) فقال عن يهود العراق: ان في الموصل ١٥٠ بيتاً من اليهود ويكسب هؤلاء في الدولة العثمانية معيشتهم بحرية تفوق الحرية التي يتمتعون بها في اوروبا حيث يحظر عليهم العمل الحرفي ورغم هذا فانهم لا يجرأون على السير في الطرق في بعض مدن الأتراك إلا مضطرين، هرباً مما يصيبهم من الاهانة من الصبيان.

وقد حدث لهم قبل ثلاثة سنوات حادث خطير وهو انهم لما كانوا قافلين من

زيارة قبر (ناحوم) في مدينة (القوش) فقد صبي مسيحي من احدى القرى القائمة على طريقهم. وبعد البحث وجدت جثته في احدى الآبار وهي مثخنة بالجروح وكان لسانه مقطوعاً فاتهم اليهود بهذه الجريمة. ونظراً لعدم وجود شهود أو اثباتات دفعوا مبلغاً من المال إلى الباشا وهكذا سوي الأمر.

ويروي نصارى المشرق من أمثال هذه الأقاصيص شيئاً كثيراً، وغايتهم من ذلك ان يبينوا أن اليهود يقتلون أولادهم.

هجرة اليهود إلى الشرق الأقصى

لقد هاجر كثير من يهود بغداد موطنهم منذ القرن الثامن عشر واتجهوا إلى الشرق الأقصى من أجل التجارة وتوزعوا في كلكتا وبومبي ورانغون وسنغافورة وهونغ كونغ ونال بعضهم جنسيات أجنبية انجليزية وفرنسية وقدموا خدمات للدولتين.

وظل هؤلاء يعتبرون بغداد المركز الروحي والديني لهم على الرغم من أنهم أصبحوا مستقلين سياسياً واقتصادياً. وقد ساعدتهم ثرواتهم التي جمعوها على اعانة يهود العراق وغيرهم من يهود الشرق فانشأوا المدارس والمعابد والمؤسسات الخيرية، وأورد المؤرخ العراقي مير بصري تراجم عدد منهم في كتاب (اعلام اليهود في العراق الحديث).

وتشير (الموسوعة اليهودية) إلى أن اليهود العراقيين سيطروا على القطاع التجاري الخاص في القرن التاسع عشر وخاصة مع الهند، وكان قسم منهم يمتلكون مصانع في كلكتا وبومبي وسنغافورة وغيرها.

وعندما زار الرحالة (بنيامين الثاني) بغداد سنة ١٨٤٧م قدر عدد اليهود بثلاثة آلاف بيت ووجد تسعة معابد، وكان لليهود حي خاص بهم، غير أن الاقامة فيه لم تكن اجبارية، أما تجارة الهند فكانت بأيدي اليهود.

اليهود في عهد المماليك

استغرق عهد المماليك في العراق نحو ثمانين عاماً. بدأ في ١٧٤٩م بولاية سليمان باشا، وانتهى في ١٨٣١ بعزل داوود باشا وفي هذا العهد عمم (النظام الملي).

جاء المماليك من بلاد القفقاس (جورجيا والشركس والداغستان وأباظة) وغيرها وكانوا يجلبون أطفالاً كالانكشارية ويودعون في مدارس خاصة بهم ليتعلموا القراءة والكتابة والفروسية وفنون القتال. فإذا تخرجوا ادخلوا في الجيش أو في الوظائف الحكومية.

الواقع ان الصفات التي تميز النظام الملي توجز بالآتي:

يختار رؤساء الطوائف بواسطة المجلس الملي للطائفة، وهذا الاختيار، يجب أن يحظى بمصادقة السلطان. وكان رؤساء الطوائف يمثلون اعلى سلطة كهنوتية في الدولة، ويعدون موظفين وبحكم وظيفتهم فهم يعدون اعضاء في المجالس الادارية للمقاطعات. وهم يمثلون رغبتهم في كافة شؤونهم الخاصة والعامة امام الباب العالي. غير ان الاستقلال الذاتي في معالجة شؤون الطائفة المتعلقة بها وتنظيم حالة الاشخاص المنتمين إليها بحد ذاته بني على عادات وأعراف قديمة، وقد قوي مركزهم في القرن التاسع عشر من خلال مراسيم وفرمانات حددت ذلك ، حيث انهم تمتعوا بذلك الاستقلال في القضايا الروحية والادارية والشؤون القضائية.

ففي المجال الديني شمل اختصاصهم اختيار الكهنة. وفي مجال الادارة شمل اختصاصهم الاشراف على ادارة شؤون ممتلكاتهم، بضمنها الاشراف على المدافن والتربية والكنس، وشملت المجالات الشرعية، الزواج والهبات والطلاق والنفقة والحقوق المدنية.

عدد اليهود

من ناحية العدد، تضاربت الأرقام، فلقد قدر عدد اليهود في بغداد مطلع القرن التاسع عشر بنحو ٢٥٠٠ أسرة يهودية.

وفي عهد داود باشا كان في (السليمانية) نحو ٣٠٠ بيت أي حوالي ١٥٠٠ –١٨٠٠ وفي ماردين– وهي تابعة لتركيا اليوم– كان يوجد حوالي ٨٠٠. وهم حوالي الألف نسمة في الموصل، وكان لهم جالية وكنيسة في كفري، وفي بنجيوين كان عدد من اليهود يعملون في التجارة مع ايران بشكل خاص.

اليهود في العهد العثماني..

شغل اليهود مناصب تجارية ومصرفية مهمة. غير ان تجاوزاتهم وتحايلهم على القوانين لم تثر داود باشا فحسب بل الوكيل الانكليزي في البصرة.

وعلى الرغم من الاقرار بأهمية الخدمات التي قدمتها هذه الجالية لحكام العراق ووكلاء شركة الهند الشرقية البريطانية في العراق إلا أن بعضهم شارك في الفتن والاضطرابات وأهمها ما عرف بالمؤامرة التي أودت بحياة سعيد باشا والي بغداد (١٨١٣ - ١٨١٦م).

ملخص القضية أنه كان لحالت أفندي، وهو من كبار موظفي الدولة العثمانية في الاستانة وحامل اختام السلطان محمود الثاني صيرفي ومن اتباعه المفضلين في الاستانة اسمه (حسقيل)، وكان له أخ صيرفي في بغداد يدعى (عزرا)، فالتمس حسقيل من حالت أفندي أن يكتب إلى سعيد باشا «والي بغداد» بتعيين أخيه عزرا رئيساً للصرافين (صراف باشي) في بغداد فكتب بذلك إليه فامتنع سعيد من تعيينه فاستاء حالت افندي وأخذ يتحين الفرص للايقاع بسعيد، واتفق بعد ذلك أن السلطان أصدر أمراً يقضي بالسماح لسعيد باشا في ضرب مقدار من النقود النحاسية بالنظر لتناقص الكمية الموجودة في التداول، وقد انتهز عزرا هذه الفرصة وتمكن من (بصم) اسم سعيد باشا بدل الطغراء السلطانية وعندما اطلع الوالي على العملة قامت قيامته وأمر بتبديلها واعادة سبكها فوراً وعدم تسربها إلى الخارج.

غير أن عزرا تمكن بشكل ما من ارسال نماذج منها إلى حالت افندي مع الوشاية بان سعيد باشا يعتزم الاستقلال والانفصال عن الدولة العثمانية، وهذه النقود تؤيد ذلك وهكذا تقرر عزل والي بغداد بأسرع ما يمكن.

وفي عهد داود باشا تعرض اليهود إلى الاضطهاد فصادر أموال جماعة كثيرة منهم، حتى اضطر بعضهم إلى ترك بغداد.

ويقول خلدون ناجي معروف أنه لم تحدث هجرة بالمعنى الواسع في هذه الفترة فاننا نجد يهودياً على رأس نقابة الصرافين وهو «اسحاق» الذي كان من مستشاري داود واعتمد داود على آخر هو عزرا في الأزمة بينه وبين ريج سنة ١٨٢٠م.

كان رشيد باشا الملقب (الكوزلكي)، أي صاحب النظارات، على اتصالات وثيق بآل دانيال، وهم صالح دانيال واخوته، حتى عظمت منزلتهم، ومن الطبيعي أن تؤدي هذه العلاقة الوثيقة إلى انتفاع هذه الاسرة المشهورة في عالم التجارة، وقد تفنن افراد هذه الاسرة بالاتفاق مع الوالي في جمع المال عن طريق فرض الضرائب المختلفة، والاتاوات باسم الحكومة.

ويذكر عن هذا الوالي انه يحتكر زراعة الرز في مقاطعات خاصة وجهات معلومة ويشارك اصحابها في الربح الفاحش المتاتي عن منع زراعته رسمياً في الجهات الأخرى، لان هذا المنع كان يؤدي إلى ارتفاع أسعاره في الاسواق.

ولم يكتف هذا الوالي بالرز فكان يشتري جميع حاصلات الحنطة والشعير مما يزرع في العراق الاوسط، بالاتفاق مع شركائه المقربين من امثال صالح دانيال واخوته، فيحتكر بيعها معهم ويتحكمون في اسعارها.

وصف مدحت باشا حكم العراق ما بين (٦٩-١٨٧٢م) بانه مصلح العراق فقد قام بمحاولة جريئة للاصلاح.

وضع مدحت باشا تنظيماً للتقسيم الاداري للبلاد، فالتنظيم القديم الذي صدر سنة ١٨٤٦م (قانون الولايات) اصبح غير مجد في ظل التطورات والتعديلات.

وبموجب التنظيم الجديد شكلت ولايتان فقط هما ولايتا بغداد والموصل شملت الأولى ولايتي بغداد والبصرة القديمتين. وشملت الموصل ولايتي الموصل وشهرزور.

وطبقاً للتنظيم الاداري الذي يرعى مصالح الحكومة والسكان أيضاً، حيث نص القانون على اشراك السكان في توجيه امور البلاد مع الموظفين، ولهذا الغرض انشئت المجالس وجعل لكل ولاية مجلس، ولكل لواء مجلس، وكذلك بالنسبة للقضاء والناحية، وهو تشكيل هرمي قاعدته مجالس الاختيارية وقمته المجلس الكبير، وكذلك بالنسبة لمجلس ادارة اللواء الأخيريتالف من:

١- متصرف اللواء (المحافظ).
٢- حاكم القضاء.
٣- مفتي البلدة.
٤- رؤساء الاهالي غير المسلمين.
٥- اعضاء دائمين، ثلاثة من الاهالي المسلمين وثلاثة من غير المسلمين.

عند اعلان الحكم بالدستور لسنة ١٨٧٦م ثم انتخاب نواب عن بغداد حضروا البرلمان العثماني في الاستانة. وقد مثل بغداد عبد الرحمن الباجة جي وعبد الرزاق آل شيخ قادر ومناحيم دانيال- ممثلاً عن اليهود وقد حضروا جلساته وعادوا بعد أشهر على اثر غلق البرلمان وتعطيل الدستور.

وتم انتخاب ساسون حسقيل لمجلس (المبعوثان) الذي عقد بعد اعلان الدستور

١٩٠٨م وتجدد انتخابه في دورات المجلس جميعها حتى الحرب العالمية الاولى ومثل اليهود في المجلس الاداري لولاية بغداد يوسف كرجي سنة ١٨٧١م ويوسف شطوب سنة ١٨٨٨م.

بدأ يهود العراق منذ ١٨٧٠م في التحرك نحو الجنوب وحوالي منتصف القرن التاسع عشر كانت هناك جماعتان يهوديتان في البصرة والحلة، وفي خلال سنوات انتشر اليهود في العمارة وقلعة صالح وعلي الغربي.

وشهد العام ١٩١٠م بداية ترك اليهود الاحياء اليهودية الخاصة بهم (الجيتو) إلى احياء المسلمين والاختلاط بهم وقد أخذ بالتزايد بعد الحرب العالمية الاولى.

وجاء فتح قناة السويس لينعش أوضاع اليهود. خاصة العاملين منهم بالتجارة الخارجية.

أما مجال الوظائف في أثناء الحكم العثماني بالنسبة لليهود فان النسبة المئوية لليهود في الوظائف الكتابية كانت قليلة جداً بشكل خاص، ويرى (كوهين) أن السبب يعود إلى عدم تعود اليهود القراءة أو الكتابة باللغة التركية، وربما كان يوجد القليل جداً من مثل هذه الوظائف لاي شخص في العراق.

عاش اليهود في حرية وعوملوا بتسامح من جانب المسلمين ومنذ ولاية (مدحت باشا) حتى الحرب العالمية الاولى فان ابرز ما أصابهم من أذى وضيق ينحصر في ما يلي:

١- في اقليم كردستان العراق قاسى اليهود اكثر مما قاساه آبناء جلدتهم في الجنوب، كان اليهود يتوزعون في أماكن مبعثرة وكان عليهم دفع أتاوات مقابل حمايتهم من اللصوص وقطاع الطرق، وفي الهجمات المتبادلة بين الاكراد فان اليهود، لكونهم خاضعين إلى القبيلة الكردية التي يسكنون بينها، فقد قاسوا الكثير من جراء ذلك.

٢- في سنة ١٨٨٩م عندما توفي الرابي عبد الله سوميخ اراد مواطنوه دفنه في مقبرة يهوشع كوهين، وقد رفض والي بغداد مصطفى عاصم باشا ذلك وخالف اليهود اوامر الوالي ودفنوا سوميخ في المقبرة، فأمر الوالي باخراج الجثة إلى مكان آخر ... احتج اليهود عند السلطان مما أدى إلى معاقبة الوالي.

٣- في اكتوبر ١٩٠٨م وعند اعلان الدستور على ايدي الاتحاديين، أظهر اليهود الابتهاج، ونتيجة ذلك تعرضوا إلى الاعتداءات والسلب.(١٣)

أوضاعهم التربوية والثقافية

حول الأوضاع التربوية والثقافية لليهود خلال العهد العثماني تجمع المصادر التاريخية على أن اليهود ونتيجة لوعيهم المبكر لأهمية المدارس، أسسوا (جمعية الاتحاد الاسرائيلي) مدرسة ببغداد ونظمت منهجها على غرار المدارس الابتدائية الاوربية، وتوسعت هذه المدرسة بعد ان شيد لها البرت داود ساسون داراً عامرة سنة ١٨٧٤م وساهمت هذه المدرسة في تخرج كثير من الشخصيات اليهودية.

وظلت (الاليانس) المدرسة الوحيدة لليهود في بغداد حتى ١٩١٢م حيث نشطت حركة التعليم عندهم، ومن اهم المدارس التي انشئت هذه الفترة:

١- مدرسة الاطفال المختلطة وكان عدد طلابها سنة ١٩١٣م نحو ٣٠٠.

٢- مدرسة التعاون الموسويةوكان عدد طلابها سنة ١٩١٣م نحو ١٨٠ طالباً وكانت تدعى مدرسة شحمون.

٣- المدراش: وهي مجموعة من المدارس تبلغ ٣٠ مدرسة وهي أقرب إلى الكتاتيب، كان عدد طلابها سنة ١٩١٣م نحو ٢٧٠٠ طالب.

٤- مدرسة هارون صالح وكانت مختلطة.

٥- مدرسة الوطن وهي مسائية افتتحت سنة ١٩١١م.

٦- مدرسة رفقه روفائيل اسست سنة ١٩٠٢م كان عدد طلابها سنة ١٩١٠م ٢٥٥ طالباً.

٧- مدرسة الفان اسسها مناحيم دانيل وبلغ عدد طلابها عام ١٩١٠م ٢٤٨ طالباً.

أما التعليم النسوي فقد بدأ سنة ١٨٩٣م بافتتاح مدرسة تهذيب للبنات اليهوديات وسميت المدرسة عند افتتاحها مدرسة (الاليانس) للبنات. وفي وقت لاحق قام التاجر (اليعازر خضوري) بتشييد بناية خاصة بها اطلق عليها اسم (مكتب لورا خضوري للبنات) احياء لذكرى زوجته (لورا) وجرى افتتاح هذه البناية في نوفمبر ١٩١١م أيام الوالي أحمد جمال بك. وبلغ عدد طالبات هذه المدرسة سنة ١٩١٣م ٦٠٠ طالبة.(١٤)

اليهود في عهد الانتداب البريطاني على العراق

وتحسن وضع اليهود في العراق أكثر إبان الحكم البريطاني بين ١٩١٧- ١٩٣٢

-رغم اعلان وعد بلفور- فلمع كثيرون في مجالات التجارة والادب والمهن الحرة والفن وأثرت اعداد متزايدة منهم.

وعلى الصعيد التجاري والاقتصادي تعاظمت ثروات يهود العراق داخله وخارجه، ويقدر شبلاق انه مع مطلع القرن العشرين أصبح لكل تاجر عراقي يهودي كبير مكاتب وفروع توكيلية لمؤسساته في الهند أو بريطانيا ويعدد أسماء : عزرا ساسون وحسقيل ويهودا زلف الذين أسسوا مكاتب لهم في مدينة مانشستر البريطانية، وسيون بيخور وعزرا اسحق صالح اللذين اسسا شركات في لندن ومدينة بومبي الهندية، ولمع آل خضوري في الشرق الأقصى (شانجهاي وهونغ كونغ) ولندن.

كما يذكر البروفسور حنا بطاطو(«الطبقات الاجتماعية القديمة والحركة الثورية في العراق» / برينستون- ١٩٧٨) ان ٣٥ من أصل ٣٩ صرافاً مسجلين في بغداد عام ١٩٣٦م كانوا من اليهود، كما أسس رجال الاعمال اليهود عدة بنوك بينها بنك زلخا وبنك كرادية وبنك ادوارد عبودي وبنك خريط . وكان عشرة أعضاء من أصل الاعضاء الـ ٢٥ المصنفين بالدرجة الاولى في غرفة تجارة بغداد عام ١٩٣٨ - ١٩٣٩ من اليهود، واحتلت أسرة لاوي- وكلاء جنرال موتورز وموبيل أويل وجوديير- وكذلك اسرة عدس موقعاً تجارياً مهماً في الحياة الاقتصادية للعراق قبل ثورة عام ١٩٥٨.

وفي الوقت الحاضر، خارج العراق تشتهر أسماء آل ساسون الذين برزوا ضمن أهم تجار آسيا، والاشقاء خضوري «آخرهم اللورد خضوري» (السير لورنس خضوري سابقاً) من كبار أثرياء هونغ كونغ والعالم، وهم اليوم من كبار مالكي حصص بنك هونغ كونغ وشنجهاي وشركة هونغ كونغ للطاقة وفندق «بينينسولا» الشهير في هونغ كونغ. والسير ديفيد اليانس مؤسس شركة «كوتس فابيلا» للمنسوجات والاقمشة في بريطانيا واحد كبار مالكيها، واسرة زلخا - مؤسسو شركة «مذركير» للوازم الأطفال، واسرة ساعتشي الشهيرة التي تملك احدى كبريات شركات الاعلانات والدعاية في العالم اليوم. (ملحق «الصنداي تايمز» السنوي عن أغنى ٥٠٠ بريطاني / ١٩٩٢).(١٥)

ورحب اليهود بتأسيس حكومة عراقية تحت الانتداب البريطاني عام (١٩٢١)، وفي هذا العهد، انتعشت الطائفة كثيراً ولعب أفرادها دوراً كبيراً في الحياة

الاقتصادية والادارية والثقافية، وظل نفوذهم كبيراً بعد انتهاء الانتداب عام١٩٣٢، ولم يبدأ بالتراجع إلا بعد التطورات الخطيرة للقضية الفلسطينية.(١٦)

ولجهة تعداد الطائفة اليهودية في العراق قد بلغ عدد اليهود هنالك في عام ١٩٢٠ حوالي (٨٧,٤٨٨) يهودياً، وتمركز غالبيتهم في منطقة بغداد التي تضم كلاً من مدينة بغداد والسامراء والكوت والعمارة والديوانية والشامية والحلة والدليم، اذ بلغ عدد اليهود فيها (٦٢,٥٦٥) يهودياً، بينما بلغ عددهم (١٤٨٣٥) يهودياً في منطقة الموصل التي تضم الموصل واربيل وكركوك والسليمانية. اما في منطقة البصرة والعمارة والمنتفك فبلغ عدد اليهود (١٠,٠٨٨) يهودياً، وارتفع اجمالي عدد اليهود في العام (١٩٤٧) إلى (١١٨,٠٠٠) يهودي.(١٧)

ولجهة الامور الروحية للطائفة اليهودية، فقد كانت هذه الامور بيد رئيس الحاخامية الذي دعي باسم حاخام باشي – الذي يعينه الباب العالي. والادارات الطائفية بيد اعضاء ارفع الأسر مكانة، واسمه النسييء (Nasi). ولم يكن الحاخام باشي زعيماً روحياً، بل كان في الدرجة الأولى رجل أعمال يمثل الطائفة أمام الحكومة، وينقل أوامرها إلى الطائفة. اما النسييء فيقوم بنفس المهام ولكن بشكل غير رسمي ويكتسب مكانته لثروته وغالباً ما كان النسيئين (Nessim) يقومون بمهام مستشاري مالية الولاة في بغداد.(١٨)

وتعرضت عملية تنظيم شؤون الطائفة اليهودية لبعض التعديلات عام (١٩٣١) إذ بموجب القانون رقم (٧٧) لذات العام، اعتبر يهود العراق أعضاء في جماعات ثلاث هي: بغداد والموصل والبصرة واضيف لها جماعة رابعة في ديالة عام (١٩٣٢). وتتمتع هذه الجماعات بقدر كبير من الاستقلال الذاتي في شؤونها الخاصة، ولكل جماعة رئيس حاخامين ومجلس عمومي ومجلس جسماني. ويكون لجماعة بغداد علاوة على ذلك مجلس روحاني، والمجلس العمومي مؤلف من (٦٠) عضواً لجماعة بغداد، ومن (٢٠–٤٠) عضواً للجماعات الأخرى. ويحدد انتخاب رئيس الطائفة بقرار من المجلس العمومي مرة كل اربع سنوات. ويجتمع المجلس الروحاني برئاسة رئيس الحاخاميين ويتولى الاشراف على تربية رجال الدين وعلى الامور المذهبية و الروحانية للجماعة، ويحدد انتخاب المجلس مرة كل أربع سنوات، والمحكمة الدينية في بغداد تتالف من (٣) اعضاء من المجلس الروحاني وتختص بامور الزواج والطلاق والارث وما

شابه من الاحوال الشخصية عدا المسائل التابعة للمحاكم المدنية المختصة. وللجماعة بغداد محكمة تمييز تعيد النظر في أحكام المحاكم الدينية الأخرى.

أما المجلس الجسماني فيختص بالاشراف على إدارة التركات والعقارات الموقوفة لأغراض دينية، وإدارة المدارس والمؤسسات الخيرية، وتحصيل الرسوم الطائفية والاشراف على حسابات المعاهد الدينية، وعلى عقارات المعابد وممتلكاتها، وعلى الهيئات واللجان التي تجمع التبرعات للأعمال الخيرية.(١٩)

وللجهة الاوضاع الاقتصادية للطائفة اليهودية في فترة الانتداب البريطاني، كان لليهود بنوك كبيرة في العراق، إلى جانب البنوك الاوربية. ومن البنوك اليهودية: بنك زلخا، وبنك كريدية، وبنك Edward Aboody وبنك Khardith. كما امتلكوا أكبر الشركات في بغداد كشركة خضوري وعزرا ميرلاوي، فاصحاب هذه الشركة هم الوكلاء الوحيدون لدهون وشحوم شركة موبيل أويل الامريكية للبترول بفروعها في البصرة والموصل و كركوك، وشكل اليهود أيضاً غالبية تجار سوقي الشورجة، ودانيال في بغداد.

وبدأ نفوذ اليهود الاقتصادي بالتراجع بعد انتهاء الانتداب البريطاني واتباع حكومة العراق بعد الاستقلال (١٩٣٢) خطة للاشراف على الشؤون الاقتصادية واتاحة فرص العمل لجميع أبناء البلاد، إذ بينما كان اليهود في السابق يشرفون على معظم الحياة التجارية تراجع مركزهم قليلاً، فيهود البصرة مثلاً كانوا يحتكرون (٩٥٪) من الأعمال التجارية في البلاد عام (١٩١٤) فانخفضت هذه النسبة إلى (٨٥ - ٩٠٪) عام (١٩٣٣) وإلى (٦٥ - ٧٥٪) عام ١٩٤٦. كما أنه وقبل الحرب العالمية الثانية، يشار إلى أن (٩٥٪) من واردات العراق كانت بيد اليهود وكانت (٩٠٪) من عقود العراق بيد اليهود. وكانت نسبة (١٠٪) من صادرات العراق بيد اليهود. وخلال الحرب العالمية الثانية كانت نسبة (٨٠٪) من واردات العراق بيد اليهود وكانت نسبة (١٠٪) من عقود العراق بيد اليهود أيضاً وكذلك نسبة (٥٥٪) من صادرات العراق.

وبعد الحرب العالمية الثانية كانت نسبة (٥٠٪) من واردات العراق بيد اليهود، وكانت نسبة (٢٪) من عقود العراق بيد اليهود والنسبة ذاتها من صادرات العراق.

أما بعد حرب (١٩٤٨)، فكانت نسبة (٢٠٪) من واردات العراق ونسبة (٥٪) من عقود العراق ونسبة (٢٪) من صادرات العراق، كل ذلك بيد اليهود.(٢٠)

■ **اليهود في ظل الحكم الوطني في العراق**

بعد عام ١٩٣٢، خضع اليهود كسائر المواطنين العراقيين إلى نظام الخدمة العسكرية، وكان اليهود في الجيش يعاملون بمستوى زملائهم من غير اليهود. وكان لبعضهم نشاط ملحوظ في الاحزاب العراقية ذات الاتجاه اليساري.

كما لم تكن الاجراءات التي اتخذتها الحكومة العراقية آنذاك سواء في مجال اتاحة الفرصة للعدد المتزايد من ذوي المؤهلات العرب لدخول الوظائف الحكومية، او في احداث قمع الحركة الاشورية الانفصالية، اوفي رد الفعل القومي، ما يعتبر سياسة

وقد تبدى موقف الحكومة العراقية ابان اندلاع حرب فلسطين (١٩٤٨)، إذ انه ورغم تعديل المادة (٥١) من قانون الجرائم، وجعل الصهيونية مع النازية والشيوعية جرائم عقوبتها الموت او السجن مدى الحياة مع الاشغال الشاقة. فإن مواقف زعماء الطائفة اليهودية لم يكن معادياً للحكومة، فحسب الحاخام ساسون خضوري وما ادلى به من اقوال خاصة بعد الحرب. فقد كان هناك إضطراب كبير في البلاد وهذا أمر طبيعي في ذلك الوقت. ووجهت اتهامات لبعض المسؤولين نظراً للتوتر الخطير في البلاد. وأبعد عدد من الموظفين من اليهود من وظائفهم. ولم تكن هناك سرية أو مؤامرة في الحركة إذ نشرتها الصحافة علناً. وجرت محاكمة علنية في البصرة لشفيق عدس، واعدم بتهمة الخيانة العظمى لتهريبه بضائع إلى اسرائيل خلال الحرب. وعدا هذه الاعمال وبعض اجراءات اقتصادية أخرى اتخذت بحق معاملات البنوك اليهودية مع الخارج كانت الاجراءات التشريعية ضد اليهود محدودة.(٢٢)

ولجهة انخراط اليهود في النشاط السياسي واجهزة الحكم العراقي، يذكر انه حين انعقد المجلس التاسيسي العراقي المؤلف من (١٠٠) عضو سنة (١٩٢٤)، كان منهم (٥)أعضاء من اليهود يمثلون الطائفة اليهودية في العراق.

وحين سن قانون الانتخابات سنة (١٩٢٤) تقرر ان يكون عدد النواب اليهود (٤) نواب، واحد عن الموصل واثنان عن بغداد والرابع عن البصرة من مجموع عدد اعضاء مجلس النواب البالغ (٨٨) عضواً. وقد زيد العدد في قانون الانتخابات لسنة (١٩٤٦) إلى (١٦)، ثلاثة عن بغداد واثنان عن البصرة، وواحد عن الموصل من مجموع عدد النواب البالغ (١٣٨) نائباً.

إلا أن هذا العدد (٦) نواب، لم يلبث أن نقص إلى عضو واحد بعد هجرة اليهود الواسعة من العراق خلال عامي (١٩٥٠ - ١٩٥١).

أما في مجلس الأعيان (الشيوخ) فقد مثل اليهود عضو واحد من مجموع أعضائه البالغ (١٢٠) عضواً، إلا أن عضوية هذا الشيخ ألغيت عام (١٩٥١) بعد الهجرة. ويشار إلى أن نسبة اليهود في مجلس الأمة بمجلسيه كانت تزيد عن نسبتهم بين (٤-٤,٥٪) كانت نسبتهم في المجلس (٥٪) تقريباً.(٢٣)

كما تبوأ اليهود مناصب حساسة في الدولة العراقية بعد انشاء أول حكومة أهلية - كما سبق وأن أشرنا - فقد عين « ساسون حسقيل » وهو من مشاهير يهود العراق وأكثرهم خبرة ودراية وزيراً للمالية في عدة وزارات متتالية من عشرينات هذا القرن. ولم يلق تعيينه اعتراضاً من الناس لأن علاقة اليهود باخوانهم كانت حسنة ويشار إلى أن « حاييم كوهين » في كتابه « النشاط الصهيوني في العراق » وصف حسقيل بقوله أنه: لم يتبرع بأي مبلغ لأي مؤسسة صهيونية، حتى أنه رفض مساعدة الصهاينة قبل ذلك بوقت طويل ففي عام (١٩٠٨) عندما كان عضواً في مجلس المبعوثان رفض أن يتعاون مع المؤسسات الصهيونية.(٢٤)

وتشير الوثائق التاريخية إلى أنه في عام ١٩٣٨، أبدى بعض المثقفين من اليهود العراقيين تعاطفهم مع شعب فلسطين وقدحوا في الصهيونية وأهدافها الاستعمارية الاستيطانية الخطيرة، وامتدحوا المشاعر العربية إزاءهم كمواطنين عراقيين يدينون بالديانة اليهودية. وأبرق عدد من اليهود العراقيين من مختلف ألوية (المحافظات) العراق برقيات إلى الصحف العراقية يؤيدون فيها حق العرب المشروع والتاريخي في فلسطين ويستنكرون جرائم الصهيونية.(٢٥)

وفي أعقاب عملية علي بابا (عزرا ونحميا) وحسب احصائيات سنة (١٩٥٧)، بلغ عدد اليهود المتبقيين في العراق (٤٩٠٦) يهودي موزعين على (١٣٣٦) عائلة، يسكن بغداد وحدها (٣٦٣٤) يهودياً موزعين على (٩٣٦) عائلة، بينما بلغ عدد اليهود في البصرة (٣٠٠) يهودياً وفي الديوانية (٨٠) يهودياً، وحسب احصاءات باركس، فقد بلغ عدد اليهود عام ١٩٦٠ حوالي (٦) آلاف يهودي وهذا التقدير هو نفس تقدير الكتاب السنوي اليهودي الصادر في لندن سنة (١٩٦٨) أما الكتاب السنوي الصهيوني لسنة ١٩٦٨ - ١٩٦٩ فيقدرهم بـ(٢٣٠٠) يهودي فقط.(٢٦)

ولجهة أوضاع الطائفة اليهودية في العراق صدر عام (١٩٦٣) قانون إدارة الطائفة الموسوية لتنظيم أحوال اليهود المتبقين في العراق من حيث المدارس والاوقاف وسائر الشؤون من قبل لجنة تؤلف من ابناء اليهود. وظلت الطائفة تحتفظ بـ(٢٦) كنيساً، رغم انها لا تستعمل إلا كنيساً واحداً. كما بقيت مدرسة واحدة من بين المدارس التي كان يشرف عليها المجلس الطائفي وهي مدرسة شاماش.(٢٧)

ورافق ما سبق من تقلص عدد وأوجه نشاط الطائفة اليهودية، إندلاع حرب (١٩٦٧)، التي اسهمت موضوعياً ودون اي عمل انتقامي من العراقيين، في ازدياد ضمور هذه الطائفة اليهودية التي يشير مراسل الماني غربي هو رودلف شيملي إلى ان أوضاعها عام (١٩٦٩) لم تتاثر سلباً بل كانت المعابد اليهودية في بغداد لا تزال مفتوحة وبلغ عدد اليهود (٢٣٠٠) يهودياً. وقد الغيت القوانين التي تفرض القيود عليهم، لكن تفكير اليهود كان يتجه نحو الهجرة ولكن ليس إلى اسرائيل بل إلى أوروبا واميركا الشمالية. (٢٨)

وفي أواسط عقد الثمانينات وتحديداً في ٢٦/١١/١٩٧٥، حاول مجلس قيادة الثورة الغاء القوانين المقيدة لليهود وخاصة قانون اسقاط الجنسية وسهل عودة اليهود العراقيين إلى العراق ولبى بعض اليهود الدعوة.(٢٩) ولاحقاً ستتم مناقشة وتقويم تجارب عودة يهود البلاد العربية إلى بلدانهم الاصلية.

وبعد سنوات قليلة من الزمن، وفي خضم المتغيرات التي طرات على الاوضاع السياسية داخل وخارج العراق، واهمها اندلاع حرب الخليج الاولى، تاثرت أوضاع اليهود في العراق بتلك المتغيرات، تاثراً وضع يهود العراق على حافة الاضمحلال، وهذا ما تظهره الخارطة الاثنية للعراق، والتي تظهر التوزع العام للجماعات الاثنية في العراق.(٣٠)

الخريطة الأثنية في العراق في أوائل الثمانينات

الجماعات الاثنية	الحجم التقريبي بالالاف	النسبة المئوية إلى اجمال السكان	مراكز التركز الجغرافي في العراق
المحور اللغوي الثقافي			
العرب	١١,٢٠٠	٨٠	شمال غرب ووسط وجنوب العراق
الاكراد	٢,٥٢٠	١٨	شمال شرق العراق
آخرون (تركمان / ايرانيون / آشوريون / أرمن)	٢٨٠	٢	وسط وشمال العراق
الجملة	١٤,٠٠٠	١٠٠	
المحور الديني			
مسلمون	١٣,٣٠٠	٩٥	كل انحاء العراق
مسيحيون (آشوريون / ارمن / آخرون)	٥٦٠	٤	وسط وشمال العراق
ديانات اخرى (يزيدية / مندية / يهودية / صابئة)	١٤٠	١	متفرقون في انحاء العراق
الجملة	١٤,٠٠٠	١٠٠	
المحور المذهبي			
مسلمون سنة	٦,٦٥٠	٤٧,٥	وسط وشمال العراق
مسلمون شيعة	٦,٦٥٠	٤٧,٥	جنوب العراق
الجملة	١٣,٣٠٠	٩٦	
تقاطع المحورين اللغوي والمذهبي (للمسلمين فقط)			
عرب مسلمون سنة	٤,٦٠٠	٣٣	وسط وشمال العراق
عرب مسلمون شيعة	٦,١٦٠	٤٤	جنوب العراق
اكراد مسلمون سنة	٢,١٠٠	١٥	شمال وشرق العراق
اكراد مسلمون شيعة	٤٢٠	٣	شمال وشرق العراق
الجملة	١٣,٢٨٠	٩٥	

وفي اعقاب حرب الخليج الثانية (١٩٩١) اعلن مردخاي بن بورات، مدير مركز التراث اليهودي، العراقي المولد : أن اليهود العراقيين لم يصابوا بأذى خلال حرب الخليج (٠٠٠) وانه لا يزال هناك – في العراق– (١٤٠) يهودياً في بغداد، وأن جهوداً تبذل لتقفي اثر (٢٥٠) يهودياً آخرين. وأكد ان هناك (٤٠٠) يهودي لا يزالون في جميع انحاء العراق بما فيهم أولئك الموجودون في بغداد. (٣١)

وتشير معطيات آخر مقابلة صحفية اجريت مع رئيس الطائفة اليهودية في بغداد السيد روبين ناجي، في مقر الطائفة الموسوية الذي يقع بمحاذاة نهر دجلة في جانب الرصافة، تشير إلى ان اليهود الموجودين حالياً في العراق يمارسون طقوسهم الدينية بشكل طبيعي، وهنالك لجنة ادارية جرى تشكيلها في وزارة الاوقاف والشؤون الدينية للحفاظ على الأوقاف والأملاك اليهودية. وأشار روبين ناجي إلى عدم وجود شباب أو اطفال في الطائفة كما ان آخر زواج بين ابناء الطائفة جرى في عام ١٩٨١ حيث غادر الكثير من شبابنا وعوائلنا إلى الخارج منذ فترة طويلة.(٣٢)

العرض السابق لمجمل المتغيرات التي طرات على اليهود في ما كان يعرف سابقاً باسم بلاد الرافدين، وراهناً باسم العراق، يفيد أن يهود العراق عاشوا بين ظهراني هذه البلاد دون اي تمييز وان ما اصابهم خلال فترات متباعدة من الزمن، كان نتيجة طبيعية لما اصاب احوال البلاد على كافة الصعد السياسية والاجتماعية والاقتصادية سواء في حالات الازدهار والاستقرار التي عكست حالها لجهة ارتقاء اوضاع اليهود، او في حالات عدم الاستقرار التي أدت إلى تفتت اركان البلاد على كافة المستويات، وأدت بشكل غير مقصود إلى حدوث بعض الاشكالات بين سكان البلاد واليهود دفعت بعض اليهود إلى الهجرة، وغالباً ما كانت العوامل الاقتصادية هي الدافع الأهم ليهود العراق نحو مغادرة بلادهم صوب الهند وشرق آسيا، وقلما غادر البعض منهم إلى فلسطين لأسباب دينية أو لأسباب أيديولوجية. وإن حدثت هجرة نحو فلسطين باعداد كبيرة فهذا كان مرده يعود إلى ضغوط خارجية ،وأحياناً إلى تواطؤ رسمي عراقي وغالباً نتيجة لنشاط المنظمات الصهيونية في العراق، وهذا ما سنعالجه لاحقاً.

يهود بلاد الشام

هنالك تمايزات طفيفة بين اليهود الذين تواجدوا، ومازال القليل منهم، في بلاد الشام، أو ما كان يعرف باسم سورية الكبرى أو سورية الطبيعية، أملتها – للتمايزات – عوامل بعضها داخلي وأكثر خارجي، لذا سنعرض ليهود هذه البلاد كل على حدة بداية، ثم نخلص إلى العوامل المشتركة والسمات العامة لهم. وذلك للكشف عن عوامل الدفع والجذب صاحب التأثير الرئيس في استقرار أو عدم استقرار اليهود في هذه البلاد.

يهود سورية

تشيع المصادر اليهودية أن وجود اليهود في سوريا –وكذلك لبنان– قديم جداً ويعود إلى عهد ما يسمى بـ« الهيكل الثاني »– الممتدة بين عامي (٥٣٨) – (٥١٦) ق.م– وتواجدوا آنذاك في أنطاكية. وابان العهود التلمودية كان عددهم قليلاً، تزايد فيما بعد بقرون من الزمن (٣٣) بينما تشير مصادر أخرى إلى ان وجود اليهود في سوريا يعود إلى القرن الأول الميلادي، إذ وجد فيها آنذاك (١٠,٠٠٠) يهودي. وفيما بعد ازداد عدد الطوائف اليهودية المحلية (المستعربة) بقدوم المهاجرين اليهود من اسبانيا وصقلية بعد طردهم من تلك البقاع في مطلع القرن السادس عشر. (٣٤)

وخلال تلك الفترة من الزمن شهد اليهود حالة من الازدهار على كافة الصعد في سورية، لكن تاريخ اليهود في عموم ما كان يسمى بمنطقة الهلال الخصيب تلازم تلازماً كبيراً، مع المد والجزر السياسيين اللذين عاشت في ظلهما شعوب المنطقة ككل في ظل دولها المتعاقبة. وقد بدأ بنيامين التطيلي الاندلسي رحلته الشهيرة في المشرق العربي خلال القرن الثاني عشر بنزوله على شاطىء الشمال السوري، وتجواله في انطاكية فحلب ودمشق ثم بغداد ثم فلسطين. ومما ذكره بنيامين أن يهود حلب وصور برعوا في صناعة الزجاج آنذاك. (٣٥)

وفي أعقاب قدوم اليهود من الاندلس، استقر معظمهم في المدن الكبرى (دمشق، حلب) حيث التجارة والثقافة والحرف. وكان هؤلاء من السفارديم

يتكلمون لغة «اللادينو»، قبل أن يتعربوا وينسجموا مع أهلهم من أبناء هذه البلاد. وإثر تدفق جماعة من الافرنج من ايطاليا والنمسا واسبانيا وفرنسا وغيرها من البلدان الاوربية في القرن الثامن عشر إلى البلاد لاغراض تجارية، ودعوا بالاسياد الافرنج. ظهر نظام الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية، وتؤكد المصادر العثمانية ان هذه المجموعات شكلت نصف يهود دمشق وحلب، بينما شكلت المجموعات اليهودية المحلية (المستعربة) النصف الآخر، وحتى نهاية القرن التاسع عشر لم تعد المجموعتان تتميزان عن بعضهما إلا بالاسم. (٣٦)

العهد العثماني .. والمشاكل مع المسيحيين

طوال اغلب فترات العهد العثماني في سورية نعم يهود سورية ولبنان بعيش رغد وآمن نسبياً، واستفادوا كثيراً من انفتاح المنطقة على التجارة بين الشرق والغرب. وتوضح وولفسون في ردها على الادعاءات المغرضة التي تقول ان اليهود كانوا يتعرضون للتعديات لدى تنقلهم خارج المدن، إن هذا الكلام مغلوط وان التعديات من هذا النوع كان يتعرض لها معظم سكان المدن، من قطاع الطرق وعشائر البدو. سواء كانوا من اليهود أو المسلمين أو النصارى.

إلا ان الامور اخذت فعلاً تميل نحو السوء لدى توطين مزيد من المسيحيين اليونان والاوربيين الاخرين في سورية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فعانى اليهود من هؤلاء ليس فقط في مجال المنافسة التجارية والحرفية، بل من عدائهم الديني لهم.

في عام ١٨٤٠ وقع حادث اختفاء الكاهن والطبيب السرديني الأب توماس توما في دمشق، وشاع انه شوهد لآخر مرة في حارة اليهود بدمشق (الواقعة إلى الشرق من حي الشاغور والغرب من باب توما وباب شرقي). وعلى الأثر ادعى ان اليهود الذين كان يقدر عددهم في المدينة خلال تلك الفترة بحوالي ٢٠ الف يهودي، خطفوه يوم «فصح اليهود» مع خادمه لغاية سحب دمه واستخدام الدم في تحضير فطيرة الفصح «الماتزوت» أو «المصة» وهذه حسب زعم المسيحيين عادة دينية يهودية. وكان حاخام دمشق يومذاك يعقوب عنتابي.

اثارت هذه القضية اضطرابات دامية واعتقالات ضد اليهود واجواء محمومة تدخل فيها التناصل الاجانب وساسة نافذون من بريطانيا وفرنسا، بينهم الوزير الفرنسي اليهودي أدولف كريميو، وهزت الاضطرابات عموم مدن المنطقة، ووصل

التوتر إلى بيروت التي هرع القنصلان الهولندي والبروسي إلى حماية يهودها، وقد صدر بعدها من اسطنبول أمر سلطاني يحرم توجيه تهمة سحب الدم الموجهة ضد اليهود، بسعي وفد يهودي- أوروبي برئاسة السير مورز مونتيفيوري البريطاني ضم كريميو.

كذلك وقعت حادثة أخرى بعد فترة من الزمن زادت التوتر بين الجانبين مع ادعاء المسيحيين أن اليهود خطفوا طفلاً يوم «فصح اليهود» للغاية ذاتها. وأيضاً اضطربت المدينة وتدخل القناصل الاجانب بطلب من حاخام دمشق موسى أبو العافية، وفي نهاية الأمر وجد الطفل كما قيل جثة هامدة في بئر بحديقة بيت أهله.

الرحالة الاجانب يشيرون إلى أن كثيرين من يهود سورية في هذه الفترة يعدون من الميسورين والاغنياء. ولمعت من اليهود السوريين خلال القرن الماضي اسرتا سلمون ورفائيل في مجال الصيرفة، إلا أن الاسرة التي لعبت دوراً سياسياً وادارياً مهماً على مستوى بلاد الشام كلها بجانب تراثها الواسع، اسرة فارحي التي خرج منها عدد من أهم الوجهاء والنافذين، اشهرهم المعلم موسى فارحي الذي انتقل بعد سجنه في قضية ١٨٤٠ إلى العراق، والمعلم شحادة فارحي مدير مالية دمشق وأبناء المعلم روفائيل والمعلم حاييم فارحي، وقد تمتع الاخير بحظوةسياسية ومكانة ادارية عظيمة على مستوى ولاية سورية، وقتله الوالي عبد الله باشا عام ١٨٢٠، ويذكر اسم حاييم فارحي الرحالة بركهات في كتابه «رحلة في سورية والبلاد المقدسة، ويقول المؤرخ ميخائيل مشاقة في كتابه «الجواب على اقتراح الاحباب» ان الشخصين اللذين نفذا جريمة القتل هما مرافقاه الشيخ مسعود الماضي وعمر افندي البغدادي.(٣٧)

بشأن ملابسات جريمة ذبح الراهب توما يذكر مطيع النونو - حفيد احد الذين تم تكليفهم بالتحقيق في هذه الجريمة ما يلي:

ففي عام ١٨٠٧م اعتمدت الامبراطورية الفرنسية الطبيب الراهب البادري توما الكبوشي أحد رعايا فرنسا من مواليد مدينة كالانجيو بجزيرة سردينيا للسفر إلى دمشق لمعالجة المرضى من الطوائف المسيحية والاسلامية واليهودية، ولتطعيم المصابين بمرضى الجدري باعتبار أن لديه الماماً بالطب والصيدلة، فاقام علاقات وصداقات مع جميع أبناء الطوائف، وكان دمث الاخلاق يعالج المرضى مجاناً،

واضطلع بواجباته بكل تسامح، ودونما تعصب مما جعله موضع احترام ومحبة المسلمين على السواء، وكان يتنقل بين الاحياء الاسلامية والمسيحية واليهودية وفي ساعات مخصصة لزيارة المرضى وكان يستخدم واسطة النقل على «الحمار» ثم حصل على دراجة عادية لهذه الغاية باعتباره لم يكن ميسور الحال، وفي آخر أيامه اصبح يقطع المسافة مشياً على الاقدام لأنه أصبح ضعيف البصر (شبه أعمى) حيث بلغ السبعين من العمر.

وفي اليوم الاربعاء ٢ ذي الحجة ١٢٥٥ هـ الخامس من فبراير (شباط) ١٨٤٠م توجه إلى حارة اليهود كعادته، وكان في انتظاره، وبتخطيط مسبق من الحاخام يعقوب عنتابي، بعض اليهود من أسرة هراري، وطلبوا إليه دخول منزل داوود هراري لتطعيم ولده بلقاح الجدري وبعد ان لبى الطلب اوصدت الأبواب في وجهه ولم يسمح له بالمغادرة، وباعتباره لم يرجع إلى ديره « الكنيسة » المسمى « دير الكبوشيين » أسرع خادمه المدعو « ابراهيم امارة » إلى حارة اليهود للبحث عنه، غير ان الخادم لم يعد أيضاً.

وكان الطبيب المدعو مساري طبيب حاكم دمشق شريف باشا قد وجه دعوة إلى رهبان الاديرة في الشام لتناول طعام الغداء يوم الخميس ٣ذي الحجة أي اليوم التالي لاختفاء الراهب وخادمه، وحضر جميع الرهبان المناسبة باستثناء البادري توما، وشعر الرهبان بالقلق، وبعد الغداء توجه جميع الرهبان إلى مقر القنصل الفرنسي العام الكونت ده راتي منتو وعرضوا عليه قضية غياب البادري توما باعتباره من رعايا الحكومة الفرنسية، فاهتم القنصل الفرنسي للأمر، وارسل مذكرة إلى ديوان حاكم دمشق حملها السيد بدوان مساعد القنصل يوم الجمعة تضمنت حادث اختفاء الراهب. كما ذهب القنصل إلى مكان الدير فوجد جمهرة كبيرة من النصارى أمام الباب معلنة سخطها لغياب الراهب وخادمه عن دير الكبوشيين.

وامر القنصل الفرنسي بفتح باب الدير ودخل إلى الكنيسة فوجدها خالية من الراهب والخادم ووجد في المطبخ عشاء البادري وخادمه قد جهز ولم يطعمه احد.

وعندما تحولت الشبهة إلى يقين من انهما قتلا خارج الدير سيما وقد أكد بعض الشهود بانهم شاهدو البادري وهو يدخل حارة اليهود بعد عصر يوم الاربعاء، ولم يشاهده أحد وهو يخرج من حارة اليهود، كما شوهد خادمه بعد المغرب يهرول إلى حارة اليهود، ولم يشاهده أحد وهو يخرج منها ايضاً.

وفي ضوء هذه المعلومات الاولية اصدر حاكم دمشق أمره باجراء تحقيق فوري والبحث لكشف مصير البادري توما وخادمه، وكلف الحاكم المسؤول عن الامن المدعو «علي النونو» لتفتيش الاماكن المشبوهة في حارة اليهود وبعض المنازل فيها، وصدرت الاوامر باعتقال من ارتكبوا جرائم سابقة من اليهود لاستجوابهم.

وأول ما وقعت الشبهة كانت على الحلاق اليهودي سليمان سلوم ولكنه في باديء الأمر نفى علمه بأي شيء، ولكن بعد أن أعيد التحقيق معه بالتهديد والأسئلة والملاحقة اعترف بأن الحاخام موسى بيخار يهودا سلاينكي، والحاخام موسى أبو العافية، وداوود هراري واخوته اسحق وهارون ويوسف هراري ويوسف لينيادو واسحاق بيجوتو وهو موظف في قنصلية النمسا قد اجتمعوا مع البادري توما في منزل داوود هراري بعد عصر يوم الاربعاء.

وقال الحلاق بعد أن التمس منحه وعداً بالعفو عنه «بأنه تم ادخال البادري توما إلى منزل داوود هراري بحجة تطعيم طفله بلقاح الجدري، وبعد نصف ساعة استدعوني من مكان عملي وكان الوقت بعد الغروب، فوجدت هؤلاء السبعة، وأدخلوني إلى غرفة وجدت فيها البادري توما وهو مقيد وطلبوا مني ذبحه ولكن اعتذرت عن ذبحه وقام بعملية الذبح صاحب المنزل داوود هراري».

وسأل المحقق الحلاق عن مصير ابراهيم امارة خادم البادري فقال: «لقد ذبح في مكان آخر بمعرفة هذه المجموعة» وقال: « وعدتني المجموعة بان أمنح قدراً من الدراهم على عملي ولقاء عدم افشاء سر الجريمة».

ووصف الحلاق عملية ذبح الراهب النصراني فقال: «بعد أن تم بطح الراهب وضعت رقبته على طبق كبير وتمت عملية الذبح وتصفية الدم في الطبق، ثم نقل الراهب إلى غرفة ثانية وخلعنا ملابسه واحرقت بالنار، وقطعت جثة البادري إلى قطع صغيرة، وكسر عظمه بيد الهاون، ووضعت في كيس وحملت الكيس مع خادم صاحب الدار ويدعى مراد الفتار ورمينا قطع اللحم في النهر المالح المسمى بالنهر الاسود، في سوق الجمعة بالقرب من سوق الدجاج وهو الموقع المخصص لذبح الدجاج، حيث تلقى فضلات الدجاج في هذا النهر، وان النهر المالح يحمل مخلفات وفضلات سكان الحي اليهودي وهو يقع بالقرب من منزل الحاخام موسى أبو العافية أحد الحاخامات الذين لديهم معلومات عن الجريمة».

لجنة التحقيق

وشكلت لجنة بأمر حاكم دمشق لمتابعة التحقيق في هذه الجريمة البشعة، ضمت اللواء صادق بك قائد مدفعيةالفرسان، والكونت ده راني منتو قنصل فرنسا، والسيد بدوان مساعد قنصل فرنسا، والطبيب مساري طبيب حاكم دمشق، واستجوبت اللجنة جميع الاشخاص الذين كشف الحلاق أسمائهم بأنهم شاركوا في تنفيذ الجريمة.

وكان أول من استجوبتهم اللجنة الخادم مراد الفتال وحاول في بادىء الأمر نفي علمه واشتراكه، ولكن بعد تضييق الاسئلة اعترف بتفاصيل الجريمة وكانت مطابقة لاعترافات الحلاق، وأضاف أن معلمه وعده بان يزوجه البنت التي كان قد خطبها على نفقته.

وقامت اللجنة بزيارة موقع النهر المالح وكلف بعض العمال بالنزول إلى النهر وتم استخراج قطع من اللحم من بعض اعضاء جسم بشري اضافة إلى القلب والكبد والراس مع قطع من طربوش الراهب النصراني وعرض اعضاء الجسم على لجنة من الأطباء المسلمين، وعلى لجنة من الاطباء الفرنسيين حيث تبين أنها عظام انسان مع بعض قطع طربوش «طاقية» سوداء كان يلبسها الراهب المقتول.

وعند كشف الحقيقة استجوبت اللجنة المتهمين السبعة وحاول كل منهم نفي التهمة عن نفسه ولكن بعد ذلك اعترف الجميع بتفاصيل عملية الذبح وقال المتهمون: ان عملية الذبح تمت لأجل الحصول على الدم الذي حفظ في زجاجة، «قنينة» تنفيذاً لتعليمات الدين اليهودي ويستخدم الدم في عجينة الفطير كما أن الدم يوزع على الحاخامات في دمشق وبغداد وهم من زعماء الديانة اليهودية. وكانت اعترافات الجميع متطابقة.

واتجهت اللجنة بعد ذلك للتحقيق في مصير ابراهيم امارة خادم الراهب النصراني، وكان أول المستجوبين مراد الفتال خادم داوود هراري واعترف «بأن خادم البادري توما قد ذبح ايضاً يوم الاربعاء في منزل مايير فارحي واشترك فيها داوود هراري ومايير فارحي، وهارون اسلامبولي واسحاق بيجوتو واصلان بن المعلم روفائيل، وبعد تصفية دمه تم تقطيع جثته ورمي في مجرى النهر الذي يمر بالدار الخارجية لمنزل مايير فارحي والذي يصب في النهر المالح، وقال: «وجمع دم المذبوح في زجاجة «قنينة» وسلمت إلى يد الحاخام يعقوب عنتابي». وتوجهت اللجنة إل

منزل مايير فارحي لاستكمال التحقيق والوقوف على مجرى النهر في داره الخارجية الذي رمي فيه قطع جثمان الخادم. كما تم استجواب جميع المتهمين بذبح الخادم امارة.

وأصدرت لجنة التحقيق مذكرات توقيف بحق جميع المتهمين في ذبح الراهب النصراني وخادمه واستكمل التحقيق معهم وأكد الجميع اعترافهم بارتكاب جريمة الذبح وبأن الدم يستخدم في عجين الفطيرة التي تصادف يوم الغفران وهي ذكرى جلاء اليهود عن مصر.

وكان الحاخام موسى أبو العافية الذي اتهم باشتراكه بالجريمة قد اشهر اسلامه أمام الحاكم العام العثماني بدمشق وبدل اسمه إلى اسم اسلامي فأصبح (محمد أفندي المسلماني) واحضر معه لديوان حاكم دمشق بعض كتب اليهود كالتلمود وغيره واستخرج بعض عقائد اليهود واستحلالهم مثل تلك الكبائر والافعال ثم قذف عمامته السوداء بين أقدام الحاكم العام وقال: «وبما أن الدين اليهودي على هذا الشكل، فأنه يكفر به». وأشهر اسلامه على الفور فمنحه الحاكم العثماني عمامة بيضاء، وضعها على رأسه.

وقال الحاخام موسى أمام لجنة التحقيق رداً على سؤال وجهته اليه عن موقف الدين اليهودي من الامم غير اليهودية، وفقاً لوصايا التلمود: «ان مواقفهم تتلخص في اعتبارهم من الحيوانات أو البهائم، اقتداء بموقف سيدنا ابراهيم الخليل الذي كان قد توجه مع اثنين من الخدم لذبح اسحاق وقال لهم: «اقعدوا هنا أنتم والحمار حتى أروح أنا والصبي. فمن هنا شبهوهم، كما جاء في التلمود- بالحمار وعلى هذا بقية الامم».

وقال: «أن أسباب اقدام اليهود على ارتكاب مثل هذه الجناية تنحصر في ثلاثة: بغضهم للنصارى وحاجتهم إلى دمهم في أعمال السحر، وشك الربيين والحاخاميين في ان يكون يسوع بن مريم هو المسيح الحقيقي حتى إذا نضحوا دم اتباعه، ضمنوا لنفوسهم الخلاص من الهلاك الابدي».

وقد نشرت البطريركية شهادة الحاخام اليهودي السابق موسى أبو العافية الذي أشهر اسلامه في عددها الجزء الأول الصادر ١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٣م من الصفحة ٢٣ إلى ٣٢.

«إن واجب اليهود هو لعن النصارى ثلاث مرات في كل يوم، والابتهال إلى الله بابادتهم جميعاً وبخاصة ملوكهم وحكوماتهم، وينطبق هذا المبدأ على رؤسائهم

الدينيين بصورة خاصة. ولا بد من إثارة الحقد ضد النصارى».

«لقد اعطى الله لليهود حق الاستيلاء على أموال النصارى، بمختلف السبل والوسائل الممكنة، سواء عن طريق التجارة، أو عن طريق اللطف والرقة، أو عن طريق الغش والخداع وحتى طريق السرقة».

ويبدو ان هذا الموقف ليس على النصارى، ربما لم يذكروا المسلمين خوفاً من أن يلحق به الأذى لأنهم كانوا في دولة اسلامية.

قرار الحكم

واصدر الحاكم العام شريف باشا الحكم في هذه القضية التي بلغ مجموع المتهمين في قضية ذبح البادري توما وخادمه ابراهيم امارة ١٦ متهماً، منهم يوسف هراري.. ويوسف لينيادو، وتوفيا أثناء التحقيق، وأربعة صدر العفو عنهم لادلائهم بمعلومات ساعدت على كشف النقاب عن الجريمة البشعة هم:

١- الحاخام موسى ابو العافية الذي أشهر اسلامه. ٢- اصلان فارحي. ٣- سليمان سلوم (الحلاق) ٤- مراد الفتال. خادم داوود هراري.

اما العشرة الباقون فصدر الحكم باعدامهم وهم داوود هراري، وهارون هراري،واسحاق هراري ومايير فارحي ومراد فارحي، والحاخام موسى بوفور يهودا المعروف بالسلانيكي، وهارون اسلامبولي، واسحاق بيجوتو الموظف في سفارة النمسا، والحاخام يعقوب عنتابي، ويوسف مناحيم فارحي.

وكان قد تقرر تنفيذ حكم الاعدام بالمجرمين بعد أن يصادق الحاكم العام لبلاد الشام شريف باشا على الحكم، ولكن تقرر تحويل قرار المصادقة عليها إلى ابراهيم باشا القائد العام للجيوش المصرية في سورية والمذكور هو نجل الخديوي محمد علي باشا، ويبدو ان هذا الأمر كان بطلب من محمد علي نفسه لانه كان بمثابة تخليص المحكوم عليهم من الاعدام بعد أن أوفد يهود أوروبا محاميين يهوديين إلى الاسكندرية لانقاذ المجرمين فطلبا من الخديوي محمد علي باشا اصدار أوامره باعادة التحقيق في القضية، وجرت مداخلات عالمية مكثفة مع الخديوي شارك فيها بعض زعماء الدول الأوربية فوجد الخديوي من واجبه اذكاء نار الاحقاد بين اليهود والنصارى، فوعد باصدار مرسوم العفو عن المجرمين، كما أجرى قنصل النمسا بدمشق «مرلاتو» اتصالات لتبرئة المتهمين في محاولة لانقاذ رأس خادمه اليهودي

اسحاق بيجوتو كما تبادل القنصل النمساوي التهم مع القنصل الفرنسي بدمشق الذي اشترك في التحقيق مع اللجنة واتهم القنصل النمساوي زميله الفرنسي بالتعسف وجرى بينهما تبادل المذكرات المهينة. وأصدر الخديوي محمد على باشا فرماناً وجهه إلى حاكم دمشق العام ذكر فيه: «اعف عن المسجونين» فاعترض المحاميان اليهوديان المندوبان عن يهود أوروبا على كلمة «اعف» لانها تثبت الجريمة، فأصدر محمد علي فرماناً ثانياً جاء فيه: «انه من التقرير المرفوع لدينا من الخواجات مويزمونتفيوري وكراميو اللذين أتيا لطرفنا مرسلين من قبل عموم الاوربيين التابعين لشريعة موسى اتضح انهم يرغبون الحرية والامان للذين صار سجنهم من اليهود وللذين ولوا الادبار هرباً من تهمة حادثة الأب توما الراهب الذي اختفي في دمشق الشام في شهر ذي الحجة مع خادمه. وبما انه بالنظر لعدد هذا الشعب الوفير لا يوافق رفض طلبهما، فنحن نأمر بالافراج عن المسجونين، وبالأمان للهاربين من القصاص عند رجوعهم، ويترك أصحاب الصنائع في أشغالهم، والتجار في تجارتهم، بحيث أن كل انسان يشغل في حرفته الاعتيادية، وعليكم أن تتخذوا كل الطرق المؤدية لعدم تعدي أحد عليهم أينما كانوا وليتركوا وشأنهم من كل الوجوه».

وكان للعوامل والمداخلات السياسية والمالية مع الخديوي محمد علي باشا وسيلة في اقناعه بالتسامح مع المجرمين اليهود العشرة، فقد كان في حاجة شديدة للمال وذلك أفضل من اعدام بعض المجرمين كما أنه كان بحاجة إلى عطف الدول الأوربية التي كانت قد انقادت إلى سياسة بريطانيا بنزع سورية من حكم الخديوي محمد علي باشا.

وتردد في ذلك التاريخ بعد التحقيق الذي قامت به الدوائر العثمانية في اسطنبول اشاعات تقول بأن الخديوي محمد علي باشا قد حصل لقاء تبرئته المجرمين اليهود على ٦٠ الف كيس أي ما يعادل ثلاثمائة ألف ليرة ذهبية لأن الكيس الواحد يساوي خمس ليرات ذهبية أو خمسمائة قرش تركي او ١٢٥ فرنكاً ذهبياً في ذلك التاريخ. وتبين أن حاخامات اليهود في سورية والعراق بالاشتراك مع المجرمين الذين حكموا بالاعدام قد دفعوا هذه المبالغ لتسليمها لخديوي مصر لأن المجرمين من كبار الأغنياء اليهود، باستثناء الحاخام يعقوب عنتابي الذي يعيش على حسنات بني مذهبه.

وبعد اطلاق سراح المتهمين نزح اغلب هؤلاء مع عائلاتهم إلى مصر واقاموا فيها هرباً من غضبة النصارى والمسلمين عليهم في بلاد الشام. (٣٨)

الاوضاع الاجتماعية والادارية ليهود سورية:

استناداً إلى منشور -فرمان- التنظيمات العثماني، الذي صدر عام (١٨٥٦)، كان لليهود في سورية مجلساً جسمانياً ومجلساً روحانياً، على شاكلة ماكان ليهود العراق. وحددت سلطات المجلسين وكيفية تاليفهما، وتركت جميع القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية وأوقاف المعابد وشؤون المدارس والمؤسسات الخيرية الخاصة بالطائفة إلى هذه المجالس. وفي عهد الانتداب الفرنسي منح اليهود حقوقاً كاملة فقد نصت المادة السادسة من صك الانتداب على أن تضع الدول المنتدبة نظاماً قضائياً يضمن للمواطنين والاجانب على السواء حقوقهم كاملة، كما يضمن للجماعات والشعوب المختلفة في سورية ولبنان نظام الاحوال الشخصية والمصالح ذات الصفة الدينية. كما أن المادة الثامنة من صك الانتداب، تضمنت حرية العقيدة والقيام بالفروض الدينية والمساواة بدون اعتبار للعنصر والدين واللغة واحترام حقوق الطوائف في الاحتفاظ بمدارسها لتعليم أبنائها لغاتها الخاصة. وجاء في المادة التاسعة بأن تمتنع الدولة المنتدبة عن التدخل في ادارة مجالس المعابد أو ادارة الفرق الدينية ومعابد الطوائف التي تظل حريتها مضمونة. (٣٩)

اما الدستور السوري لعام (١٩٣٠) فقد أعطى ضمانات لحسن معاملة الاقليات ففي مادته رقم (١٥) ضمن حرية العقيدة والعبادة والاحترام للمصالح الدينية، والوضع الشخصي لكل الطوائف وحقوقهم التعليمية وغيرها. وضمت جميع الدساتير السورية بعد الاستقلال حقوقاً مشابهة لجميع المواطنين، ومن بينهم اليهود، وهذا ما أوضحه النائب اليهودي وحيد مزراحي في جلسة المجلس النيابي السوري ١/١٢/١٩٤٧، بتأكيده على أن الطائفة اليهودية تتمتع بحقوق متساوية مع سائر المواطنين السوريين. (٤٠)

وبرغم اندلاع حرب فلسطين وما أعقبها من متغيرات داخلية في سورية، بعد ذلك بسنوات، لم تتغير أوضاع اليهود في سورية، ففي أعقاب حرب فلسطين (١٩٤٨) مثلاً، اصدرت الحكومة السورية بياناً يدعو كل اليهود الذين غادروا عام (١٩٤٧) إلى العودة إلى أماكن إقامتهم. (٤١) لكن تقلص وجودهم أدى إلى

تغـيـيـرات في شـؤونهم الطائفـيـة، إذ أنه عـام (١٩٦٩) ونظراً لوجـود (٣٥٠٠) يهـودي فـقـط في سـورية. كـان هناك مـجلس ملي يشـرف على شـؤونهـم ويوزع المساعدات الشهرية على المحتاجين. ووجد أيضاً مجلس روحي يتألف من عدد من الحاخاميين، وقد ترأسه آنذاك كبير الحاخاميين «نسيم أندبو». (٤٢)

وفي أوائل عقد التسعينات تحدث حاخام الطائفة اليهودية في سورية ابراهيم أبو حمرا، الذي غادر فيما بعد إلى الولايات المتحدة ومن ثم إلى الكيان الصهيوني، حول أوضاع اليهود في سورية قائلاً: «نحن نملك كل الحقوق ماعدا سفر العائلات، وهو الأمر الذي يستخدمه البعض كوسيلة ابتزاز ضدنا». (٤٣) كما أشار «أبو حمرا» في وقت لاحق إلى أن يهود سورية باتوا يحملون جوازات سفر صالحة لمدة ست سنوات، وعليها تأشيرات خروج متعددة تماماً كأي مواطن سوري. (٤٤) وقبل مغادرته لسورية بأشهر، تحدث «أبوحمرا» عن أوضاع الطائفة اليهودية في سورية قائلاً: «في الواقع لم تكن هناك قيود على سفر اليهود في عهد الأسد، لكن المسألة تتعلق بأمور روتينية وإدارية بيروقراطية. وأدت توجيهات الرئيس إلى التعجيل في هذا المجال (...) في السابق كان مفروضاً على كل يهودي يريد السفر أن يودع كفالة مادية تتراوح مابين (١٠)و (١٥) ألف ليرة سورية في المصرف المركزي، مع منع السفر لعائلة بكاملها. والآن أصبح في إمكاننا الحصول على جواز سفر مدته (٦) سنوات، وتأشيرة خروج لسنة واحدة ومتعددة السفرات من دون ايداع كفالة مادية. (٤٥)

* أوضاع اليهود الاقتصادية

منذ العهد العثماني احتل اليهود في سورية مراكز اقتصادية خاصة، وكانت تشمل الأمور المالية خاصة، فشغلوا مهمة «الكشاف»، أو مايشبه موظف الجمارك، و«الشوباشي» وهو ما يطابق منصب وزير مالية. لذلك كانت العائلات اليهودية الثرية مثل: آل فارحي، واستامبولي وLisbonas ، ذات نفوذ في المجتمع آنذاك. واحتكر اليهود أيضاً صناعات يدوية معينة كالحفر على النحاس والفضة والذهب وحفر الخشب والنسيج والصباغة وغزل الحرير، وعملوا أيضاً في مجال الاستيراد والتصدير. وكان ليهود حلب، مثلاً، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (٢٤) بيتاً تجارياً رأسمالها قرابة (٥) ملايين فرنك فرنسي، لذا سيطروا

وبشكل طبيعي على معظم التجارة السورية الخارجية. لكن وبعد عقود من الزمن تراجع النفوذ الاقتصادي لليهود، ومرد ذلك يعود إلى : زوال أهمية تجارة القوافل، ومنافسة اهالي البلاد للاحتكارات اليهودية في بعض المجالات الاقتصادية. مما دفع باليهود، بعد أن سادت البلاد حالة من عدم الاستقرار، نحو هجرة بعضهم، وكذلك بعض السوريين، إلى مصر والامريكيتين.(٤٦)

وبعد ذلك استقر نفوذ اليهود الاقتصادي في المجال التجاري سواء في دمشق اوحلب. كما تميزوا في مجال مهنتي الطب والمحاماة، وانتاج الألبسة. ومن ابرز رموز الطائفة اليهودية في سورية : المحامي شحادة القطري، ويوسف جاجاتي المشرف الحالي على شؤون اليهود، صاحب «المخزن الكبير»، ويعقوب ابراهيم البقاعي (تاجر شرقيات). والأخوان ديب وسامي اللاطي. (٤٧) ويذكر أن بعض اليهود السوريين وجدوا ان المتغيرات الاقتصادية الحادثة في سورية، بعد إصدار الحكومة السورية لقانون الاستثمار رقم (١٠) مجالاً لتنشيط أوضاعهم الاقتصادية وتوسيع مجال نفوذهم الاقتصادي المحدود، لذلك يذكر الحاخام ابراهيم ابو حمرا - رئيس الطائفة اليهودية (السابق)- أن بعض اليهود دخلوا مجال الاستثمار مثل: جاك بقيص ويوسف جاجاتي وفرح حمرة. (٤٨)

*** أوضاعهم التربوية والدينية**

أقام اليهود مدارس دينية ابتدائية تقليدية في أماكن تجمعاتهم في سورية، على شاكلة مدارسهم ومعابدهم ايضاً التي كانت قائمة آنذاك في العراق، استمرت حتى نهاية عهد الانتداب الفرنسي. لكن بعد الاستقلال اغلقت تلك المدارس، بما فيها مدارس الاليانس حتى شباط، ثم اعيد افتتاحها تحت اسم المدارس الوطنية للاتحاد الاسرائيلي العالمي. وقد بلغ عدد المدارس اليهودية في سورية بعد عامي ١٩٤٧/ ١٩٤٨ عام ١٩٥٠/ ١٩٥١ ثلاث مدارس بلغ عدد تلاميذها (٥٧٧) تلميذاً. وبلغ عدد تلاميذها للعام الدراسي ١٩٥١ / ١٩٥٢ (٥٨٣) تلميذاً. وفي العام الدراسي ١٩٥٢ / ١٩٥٣ اصبح هنالك ثلاث مدارس للذكور ومدرسة مختلطة عدد تلاميذها (٩١١) تلميذاً، ومدرسة ثانوية فيها (١٧) تلميذاً. (٤٩)

وبقيت احوال اليهود التربوية على حالها لعدة عقود من الزمن، أما صورتها الراهنة، فاوضحها د. نسيم حاصباني بقوله : «حرية التعليم لنا متاحة على كامل

المستويات، وقد كان لي شرف أن أكون أول طالب طب في جامعة دمشق عام (١٩٥٨) وكنت في ذلك الوقت متمتع بكامل حريتي التعليمة وكامل الفرص لأي طالب طب، والآن انا عضو في نقابة الأطباء بدمشق. ولدينا مدرستان يقدر عدد طلابهما بـ(١٠٠) طالب في المرحلة الاعدادية ثم ينتقلون إلى المدارس العامة والثانوية الحكومية والخاصة لينالوا الشهادة الثانوية ثم أن الجامعات مفتوحة لنا كأي مواطن. (٥٠) ومؤخراً تم دمج مدرسة «ابن ميمون» و«الاتحاد الأهلية» في دمشق، في مدرسة واحدة تضم (٢٠٠) تلميذ يهودي. (٥١)

أما معابد وكنس اليهود في سورية والموزعة على كل من: دمشق وحلب والقامشلي فتفيد المعطيات الحديثة إلى أن هنالك (٢٢) معبداً أو كنيساً يهودياً في دمشق، و(٣) معبد في حلب و(١) معبد في القامشلي. (٥٢) وفي السياق ذاتهاشارمؤخراً يوسف جاجاتي الى انه من اصل (٢٢) كنيساً موجودة في دمشق هنالك (٤) كنس مفتوحة فقط، بينما اغلق كنيسين في مدينة حلب نظر لسفر ابناءالطائفة اليهوديه فيها، ومازال كنيس القامشلي مفتوحاً يمارس فيه (١٠٠) مائة يهودي طقوسهم الدينية. (٥٣)

* **مواقفهم السياسية**

تشير المصادر التاريخية الحديثة إلى أن يهود سورية قاوموا الانتداب، ودعموا المطالب القومية العربية، وكان لليهود منذ أول برلمان سوري أيلول (١٩٣٦) ممثل واحد، في جميع المجالس النيابية حسب المادة (٣٧) من الدستور السوري لعام (١٩٣٠). ومن النواب اليهود الذين دخلو مجلس النواب السوري نذكر: يوسف لنيادو، ووحيد مزراحي (عن دمشق)، وعزرا أزرق، ورحمو نحماد (عن حلب). (٥٤)

كما وتشير المصادر ذاتها إلى أنه «ظهرت بوادر حركة صهيونية بين يهود دمشق، خلال الحرب العالمية الأولى. كما أن الدعاية الصهيونية للهجرة قد جلبت أفواجاً من يهود سورية إلى فلسطين، إلا انهم على الأغلب لم يكونوا صهيونيين، كما لم يهتموا بالأماني الصهيونية السياسية، لكن في آذار (١٩٤٥) قامت تظاهرات في دمشق وحلب شارك فيها اليهود تضامناً مع الفلسطينيين، وأرسل حاخام الجزيرةموشي ناحوم برقية إلى الرئيس محتجاً على فتح أبواب فلسطين أمام

الهجرة الصهيونية، وكذب رئيس الطائفة في دمشق ما نشرته إحدى وكالات الانباء الصهيونية عن اضطهاد اليهود السوريين.(٥٥)

وإزاء تطورات القضية الفلسطينية، ابدى يهود سورية مواقف معارضة للحركة الصهيونية ونشاطاتها في فلسطين، فإزاء قرار تقسيم فلسطين قال وحيد مزراحي نائب دمشق في ١/١٢/١٩٤٧ في مجلس النواب السوري: «أن اليهود يستنكرون هذا القرار الجائر ويستنكرون اعمال الصهيونية ويعتبرون الصهيونية عقيدة سياسية غربية منفصلة عن الدين لا تتفق مع عادات ولغة واخلاق يهود البلاد العربية، فإذا كانت الصهيونية التي تاتينا من الغرب تريد ان تجعلنا ضمن حظيرتها، فانا أعلن من هنا اننا بريئون منها ومن اعمالها، وارجو ان يعلم الجميع اننا لانشاطر الصهيونية عملها، واننا لا نتفق وإياها بغاياتها واساليبها وسنكون في مقدمة المجاهدين العاملين لدفع اذى الصهيونية عن هذه البلاد». (٥٦) وفيما بعد ذلك بسنوات قليلة اكد الحاخام «صبري لينادو» مواقف اليهود في سورية من الصهيونية والكيان الصهيوني الذي أعلن عن قيامه عام (١٩٤٨)، وعبر عن استنكار زعماء الطائفة اليهودية السورية فكرة «الوطن القومي اليهودي» وكذلك الدولة اليهودية. (٥٧)

وعموماً لم تظهر الطائفة اليهودية في سورية اي تعاطف معلن او مبطن مع الأفكار الصهيونية والدعاوى التي بثتها وسائل الاعلام الصهيونية، خلال العقود اللاحقة من الزمن، التي سادتها حالة احتدام حدة الصراع العربي – الصهيوني ونشوب عدد من الحروب.

أما هجرة اعداد من الطائفة اليهودية في سورية وفي فترة مختلفة، فقد كانت في غالبيتها متاثرة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي عصفت بالبلاد، وكانت جمع يهود سورية نقصد الولايات المتحدة الامريكية، اضافة إلى ما تذكرة المصادر التاريخية من ان حيازة بعض يهود سورية لجنسيات دول مختلفة سهلت هجرتهم، فعلى سبيل المثال، بلغ يهود سورية عام (١٩٦١) ما مجموعه (٥٨٠٠) يهودي، (٢٢٠٠) منهم يحملون الجنسية السورية في دمشق، و(٤٠٠) يحملون الجنسية الايرانية والتركية. وفي حلب كان (١٨٥٠) يهودياً يحملون الجنسية السورية و(٥٠) يحملون الجنسية التركية والايرانية وغيرها، و(٤٠٠) من يهود حلب يعود اصلهم إلى القامشلي. اما فقد تواجد آنذاك (٩٠٠) يهودي. (٥٨) وتناقص

نتيجة للهجرة عدد اليهود في سورية إلى (٣٥٠٠) يهودياً عام (١٩٦٩) . (٥٩)

ونعيد إلى الأذهان بعض الأرقام حول أعداد يهود سورية وما طرأ عليها من متغيرات منذ قرن ونيف من الزمن، فقد بلغ يهود دمشق، مثلاً، عام (١٨٧٦) (٥٤٠٠) يهودياً من أصل (١٤٠) الفاً عدد سكان دمشق آنذاك . أما عدد يهود حلب في العام ذاته فبلغ (٨٠٠٠) يهودي من أصل (١٠٠) ألف يهودي عدد سكان حلب، وقبل الهجرة اليهودية الكبرى من سورية، كان عدد اليهود في سورية، في العقد الأول من القرن العشرين (٥٠,٠٠٠) يهودي، تناقص إلى (٢٩,٧٧٠) يهودي عام (١٩٤٣) من أصل (٢,٨٦٠,٤١١) عدد سكان سورية في ذلك العام . واستمر عددهم في التناقص ووصل إلى (١٣,٠٠٠) يهودي عام (١٩٤٧) . (١٠)

وفي عقدي السبعينات والثمانينات من القرن العشرين، لم تحدث متغيرات على أعداد وأحوال يهود سورية، عدا بعض الضغوطات التي مارستها بعض الجهات الغربية واللجان اليهودية الغربية على الحكومة السورية متذرعة بالأحوال الاجتماعية والانسانية ليهود سورية، من شاكلة اللجنة الدولية لانقاذ يهود البلاد العربية التي ترأسها « ألن بوهير» رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي .ففي عام (١٩٧٧) تمحور عمل تلك الجهات حول الطلب من الرئيس السوري حافظ الأسد بالسماح بنقل (١٣) فتاة يهودية من سورية إلى الولايات المتحدة الأمريكية من أجل الزواج . وقد سمح لـ(١٤) فتاة يهودية بالسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس الأمريكي « جيمي كارتر» عادت منهن (٦) فتيات إلى سورية . (١١)

أما في السنوات الأولى من عقد التسعينات من القرن العشرين، وفي أعقاب المتغيرات الاقليمية والعالمية، وخصوصاً ما يتعلق منها بالصراع العربي- الصهيوني، مثل انعقاد مؤتمر مدريد (١٩٩١)، حدثت بعض المتغيرات على أوضاع يهود سورية، فقد أصدرت الحكومة السورية في ٢٢/٤/١٩٩٢ قراراً يقضي بالسماح لليهود بالسفرإلى الخارج عدا الكيان الصهيوني . وفي أعقاب ذلك القرار غادر سورية (٢٦٠٠) يهودي توجهوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، عاد منهم إلى سورية فيما بعد (١٦٠) يهودياً . ونشير إلى عدد الجالية اليهودية السورية في الولايات المتحدة الأمريكية والمتمركزة في منطقة فلاتبوش في حي بروكلين يبلغ

(٣٥) الف يهودياً. (٦٢) وفي هذا السياق ايضاً اشار ابراهيم أبو حمرا، الرئيس السابق للطائفة اليهودية في سورية إلى انه منذ شهر نيسان (١٩٩٢) وحتى الشهر ذاته من العام (١٩٩٣) غادر سورية (٢٥٠٠) يهودي توجهوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وعاد منهم (١٠٠) مائة يهودي. وأشار ايضاً ان اليهود المتبقين في سورية لا يتجاوز عددهم (١٤٥٠) يهودياً. (٦٣)

وتكشفت في السنوات القليلة الماضية الحملات الغربية وخاصة اليهودية الأمريكية لتهجير يهود سورية، تحت ادعاءات مختلفة، كالادعاء ان منشورات وزعت في أوائل شهر آذار (١٩٩٤) في حي اليهود في دمشق موقعة باسم «الجيش الابراهيمي المقدس - حزب العدالة الاسلامي السوري»، تدعو للانتقام لشهداء المجزرة التي ارتكبت بحق الفلسطينيين في الحرم الابراهيمي الشريف في مدينة الخليل في شهر شباط من العام ذاته. وقادت تلك الحملات المغرضة والموظفة سياسياً منظمتا: مجلس انقاذ يهود سورية، و «مؤتمر رؤوساء المنظمات اليهودية الأمريكية»، اللتان تتخذان من واشنطن مقراً لهما. (٦٤) وقد دحض تلك الادعاءات يوسف جاجاتي، احد زعماء اليهود في دمشق، واعتبر وجود تهديدات لليهود مجرد «عملاً صبيانياً تافهاً». (٦٥)

وتفيد آخر المعطيات الرقمية، ان الوكالة اليهودية ادعت في بيان لها انه من بين (٣٦٧٨) يهودياً غادروا سورية إلى الولايات المتحدة الاميركية، منذ نيسان (١٩٩٢) تم استقدام (١٢٦٨) يهودياً سراً إلى اسرائيل،وهناك (٢٣٧) يهودياً لايزالون في سورية وبخاصة في دمشق وحصلوا، على تأشيرات خروج. (٦٦)

منذ أوائل القرن العشرين، وحتى أواسط عقد التسعينات، وعلى غرار ما استنتجناه سابقاً بصدد يهود العراق، نجد ان يهود سورية، خضعوا لمؤثرات تختلف إلى حد ما عن المؤثرات الخارجية والداخلية التي خضع لها يهود العراق. إذ ان المتغيرات التي تعرضت لها سورية بمجتمعها واحوالها السياسية والاقتصادية لم تشكل بيئة مناسبة لهجرة يهودية كبيرة من البلاد ، وإن حدثت فكانت محدودة، وغالباً ما اتجهت اعداد من يهود سورية نحو الامريكيتين وتحديداً نحو الولايات المتحدة الاميركية وكندا، وخاصة حي بروكلين في منطقة فلاتبوش. وكان الدافع الاساسي لها يتمثل في دوافع اقتصادية بحتة. اما الدوافع السياسية أو الايديولوجية فكانت ضعيفة التاثير حد منها الموقف السياسي الرسمي للحكومات

السورية التي تعاقبت على حكم البلاد، والتي ترافقت بتوفر جو من الحرية الاقتصادية والاجتماعية تمتع بها يهود سورية. ولم يعكر صفوها سوى بعض الحوادث الجانبية والمفتعلة، التي حدثت نتيجة لتخطيط خارجي رعته منظمات صهيونية. وغالباً ما اتخذ شكل استخباراتي – جاسوسي، ورغم ذلك لم يتعرض يهود سورية حتى في أعقاب أعمال التجسس مثل قضية كوهين أو في أعقاب التطورات في مسار الصراع العربي – الصهيوني، التي أخذت شكل حروب، لم يتعرض اليهود في سورية لضغوطات ذات شكل قمعي مباشر أو غير مباشر.

كما أن إثارة مسألة اليهود في سورية، ونظراً لغياب أي ضغط على اليهود في سورية ، اتخذت شكل ضغوطات مارستها جهات خارجية بالتواقت مع الأحداث السياسية ذات الصلة مباشرة بالصراع العربي – الصهيوني، في الأوضاع الاجتماعية من شاكلة زواج الفتيات اليهوديات السوريات، مدخلاً ملائماً لتسييس مسألة يهود سورية ولكن بشكل محدود.

وتجدر الاشارة إلى أن عودة بعض اليهود السوريين إلى البلاد من بلاد المهجر وخاصة الولايات المتحدة الأميركية، شكل ميزة ليهود البلاد، ومؤشراً على غياب أي دوافع سياسية لهجرتهم في فترات مختلفة من الزمن. وفي الآن ذاته مؤشراً على ضعف تأثير الأفكار الصهيونية على يهود سورية.

يهـود لبـنان

يتمايز يهود لبنان عن يهود سورية، بكون غالبيتهم قدموا من اسبانيا في نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر، حيث استوطنوا دير القمر، وعين داره وعين زحلتا والمختارة وراشيا وجزين. وفي منتصف القرن التاسع عشر كانت الطائفة اليهودية في بيروت تتالف من (٨٠) عائلة مجموع أعضائها (٥٠٠) يهودي. وجميعهم سفارديون يتكلمون العربية والعبرية. ويعملون تجاراً. وللطائفة كنيس ومدرسة وتلمود وتوراة. وكان في جبل لبنان ودير القمر طائفة يهودية تتكون من (٣٠٠) يهودي ولهم كنيس واحد يعملون في الزراعة. (٦٧) وحسب إحصاء عام (١٩٤٤) كان عدد يهود لبنان (٦٢٦١) يهودياً، ازداد بعد قدوم المهاجرين اليهود من سورية عام (١٩٤٧) حيث بلغ عددهم آنذاك (١١) الف يهودي. (٦٨) وبعد عدة عقود من الزمن، أعقبت حرب فلسطين (١٩٤٨)، وتحديداً في العام (١٩٧٤) قدر عدد اليهود في لبنان بحوالي (١٨٠٠) يهودي، ما لبث ان انخفض إلى حوالي (٤٠٠) يهودياً، ويعود ذلك لنشوب الحرب الاهلية اللبنانية. ورغم أن اليهود في بيروت كان يعيشون في جميع أنحاء العاصمة إلا ان اكثرية من تبقى منهم سكنت منطقة وادي ابو جميل. (٦٩) وقد وصل عدد يهود لبنان في عام ١٩٨٦ إلى (٥٠) يهودياً فقط، تواجدوا في بيروت «الشرقية» وجزين. (٧٠)

ورغم قلة عدد يهود لبنان إلا أن اسرائيل ادعت أن اليهود تاثروا سلباً بالحرب الأهلية اللبنانية، إذ ذكرت صحيفة «عل همشمار» الصادرة يوم ٦/٣/١٩٨٦ أن الحكومة الاسرائيلية دعت الامم المتحدة إلى القيام بعمل فوري من أجل منع اختطاف وقتل اليهود في لبنان، وان بنيامين نتنياهو، مندوب اسرائيل لدى الامم المتحدة آنذاك– وزعيم الليكود حالياً– قال في رسالة له وجهها إلى السكرتير العام للامم المتحدة : «أن اسرائيل تحتفظ لنفسها بحق معاقبة المسؤولين عن هذه الجرائم» . (٧١) وحالياً لا يعتقد ان هناك اي يهودي في لبنان.

* أوضاعهم الاجتماعية

ولجهة أوضاعهم –يهود لبنان– وحقوقهم المدنية والدينية فقد ضمن الدستور

اللبناني لعام (١٩٢٦) لليهود الحقوق الكاملة كمواطنين لبنانيين. وفي العام (١٩٣٦) أصدر المندوب السامي الفرنسي في شهر نيسان من ذلك العام قانوناً شاملاً يحدد وضع الطوائف الدينية، وعلى أساسه يتولى إدارة شؤون الطائفة في لبنان المجلس الملي المكون من رئيس و(١٢) عضواً ينتخبون من قبل جمعية عمومية تتألف من كل أعضاء الطائفة. وتجري انتخابات المجلس مرة كل سنتين. وحسب التقليد المتبع يكون الحاخام رئيساً للطائفة ويمثلها أمام الحكومة. (٧٢)

أما لجهة مواقف يهود لبنان من الصهيونية، فتذكر المصادر التاريخية الحديثة أنه بعد عام (١٩٤٥) اتخذت الحكومة اللبنانية اجراءات مشتركة مع الحكومة السورية لوقف النشاط الصهيوني. وقد اشتبه بأمر منظمات الشباب المكابي و«بن تسيون» -Ben Zion- التي تعمل على تهريب اليهود إلى فلسطين والاشتراك في نشاطات صهيونية. وقد استنكر يهود لبنان النشاط الصهيوني وعبر عن ذلك عام ١٩٤٥ المجلس المحلي في ذكرى وعد بلفور. وأكد ولائه للبنان. وبالمقابل قال شارل مالك أمام مجلس الأمن الدولي في ١٩٤٨/٦/٢٠ أنه لن يحدث شيء ليهود البلاد العربية بمن فيهم يهود لبنان، طالما ظلوا على ولائهم لوطنهم ودون أن تكون لهم علاقة بصهيوني فلسطين.(٧٣)

بخلاف أوضاع اليهود في سورية، فإن المتغيرات التي طرأت على أوضاع يهود لبنان، أثرت بشكل كبير على أوضاع يهود لبنان وقد زاد من عدم استقرار أوضاعهم تعرض البلاد لحالة تمايز طائفي- أثني حادة، دفعت بيهود البلاد نحو الهجرة، والاستجابة بشكل من الاشكال للنشاط الصهيوني السري والعلني أحياناً، وبالتالي الهجرة نحو فلسطين المحتلة.

كما نشير أن تمتع البلاد بحالة من الاستقرار في فترات زمنية مختلفة شكل بيئة جاذبة ليهود سورية للهجرة إلى لبنان وليس إلى فلسطين وهذا يشير بدرجة من الدرجات إلى ضعف تصهين يهود كل من لبنان وسورية في الآن ذاته.

يهــود فلســـطين

قبل الحديث عن يهود فلسطين، لابد من عرض تاريخي موجز لماهية البلاد التي تمحور حولها اصل الصراع العربي– الصهيوني، نظراً لما روجه الصهاينة من ادعاءات زائفة حول فلسطين أو مادعوه بـ« أرض الميعاد »، تلك الادعاءات التي شكلت أداة جذب ناجحة بيد الصهيونية في استجلاب اليهود من شتى بقاع العالم لاقامة ما دعي بـ« الوطن القومي ».

بداية نشير إلى ان اسم فلسطين مستمد من الفلسطينيين الذين عاشوا في الرقعة الساحلية الجنوبية للبلاد في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وتدل المصادر التاريخية على أن هذه البلاد كانت آهلة بالسكان، وان قاطنيها الأوائل كانوا قبائل من أشباه الرحل. بيد أنه في حوالي القرن العشرين قبل الميلاد، شرع الكنعانيون يستوطنون في السهول والبقاع الساحلية، فانشأوا مدناً وقرى، واخذوا يعنون بتنمية ثقافتهم الخاصة. وتروي التوراة ان هذه البلاد كانت تسمى « أرض كنعان »، وعلى ماورد في سفر « العدد » ٣٤ : ١و٣٥ : ١٠، او « بلاد الكنعانيين » على ماورد في سفر « الخروج » ٣ :١٧ . كما نشير إلى ان الاسرائيليين ليسوا اول من سكن فلسطين، بل كانوا غزاةً. وعندما غزت القبائل الاسرائيلية أرض كنعان في القرن الثاني عشر قبل الميلاد بعد خروجها من مصر، صادفت هناك اهلاً قاطنين، وثقافة قائمة. وكان من جملة سكان البلاد في ذلك الحين: الكنعانيون والجبعانيون والفلسطينيون. ولم يحدث قط ان أذعن الفلسطينيون إذعاناً كاملاً إذ انهم استبقوا سيطرتهم مفروضة على سهولهم الساحلية الواقعة على طول البحر المتوسط.

وبعد قرون عدة وبعد السبي البابلي، وتعاقب الاشوريين والبابليين على البلاد، ثم احتلالها من قبل الفرس، وهم الذين سمح ملكهم في عام (٥٣٨) ق.م بعودة اليهود المسبيين، ومجيء الاغريق والرومان في إثر الفرس، وبعيد انقلاب اليهود على الرومان، دمر تيطس اورشليم في عام (٧٠)م. وقمع مدريان الفتنة الأخيرة في سنة (١٣٢)م. ويبدو أن اليهود في يهوذا نفسها قد اندثروا، وإن عاش فريق منهم بعد ذلك في الجليل.(٧٤)

وبالمقابل فإن الرؤية أو « السر اليهودي » لعلاقات اليهود بأرض فلسطين يأخذ

منحى آخر، وينم عن اتجاهات وادعاءات مغايرة، تحاول في مجموعها فبركة مسألة «الأرض التوراتية»، وما ينبثق عنها من «حق الهي» توراتي. ومنها يذكر ابو شقرا السرد التالي:

يبدأ السرد التاريخي الذي يربط اليهود هويتهم فيه مع فلسطين بوصول ابراهيم عليه السلام إلى أرضها وما يذكره التاريخ أن ابراهيم آرامي سامي ولد في مكان ما من العراق، وقد انتقل بقومه بعد مناداته بالتوحيد إلى حران (شمال سورية وجنوب تركيا اليوم) ومنها إلى أرض كنعان أي فلسطين. وبعدما اضطرته ظروف القحط للهجرة مؤقتاً الى مصر فإنه عاد إلى فلسطين حيث عاش أيامه المتبقية وتوفي في حبرون (الخليل).

في الخليل، اشترى ابراهيم مغارة المكفيلة، وكانت في طرف حقل له، من الحثي عفرون بن صوحر ليدفن فيها أهله. ويبدو من هذه الواقعة أن عدداً من الشعوب منها الحثيون كانوا يعيشون في بقاع مختلفة من هذه الأرض. كما يذكر سفر التكوين (أول أسفار التوراة) أسماء عدة قبائل لعلها كنعانية أو عمورية استقرت في المنطقة.

وتمضي رواية ابراهيم ونسله فوق أرض الكنعانيين، ويحمل الحفيد يعقوب ابن اسحق اسم «اسرائيل» فيتجنب انتقام أخيه عيصو «العيص». ويخلف يعقوب بعد وفاته ١٢ من أبنائه انتشروا فيها، إلا أن يوسف توفي في مصر وحملت رفاته إليها -مع الخروج الموسوي- حيث دفنت.

عند هذه النقطة، ليس هناك ما يشير إلى أن القبائل المتحدرة من الأبناء احتكرت الأرض، وهنا فاصل زمني تاريخي غامض، فعلاقة موسى بيوسف غير واضحة تماماً، ويذهب سوسة إلى حد التأكيد انه ليس إلا رجلاً مصرياً أمن بالتوحيد، ولا علاقة له البتة بنسل يوسف. والمغزى المعنوي المهم هنا أن موسى لم يطأ أرض فلسطين مطلقاً بل رمقها من بعيد على جبل نبو في أرض مؤاب (أي من شرق الاردن) قبالة أريحا. (راجع المسعودي وأوسبل وسوسة).

في فلسطين أيضاً، تمضي الرواية اليهودية عبر عهد القضاة والنبي صموئيل، ثم الملك شاول («طالوت» في القرآن الكريم)، ثم داوود و«الهيكل» ومن بعده سليمان، ومن ثم انقسام مملكة سليمان إلى مملكتي يهوذا وعاصمتها القدس في الجنوب، واسرائيل وعاصمتها السامرة (سبسطية) في الشمال، حتى السبي

البابلي وتدمير الهيكل.

وبعد سقوط بابل بيد قورش الملك الاخميني الفارسي، منح اليهود في بابل خيار العودة إلى فلسطين فعاد بعضهم واقام خصوصاً في القدس، واكتمل بناء الهيكل الثاني في عهد الملك الفارسي دارا (داريوس) الأول عام ٥١٥ق.م.

وفي أعقاب فترة استقرار نسبي ابان الحكم اليوناني السلوقي في الشرق الادنى اهتزت العلاقات، وشوه انطيوخوس الرابع ابيفانيس حاكم سورية السلوقي الهيكل وفرض على اليهود العودة إلى الوثنية بعد ضربه ثورة الحشمونيين. ولم يطل الزمن حتى عاد اليهود إلى الثورة بقيادة المكابيين. فنجحوا مرحلياً وعرفت فترة سيطرتهم على أمورهم بالعهد المكابي بين عامي ١٦٦ و٣٧ ق.م.

بعد أفول شمس اليونان دخلت فلسطين تحت عباءة الرومان، وتقلبت في فترة حكمهم أوضاع اليهود، وبعدما أعادوا بناء الهيكل للمرة الثانية في عهد هيرودوس اضطربت الاحوال بين عامي ٤٤ و٦٦م وحصلت ثورات أخضعها بالقوة تيطس ابن الامبراطور فسباسيانوس، فخرب القدس وذبح أهلها ودمر الهيكل للمرة الثالثة عام ٧٠م وأزيلت معالمه عن الوجود، وقضى على مؤسساتهم الذاتية بما فيها «السنهدرين» الذي انتقل على الأثر إلى بلدة يبنة قرب يافا ومن ثم إلى طبرية وثار اليهود مرة أخرى بقيادة باركوخبا بين ١٣٢ و١٣٥م، فتصدى الرومان للثورة وأخضعوها وقضوا نهائياً على النفوذ السياسي في فلسطين حتى نشوء الحركة الصهيونية، (راجع سيسيل روث «الموسوعة اليهودية الموجزة»/ نيويورك/ ١٩٨٠، وسوسة وأوسوبل). (٧٥)

في حين يذكر «هنري كتن» أن اليهود لم يندمجوا في العرق «السلالي» الذي تكون منه أهل فلسطين الأصليون، وإنما كانوا مجرد طائفة صغيرة، وابتداءً من القرن الأول إلى القرن العشرين، كادت شافة اليهود تستأصل وهم في فلسطين. وعلى أن اليهود كانوا يشكلون العنصر الاساسي للسكان، فإنهم قد اختفوا إلى حد كبير بعد حروب سنة (٧٠)م وسنة (١٣٥)م . ويروي بنيامين التوديلي، وهو حاج يهودي زار الأرض المقدسة نحو ١١٧٠ – ١١٧١م أنه لم يصادف في كل فلسطين إلا (١٤٤٠) يهودياً، بينما صادف نحمان جيروندي في عام (١٢٦٧) عائلتين يهوديتين لا غير في القدس» . وإلى أن هلّ القرن التاسع عشر، لم يزد عدد السكان اليهود في فلسطين إلا قليلاً جداً، فكان عدد اليهود في فلسطين في أوائل

القرن التاسع عشر ثمانية آلاف، فصاروا أحد عشر ألفاً في عام (١٨٤٥). ولم يتجاوز عددهم عشرين ألفاً عام (١٨٨٠). وفي عام (١٩١٨) بلغ عدد اليهود (٥٦) ألفاً. وعند صدور تصريح بلفور في عام (١٩١٧) كان اليهود يمثلون أقل من (١٠٪) من مجموع سكان فلسطين. (٧٦) وتشير مصادر تاريخية إلى أنه يوم وقّع بلفور كتابه إلى روتشيلد كان اليهود يؤلفون بين (٧٪) و(٨٪) فقط من سكان فلسطين. (٧٧) وحتى هذا التاريخ (صدور وعد بلفور) نتوقف عن عرض واقع يهود فلسطين الذين لم يعانوا حتى عام (١٩١٧) أي تمييز تحت ظل الدولة العثمانيةوقبل ذلك الحكم الاسلامي للبلاد. فقد عاشوا ضمن عدة مدن، اعتبروها ذات صفة دينية أو مقدسة لديهم لأسباب لاهوتية هي:

القدس والخليل وصفد وطبرية، ويعود سبب توقفنا أن تاريخ وعد بلفور يشكل محطة فاصلة في التمييز بين يهود فلسطين الأصليين - العرب - واليهود الغربيين الذين قدموا من أوروبا وغيرها من بقاع العالم. والأهم من ذلك وربما الأدق القول أن عام (١٩١٧) شكل بداية لاندلاع الصراع بشكل سافر في فلسطين وفي الآن ذاته تبلور التجلي الأول للصراع العربي- الصهيوني.

استعراض أوضاع يهود فلسطين في عصور تاريخية مختلفة، وصولاً إلى أواسط العقد الثاني من القرن العشرين، يدعو للاعتقاد أن يهود فلسطين، رغم فترات استقرارهم القليلة والقصيرة زمنياً في فلسطين لم يشكلوا غالبية سكان البلاد. كما أنهم اتخذوا من فلسطين محطة في طريقهم نحو بلاد أخرى.

كما أن استقرار بعض اليهود في فلسطين، أو قدوم بعض اليهود خارج فلسطين للاستيطان فيها بشكل سلمي تم لدوافع دينية صوفية بحتة جعلتهم يتمركزون في أحياء محددة من بعض مدن فلسطين ولاسيما القدس والخليل وطبرية وصفد. ولم ينشأ أي جو عدائي مع سكان البلاد سواء المسلمين منهم أو المسيحيين.

ونذكر أخيراً، عدم وجود يهود في الاردن تاريخياً رغم بعض الدعاوى الزائفة التي أثارها الصهاينة وخاصة في أعقاب توقيع اتفاقية وادي عربة الشهيرة.

يهود شبه الجزيرة العربية

لدى عرضنا لأوضاع اليهود في شبه الجزيرة العربية، سنعتمد إلى حد ما التقسيمات السياسية المعاصرة، لذا سنتناول أولاً وبشكل تاريخي أوضاع اليهود في دول الخليج العربي وصولاً إلى عرض أحوال ما تبقى منهم حتى الوقت الراهن. وثانياً سنعرض وبشيء من التفصيل لأحوال يهود اليمن، نظراً لخصوصية أوضاعهم وتمايزها عن أوضاع غيرهم من يهود شبه الجزيرة العربية.

يهود «دول الخليج العربي»

إن تاريخ اليهود في منطقة الخليج العربي أو ما يطلق عليها أحياناً اسم «شمال الجزيرة»، ارتبط في المصادر الاسلامية والعربية بموقفهم العدائي من الدعوة المحمدية، ووصل الأمر بهم إلى الخروج من المدن والمناطق التي كانو يعيشون فيها مثل يثرب (المدينة المنورة) وخيبر وفدك ووادي القرى وتيماء وغيرهما، وتسهيلاً للبحث سنفصل بين يهود شمال الجزيرة الذين توقف تاريخهم بعد اجلائهم في فترة خلافة عمر، وبين يهود جنوبها، أي اليمن وحبان، الذين عاشوا في اليمن حتى وقتنا الحاضر.

منذ القدم -كما هي الحال اليوم- كانت الجزيرة العربية قبلة أنظار العالم بفضل ثرواتها الهائلة. وكان مصدر الثروة الرئيسي في ذلك الوقت البخور، وخصوصاً اللبان والمر اللذين كانا يجمعان من صمغ نباتات تكثر في أرض الجزيرة وكذلك في جزيرة سقطرة اليمنية. وكانت تتسابق للحصول عليها الامبراطوريات والممالك القديمة وفي مقدمتها مصر الفرعونية التي استخدمت هذا الانتاج في التحنيط والدولة الرومانية في المآتم، ويبدو أن اليهود استعملوا اللبان المستورد من جنوب الجزيرة العربية في «الهيكل». (راجع جوردن دارنيل نيوبي «تاريخ يهود الجزيرة العربية منذ القدم وحتى افولهم تحت الحكم الاسلامي»/ مطبعة جامعة ساوث كارولينا/ ١٩٨٨).

ونشطت طرق القوافل في تجارة اللبان والمر والافاوية والمطيبات عبر السنين، وازدهرت المحطات فصارت حواضر ومدناً. وكانت اهم الطرق طريق جنوب الربع الخالي التي تنطلق من عمان وتتجه غرباً (بجنوب غرب) نحو شبوة فمارب فصنعاء. ثم شمالاً إلى نجران وتثليث، والطريق الحجازية التي تربطها شمالاً بمكة

المكرمة فيثرب (المدينة المنورة) فديدان (العلا) فحجر (مدائن صالح) ومنها طريق إلى تيماء وأخرى إلى تبوك فسنع (البتراء) فالشام.

نيوبي يتطرق إلى نظرية كارل بيكير التي تزعم أن استئناس الجمل واتخاذه وسيلة نقل أديا إلى تحول العرب من حالة الحضر إلى حالة البدو أو الوبر، إلا أنه يستدرك فيقول أنه رغم ذلك ظلت هناك حواضر مدينية في عدة انحاء من الجزيرة، مثل مكة والمدينة وصنعاء والطائف وغيرها.

ويطول البحث في التاريخ العربي القديم، ومصير «العرب البائدة» ومنها العماليق في مدين (شمال الحجاز)، وتتعدد الروايات حول دخول اليهودية المنطقة. لكن الأصبهاني في « الأغاني » ينقل أن أول من سكن المدينة (يثرب) قبل يهودها هم العماليق، ويزعم الأصبهاني في روايته أن موسى أرسل جنده إلى المدينة حيث قضوا على العماليق، واستقروا فيها، ويتابع بني قريظة وبني النضير جاؤوا إلى المدينة في وقت لاحق بعد اخضاع الروم لليهود.

ويؤيد ياقوت رواية الاصبهاني حول سكن المدينة ، فيقول « .. وكان أول من زرع بالمدينة واتخذ بها النخل وعمر بها الدور والأطام واتخذ بها الضباع العماليق وهم بنو عملاق بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام.. ونزلت اليهود بعدهم في الحجاز وكان سبب نزول اليهود بالمدينة أن موسى بن عمران عليه السلام، بعث إلى الكنعانيين حين أظهره الله تعالى على فرعون فوطيء الشام وأهلك من كان منهم ثم بعث بعثاً آخر إلى الحجاز إلى العماليق وامرهم ان لا يستخدموا أحداً ممن بلغ الحلم إلا من دخل في دينه، فقدموا عليهم فقاتلوهم فاظهرهم الله عليهم فقتلوهم وقتلوا ملكهم الأرقم واسروا ابناً له كاحسن من رأى في زمان فضنوا به عن القتل وقالوا: نستححيه حتى نقدم به على موسى فيرى فيه رأيه، فاقبلوا وهو معهم وقبض الله موسى قبل قدومهم فلما قربوا وسمع بنو اسرائيل بذلك تلقوهم وسألوهم عن أخبارهم فاخبروهم بما فتح الله عليهم، قالوا فما هذا الفتى الذي معكم؟ فاخبروهم بقصته، فقالوا: ان هذه معصية منكم لمخالفتكم أمر نبيكم، والله لا دخلتم علينا بلادنا أبداً، فحالوا بينهم وبين الشام، فقال ذلك الجيش : ما بلد إذ منعتم بلدكم خير لكم من البلد الذي فتحتموه وقتلتم أهله فارجعوا اليه، فعادوا إليه فأقاموا به فهذا أول سكنى اليهود الحجاز والمدينة، ثم لحق بنو الكاهن بن هارون، عليه السلام، فكانت لهم الاموال والضياع بالسافلة / والسافلة ما كان في أسفل المدينة إلى أحد، وقبر حمزة والعالية ما كان فوق المدينة إلى مسجد قباء وما إلى ذلك إلى مطلع الشمس، فزعمت بنو قريظة أنهم مكثوا زماناً ثم أن الروم

ظهروا على الشام فقتلوا من بني اسرائيل خلقاً كثيراً فخرج بنو قريظة والنضير وهدل -ورري بهدل- هاربين من الشام إلى الحجاز ليسكنوا معهم . . » (راجع : « معجم البلدان »)

بجانب القبيلتين الكبيرتين « الكاهنتين » قريظة والنضير عاشت في المدينة قبائل يهودية أخرى أشهرها بنو قينقاع الذين عرفوا بالتجارة وكانت لهم في المدينة سوق عامرة، وبنو ثعلبة وبنو الفصيص وبنو زيد وبنو محمر وبنوبهدل وبنو عوف وبنو عكرمة . وهي القبائل التي هادنت الرسول ﷺ عندما جاء إلى المدينة (راجع : الواقدي « كتاب المغازي) ، وخارج المدينة اشتهر من يهود الجزيرة الشاعر السموأل (صموئيل) بن غريض بن عادياء الأزدي، صاحب حصن « الابلق » في تيماء (راجع : الزركلي « الاعلام ») ، وهو الذي اشتهرت قصيدته التي يقول فيها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه   فكل رداء يرتديه جميل

وبعد الهجرة النبوية يصبح تاريخ يهود المدينة جزءاً من تاريخ فجر الاسلام . ولا سيما بني قينقاع ثم بني النضير وغزوة بني قريظة وحكم سعد بن معاذ فيهم في اعقاب نكثهم العهد ابان غزوة الخندق، ثم غزو خيبر، وانتقال ما تبقى من اليهود منها ومن فدك ووادي القرى إلى اذرعات فالشام .

وكان في هذه الحقبة من رجال اليهود المؤثرين على سير الاحداث حيّي بن اخطب النضري، وكعب بن الأشرف الشاعر، وسلام بن مشكم سيد بني النضير، وكعب بن أسد زعيم بني قريظة، وأبو رافع سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وعمرو بن جحاش وهودة بن قيس . (راجع : الواقدي وابن اسحق « السيرة النبوية » وابن هشام « سيرة الرسول ») . (٧٨)

يهود البحرين

وفي العصور الحديثة لم يتواجد اي يهود فيما يعرف راهناً بالمملكة العربية السعودية، لكن تشير بعض المصادر إلى وجود بعض اليهود في كل من البحرين والكويت . ففي نهاية عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر يذكر انه استقرت طائفة يهودية في البحرين ،كان عدد أعضائها عام (١٩٤٨) يقدر بـ (٤٢٢) يهودياً . وتعود في اصلها إلى العراق وبلاد فارس والهند . ويذكر أيضاً أنه في أعقاب قرار تقسيم فلسطين حدثت تظاهرات في البحرين، وهوجم فيها بعض اليهود . وقد بلغ عدد اليهود في البحرين عام (١٩٥٦) حوالي (٤٠٠) يهودي انخفض هذا الرقم في اعقاب حرب (١٩٦٧) إلى (١٥٠) يهودياً . (٧٩) وتفيد

آخر المعطيات أن عدد يهود البحرين هو (٤٠) يهودياً. يمارسون بعض الأنشطة التجارية، فعلى سبيل المثال، إن شركة البحرين المالية يمتلكها اليهودي عزرا نونو رئيس مجلس إدارة الشركة التي تعتبر إحدى أكبر شركات الصرافة الأجنبية في البحرين الذي يعبر عن انتمائه بقوله: «إننا يهود ولكننا عرب ولا أرى أية مشكلة في كوني يهودياً أعيش في البحرين، وأننا نعتقد أنه لا يصح أن نزور اسرائيل بينما يوجد توتر بينها وبين الدول العربية، إننا لا نشعر أنه من الضروري أن نعيش هناك كما أنه يجب على اسرائيل ألا تتجاهل حقوق الفلسطينيين. (٨٠)

يهود الكويت

أما يهود الكويت، فهم عبارة عن بضعة عائلات قدمت إلى الكويت من العراق في أواخر القرن التاسع عشر . وقد وصل عددها حتى (١٠٠) عائلة وقامت ببناء كنيسين في مدينة الكويت. ومعظم يهود الكويت رجال أعمال، عاد بعضهم إلى العراق وبعضهم الآخر هاجر إلى اسرائيل ومنهم خاصة الموسيقيان الشقيقان صلاح وداوود الكويتي اللذين اشتهروا في فترة من الوقت في كافة انحاء الشرق الأوسط. وحسب معطيات المصادر الاسرائيلية التي أكدها المستشرق الاسرائيلي البرفيسور «اسحق أفيشور»، فيوجد حالياً في الكويت أربع عائلات يهودية، لم يعرف شيئاً عن مصيرها في أعقاب حرب الخليج الثانية. (٨١)

يهود اليمن

لدى البحث في أصول يهود اليمن، هنالك صعوبات تكتنفها دعاوى باطلة ومغرضة، من شاكلة الادعاء بوجود صلة رابطة بين اليهود اليمنيين واليهود العبرانيين. كما هنالك معلومات مختلفة حول فترة بدء تواجدهم في اليمن، فبعض الكتاب العرب ينبهون إلى الخطأ القائل بأن يهود اليمن قدموا من خارج الجزيرة لعوامل كان مجملها هجمات الرومان على بلاد الكنعانيين عام (٧٠) م، لأنهم قدموا أصلاً من الجزيرة العربية إلى فلسطين وجنوبها وفي يثرب، وذلك قبل الاسلام، وقبل محمدﷺ وحروبه المعروفة مع الأوس والخزرج الذي هزمهم بجند الغساسنة الذين لبوا نداء رسول الله ﷺ لهذه المهمة. (٨٢) ومن الثابت أن يهود اليمن هم من أقدم يهود العالم على الاطلاق وأنهم كانوا موجودين في اليمن قبل تحطيم الهيكل الأول في القدس عام (٥٨٦)ق.م كما كانت اليمن ملاذهم حتى هاجروا إليها بعد غزو الامبراطور الروماني تيتوس لفلسطين عام (٦٣) ق.م

وتدميره معبد القدس (أورشليم) للمرة الثانية عام (٧٠) ق.م وطرد اليهود منها.(٨٣)

ونشير إلى أن اليهود في اليمن يدعون نسبتهم إلى أصول هؤلاء الذين رافقوا ملكة سبأ عند عودتها من زيارة الملك سليمان «لكن الثابت تاريخياً وجود طوائف يهودية كبيرة في اليمن منذ القرن الثالث الميلادي، حيث كانت أحوال اليمن مزدهرة ولليهود نفوذ كبير فيها حتى لقد نجحوا في تحويل كثيرة من قبائل جنوب الجزيرة العربية إلى اليهودية. وقدر عدد السكان اليهود خلال القرون الستة الأولى للميلاد بـ(٣) آلاف نسمة. (٨٤) بينما يشار إلى أن عدد هم بلغ في بداية القرن التاسع عشر، (٣٠) ألفاً، معظمهم في مدينة صنعاء، بينما يذكر (Y.Zemach) أن عددهم عام (١٩١٠) كان (١٢,١٠٦) يهودياً. ويذكر أمين الريحاني بعد زيارة له لليمن عام (١٩٢٢) أن عدد يهود اليمن (٢٠) ألف يهودي، وقدر عددهم قبل عام (١٩٤٨) مابين (٦٠) ألف إلى (٧٠) ألف يهودي. (٨٥)

اما المصادر البريطانية فتشير إلى ان عدد يهود عدن عام (١٩٤٧) بلغ (٨٥٠٠) يهودياً. لكن اليهود الذين هم من اصل الطائفة في عدن لا يتجاوز عددهم (٤٧٠٠) يهودياً. ويتمركزون في حي كريتر « Crater » (٨٦). وحسب إحصاء رسمي يعود لعام (١٩٥٥) قدر عدد يهود عدن بـ(٨٣١) يهودياً. وظلت في عدن حتى عام (١٩٦٥) حوالي (٣٨) عائلة يهودية يبلغ عدد اعضائها (٤٠٠) يهودياً. وهبط هذا العدد في أعقاب حرب (١٩٦٧) إلى (١٥٠) يهودياً (٨٧)

وحسب مصادر أخرى حول يهود اليمن وتعدادهم وأوضاعهم الحياتية. كان اليهود ينتشرون في ربوع اليمن كغيرهم من المواطنين دون خصوصية معينة فمنهم من سكن القرية ومنهم سكن الحي أو حارة من مدينة ففي صنعاء العاصمة التاريخية لليمن (مثلاً) كان معظمهم يقطن في « قاع اليهود » ضمن ساحة غرب العاصمة وتعرف اليوم بقاع العلفي وفي « حاشد » سكن اليهود في عدة مناطق خاصة في ناحية ظليمة وفي جانب من المداير وجانب من مدينة حبور كذلك سكنوا في مدينة اب في « حارة الجائة » شرق جنوب المدينة. وفي « السياني » سكن اليهود في قرية خاصة بهم اسمها الجدس وفي جبلة على بعد ٢٠ كيلومتراً من مدينة اب وسكن اليهود حارة المكعدد.

وفي قضاء النادرة سكنوا قرية مجاورة اسمها « حجزان » وكان يشاركهم فيها بعض المواطنين المسلمين، وفي عدن كان معظمهم في حي كريتر وفي حضر موت

كان يوجد عام ١٩٢٢م في منطقة حبان وحدها ٧٠٠ يهودي.

وقد كان يهود اليمن يعيشون حياتهم الآمنة ويتابعون أنشطتهم في مختلف المجالات، ولم تغريهم الهجرة إى الأرض المحتلة رغم أن مدينة عدن كانت مفتوحة ومشجعة للهجرة منها وإليها ومن جميع أجناس مجتمعات العالم دون رادع أو تحديد اللهم إلا المصالح الاستعمارية البريطانية وفي مقدمتها أمن البريطانيين المستعمرين وجنود الاحتلال وفي احصاء قامت به السلطات البريطانية عام ١٩٥٥ اتضح أن عدد اليهود الموجودين في عدن هم فقط ٥,٠٠٠ يهودي حسب احصاء عام ١٩٥٥ كما يلي:

- يمانيون من أبناء عدن ٣٦,٩١٠ نسمة.
- يمانيون من أبناء الشمال ٤٨,٠٨٨ نسمة.
- يمانيون من ريف الجنوب ١٨,٠٠٠ نسمة.
- صوماليون ١٠,٦١١ نسمة.
- هنود باكستان ١٥,٨١٧ نسمة.
- بريطانيون ٩,٧٦٢ نسمة.
- يهود ٥,٠٠٠ نسمة.
- من أقطار عربية مختلفة ٠,٧٢١ نسمة.
- أمريكيون استراليون ومن فورموزا (الصين الوطنية) ٦٠٠١٠ نسمة.

بينما قدرت مؤسسة الشؤون اليهودية في لندن (يونيو- حزيران) عام ١٩٦٧ عددهم قبل عام ١٩٤٧ بسبعة آلاف نسمة وأكد تقرير لجنة التحقيق بحوادث عدن في ٢/١٢/١٩٤٨م عددهم بـ ٨,٥٠٠ نسمة.

وقد كانت الجالية اليهودية في عدن عام ١٩٤٧ من أهم الجاليات نفوذاً وذلك بسبب تغلغلهم في الحياة الاقتصادية ونشاطهم في مجال تهريب العملات الصعبة والذهب المصقول من وإلى الأرض المحتلة وغيرها وقد هاجر منهم العديد خصوصاً بعد تشجيع الصهيونية وقيام مندوبيها ببعض الأعمال التخريبية في متاجر عدن التابعة لليهود.

وقد كان الشباب اليهود يتمكن تحت الاحتلال البريطاني من الانتقال متى شاء بين عدن و/ فلسطين/ بل إن الشباب اليهود كانوا يذهبون إلى الأرض المحتلةلأداء الجندية العسكرية والتدريب على أعمال الشغب والتجسس ويعودون إلى عدن، وقد انتشر السماسرة اليهود وتواجدت البضائع الاسرائيلية وتواجد مندوبو الشركات الصناعية والتجارية الاسرائيلية كما وجد في عدن فرع لصندوق الجباية

اليهودية ونشط اليهود فيها في مجال تجارة الخمور والصياغة وبيع الجنس الذي انتشر بصورة مذهلة في مدينة عدن تحت الاحتلال البريطاني الذي شجع حتى الشذوذ الجنسي وكان له مجاله في دكاكين عدن وشوارعها الراقية وفي بعض خيمها وبيوتها الخشبية التي كانت تنصب لهذا الغرض. (٨٨)

وحول التنظيم الطائفي لليهود، ففي فترات سابقة سمح لهم انتخاب ممثليهم وكانوا اثنين من المسؤولين : أولهما، يسمى (Nasi) نسيء، وهو رجل من ذوي الثروة والعلم يمثل طائفة لدى السلطات والثاني هو (Mori) يجمع بين مهام الحاخام والقاضي والمعلم وجامع الضرائب. ويذكر أن هذه الطائفة تعتمد في دخلها على ضريبة الملح وتسمى (Gabella). (٨٩)

اما لجهة موقف اليهود في اليمن من الصهيونية، فيذكر أن يهود عدن أعلنوا عام (١٩٤٧) اضراباً شاملاً مع زعماء عدن وخرجوا بتظاهرات ضد الصهيونية وتاييداً لعرب فلسطين وخلالها تحت مهاجمة حي كريتر والشيخ عثمان. وحسب تقرير بريطاني صدر آنذاك، فقد قتل في تلك التظاهرات (٨٢) يهودياً وجرح (٧٦)، كما قتل من العرب (٣٨) وجرح (٨٧). بينما يدعي تقرير يهودي أن تلك الحوادث كانت مدفوعة بعوامل اقتصادية لرزاحة النفوذ الذي تحتله الطائفة اليهودية هناك. إذ أن عائلة (Messa) اليهودية كانت تحتكر تجارة البن إلى الحد الذي دعي افرادها بـ« ملوك القهوة » في عدن. (٩٠)

وخلال العقد المنصرم من الزمن، تمركز يهود اليمن في الشطر الشمالي من اليمن في مناطق صعدة، عزاز، الصحن، دمانة والأملاح. وبلغ تعدادهم (٣) آلاف يهودي. عملوا في مهنة الصياغة بشكل اساسي، وفي مهنة التجارة والبناء المعماري والزراعة. وكانوا يمارسون طقوسهم الدينية في كنيسين :أولهما موجود في منطقة صعدة، والثاني في منطقة الصحن. (٩١)

وتفيد معطيات السنوات الأخيرة أن عدد اليهود المتواجدين في الشطر الشمالي يتراوح ما بين (٣٠٠) و(٤٠٠) يهودي– حسب مصادر يمنية– بينما تقدر مصادر اخرى عددهم بـ(٢٠٠٠) يهودي. (٩٢) وتفيد مصادر أخري إلى أن العدد الحقيقي ليهود اليمن هو (٩٠٠) يهودي. (٩٣) وهبط هذا الرقم إلى حوالي (٥٠٠) يهودي حسب اقوال موسى خوباني احد زعماء يهود اليمن. (٩٤)

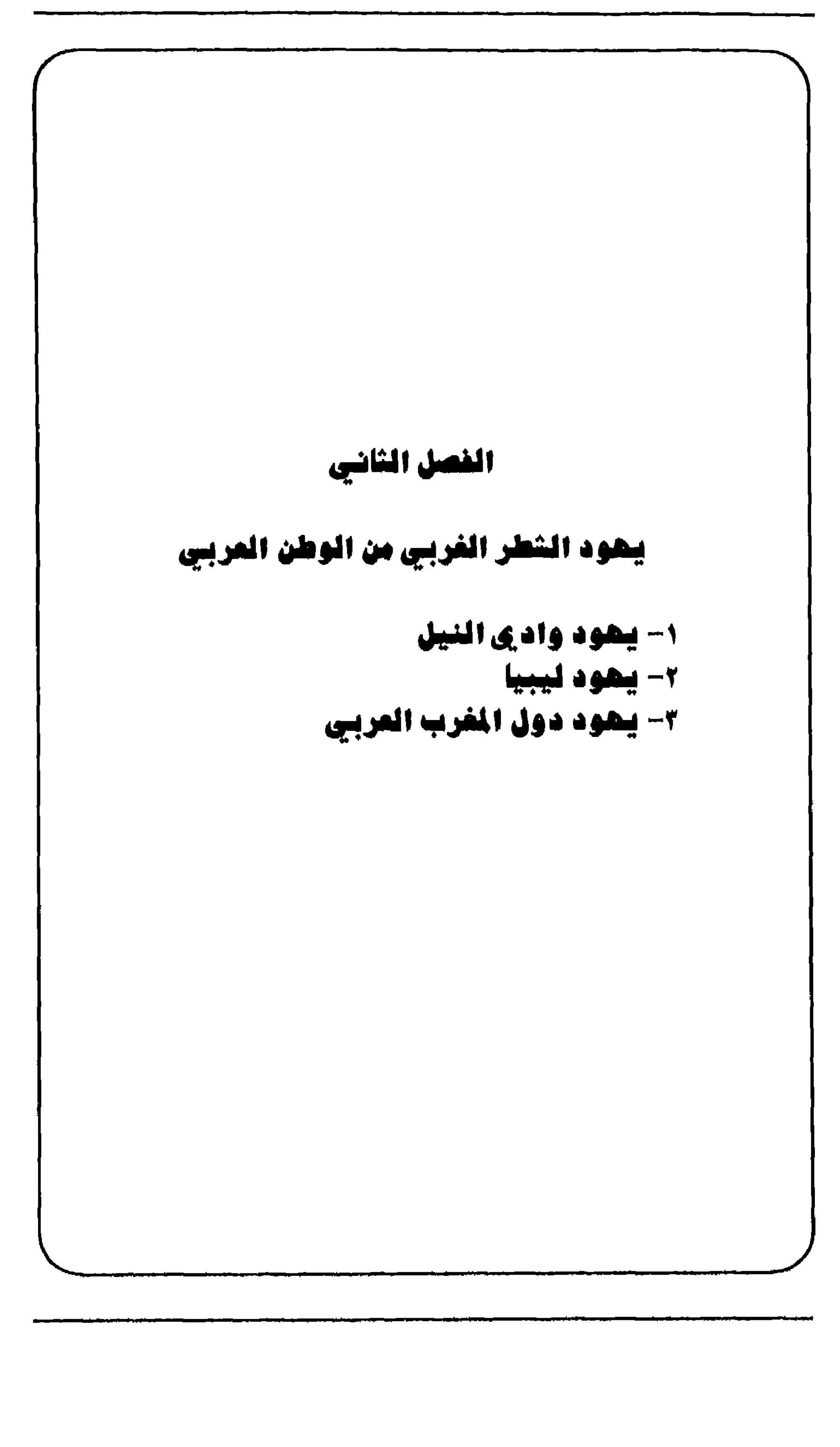
لدى عرض أوضاع اليهود في دول الخليج العربي واليمن، نجد أن هنالك غياباً لتجمعات يهودية ذات اهمية في دول الخليج العربي، لكن التجمع الأهم لليهود تمثل في تمركزهم في اليمن سواء قبل الوحدة أو بعدها أو خلال فترة الانتداب

البريطاني.

والمؤثرات أو انعكاسات القضية الفلسطينية على أوضاع يهود اليمن بشكل خاص، لم تشكل حاضنة داخلية لهجرة يهود البلاد، بل أن الحاضنة الخارجية والنشاط الصهيوني المنظم منذ أوائل القرن العشرين هو العامل الرئيس في هجرة يهود اليمن نحو فلسطين فهم أول طائفة يهودية في البلاد العربية توجه بعض أفرادها وبنسبة ملحوظة نحو فلسطين، بلغت ذروتها في عملية «بساط الريح» التي سنلقي الأضواء عليها لاحقاً.

* **استنتاجات**

من العرض السابق لمختلف أوضاع اليهود في الشطر الشرقي من الوطن العربي، في عهود مختلفة وصولاً إلى الفترة الراهنة، نجد أن المجتمعات العربية في هذا الشطر وعلى اختلاف الاسس المكونة لتكويناتها الاجتماعية سواء لجهة درجة بساطتها -دول الخليج- أو تعقيدها -العراق، لبنان- لم تشكل حاضنة لعملية هجرة كبيرة نحو فلسطين المحتلة. وأن حالات الحراك الاجتماعي التي كانت بطيئة في غالب الأحوال، تم تسريعها في فترات معينة ونتيجة لتدخلات خارجية، لم تفرز حالات عدائية ضد اليهود. وإن حدثت حالات حراك اجتماعي سريعة أو قسرية في فترة من الفترات، فإن تلك الحالات أثرت على مجموع سكان البلاد وليس اليهود فقط. ولعل حدوث هجرات كبيرة من سكان البلاد إلى الامريكيتين لأسباب اقتصادية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ضمت في غالبها جماعات مختلفة من سكان البلاد ولم تقتصر على اليهود فقط. ولعل وجود جاليات كبيرة من السوريين واللبنانيين في دول أمريكا الجنوبية خصوصاً ودول أمريكا الشمالية عموماً مؤشر واضح على ذلك. ولجهة أوضاع اليهود السياسية ودرجة تعاطفهم وتمثلهم للأفكار الصهيونية الضعيفة عموماً، فإن المقارنة ولو بشكل بسيط بين أعداد اليهود في حي بروكلين واعدادهم في الكيان الصهيوني تعبيراً ودليلاً واضحاً على ضعف علاقتهم بالصهيونية. لكن هذا الأمر لا يمكن سحبه على يهود العراق أو يهود اليمن الذين يشكلون طائفتين كبيرتين نسبياً، راهناً داخل الكيان الصهيوني. إذ أن توجههم نحو الكيان الصهيوني تم بشكل قسري ونتيجة لجهد صهيوني مكثف، لكن هذا لا يعني تماماً أن يهود العراق ويهود اليمن متعاطفين بدرجة كبيرة مع الصهيونية ودعاواها الزائفة، أو أنهم صهاينة بالفطرة ووجدوا في الكيان الصهيوني ملاذاً آمناً لهم.



الفصل الثاني

يهود الشطر الغربي من الوطن العربي

١- يهود وادي النيل
٢- يهود ليبيا
٣- يهود دول المغرب العربي

عند البحث في أوضاع يهود الشطر الغربي من الوطن العربي، نعتقد أن هنالك تمايزاً بين اليهود المصريين لجهة اصولهم، وبين يهود كل من ليبيا واقطار المغرب العربي. كما نجد مساحة واسعة لتمازج اصولهم وتقلب مواقفهم إزاء قضايا المجتمعات التي عاشوا بين ظهرانيها بين آونة واخرى تبعاً لدرجة تدخل العامل الخارجي وتشكيله لعامل عمق في بعض المراحل «نفور» سكان تلك البلاد من اليهود إلى الدرجة التي تم الاعتقاد على اساسها أن ثمة مسألة يهودية في البلاد العربية في هذا الشطر من الوطن العربي. وكي تتضح صورة أوضاع اليهود في تلك البلدان بالوانها المتعاقبة والمتدرجة، يجب البحث في أوضاع اليهود في مصر والسودان -بلاد النيل- على حدة حيث أن اليهود فيها كان لهم تأثير إلى حد ما وتوجه نحو الشطر الشرقي للوطن العربي واهتمام بقضاياه في مراحل مختلفة، بينما خفت توجه وارتباط يهود بلدان المغرب العربي او شمال افريقيا، وكذلك تأثيرهم بتقلبات الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلدان المشرق العربي.

ولجهة التكوينات الاجتماعية في بلدان المغرب العربي المتمايزة عن مثيلاتها في بلدان وادي النيل، يجد الباحثون العرب ان الانقسام والاهتمام هما وجهان متلازمان للوجود او العمران البشري في المغرب العربي.(٩٥) والعلاقة بينهما تتناوب وفقاً للفترة التاريخية، وللعوامل والقوى التي تغلب «الالتحامية» حيناً، واخرى تغلب «الانقسامية» حيناً. ومن اهم تلك العوامل:

١- الاسلام كإطار عقيدي وحضاري توحيدي لكل العشائر والقبائل. والدول او الممالك التي صمدت واستمرت اكثر من غيرها، هي تلك التي نجحت فيها الجماعة الحاكمة باستنفار هذا الاطار العقيدي العام، وجعله اساساً لشرعيتها، كما فعلت الأسرة العلوية في المغرب الأقصى، والتي مازالت تحكم إلى الوقت الحاضر.

٢- الترابط الاقتصادي: فرغم ان كل قبيلة تعتبر وحدة اجتماعية مستقلة او شبه مستقلة، إلا انها ليست كذلك اقتصادياً. فهي عادة ما تحتاج إلى غيرها من القبائل او سكان الريف والمدن للحصول على بعض احتياجاتها الأساسية وهي تلجا للغزو او السطو او النصب في سبيل ذلك. ولكن الوسيلة النمطية الأعم والأكثر شيوعاً كانت، ولا تزال هي، التبادل، اي بيع منتوجاتها (من الأغنام او الأصواف أو التمور) او مقايضتها في مقابل الحبوب والسكر والسلع الأخرى.

لذلك أصبحت الأسواق والتجارة آليات مهمة في ربط القبائل ببعضها البعض، وبالمدن والأرياف. وأصبحت هذه الآليات بشكل متزايد عوامل لزيادة «التحامية» العمران المغربي، كما أصبحت هذه الآليات نفسها إحدى وسائل الضبط الاجتماعي والسياسي في يد السلطة المركزية تجاه القبائل.(٩٦)

تلك السلطة التي أخذت فيما بعد شكل «الدولة المخزنية»، التي دخلت في أزمة طاحنة في القرن التاسع عشر، انتهت بعجزها عن مواجهة الاستعمار الغربي. وأهم عوامل أزمتها تتمثل في فشلها في تطوير الانتاج، وتحديث أجهزتها البيروقراطية ومؤسساتها التعليمية. ومن ناحية أخرى، فإن طبيعة السلطة الباترومونيالية أو الشخصانية، وما صاحبها من شبكة الزعامات المحلية الوسيطة في بلدان المغرب، كانا يعنيان مصادرة الفائض الاقتصادي للتكوينات الاجتماعية المنتجة أولاً بأول -وهم الفلاحون والصناع والحرفيون والتجار- وقد حدّ ذلك بدوره من تبلور هذه التكوينات إلى طبقات اجتماعية متطورة، تستطيع بدورها أن تقود عملية تحديث المجتمع كما حدث في أوروبا.(٩٧)

أما السمة الرئيسية للسلطة السياسية في مصر، عبر العصور، كانت ولاتزال، هي المركزية الشديدة، وسط هيمنتها على كامل الأراضي المصرية، ومجمل المجتمع المصري. وهنا نشير إلى أن أحد لعوامل الحاكمة في تطور المجتمع والدولة في الوطن العربي عموماً هو العامل الايكولوجي، أي نمط التفاعل بين البشر والبيئة الطبيعية (بمناخها وتضاريسها ومواردها بخاصة المائية منها). لقد أطلق المؤرخ اليوناني القديم، هيرودوت، مقولته الشهيرة «مصر هبة النيل» وأطلق المؤرخ المصري الحديث، شفيق غربال، مقولته المضادة «مصر هبة المصريين»، والواقع أن المقولتين معاً صحيحتان ويجمعهما مانسميه بالعامل الايكولوجي، أي التفاعل بين البشر والطبيعة. فمن دون النيل، ماكان لمصر أن تكون مختلفة عما يحيط بها شرقاً وغرباً (الجزيرة العربية وليبيا). ومن دون ما فعلته الجماعة البشرية (التي أصبحت تعرف باسم المصريين) مع هذا النيل، ما كان لمصر أن تكون مختلفة عن العديد من البلدان التي تقع جنوبها ويمر فيها النيل (السودان وأوغندا مثلاً).(٩٨)

يهود وادي النيل

١- يهود مصر

تعتبر العلاقة مابين اليهود ومصر علاقة اشكالية تعود لعصور سحيقة من الزمان، شكلت أساساً لأقاويل ودعاوى مختلفة سواء من حيث مصداقيتها أو عدم ذلك. وهنالك كتابات عديدة حول هذا الموضوع -العلاقة، ومع أن البحث في الجذور التاريخية لوجود اليهود في مصر ليس من مهمتنا، سنشير باقتضاب إلى هذا الموضوع. ففي هذا الصدد يشير الباحث المصري احمد عثمان إلى أنه رغم أن اللقاء بين مصر وبني اسرائيل بلغ ذروته في شخص موسى، إلا أن موسى نفسه هو الذي أصبح بعد ذلك نقطة الانفصال النهائي بين مصر و« اسرائيل ». ومع أن الأجيال التالية سواء من بني اسرائيل أو من المصريين تنكرت لموسى وتخلت عن مبادئه، إلا أن ذكراه عادت من جديد لتحتل مركز الصدارة في مصر و« اسرائيل » معاً.(٩٩) ويعلل احمد عثمان ما سبق بعرضه لسيرة حياة موسى ومواقف المصريين منه بقوله: « ويحكي لنا جوزيفوس المؤرخ اليهودي الذي عاش في القرن الميلادي الأول -نقلاً عن مانيتو المؤرخ المصري الذي عاش قبل ذلك بثلاثة قرون- أن المصريين كانوا يعظمون موسى ويعتبرونه واحداً منهم، ويقولون أنه درس في مدينة عين شمس وكان له اسم آخر هو « أوزارسف » تخلى عنه في ما بعد وسمى نفسه موسى.

ولا عجب في هذا الحال إذا وجدنا إن ما تحاول قصة سفر الخروج اخفاءه عن طفولة موسى هو أكثر مما تسمح لنا بمعرفته. فهي مثلاً تقول أن السبب الذي دفع موسى إلى الهرب إلى سيناء، جاء نتيجة لأن فرعون كان أصدر أوامره بقتله: « فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان ». بينما تقول لنا القصة القرآنية، وتؤكد هذا رواية التلمود. أن سبب هرب موسى كان تآمر بعض عليّة القوم عليه: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين. فخرج منها خائفاً يترقب قال الرب نجني من القوم الظالمين﴾. (سورة القصص، الآية ٢٠)

وتقول قصة التلمود -وهو كتاب التفسير عند اليهود- أن موسى بعد أن قتل

المصري وقبل ان يذهب إلى سيناء، أصبح قائداً للجيوش المصرية وقاد المعارك منتصراً ضد اعداء مصر. ثم أصبح بعد ذلك ملكاً في منطقة في جنوب مصر، ووضع التاج على رأسه بعد ان تزوج الملكة «أدونيت» وحكم «موسى بالعدل والقسطاس». ولكن أهل البلد تآمروا عليه بعد ذلك، فاضطر إلى التنازل عن العرش لابن الملكة، وهرب هو إلى أرض مديان التي هي في سيناء ونحن نعرف ان قبائل مديان كانت تسكن حول خليج العقبة، سواء داخل سيناء او خارجها في شمال الحجاز، ولكن المنطقة المقصودة هنا هي التي تقع بالقرب من جبل سيناء عند دير سانت كاترين الحالي، حيث تتوافر آبار المياه والى جانب الرعي والزراعة، كانت سيناء مركزاً مهماً لأعمال المناجم في مصر القديمة، وكان المصريون يسمون سكان سيناء «شاسو».

وعاش موسى سنوات عدة في منفاه مع أهل مديان الذين صاهرهم، قبل ان يحين موعد عودته. (١٠٠)

وترى دراسة عربية سابقة إلى ان علاقة اليهود بمصر قديمة قد تعود إلى زمن أولاد يعقوب فيها، ثم إلى بقاء بعضهم في منطقة الفيوم بعد خروج موسى من مصر. ولكن الثابت تاريخياً هو وجود طائفة يهودية في مصر في القرن السادس قبل الميلاد حيث طلب بعضهم ملجأ في مدن الدلتا، واستقر آخرون في جزيرة (الليفانتين) في مصر العليا. ولكن أهم جماعة جاءت إلى مصر بعد فتح الاسكندر لفلسطين عام (٣٢٢)ق.م (١٠١) وحول هذه الفترة والفترات التاريخية اللاحقة يعرض الباحث اياد أبو شقرا لأوضاع يهود مصر بالتالي: «عاد اليهود واستقروا في مصر منذ أيام الحكم اليوناني، إذ دعا الاسكندر المقدوني إلى مدينة الاسكندرية (بنيت عام ٣٣٢ق.م). كثيرين من يهود الشرق الأدنى، وبفضل الأجواء السلمية المساعدة، والفرص الحضارية والاقتصادية الجذابة انتشر اليهود في عدة أصقاع ظللها الحكم اليوناني ولا سيما في مصر وسورية وهضبة الأناضول، وبنسبة أقل في برقة وطرابلس وقرطاجة والحبشة ومراكش وبلاد البلقان والقرم والجزيرة العربية، ويقول الفيلسوف اليهودي الاسكندري القديم (وحاخام الاسكندرية)فيلو أنه كان يعيش في مصر تلك الفترة أكثر من مليون يهودي، بينهم ٢٥٠ ألفاً في الاسكندرية وحدها.

ولكن يبدو أن تيار الحضارة اليونانية الجارف فرض على اليهود مصر وغير مصر

الانصهار في البوتقة اليونانية والذوبان الكلي فيها تقريباً حتى انهم اخذوا يتكلمون اللغة اليونانية، ويحملون اسماء يونانية ويرتدون الزي اليوناني ونسي السواد الأعظم منهم اللغتين الآرامية والعبرية (راجع: أوسوبل). الا ان هذا الوضع لم يستمر في كل مكان فاندلعت عدة ثورات على الحكم اليوناني كان ابرزها ثورة المكابيين عام ١٦٧-١٦٦ ق.م وبعد الحكم اليوناني في مصر تحت البطالسة/ البطالمة سيطر الرومان على البلاد، وابان حكم تيطس ٧٠ ق.م دمر «الهيكل» في القدس وتشتت اليهود لآخر مرة. وفي مصر بالذات تناقص عدد اليهود إما بالهجرة او بالاندماج في المجتمع المصري، وبخاصة بعد الفتح الاسلامي، حيث اسلم كثيرون منهم.

يعقوب بن كلس

من ابرز الشخصيات اليهودية في مصر الاسلامية يعقوب بن يوسف بن كلس احد رجال الدولة في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ووزير خلفه العزيز بالله مع العلم ان طبيب المعز كان يهودياً ايضاً واسمه موسى بن العازار.

مما يقوله المقريزي عن يعقوب بن كلس انه في عام ٣٦٣ق.م « . . لست عشرة بقيت من المحرم قلد المعز الخراج ووجوه الأموال جميعها والحسبة والسواحل والجوالي والاحباس والشرطتين، وجميع ما ينضاف إلى ذلك وما ينطوي في مصر وسائر الاعمال ابا الفرج يعقوب بن يوسف الوزير وعسلوج بن الحسن وكتب لهما بذلك سجلاً». (راجع المقريزي «اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء»).
وعام ٣٦٨ هـ ٩٧٨م يذكر المقريزي أن العزيز عزل جوهر الصقلي وولى يعقوب بن كلس الوزارة. وعام ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م. يكرر توزير يعقوب، وعام ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م يصف المقريزي وفاة يعقوب وأسف العزيز عليه فيقول «مات يعقوب بن كلس يوم الخامس من ذي الحجة فكفن في خمسين ثوباً مابين وشي ومثقل، وشرب دبيقي مذهب وجفت كافور وقارورتين من مسك وخمسين من ماء ورد، وصلى عليه العزيز، فكان ما كفن به وحنط به عشرة آلاف دينار، وحزن عليه العزيز حزناً شديداً، ولم ياكل ذلك اليوم على مائدة، ولاحضر احد الخدمة واقام كذلك ثلاثاً، واقيم العزاء على قبره مدة شهر، وأوفى العزيز عنه دينه، وهو ستة عشر الف دينار».(١٠٢)

* اليهود في العهد العثماني

أما أوضاع يهود مصر في عهد العثمانيين، ومواقفهم من المماليك فيصفها بايجاز الباحث إياد أبو شقرا على الشكل التالي: «إن يهود مصر عموماً ويهود القاهرة خصوصاً سعدوا كثيراً بهزيمة المماليك أمام العثمانيين. وينقل عن كتاب الحاخام «الياهوكبسالي» عن الدولة العثمانية أنه بينما كان طومان باي آخر حكام مصر من المملوكيين يحشد قواته في الريدانية بشرق القاهرة تمهيداً للمعركة الفاصلة ضد قوات العثمانيين أغلق اليهود أبواب حارتهم وتسلحوا بالسيوف والبنادق والنبال والسهام وجمعوا الحجارة على السطوح تحضيراً للدفاع عن حارتهم، وأعلنوا ثلاثة أيام صيام وصلاة، ويقول كبسالي أن مصدر الخوف لم يكن الجيش العثماني بل الفرق العسكرية المملوكية والرعاع المحليين الذين كان اليهود يخشون أن يثيروا الاضطراب ويلجأون للعنف والنهب مستغلة أجواء المعركة العسكرية، ويدعي كبسالي -طبقاً لشمويلوفيتز- أن المماليك وجهوا تهديدات لليهود قبل المعركة بالانتقام منهم بالنظر لموقف اليهود منهم بعد معركتي مرج دابق (١٥١٦)م وخان يونس اللتين انتصر فيهما العثمانيون وتقدموا عبر سورية وفلسطين نحو مصر، ثم يشير الحاخام إلى أن أبواب حارة اليهود فتحت بعد هزيمة المماليك، وأنهم أعدوا استقبالاً ملكياً للسلطان سليم الأول عندما دخل القاهرة «إلا أنهم صدموا لزيارته القصيرة إذ أنه سرعان ما عاد أدراجه إلى معسكره».

ويستنتج شمويلوفيتز أن تقرير كبسالي يعني أن الحكم العثماني حمل تحسيناً ملموساً -أو مأمولاً في البداية- ليهود مصر، وأنهم في ظله شعروابقدر أكبر من الأمان والطمأنينة، (راجع مساهمة أريبه شمويلوفيتز في كتاب «يهود مصر» تحرير شيمون شامير).

ولكن في المقابل يرى باحث آخر في الكتاب ذاته هو مايك وينتر، أن القرون الثلاثة التي حكم خلالها العثمانيون مصر «كانت واقعياً امتداداً للحكم المملوكي وتطورت وتبلورت مع العثمانيين، الذين مثل سابقيهم عسكريين ترك من أهل السنة طبقوا على اليهود نظام أهل الذمة، ومع أن وينتر يشير إلى وقوع تجاوزات شخصية ضد اليهود على مستوى الباشاوات المحليين خلافاً للسياسة العامة لوالي مصر، فإنه يشير إلى أن يهود مصر فازوا بوظائف مرموقة في جهاز الدولة وأصابوا

نصيباً وافراً من النجاح في الحقل الاقتصادي الخاص، وكثر منهم الصيارفة والتجار وضاربو النقد والصياغة وصناع الجوهرات وحصل عدد منهم على التزامات في معظم الموانىء المصرية، وتذكر المصادر أنهم حصلوا على مكانة مرموقة أيضاً في تجارة البن وتجارة الارز، وأن أحدهم وكان «صاحب العيار» (أي مفتش العملة) تولى عام ١٥٧٧، التزام جمارك الاسكندرية ودمياط والتزامات تجارة الافاوية والبهارات، واحتكار بيع الخيار المصري. وكان من أثرياء اليهود، عام ١٥٦٨م صموئيل كوهين مدير جمارك الاسكندرية.

وفي مواضع أخرى يشار إلى أن حارة اليهود -أو حارة زويلة- بحي الموسكي في القاهرة كانت في القرن الـ١٧ أغنى حارات (أحياء) القاهرة الـ١٢ وكانت تعج بالبيوت الفخمة والحدائق. وكان يدير شؤونها قاض يهودي من مواليد طنجة اسمه صموئيل وذلك قبل التحدث عن القلاقل التي عصفت بحارة اليهود في القاهرة عام ١٧٣٥م بعد اضطراب سياسي وراح فيها قتلى كثيرون بفعل معارك جرت بعد اقتحامها، انفجار مخزن للبارود بداخلها، وقد أسهمت هذه القلاقل باضعاف الوجود اليهودي في القاهرة وتقليصه إلى حد كبير» (١٠٣)

*** قدوم يهود جدد**

ويعتبر القرن السادس عشر بداية لعملية تمازج يهود مصر مع يهود قدموا من خارج مصر، ففي ذلك القرن جاء إلى مصر يهود من سالونيك وسميرنه والقسطنطينية -وهم من المهاجرين السفارديم- ومن سورية (وخاصة من حلب) ومن لبنان، وإلى حد أدنى من العراق واليمن وليبيا وشمال افريقيا (سفارديم). ثم جاءت هجرة يهود من أوروبا بدأت عام (١٨١٢) على إثر ثورة اليونان حيث عاشوا في الموانىء المصرية، ولكن غالبية اليهود الاوربيين (الاشكناز) قدمت مصر في أعقاب الاحتلال البريطاني عام (١٨٨٢). ولجهة أعداد اليهود في مصر فقد بلغ عام (١٨٣٥) ما مجموعه (٥٠٠٠) يهودي ارتفع إلى (٢٥٢٠٠) يهودي عام (١٨٩٧).(١٠٤)

*** الأوضاع الاجتماعية ليهود مصر**

خضع اليهود على غرار أقرانهم في المجتمعات العربية المشرقية خلال العهد

العثماني لنظام الملة حتى العام (١٩١٥)، حيث صدر القانون رقم (٨) الذي نص على أن لكل طائفة مجلسها الملي المكلف بمعالجة الأمور ذات الصفة الشخصية كالزواج والطلاق والارث حسب التقاليد الطائفية. ولقد أعطى دستور البلاد لعام (١٩٢٣) ضمانات جديدة للطوائف والاقليات، وذلك من خلال إقراره مبدأ المساواة في الحقوق المدنية والسياسية دون تمييز بسبب الأصل أو اللغة أو الدين، ومنحها حرية الاعتقاد والرأي والصحافة والتعليم وحق استعمال أي لغة فيها، كما كفل لهم تسوية أمورهم الشخصية حسب تقاليدهم على يد سلطاتهم الدينية.(١٠٥)

ومن حيث أصول وميزات يهود مصر عن أقرانهم في البلاد العربية الأخرى أن يهود مصر ينقسمون إلى طائفتين هما: اليهود القرائين وعددهم محدود. وطائفة اليهود الحاخاميين أو الربانيين وهم الغالبية، وينقسم الربانيون إلى طائفتين الأولى في القاهرة والثانية في الاسكندرية. ولكل واحدة، منهما حاخامها ومجلسها الملي المنتخب. وكانت طائفة القاهرة الربانية تنقسم إلى طائفتين هما: طائفة اليهود السفارديم واليهود الاشكناز، وكان هناك عائلات يهودية في بورسعيد والاسماعيلية والسويس وطنطا والمنصورة والمحلة الكبرى وبني سويف، والاقصر وكوم أمبو وغيرها. ويتكون يهود مصر اجتماعياً من ثلاث «طبقات» تنتمي إليها العائلات اليهودية بنسب مختلفة، فالأسر الغنية هي عائلات : قطاوي، موصيري، رولو، سوارس، وهبة، منشة وشيكوريل. وتكوّن «الطبقة» اليهودية الثرية في مصر. وتليها «طبقة» رجال الأعمال الأغنياء الذين يعملون في تجارة القطن والصيرفة والصحافة والتجارة والاستيراد والتصدير وأصحاب المحال التجارية المتخصصة. وتتكون «الطبقة» الدنيا من الباعة الجوالين والحرفيين الصغار، وغالبية يهود هذه «الطبقة» يعودون في أصولهم إلى اليهود الذين قدموا مصر من فلسطين قبل الميلاد بألف وستمائة عام.(١٠٦)

كما اسس يهود مصر عدداً من الجمعيات لمتابعة شؤونهم الحياتية الاجتماعية، إذ انتشرت جمعيات في مجال الخدمات الاجتماعية وهيمن عليها كبار الرأسماليين اليهود. وكانت تقدم المعونة والرعاية للفقراء من أبناء الطائفة. ومن تلك الجمعيات : جمعية «بخور حوليم» والمستشفى الاسرائيلي الذي تأسس لتقديم الرعاية الطبية للمرضى اليهود وخاصة المحتاجين منهم، ويقع هذا المشفى في

منطقة سيدي جابر بالاسكندرية وتاسس عام (١٩٣٠) . وجمعية « ماتان باستير » التي تاسست عام (١٩٣٣) من أجل تقديم التسهيلات المادية والمعنوية للفتيات الفقيرات التي تقف « الدوطة » حائلاً دون زواجهم . (١٠٧) وهنالك مستشفى اقيمت عام (١٩١٧) في « جاردن سيتي » ، ومستشفى في الاسكندرية اقيمت عام (١٨٩٣) . وإضافة إلى المشافي اقام اليهود في مصر عدداً من الملاجىء النوادي ، مثل ملجأ « ابن ميمون » للعجزة الذي تاسس عام ١٩٣٤ ومؤسسة « نقطة اللبن » التي أسسها « ايزاك ميتاريو » ، والجمعية الاسرائيلية لحماية الفتيات اليهوديات التي تاسست عام (١٩٣٠) ، ومن النوادي الرياضية نذكر : نادي المكابي الرياضي في القاهرة ، ونادي الشبيبة اليهودي الذي تاسس عام (١٩٣٠) . (١٠٨)

اما في مجال التعليم ، فقد نشط اليهود وبفعالية كبيرة إذ انهم في سنة (١٨٧٢) كان لهم أربع مدارس أولية بالقاهرة تضم (١٥٥) تلميذاً ، وفي سنة (١٨٧٥) كانت لجنة من بعض رجال الدين واعيان الطائفة تقوم بادارة المدارس الاسرائيلية بالقاهرة ، وفي الاسكندرية كان هناك اربع مدارس اولية ايضاً ثم انشات الطائفة مدرستين مجانيتين يقرب نظامها من نظام المدارس الاوربية ، مما مهد الطريق امام دخول « الاليانس الاسرائيلي الدولي » مسرح التعليم في مصر عام (١٨٩٦) حينما أسس مدرسة للبنين والبنات في مدينة الاسكندرية . ورغم ان الصحف اليهودية في تلك الآونة تذكر ان اول مدرسة يهودية تاسست في مصر كانت عام (١٩٤٤) ، يذكر « حاييم كوهين » ان الطائفة اليهودية انشات مدرسة ثانوية عام (١٩٢٥) بالقاهرة ثم اسست مدرسة اخرى بالاسكندرية . (١٠٩) بينما تفيد مصادر اخرى إلى جهود قام بها الاشكناز في مجال التعليم اليهودي في مصر ، تعود إلى العام (١٨٩٥) حيث انشا الاشكناز مدرسة ابتدائية في القاهرة ، ومدرسة فنون وصنائع مجانية لليهود في العام (١٨٩٧) . وفي عام (١٩٢٣) انشات مدرسة « ابراهيم بيتش » في منطقة مصر الجديدة ، وايضاً مدرسة حضانة لأطفال اليهود في حارة اليهود ، ومدرسة ابتدائية في حي عابدين اسستها اليهودية « راشيل يبيس » عام (١٩٣٤) ، وليسيه السكاكيني الذي انشا عام (١٩٣٦) . وفي الاسكندرية ايضاً تم تاسيس عدة مدارس يهودية ففي عام (١٩١٩) اسست مدرسة « ويلا بيرجولا » بحي راس التين . وفي عام (١٩٢٣)

أسست مدرسة «جان يلاديم» في حي الجمرك، وفي العام (١٩٢٥) أسست مدرسة ليسية اتحاد اليهود للتعليم.(١١٠) كما ساهم المثقفون اليهود في تأسيس بعض الجمعيات الثقافية من شاكلة: «جمعية مصر للدراسات التاريخية اليهودية» لدراسة العلوم المتصلةبتاريخ اليهود في الشرق وعلى الأخص دراسة تاريخ وآداب اليهود في مصر. كما أنشئت في القاهرة «جمعية أصدقاء الجامعة العبرية في القدس». وتم أيضاً إنشاء عدد من المؤسسات الثقافية التي تعتني باللغة العبرية. وتنامى هذا النشاط مابين الأعوام (١٩٢٥-١٩٣٥) حيث برز دور النادي العبري للدعاية للغة العبرية.(١١١)

وقد اهتم يهود مصر أيضاً بإنشاء المعابد والكنس، ففي النصف الأول من القرن العشرين بلغ عدد المعابد اليهودية التي أقيمت في القاهرة (٢٩) معبداً، كان أهمها معبد الاسماعيلية الكبير بشارع عدلي. وبلغ عددها في الاسكندرية(٢٠) معبداً. كما انتشرت معابدهم في بعض المدن المصرية الأخرى. (١١٢) وفي هذا السياق يقول الدكتور عبد المنعم ماجد استاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب بجامعة «عين شمس»: أن التجمع السكني اليهودي في القاهرة، مازال يحتفظ بنفس الاسم القديم (حارة اليهود) ويقع وسط مجموعة من أكثر الأحياء المصرية ازدحاماً. فالحارة تتوسط أحياء الموسكي وباب الشعرية والجمالية، وفيها تنتشر المعابد ومن بين (١٣) معبداً بقي هنالك (٣) معابد بالاضافة إلى مجمعات لإيواء اليهود الفقراء. ويطلق اليهود على هذه التجمعات اسم «قدش»).(١١٣)

* النشاط الاقتصادي ليهود مصر

تشير المصادر التاريخية ان نفوذ اليهود الاقتصادي في مصر، تبدى واضحاً منذ العام (١٨٨٠)، حيث كان لليهود صلة وثيقة بالدوائر الحاكمة في مصر. فقد مولوها ودعموها مالياً. وقاموا بدعم المشروعات الصناعية التي أنشئت في ذلك الوقت نظراً لأن اليهود في غالبيتهم كانوا من أصحاب البنوك. ومن ناحية أخرى قام المستثمرون اليهود بشراء مساحات واسعة من الأراضي بمقتضى القانون الصادر عام (١٨٥٨)، الذي سمح للأجانب بامتلاك الأرض. وكونوا شركات كبيرة لاستغلال هذه الأراضي مثل شركة «كوم أمبو» التي اشتغلت بزراعة قطاعات كبيرة من الأراضي. كما قامت هذ الشركات بالمضاربة في هذه الأراضي أو

بتقسيمها وبيعها لأغراض البناء. هذا في حين شمل نشاط بعض أثرياء اليهود مجال زراعة القصب وصناعة السكر، ويشير التقرير السنوي للمندوب السامي البريطاني في مصر الصادر عام (١٩٠٥) إلى أن نسبة كبيرة من تجارة الأقمشة كانت في أيدي اليهود، كما كان سماسرة القطن في البورصة من اليهود ويبلغون أكثر من (٩٠٪) من مجموع سماسرة القطن في مصر. واضافة إلى ذلك اشتغل يهود مصر في اعمال الربا وأسسوا بنوك تسليف.(١١٤)

وقد حدثت تطورات اقتصادية في مرحلة السير نحو الاستقلال في مصر، وخاصة بعد معاهدة (١٩٣٦)، حيث أصدرت الحكومة عدة تشريعات غايتها زيادة اشرافها على الشركات والمشروعات الاجنبية وزيادة عدد المصريين العاملين فيها، فقد نص قانون الشركات الذي صدر في عام (١٩٤٧) على أن يكون معظم مديري الشركات من المصريين والا يقل عدد العمال المصريين في اي شركة عن (٧٥٪) وأن يحصلوا على (٦٥٪) من الرواتب الاجمالية وأن تكون نسبة المصريين في مجلس الادارة في كل شركة هي (٤٠٪). وعلى الرغم من ان القانون كان موجهاً ضد الأجانب، إلا ان ضحاياه كانوا من اليهود ممن كانوا حاصلين على جنسيات أجنبية أو ممن لا جنسية لهم. وكان من نتيجة تنظيمات الادارة المصرية هذه التي وضعت للحد من نفوذ الأجانب أن زعزعت مكانة اليهود الاقتصادية،(١١٥) حيث كان اليهود قبل صدور هذا القانون يساهمون في ادارة وتوجيه (١٠٣) شركات من مجموع (٣٠٨) شركات ويسيطرون على جانب ضخم من رؤوس أموالها. كما أن لهم مصالح كبرى في البنوك والمشاريع الأخرى، وحتى العاملين فيها كانوا –من المدير إلى ضارب الآلة الكاتبة– يهوداً، وإضافة لذلك كان اليهود قد شاركوا في تاسيس البنوك وشركات التامين مثل: البنك العقاري المصري، والبنك الأهلي المصري، والبنك البلجيكي الدولي، البنك التجاري المصري، وبنك موصيري، وبنك سواريس، والبنك الزراعي. وشركة الشرق الأدنى المالية، والشركة المصرية المالية، وشركة الاسكندرية للتامين وشركة التامين الأهلية المصرية. ومن الشركات الزراعية التي ساهم اليهود فيها، هنالك شركة البحيرة المساهمة وشركة وادي كوم أمبو، وشركة أراضي الدلتا المصرية – التي اسسها موصيري عام ١٩١٠، وهي تملك ضاحية المعادي – وشركة تجفيف الأراضي التي اسستها عائلة سموحة في الاسكندرية عام (١٩٣٠).(١١٦)

كما شارك اليهود في تكوين شركات في مجال النقل، حيث شاركوا عملياً في إدارة وتوجيه عدد من الشركات منها: شركة الأمينبوس العمومية المصرية، وشركة سكك حديد الفيوم، وشركة ترام الاسكندرية، وشركة سكك حديد قناة السويس المساهمة، والشركة المصرية للنقل بالسيارات وشركة بواخر البوستة الخديوية.(١١٧)

ونذكر أن صدور قانون الشركات رقم (١٣٨) -المشار إليه- عام (١٩٤٧) لم يؤثر بشكل سلبي كبير على اليهود، إذ أنه تقرير الوكالة اليهودية المرفوع عام (١٩٤٧) إلى لجنة التحقيق الانجلوا أمريكية يقر أن اليهود حافظوا على مكانتهم في الحياة الاقتصادية في مصر.(١١٨)

وفي أعقاب ثورة الضباط الأحرار في مصر، وما بعد، كانت الحياة الاقتصادية لليهود جزءاً من الحياة العامة للبلاد فخطوات التاميم والاجراءات الاشتراكية طبقت على الجميع بما فيهم اليهود الذين كانوا مساهمين في معظم المشاريع المؤممة او أعضاء مجالس إدارة فيها ويحملون جنسيات أجنبية مثل البارون «Rollin» والبارون «Empain» (كانوا رؤوساء مشاريع بلجيكية) وموصيري (من أصحاب البنوك الايطالية)، بينما ظل اليهود العاديون يمارسون حياتهم العادية في أعمالهم كالعادة.(١١٩) ونشير هنا إلى أن سبب حصول الكثيرين من اليهود على جنسية هو فوائد نظام الامتيازات الذي لم يكن يكفل لهم فقط حماية القناصل الأجانب بل كان يعفيهم أيضاً من الخضوع للمحاكم المصرية ويمنحهم الحق في عرض قضاياهم على المحاكم المختلفة، هذا بالاضافة إلى حقوق استثنائية أخرى (١٢٠) وكان لالغاء هذا النظام -نظام الامتيازات- احد عوامل زعزعة النفوذ الاقتصادي لليهود في مصر.

* الأوضاع السياسية ليهود مصر..

اتخذت مشاركة يهود مصر في الحياة السياسية، اشكالاً عدة ومتمايزة عن مشاركتهم في اقطار عربية اخرى، ففي ميدان الحركة الوطنية اسهم بعض اليهود في النشاط الوطني بفعالية مما دفع احمد شفيق باشا للقول ان تكوين الراي العام في مصر يرجع إلى عاملين: الأول جمال الدين الأفغاني، والآخر جريدة «أبو نضارة» لصاحبها «يعقوب بن صنوع» بما كانت تحتويه من محاورات عامة في انتقاد الاصول العامة والتنديد بالحكومة والاحتلال البريطاني، مما دفع الناس إلى

قراءة هذه الصحيفة واقتنائها بكل الوسائل.(١٢١)

وقد برز من بين اليهود المصريين في المجال السياسي «ليون كاسترو» الذي انضم إلى صفوف حزب الوفد، كان صديقاً شخصياً لـ«سعد زغلول» ورافقه في مفاوضات لندن، وقام بمهمة المتحدث الرسمي لحزب الوفد في أوروبا.(١٢٢) وهنالك شخصية يهودية أخرى لعبت دوراً سياسياً متميزاً وهي شخصية يوسف قطاوي باشا، أول وزير يهودي شغل منصب وزير المالية في حكومة سعد زغلول سنة (١٩٢٤)، ثم اختير وزيراً للمواصلات في حكومة احمد زيور باشا عام (١٩٢٥). وكان تعيينه تقديراً أدبياً وتكريماً للطائفة اليهودية، ودليلاً على التسامح والمساواة اللذين تمتعت بهما الطائفة. وكان يوسف قطاوي باشا ضمن الوفد الرسمي الذي سافر إلى لندن لمفاوضة اللورد كرزون عام (١٩٢٢). كما عين يوسف قطاوي عضواً في لجنة الثلاثين التي الفتها وزارة عبد الخالق ثروت سنة (١٩٢٢) لوضع الدستور وقانون الانتخاب. كما عين زكي عريبي المحامي اليهودي ضمن اللجنة التي شكلتها ثورة الضباط الأحرار عام (١٩٥٢) لوضع الدستور المؤقت للبلاد.

من نواب البرلمان المصري اليهود نذكر: يوسف قطاوي باشا وابنه رينيه قطاوي بك، والحاخام حاييم ناحوم أفندي، ويوسف بتشو توبك، ويوسف دو بيكيوتو.(١٢٣) وتأتي أهمية شخصية يوسف قطاوي باشا إلى انه مثل أول جماعة يهودية معادية للصهيونية في مصر. وقد شرح وجهة نظره امام احد اعضاء اللجنة الانجلو – اميركية ووجه الاتهام إلى الصهيونيين، واعتبر انه «لو حصل يهود فلسطين على آمالهم السياسية فقد يكون هذا خطر على يهود البلاد العربية».(١٢٤) ودوره هذا مهد الطريق امام الكشف عن ارتباط يهود مصر الأصليين بمصر، الذي عبر عنه الحاخام ناحوم باعلانه ان على يهود مصر ان يدافعوا عن بلدهم ضد الصهيونيين، كما حثهم على التبرع لعرب فلسطين وللجيش. واستجابة اليهود لدعوته تمثلت في مساهمة يهود الاسكندرية بـ(٨٠) الف دولار. وساهم يهود القاهرة بـ(١٦٠) الف دولار (١٢٥)

ولم تتأثر سلباً أوضاع يهود مصر بنتائج حرب فلسطين أو بحدوث ثورة الضباط الأحرار في مصر، أو اندلاع ازمة السويس عام (١٩٥٦). وهذا ما أكده الكاتب الأمريكي الجنسية، اليهودي الديانة، ورئيس اللجنة التنفيذية للأمن

والسلام في الشرق الأوسط، حينما زار القاهرة عام (١٩٥٧) حيث بين ان الاجراءات التي تبنتها مصر قانونية ولأسباب الأمن وكل ما عملته مصر نتيجة أزمة السويس (١٩٥٦) هو حجز (٢٨٨) يهودياً وطرد عدد من اليهود من البلاد لأنهم خطر على أمن البلاد، ووضع أملاك خاصة باليهود الخطرين والمشبوهين تحت اشراف الحكومة خوفاً من تسرب رؤوس الأموال إلى الخارج، وان الحكومة قد أكدت له انها لا تعتبر كل اليهود صهيونيين وان اليهود الطيبون والموالون قد ساهموا في تطوير البلد وهي تريدهم ان يبقوا جزءاً من الحياة المصرية.(١٢٦)

وتفيد آخر المعطيات الرقمية ان العدد الحالي ليهود مصر هو مابين (١٠٠-٣٠٠) يهودي (١٢٧)، بينما تفيد مصادر حكومية مصرية ان العدد هو (١٢٠) يهودياً فقط(١٢٨)

٢- يهود السودان

نظراً لقلة عدد يهود السودان، لم تعالج الدراسات العربية أوضاعهم بالتفصيل، وما هو معروف عن هذه الطائفة التي ليس لها جذور تاريخية في السودان، يعتبر عاماً. إذ يتمركز في الخرطوم وفي مدينتي: Wadmedani وبورسودان. وقد وصل اليهود إلى السودان عام (١٨٨٤) مع جيش «غوردون» البريطاني. وقد كان مع ذلك الجيش يهودي عثماني يدعى «Ben Zion Costi»، عمل مستشاراً لخليفة المهدي، بعد ان اعتنق الاسلام واصبح اسمه «بسيوني»، عاد إلى اليهودية بعد ان فتح «كتشنر» السودان عام (١٨٩٨). كما جاءت للسودان عائلات يهودية من مصر والعراق وفي العام (١٩٠٠) تلتها عائلات يهودية قدمت من فلسطين وتركيا وبلاد اخرى من الشرق الأوسط، وعدد قليل من يهود شرق اوروبا. ومابين عامي (١٩٤٨-١٩٥٦) غادر بعض اليهود السودان إلى الكيان الصهيوني، ووفق احصائيات عام (١٩٥٧) كان عدد يهود السودان (٣٥٠) يهودياً. ويعود وجود أول كنيس يهودي في السودان إلى العام (١٩٢٦) (١٢٩) ويعتقد ان هجرة يهود الفلاشا (١٩٨٥) ضمت ماتبقى من يهود السودان إلى الدرجة التي لم يعد فيها في السودان اي يهودي.

يهود ليبيا

تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن الوجود اليهودي في ليبيا يعود إلى أيام الاستيطان الفينيقي. وتؤكد أنهم وجدوا في منطقة برقة منذ القرن السادس قبل الميلاد، لكن غالبية اليهود الذين تواجدوا في ليبيا فيما بعد يرجعون بأصولهم إلى موجات متتالية من المهاجرين اليهود من اسبانيا على أثر الاضطهاد الديني فيها في نهاية القرن الخامس عشر.(١٣٠) وتوضح تلك المصادر أنه ومنذ العام (١٥١٠) حيث سقطت طرابلس الغرب تحت السيطرة الأوربية، وخضوعها للحكم الاسباني ومن بعد من قبل فرسان القديس يوحنا في مالطا عام (١٥٣٠)، وصولاً إلى وقوع ليبيا ضمن نطاق الامبراطورية العثمانية، تعرض الوجود اليهودي في ليبيا لعدد من المتغيرات. ففي فترة الحكم الاسلامي لليبيا كان في ليبيا (٨٠٠) عائلة يهودية تمركزت في طرابلس الغرب ومن ثم انتقلت إلى واحة تاجوراء وإلى جبل غريان عام (١٥١٠). وتذكر أيضاً أن الحاخام شمون لابي، طبيب والي طرابلس، كان عميد يهود طرابلس في أواسط القرن السادس عشر. وإثر ذلك برزت في طرابلس عدة عائلات يهودية مثل عائلة « كاردوزو » -ايطالية من أصل اسباني- تزعمت يهود « الجرانة » -الجورنيم- أي الايطاليين القادمين من منطقة ليجورن أو ليغرنور بغرب ايطاليا. كما برزت في مراحل لاحقة عائلات يهودية أخرى مثل : آل المسلاتي وزرقا وسلام وحجاج وأوادي وتيار وخلفون وفلوس وفرفرا وفاتوري واربيب و سيروسي وناحوم وتيتو وخلف الله. وفي أواخر القرن التاسع عشر تعزز التغلغل والتواصل الثقافي الأوربي ولا سيما مع فرنسا وايطاليا، وعام (١٨٩٠) أسست جمعية « الاليانس » مدرسة صنائع في طرابلس.(١٣١) أضيفت هذه المدرسة إلى مدارس يهودية أخرى كانت موجودة سابقاً، ففي عام (١٨٨٥) عندما كان عدد يهود طرابلس يبلغ ما مجموعه (٧٥٠٠) يهودي، كان لليهود (١١) مدرسة دينية -يوشفوت- ومدرستا اليانس، و(١٨) كنيساً.(١٣٢)

منذ العام (١٩١١) وحتى نهاية السيطرة الغربية على ليبيا، تعرضت أوضاع اليهود في ليبيا لمتغيرات عديدة سواء في علاقتهم مع الليبيين سكان البلاد أو مع المحتلين سواء أكانوا ايطاليين أم بريطانيين. لذا مرت أوضاعهم بثلاث مراحل تمتد أولها من العام (١٩١١) إلى العام (١٩٣٩)، والثانية من العام (١٩٣٩) إلى العام

(١٩٤٣)، والثالثة من (١٩٤٣) حتى (١٩٥١). ففي الفترة الأولى التي وجد فيها الايطاليون مناهضة كبرى من الليبيين لوجودهم في ليبيا، عملوا على تقسيم سكان طرابلس وليبيا عموماً، عبر بث النزاع العقيدي الديني بين المسلمين واليهود، ولم يكن هؤلاء قبل إلا متعايشين متعاونين تجري أوضاعهم على ما قضت به السياسة العثمانية في مختلف الولايات التابعة لها. فاستجابة أجنحة من الطائفة اليهودية لسلوك الايطاليين وتعاونت معهم، وتماهت مع سلوك الايطاليين على كافة المستويات، رغم أن أصول هذه الطائفة تعود إلى السفارديم الذين يتكلمون «اللادينو» بينما بقيت أجنحة أخرى منسجمة مع العرب الليبيين. وهذا أدى طبيعياً إلى اختلاف تصنيف الايطاليين لليهود في ليبيا، فمن الناحية القانونية مثلاً كان يهود ليبيا يصنفون ثلاثة أصناف: الصنف الأول: ويضم مواطنين ايطاليين هم يهود كانوا في ايطاليا ويحملون الجنسية الايطالية ودخلوا مع الايطاليين إلى ليبيا وعددهم محدود، ومن تجنس من يهود ليبيا بالجنسية الايطالية وخاصة قبل العام (١٩١٩)، فهؤلاء وأولئك جميعاً لهم وعليهم ما للايطاليين من حقوق وواجبات.

ويضم الصنف الثاني مواطنين ليبيين يدينون باليهودية. وقد صدر بشأنهم قانون (١٩٣٤)، يسويهم مع غيرهم من المواطنين. وضمن الصنف الثالث يهوداً أجانب ينتسبون إلى جنسيات مختلفة كانوا يتمتعون بامتيازات ويخضعون لما يخضع له الأجانب في ليبيا مع قيام القنصليات التي يرجعون إليها بالتدخل في شأنهم والمساعدة والحماية لهم.(١٣٢)

أوضاعهم الاجتماعية

كانت أوضاع اليهود الاجتماعية في تلك المرحلة تحت اشراف المجلس الطائفي اليهودي في مدينة طرابلس التي تضم غالبية اليهود. إذ كان للمجلس سلطة ادارية مستقلة ذاتياً، يفترض بمقتضاها ما يقرره من ضرائب على أفراد الطائفة حسب مداخيلهم، وكان يظهر ذلك مثلاً في الاداءات الموظفة لدى القصابين على لحم «الكاشير» ولدى أصحاب الحانات والتجار على ما يبيعونه من خمور.

أما محاكم الأحبار فإن لها حق التشريع في المسائل الزوجية، كما تفصل بين اليهود في قضايا الأحوال الشخصية، لكنها لا تباشر شيئاً بصدد مسائل الوراثة، فقد كان ذلك يجري وفقاً للقانون المدني الايطالي. وقد كان اليهود إلى جانب

ذلك يقومون بجميع طقوسهم الدينية في ظل حرية تامة.(١٣٤) تقلصت فيما بعد ثم ازدهرت خلال المرحلة الثانية التي بدأت مع خضوع طرابلس الغرب وبنغازي للادارة البريطانية. فقد أصدرت ايطاليا لاحقاً ومع نشوء دول المحور قوانين وانظمة في روما وطرابلس ضد اليهود. ولولا التساهل في التطبيق الذي لوحظ في ليبيا لقضي على أكثرية اليهود فيها نهائياً، ومع ذلك فإن الصنف الثالث من اصناف يهود ليبيا وهم اليهود الأجانب ومن حصل على الجنسية الايطالية بعد العام (١٩١٩)، تعرضوا إما للطرد إذ لم يبق لهم حق الاقامة على التراب الايطالي والمستعمرات التابعة له وإما للنفي والاعتقال، وسخر الكثير منهم للخدمات وخاصة بعد هزيمة ايطاليا على الحدود المصرية عام (١٩٤٠) بتهمة تعاونهم مع الحلفاء وقيامهم بنشاطات تخريبية. هذه الحال دفعت بيهود ليبيا مع قدوم البريطانيين والحلفاء إلى ليبيا، إلى التعاون والترحيب مع القادمين الجدد. وخضعوا للادارة البريطانية التي ضمت مناطق واسعة من ليبيا ماعدا منطقة فزان التي خضعت للادارة الفرنسية ولم يكن يتواجد فيها اي يهودي. وتحت الادارة البريطانية تمتع اليهود بالحرية إذ أزالت قوات الجيش البريطاني الاسلاك الشائكة من حول الاحياء اليهودية، والغت القوانين الجائرة ضد اليهود، وعادت مجالس الاحبار لممارسة مهامها، وتشكلت تلك المجالس من جديد في طرابلس وبنيغازي وتالف كل مجلس منها من (١٢) عضواً وتفرعت عنها لجان لادارة شؤون التعليم والقيام بالشعائر الدينية والاشراف على المصالح والشؤون الاجتماعية.(١٣٥)

*** حياتهم التربوية والاقتصادية**

في ظل الاوضاع المستقرة، كانت أحوال اليهود في ليبيا طبيعية، فقد كان هناك نشاط يهودي في مجال التعليم في كافة مستوياته، ففي التعليم الابتدائي كان عدد الاطفال اليهود المتعلمين بين عامي ١٩٣٨- ١٩٣٩ (٥٣٣) طفلاً، وفي التعليم الثانوي كان هناك (٦٦) تلميذاً يهودياً، وفي التعليم المهني كان هناك (٤٧) يهودياً. وذلك في المدارس الحكومية بينما كانت هنالك مدارس أخرى تدعى بمدارس «تلمود» أي المدارس الدينية الطائفية اليهودية التي كانت تعنى بتعليم الأطفال اللغة العبرية وتلقنهم المعارف الدينية، وكان عدد المزاولين للدراسة فيها بطرابلس (١٢٣٥) طالباً وفي بنغازي (٥١١) طالباً. قامت الوحدات

اليهودية في الجيش البريطاني بتنظيم هذه المدارس فيما بعد.(١٣٦)

وقد عمل يهود ليبيا في الأعمال التجارية، فأنشأوا الاسواق التجارية مثل سوق الترك، وسوق آخر أقاموه في شارع ادريس الأول في طرابلس، وبذلك سيطروا على التجارة الداخلية في ليبيا.(١٣٧)

وفي المرحلة التي أعقبت الاستقلال، منح يهود ليبيا الجنسية الليبية واعتبروا مواطنين ليبيين، ومكنوا من رخص السفر إلى الخارج كسائر الليبيين وقد نص الدستور في الفصل الثاني من المادة الحادية عشر منه على تساوي الليبيين جميعاً في الحقوق المدنية والسياسية وفي الواجبات واعلن عن تكافؤ الفرص، وانه لا تمييز بينهم جميعاً في ذلك حسب الدين او المذهب أو العنصر أو اللغة ولتأكيد الحريات بأنواعها وخاصة الدينية و العقيدية لدى غير المسلمين المقيمين في ليبيا قررت المادة (٢١) و المادة (١٩٢) من الدستور وجوب احترام جميع الاديان والمذاهب وصيانة الحرية العقيدية وحق إقامة الشعائر الدينية للمسلمين والاجانب واحترام الاحوال الشخصية لغير المسلمين ومنح كافة المواطنين حرية الفكر وحرية أية لغة في المعاملات الخاصة والامور الدينية والثقافية والصحافية.

وتعرضت حياتهم الاجتماعية في جو الاستقرار إلى بعض التغيرات، إذ سمح لهم في بداية عهد الاستقلال باقامة مجالس طائفية في طرابلس وبنغازي للاشراف على المدارس والبيع ومنعوا من الاستمرار في جمع الضرائب الموظفة من قبل تلك المجالس على أفراد الطائفة. ثم حلت هذه المجالس في ١٩٥٨/١٢/٢٧ وعين عوضاً عنها مندوب خاص لادارة الشؤون التعليمية والدينية للطائفة اليهودية.(١٣٨)

وفي مراحل لاحقة، وفي ظل تعرض أعداد اليهود الليبيين للتغيير في إثر هجرة اليهود من ليبيا لاسباب مختلفة -سنبحثها لاحقاً- إذ هاجر (٣٠) الف يهودي من ليبيا في الفترة ما بين (١٩٤٨-١٩٥١)، وبقي فيها (٨) الاف فقط، هاجرت غالبيتها في أعقاب حرب (١٩٦٧). وتشير تقديرات الموسوعة اليهودية إلى ان هناك (٦) يهود لا يزالون يعيشون في ليبيا في الوقت الحالي.(١٣٩) بينما تشير مصادر أخرى إلى انه يوجد في ليبيا حالياً (٣) ثلاث يهود فقط.(١٤٠) ويبقى ان نذكر وحسب تصريحات «رفائيلو فلاح» رئيس الرابطة العالمية ليهود ليبيا، وهو يهودي ايطالي. ان عدد اليهود الليبيين في العالم يبلغ (٩٠) الف يهودي يتمركز معظمهم في كندا والولايات المتحدة وايطاليا لكن ثلثهم فقط يعيش في اسرائيل.(١٤١)

يهود دول المغرب العربي

١- يهود تونس

كسائر أوضاع اليهود في المجتمعات العربية، تمتع اليهود في تونس عموماً بقسط وافر من الحرية، ففي تونس التي بلغ عدد اليهود فيها عام (١٨٩٦) حوالي (٥٠,٠٠٠) يهودي، تمتع اليهود تاريخياً بحريتهم وعاشوا في جو من التسامح دللت عليه قوانين عديدة منها: قانون «عهد الأمان» الصادر عام (١٨٥٧)، ودستور عام (١٨٦١)، اللذين رفعا عن اليهود مجمل المحظورات العنصرية التي كانت مضروبة عليهم من قبل.(١٤٢)

أصول اليهود في تونس:

وجدت في تونس مجموعتان متمايزتان من اليهود أو طائفتان، إذ انقسم اليهود في تونس حسب المنبت القطري الأصل لكل منهم إلى طائفة «الغرانة» وطائفة «التوانسة». فاليهودي «الغرني» هو الذي الذي ينحدر من بلد أوروبي، بينما اليهودي «التونسي» هو الذي ينتسب إلى سلالة سكنت البلاد منذ عهود موغلة في القدم كيهود جزيرة جربة، أو جاءتها حديثاً من بلد اسلامي آخر غير تونس.(١٤٣) وقد بلغ عدد اليهود «الغرانة» حوالي (١٠) آلاف يهودي، وذلك في بداية القرن العشرين، ويرجع سبب وجودهم في تونس إلى التطور العاصف للرأسمالية في أوروبا. فقد وقع اجلاؤهم بالقوة من شبه الجزيرة الايبرية في أواخر القرن الخامس عشر لأنهم بتخصصهم الوظيفي في التجارة شكلوا عقبة أمام نمو الطبقة التجارية المحلية. وهذا ما يفسر لقب «البرتغاليين» الذي يطلق عليهم. كما ينتسب سليل هؤلاء المهاجرين في أغلبه إلى مدينة «الغرنة» الايطالية. وانعكس ذلك على ألقاب العائلات اليهودية من هذه الطائفة مثل ألقاب: فانزي، باريانتي، مدينا، بيونو، مونتيفوري. وقد انفصل يهود «الغرانة» رسمياً عن طائفة «التوانسة» سنة (١٧١٠) فأصبحت لهم منذ ذلك التاريخ مؤسساتهم الخاصة. وبالمقابل طغت الألقاب العربية على يهود طائفة «التوانسة» مثل ألقاب: علوش، بلعيش، بونان، بلحسن، غزلان، معارك، بجاوي، صباغ، زيتون.(١٤٤) وقد أدى

الانفصال بين الطائفتين إلى تشنج في العلاقات بينهما، إلى الدرجة التي دفعت بيهود الغرانة، وفي سبيل المحافظة على استقلالهم، إلى قبول معاهدة مجحفة سنة (١٧٤١) نصت على : منع «التوانسة» من اشتراء اللحم من المقصبة «الغرنية» لكن مع ابقاء مقصبة «التوانسة» مفتوحة في وجه «الغرانة»، وتحمل الأعباء المالية الملقاة على عاتق اليهود بنسبة الثلثين للتوانسة وبنسبة الثلث «للغرانة»، ورسم خط تباين واضح بين «الغرانة» و«التوانسة» تستند بمقتضاه «الهوية الفرنية» لكل يهودي أصيل أوروبا. والهوية «التونسية» لكل يهودي أصيل البلاد التونسية أو اي بلد اسلامي. ويسود اعتقاد لدى «الغرانة» انهم متفوقون حضارياً على «التوانسة». (١٤٥)

وفي مراحل لاحقة جرت محاولات لاصلاح أوضاع اليهود في عهد «الباي» فيما بين (١٨٨١–١٨٩٨)، والتي تمحورت حول تنظيم محاكمهم ومجالسهم وكافة شؤونهم كما تعرضوا لعملية «فَرْنَسة» تجاوب معها إلى حد ما اليهود، وتمثل ذلك بقبول الفرنسيين لطلب اليهود بالحاقهم بالمحاكم الفرنسية وتاييد مشروع «دي كرنيار» القاضي بالغاء المحاكم العدلية التونسية. وهذا ما أثار السخط في أوساط الشعب التونسي. (١٤٦) وشكلت تلك الاستجابة اليهودية لعملية «الفرنسة» بيئة مناسبة لمتغيرات عديدة في أوضاعهم في تونس.

وخلال فترة النضال الوطني دعا الزعماء الوطنيون التونسيون إلى التسامح مع اليهود. واعتبرت تلك الدعوة «مجاملة» للعنصر اليهودي التونسي واستدراجاً لمعونته، وحماية من كيده، إذ تم تعيين «البرت بسيس» وزيراً للصحة وعضواً للحكومة في وزارة المفاوضات من أجل الحكم الذاتي، من أيلول (١٩٥٥) إلى آذار (١٩٥٦)، وفي الحكومة الأولى لعهد الاستقلال عين «اندريه باروخ» وزيراً للبناء والتخطيط (١٩٥٦ – ١٩٥٨)

وقد منح القانون اليهود التونسيين كغيرهم من بقية المواطنين حق المشاركة في الانتخابات التشريعية والبلدية. وتولى عدد كبير منهم المناصب الادارية العليا خاصة في المجالات الاقتصادية. (١٤٧)

* أوضاعهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية

يعود تشكيل مجلس يشرف على متابعة شؤون اليهود في تونس إلى العام

(١٩٢١) عندما تاسس مجلس الطائفة استناداً للأمر الصادر في ١٩٢١/٨/٣٠، وقد توحدت عناصر المجلس التونسية والبرتغالية بامر صدر في ١٩٤٤/٢/١٧، قضي باشراف المجلس على سائر الأحوال الاجتماعية المتعلقة باليهود، وقد قضي أيضاً باعادة تنظيم هذا المجلس عام (١٩٤٧) وجعله يتالف من عشرة اعضاء لمدة أربعة اعوام تنتخبهم هيئة منتخبة أيضاً تتالف من أربعين فرداً. وقد تاسست فروع أو لجان تابعة لهذا المجلس في مختلف أرجاء تونس. وبلغت ميزانية هذا المجلس لعام (١٩٥٠) ما مجموعه (٤١) مليون فرنك.(١٤٨)

ويعود تاسيس اول مدرسة خاصة باليهود إلى العام (١٨٧٨) حيث اسست جمعية العصبة الاسرائيلية بتونس مدرسة بلغ عدد تلاميذها في العام ذاته (١٠٢٥) طفلاً. واحدثت في العام (١٨٨٢) مدرسة خاصة بالبنات، تلتها في الأعوام التالية إنشاء عدد من المدارس في: باجة، والمهدية وسوسة.(١٤٩) واستمر ذلك لأعوام طويلة حيث ظهرت المدارس العصرية التي لقيت اقبالاً كبيراً، إلى جانب المعاهد الدينية التي تقوم بتدريس اللغة العبرية، ولكن على الطريقة القديمة التقليدية، فلا يجد معها الاطفال شيئاً من المعارف اللغوية النحوية ولا فن المدارك الأدبية او المعلومات التاريخية التي تستطيع أن ترفع مستواهم وتفتح في وجوههم الآفاق. وقد قضي بالطبع للاولى على المدارس الثانيةالتقليدية، وإن استمر وجودها حتى نهاية الاحتلال الفرنسي.(١٥٠)

إما نشاط اليهود الاقتصادي فتمركز في مجالات الصناعة والتجارة الحرة والأعمال الحرة، إذ انخرط في الميدان الصناعي (٩٢٦٥) يهودياً، وفي الميدان التجاري (٦٥٩٤) يهودياً، توزعوا على البنوك وشركات التامين وغيرها من الأعمال التجارية.(١٥١)

لعل المحطة الهامة في مواقف يهود تونس السياسية، تتمثل في ردة فعلهم على قرار تقسيم فلسطين، حيث قامت مظاهرات كبيرة احتجاجاً عليه، يعتقد أن بعض اليهود قد شاركوا فيها على خلفية النداء الذي وجهه المؤتمر الاسلامي العربي بتونس الذي حذرهم من الصهيونية. إذ كاد الهلع يقض مضاجع يهود تونس لولا موقف صالح ابن يوسف في كانون الثاني (١٩٤٩) الذي اعلن فيه: ان الحركة الوطنية التونسية لا شان لها في قضية اسرائيل و ان «القومية» التونسية لا تاثر لها بموقف الدول العربية في مقاومة الصهيونية.(١٥٢)

ويتجمع يهود تونس وفق المعطيات الأخيرة في جزيرة جربا في صفاقس وسوسة، وحلق الوادي، والعاصمة تونس. وكان عددهم في عقد الخمسينات حوالي (١٠٠) الف يهودي هاجر معظمهم إلى فرنسا ومن ثم إلى اسرائيل بعد حرب (١٩٦٧)، وتدل آخر الاحصائيات على ان عددهم لا يزيد عن (٤,٠٠٠) نسمة يتوزعون على شكل جماعات صغيرة. ولهم دور متميز في الاقتصاد التونسي رغم قلة عددهم، وكان لهم امتيازات خاصة في عهد الرئيس الحبيب بورقيبة، حيث ضمن لهم الدستور التونسي جميع حقوقهم التي تساوت بأهل البلاد، ومازالت في عهد الرئيس زين العابدين بن علي.(١٥٣)

٢- يهود الجزائر

عاش اليهود في الجزائر في ظل الحكم الاسلامي في جو من التسامح والحرية والعدالة، ويذكر أنه خلال عملية الفتوحات الاسلامية لشمال افريقيا اعتنق يهود تلك البلاد الديانة الاسلامية. لكن في القرن الثالث الهجري – التاسع الميلادي– ظهرت مجتمعات منظمة لليهود في القيروان وقسنطينة وتلمسان وفاس. يقيمون فيها شعائرهم الدينية، ويولون أحبارهم قضاة.(١٥٤) وفي فترات لاحقة ونتيجة ما كان اليهود يقومون به من مكر للاثراء وجمع الأموال وما اشتهروا به من مضايقات مادية لذوي المال والجاه من المسلمين واعتداءات على فقرائهم وضعفائهم وكراهية لهم جميعاً، كانت المواقف منهم تتسم من حين إلى آخر بشيء من الحدة والحقد. واشتهرت في الاوساط الشعبية عامتها عقائد منها ما يردده الناس إلى الآن، ان اليهود أعداؤنا وأعداد نبينا، ومنها أنه لايؤمن جانب أحد منهم ولو مضى له أربعون جداً في الاسلام. وبحكم ذلك لحقت اليهود الذلة والامتهان والاذاية بجميع أطراف البلاد المغربية ومنها الجزائر.(١٥٥) وتحديداً ما تم التعبير عنه في دور اليهود في التمهيد لاحتلال فرنساللجزائر. إذ أنه وبعد ان نال اليهود في عهد مصطفى باشا مركزاً تجارياً غربياً، ضيقوا على البلاد، وقامت ضدهم الفتنة الشهيرة فخففوا قليلاً من وطئة احتكارهم. ثم ما لبثوا ان استعادوا نفوذهم المالي وعاد بكري وبوشناق اليهوديان إلى احتكار كامل قمح البلاد وارساله إلى فرنسا حتى ضج الناس ونشأت أزمة القمح وقتل احد الجنود بوشناق.(١٥٦) واضافة إلى ذلك رحب يهود الجزائر بالاحتلال الفرنسي للبلاد ويذكر «ابن الخوجة» ان اليهود كانوا

في شوارع عاصمة الجزائر، إما خوفاً وطمعاً في العنصر المحتل، وإما كيداً ومكراً بالمسلمين المضطهدين المنكوبين، او لشعور مشترك يجمع بين الحالين، يجلسون على ركبهم عند مرور العساكر الفرنسية يقبلون اقدامهم وأيديهم، ثم يطوفون بالطرقات بثياب الزينة ويضربون كل من يلقونه من المسلمين رافعين اصواتهم بكلمات الترحيب بجيش الاحتلال منادين بلهجتهم « فيفالي فرانشي » .(١٥٧)

ما سبق من سلوك لليهود جذب الفرنسيين لاستخدامهم، إذ خصتهم سلطات الاحتلال بتمييز واضح حين اعتبرتهم عناصر من الشعب اليهودي تخضع للاحتلال الفرنسي، ومنحتهم دون المسلمين الذين أخضعوا للحكم المباشر حق التصرف الحر في ادارة شؤونهم بانفسهم. لذا تطور الوضع السياسي لليهود ، فالغي منصب « قائد » اليهود الذي كان قائماً منذ قرون في مختلف البلاد العربية، وعوض برئيس الطائفة عام (١٨٣٠)، ويستمد رئيس الطائفة سلطته مباشرة من القائد العام لجيش الاحتلال الفرنسي ويتجدد انتخابه كل عام من بين ثلاثة مرشحين من طرف أعيان الطائفة . وقد رأس الطائفة آنذاك « يعقوب بكري » .(١٥٨) كما خرج عام (١٨٤٣) موضوع تجنيس يهود الجزائر بالجنسية الفرنسية . وهذا ما تم تجسيده لاحقاً في قانون صدر عام (١٨٦٥)، الذي استجاب لمطالب اليهود بالجنسية الفرنسية .(١٥٩) وقد حاولت الثورة الجزائرية استمالة اليهود إلى صفوفها لاحقاً، لكن غالبية اليهود اتخذوا موقفاً مناوئاً للثورة بشكل عنيف .(١٦٠)

أما أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية فكانت شبيهة في الفترات اللاحقة من الثورة لأوضاعهم في سائر البلاد العربية من حيث ممارسة طقوسهم الدينية والاشراف على شؤونهم الخاصة، وامتلاك نفوذ اقتصادي هام في مختلف أوجه النشاط الاقتصادي في الجزائر، وخاصة التجارة حيث ظهر نفوذ عائلات ماكورو وباروخ ولويزاوا، وزاكوتو والغارينجا ، وسفورنو. إلا أن نفوذ عائلات أخرى طغى في مرحلة لاحقة على الجميع وهي عائلة بوشارا (بوشعرة) وبوسناش (بو جناح) وكوهين بكري. وقد تصاهرت هذه العائلات في ما بينها وكونت لها مكانة مرموقة في البلاد في مطلع القرن الثامن عشر. تلك العائلات التي مهدت للاحتلال الفرنسي للجزائر، كما اشرنا سابقاً. اما العائلات الوريثة فهي عائلات كانسينو وسابورتاس واتالي وزفران وغيرها .

ولجهة تعداد يهود الجزائر يذكر ان عدد يهود الجزائر خلال فترة الاحتلال

الفرنسي حوالي (١٤٠٠٠٠) يهودياً، غادر معظمهم بعد الاستقلال إلى فرنسا بصورة أساسية. ويقدر عدد يهود الجزائر ووهران بـ (٣٥٠٠٠) يهودي بينما يبلغ عدد يهود القسنطينة حوالي (٢٥٠٠٠) يهودي.(١٦١)

٣- يهود المغرب

يعتبر تاريخ يهود المغرب –مراكش– تاريخاً تصاحبه اشكاليات عديدة على كافة المستويات نظراً لطبيعة التركيبة الاجتماعية التي سادت البلاد في مراحل تاريخية سحيقة. إذ يسود الاعتقاد في بعض المصادر التاريخية أن الطوائف اليهودية كانت أول «جنس» غير بربري استقر في المغرب منذ القرن الخامس قبل الميلاد. وتحدثت بعض الروايات من جهتها عن وجود أحجار في بعض مدن المغرب الاسلامي مثل: فاس، طنجة، التخوم الصحراوية. شكلت إشارات خاصة يقال أن واضعها قائد عسكري لجيش الملك داوود الذي دخل المغرب متعقباً نخبة من العائلات الفلسطينية الأصل. بينما بينت بعض الحفريات في مدينة وليلي، وهي قلعة يرجع تاريخها إلى العهد الروماني الاغريقي، عن وجود بقايا شاهد قبر يحمل الكتابة العبرية «مترونابت ربي يهوده» وتعني «السيدة لها السكينة». أما في عهد الفتح الاسلامي فظل حضور اليهود المغاربة متميزاً، وكان يعاملون على أساس تسامح ديني باعتبارهم ورثة تقليد ثقافي وعقائدي احترمته العقيدة الاسلامية.

وقد تشكلت الطوائف اليهودية المغربية التي استوطنت المغرب عبر مراحل متباينة من حيث البعد الأثني واللسني من طائفتين متميزتين: طائفة «التوشفيم» أو ما كان يطلق عليهم باليهود المحليين الذين ترجع أصولهم إلى أقدم العائلات اليهودية التي رحلت إلى المغرب قادمة من البلدان المشرقية. وكانت قد استقرت في بعض المناطق الداخلية التي تسكنها القبائل البربرية والاطلسية، والتخوم الصحراوية التي توجد بها القبائل البربرية. وهذا المعطى الأول هو ما جعل الطائفة اليهودية تجمع بين اللسان العربي والبربري، واندماجها شبه الكلي في بعض العادات والتقاليد الاجتماعية المغربية من أكل ولباس واحتفال.

أما الطائفة الثانية وتدعى «الكورشيم» أي اليهود المهاجرين، فقد كانت قد حلت بالمغرب بمعية عرب الاندلس الذين هجروها قسراً سنة (١٤٩٢) بعد سقوط غرناطة، لكن تبقى الاشارة إلى بعض العائلات اليهودية القشتالية الأصل رحلت

إلى المغرب في مرحلة سبقت النكبة العربية الاسلامية المتمثلة في سقوط دولة الاندلس.

واستقرت هذه الطائفة في المدن الساحلية خاصة (طنجة، سلا، اسفي، الصويرة وغيرها) وبعض المدن القريبة منها (وازن، القصير الكبير، الشاون)

وقد احتفظت بتقاليدها الاندلسية ولغتها الاسبانية لعدة قرون، ولكن وبالرغم من هذا التباين الاثنولوجي واللسني بين الطائفتين فقد ظلت اللغة العبرية قاسماً مشتركاً بينهما، إنها لغة التعلم العقائدي والديني خاصة وأن الاتصال مع يهود المشرق العربي لم ينقطع، وهو اتصال لعبت فيه الأحبار المشرقية صلة ربط وتوحيد بين الطائفتين اليهوديتين المغربية في ما يتعلق ببعض الفتاوى والتحاليل الفقهية للعقيدة اليهودية ذاتها، التي كانت محل نزاع بين اليهود المحليين منهم والمهجريين، وساهمت من زاوية ثانية في دخول بعض العادات اليهودية الفلسطينية من طرق للصلوات والادعية الليلية، وكان قد ترتب على هذا الاتصال هجرة بعض الفقهاء والطلبة المغاربة الذين استرعى اهتمامهم حواضر الثقافة الكبرى كالقدس وطبرية وصفد، حيث تكونت على ما يزيد عن (١٦) جالية يهودية مغربية كان يرأسها يوسف بن تبول وهو أحد تلامذة لوريا موسس المدرسة القبالية. كما استقر من جهته ابراهام أزولاي مؤلف رباعيات «قبالية» بحبرون «الخليل». واجمالاً فإن الاحبار المشرقية لعبت دوراً فعالاً في توحيد الطائفتين المغربيتين وفتح طريق الهجرة إلى فلسطين التي كانت تجهلها إلى حد كبير الأجيال الاندلسية. وكانت الاحبار تعمل جادة على خلق إحساس ووعي جديدين في المتخيل اليهودي المغربي وذلك من خلال توزيعها لأكياس صغيرة فيها قليل من تراب أرض فلسطين على بعض العائلات اليهودية رغبة منها في ربط صلاتهم بما كانت تسميه بالبلد المقدس.(١٦٢)

وتشير مصادر تاريخية أخري إلى أنه يعود تاريخ الطائفة اليهودية في المغرب إلى القرن الثالث قبل الميلاد، إذ قصده اليهود، من المشرق الأدنى إبان العهد اليوناني وتتابع استقرار الموجات اليهودية فيه بعد ما صار مقاطعة رومانية عام (٤٢٠) ميلادي. وعبر الفتح الاسلامي ومن ثم بعد سقوط الاندلس في نهاية القرن الخامس عشر. جاء في بعض المصادر أن يهود جبال الاطلس يرجعون بنسبهم ووجودهم إلى ما قبل الغزو البابلي ودمار الهيكل لأول مرة. ويؤكدون أن أجدادهم لم يتم سبيهم إلى بابل. ولعل هناك بعض الوثائق المحيطة بمدينة فاس تثبت ذلك.(١٦٣)

ويذكر «أبو شقرا »إستناداًالى« اوسوبل» ان أعمال التجار اليهود في تلك المرحلة من التاريخ ازدهرت في موانىء البحر الابيض المتوسط المغربية وحققوا نجاحاً وافراًفي مضمار الشحن البحري وتبادل السلع والخدمات مع الدول الأجنبية، بينما بالكاد كان ممكناً تمييز يهود الداخل المغربي عن مواطنيهم الآخرين، وكانت الزراعة مصدر رزقهم الرئيس. ولكن بعد عام (٥٣٤) ميلادي أدى الاضطهاد الروماني البيزنطي الى تغلغل اليهود في عمق جبال الأطلس وتجاوروا مع البربر.(١٦٤)

وبعد الفتح الإسلامي استقرت احوال يهود المغرب وقدم عدد من اليهود من اسبانيا وبلغ عددهم في القرن التاسع الميلادي قرابة (٤٥) الفاً. وتذكر المصادر التاريخية أنه كان من بين سكان فاس عام (١١٦٠) ميلادي « ميمون » والد الفيلسوف اليهودي الكبير « موسى بن ميمون » الذي جاء الى المغرب من الأندلس. وكذلك الحاخام يهودا الكاهن بن سوسان الذي جاء من العراق . وخلال الحكم الإسلامي بات اليهود جزءاً من المجتمع العربي الاسلامي في ظل التسامح الديني السائد. وتعتقد بعض المصادر أنهم إنصهروا واندمجوا في المجتمع الاسلامي.(١٦٥)

حول الإنصهار النسبي ليهود المغرب في المجتمع الإسلامي يذكر محمد العربي المساري في كتابه « العلم السياسي » إن الجميع إنصهر في اليهودية التي ظلت لها ثلاثة روافد: اليهود الناطقون بالبربرية ، والناطقون بالعربية والناطقون بالاسبانية، واليوم لا يمكن الحديث بحزم عن أسبانية ال زولاي، وطوليدانو، وسيربرو، وازديلوس ،وغيرهم ممن تمغربوا عبر القرون واصبحت علاقتهم بالفردوس المفقود علاقة بقايا الموريسكيين -اي عرب الأندلس ويهودها- على مساقط رؤوس أجدادهم، لسبب رئيسي هوأن إسبانيا بعد « الريكونكيسطا » اي سقوط الأندلس بيد القشتالين والأراغونيين منذ خمسة قرون قامت الدولة فيها على أساس النقاء الديني والعرقي، وإعتبرت المسلمين واليهود الإسبان اجانب بل اعداء لا يسمح لهم بالعودة إلى بلادهم. وبهذا اصبح « الميغوراشيم » مجرد مغاربة يقطنون في الساحل ولايختلفون عن مغاربة الجنوب وماوراء الأطلس إلا بما تصفيه بصمات وخصائص البيئة والنمط الإنتاجي.(١٦٦) ويذكر« لاندو » شارحاً خلفية العلاقة بين يهود المغرب وبلادهم قائلاً:« وقد أصاب الأقلية اليهودية في مختلف العهود ما أصاب الأقليات الدينية في العالم. ولكنهم على العموم كانوا احسن حالاً من اليهود المقيمين في اقطار اخرى. فبينما كانت الدولة النصرانية واحدة بعد

الأخرى، ترى من المناسب أن تخرج اليهود من بلادها-إيطاليا (١٣٤٨)، هولندا(١٣٨٠)، فرنسا(١٤٠٣)، إنجلترا(١٤٢٢)، البرتغال(١٤٩٦)، إسبانيا (١٣٤١) و(١٤١٤) و(١٤٩٢) وأيضاً في عام (١٦١٠) - لم يُنف المغرب اليهود من البلاد بل على العكس كانت البلاد مأوى لآلاف من أولئك الذين أخرجوا من بيوتهم في أوروبا. ولم يقم في المغرب إضطهاد لليهود بتوجيه من الدولة. وقد أعطي لليهود في القرن الثالث عشر أحياء خاصة لسكناهم يسمى واحدها« ملاح» وذلك « لحمايتهم من اضطهاد الشعب». واعتبروا من أهل الذمة وقد ضمنت أموالهم وحريتهم لقاء بعض الواجبات التي كانت أهمها دفع الجزية. وقد كان العرب أكثر تسامحاً من البربر إزاء اليهود، إذا أتيحت لليهود في المناطق العربية فرص للتقدم وقد نجح عدد من اليهود، فكان لهم ثراء ونفوذ، ففي بلاد السيبة، وهي المناطق البربرية التي قد لا تعترف للسلطات بسلطة أو نفوذ، لم تكن مقدراتهم-اليهود- لقاعدة واحدة، أما في بلاد المخزن، أي المناطق التي تخضع للسلطة المركزية فقد عاشوا أحراراً في عملهم وعبادتهم وعندما يقيمون في بيئة بربرية يغلب عليهم أن يكتسبوا بعض صفات جيرانهم وخصائصهم مثل فقدان التسامح الديني والتزمت وقد يأخذون ببعض الخرافات الوثنية.(١٦٧)

وحول أوضاع يهود المغرب في القرن الثامن عشر تذكر المصادر التاريخية أن السلطان المغربي كان يوظف اليهود في الجمارك وسك النقود وكل علاقاته مع التجار الأوربيين ومفاوضاته مع الحكومات الأوربية. وقد برزت في ذلك القرن عدة عائلات يهودية منها: أل التاراس، وبنشيمول، أبينسور.(١٦٨) واحتفظت الطائفة اليهودية بمكانتها عبر القرنين التاسع عشر والعشرين، لكنها تعرضت مثلما تعرضت الشرائح الأخرى من المجتمع المغربي لتطورات وتيارات إجتماعية بنيوية داخلية ناتجة عن التغيرات الإجتماعية والإقتصادية الكبيرة التي مرت بها البلاد. ففي ظل الحكم الأجنبي الذي مارس سياسة « فرق تسد»، لم تتاح إمكانية تكرار ما حدث في الجزائر لجهة تجنيس اليهود، وذلك بسبب تمسك اليهود بقوميتهم المغربية.(١٦٩) وهذا ما أدى إلى إستمرار أوضاعهم على ما هي عليه لجهة إستقرارها. فقد استمرت محاكم الأحبار التي أذن فيها السلاطين من قبل، متولية الفصل في قضايا الأحوال الشخصية بينهم، وهيئة هذه المحاكم تتألف من ربيين ترشحهم الطائفة لهذه المهام. وفي عام (١٩١٨) صدر مرسوم سلطاني ينظم هذه المحاكم

ويحدد وظيفتها وقد جعل كل هيئة منها أو مجلس متكوناً من ثلاثة ربيين يرأسهم الحاخام. إثنان منهم بوصف قضاة، والثالث بعنوان كاتب محكمة كما جعل لليهود المتقاضين حق إستئناف الحكام، وذلك بالتوجه إلى محكمة عليا بالرباط تتكون من أربعة ربيين.

وتأسست إلى جانب هذه المحاكم مجالس طائفية لليهود تسهر على عامة شؤونهم، فتتولى إدارة أوقافهم وتنظيم شعائرهم، ومساعدة المحتاجين منهم وتتألف المجالس الطائفية من رئيس محكمة الأحبار أومن ينوب عنه من أحد الربيين. ومن قلة من أعيان اليهود يقع إختيارهم من قوائم تقدمها الطائفة نفسها. وعددالأعضاء في تلك المجالس يختلف من أربعة إلى عشرة بحسب اهمية الجهة وعدد سكانها اليهود. ويستمر عمل الهيئات المنتخبة عامين كاملين مع حق التجديد لهم. وتتكون ميزانيات هذه المجالس من التبرعات والهدايا ومداخيل الضرائب وريع الأوقاف. وهذه الحقوق والنظم قائمة في المناطق المغربية الثلاث-منطقة طنجة الدولية، ومنطقة الريف الإسبانية الخلفية، وبقية البلاد- مع توسع في المنطقة الخلفية قضى بها مرسوم ٢٨ / ١ / ١٩٣٠، فهم بحكم ذلك مستقلون دينياً وإجتماعياً وثقافياً وخاصة بتطوان. وعلى التوالي في عامي(١٩٤٥) و(١٩٤٧) أعيد النظر في المجالس الطائفية وحدد في المرة الأولى الدور الذي تضطلع به في إدارة الشعائر وفي الميدانين الإجتماعي والديني. وفي الثانية تكون إتحاد لهذه المجالس يجتمع الرباط سنوياً للتداول في شؤون الطائفة باسرها ودراسة مشاكل المجالس الجهوية وما يعرض لليهود المغاربة جميعهم.(١٧٠)

وفي مجال التعليم، كان هنالك مدارس لليهود قبل الإحتلال الفرنسي. لكن في عهد الإحتلال نشطت جمعية العصبة الإسرائيلية في هذا المجال. وبلغ عدد المدارس التي اسسها حتى عام(١٩٥١) قرابة (٦٩) مدرسة. منها مدارس إبتدائية وإعدادية وصناعية ومدارس للخياطة. وعند تعذر إنشاء المدارس كانت جمعية العصبة تقوم بإحداث أقسام جديدة في المدارس السابقة.(١٧١)

نشاطهم الاقتصادي والسياسي

المجال الإقتصادي يذكر أن يهود المغرب كانوا أكثر مشاركة في الحياة الإقتصادية وفي العمل من سائر إخوانهم في أقطار المغرب العربي، إذاكانت نسبة مشاركتهم

تبلغ(٣٠٪) بينما كانت نسبة مشاركتهم في الحياة الإقتصادية والعمل في الجزائر(٢٧٪) وفي تونس(٥ /٢٨٪).(١٧٢) وقد نشطوا في مختلف أوجه النشاط الإقتصادي فعملوا في الأعمال التجارية المتنوعة والأعمال الصناعية والفنون التقليدية، والمواصلات وفي الأعمال الحرة، وفي الزراعة أيضاً.

ولجهة مشاركتهم السياسية ودرجة إستقرارهم، ثم إعتبار يهود المغرب مغاربة في نظر الدولة، إذا قام الملك محمد الخامس بحمايتهم من الإضطهاد النازي. وقد توجه إلى شعبه في ٢٣/٥/١٩٤٨ بنداء إلى اليهود والعرب جميعاً في مملكته، حذر فيه الأولين من القيام باي عمل صهيوني ودعا الأخيرين إلى إحترام الأمن العام ورعاية النظام.(١٧٣)

وفي الحكومة الإستقلالية، اسندت وزارة البريد إلى الدكتور بنزكوان وهو يعتبر من ابرز المنادين باندماج اليهود في«العنصر» المغربي، وولي شباب اليهود المثقف عدة مناصب عالية في الإدارات أوبدواوين الوزراء. وهكذا سمي سام بنزراف مدير ديوان وزير المالية، وتوليدانو بديوان وزير الدولة

أما في الهيئات النيابية والمجالس فقد عين عدد منهم بالمجلس الإستشاري المؤقت الذي أسس عام(١٩٥٦)، كما انتخب افراد من بينهم بالمجالس البلدية. نجد منهم في أيار(١٩٦٨) ثلاثة ببلدية الدار البيضاء، وواحد بالمجلس البلدي بالرباط وإثنين بمجلس بلدية مراكش، وفي الهيئات السياسية التي جاء بها الدستور رأس زولاي المستشار القانوني في الدار البيضاء القسم المدني في المحكمة العليا.(١٧٤)

وتم التعبير عن درجة الاندماج والتعاون بين اليهود في المغرب وبقية السكان في تكوين رابطة الوفاق عام (١٩٥٦) التي شكلت بعد عامين (٢٧) فرعاً لها في عموم البلاد كما دخل اليهود في الكثير من الحركات والاحزاب الوطنية المغاربية مثل: حزب الاستقلال، والاتحاد الوطني للقوى الشعبية وجبهة حماية المؤسسات الدستورية والحزب الديمقراطي الاشتراكي.(١٧٥)

ولجهة تعداد يهود المغرب، لجهة تناقصه، نذكر انه ووفقاً لنشرة كانت تخص منطقة الاحتلال الاسباني عام (١٩٤٥) قدر عدد اليهود في المغرب بحوالي (٢٢٦١٩٦) يهودي وفي احصاء عام (١٩٦٠) قدر عددهم بحوالي (١٥٩٨٠٦) يهودي. وفي عام (١٩٦٧) هاجر معظمهم إلى فرنسا، وتوجه الكثير منهم في ما بعد إلى «اسرائيل» وتفيد آخر التقديرات أن عدد اليهود المغاربة

الحالي هو (٢٠,٠٠٠) يهودي يتوزعون في المدن المغربية الرئيسية. (١٧٦) بينما تشير الوثائق اليهودية من شاكلة الكتاب اليهودي السنوي لعام (١٩٩٣) إلى أن عدد يهود المغرب لا يزيد اليوم على (١٣٠٠٠) يهودي يعيش معظمهم في مدينة الدار البيضاء. (١٧٧)

ويشارك في السلطة المغربية الحالية عدد لهم من اليهود المغاربة نذكر منهم سيرج بيردوجو، وزير السياحة، والنائب يوهانا أوهانا، نائب منطقة الصويرة في البرلمان المغربي. كما يشغل اندريه أزولاي منصب مستشار للملك الحسن الثاني للشؤون الاقتصادية. (١٧٨)

ونذكر أيضاً أنه عام ١٩٨٦، وفي أعقاب تعيين أحد اليهود –جواد روحانا– نائباً في البرلمان المغربي، وأميناً لصندوق رئاسة البرلمان، ثارت في المغرب أزمة برلمانية حادة، تجلت آنذاك في تهديد حزبي الاستقلال الوطني والحزب الاشتراكي بالانسحاب من رئاسة البرلمان. لكن هذه الأزمة لم تأخذ أبعاداً خطيرة، إذ سارع الملك المغربي الحسن الثاني إلى إيقاف صدور صحيفتين مغربيتين هما: «البيان» و«التهادي» لأنهما أشارتا إلى خطورة قضية «روحانا» ومغزاها بالنسبة لمفاهيم المجتمع المغربي. (١٧٩)

هذه الحادثة أو القضية لدى وضعها في سياقها الموضوعي العام لا يمكن اعتبارها بمثابة مؤشر لعداء المجتمع المغربي لوجود اليهود بين ظهرانيه، إذ أضفنا المؤشرات التاريخية لنجد أن المسار العام لسلوك أبناء المجتمع العربي إزاء يهود البلاد لم يكن سلوكاً عدوانياً، وإذ حدثت في بعض المراحل أحداث تمس يهود المغرب، فإن خلفيتها ليست دينية بطبيعة الحال، بل يمكن القول أنها حدثت كرد فعل على سلوك يمس المجتمع المغربي ومصالح أبنائه مارسه بعض اليهود الذين ارتبطوا بجهات خارجية.

*** استنتاجات**

في نهاية هذا الجزء الذي عالجنا فيه الأصول التاريخية وأحوال اليهود في مجمل أقطار الوطن العربي، خلال فترة طويلة من الزمن وصولاً إلى المرحلة الراهنة، نجد أن المسار العام لسلوك اليهود الأصليين في سائر أقطار الوطن العربي، كان متعاوناً، وكانت درجة اندماج اليهود في المجتمعات العربية، درجة عالية، لم تنقصها بأي حال من الأحوال، حالة شبه الانعزال التي كان يعيشها اليهود في أحياء أو حارات خاصة بهم، إذ أن تلك الحالة لا تشبه بأي حال من الأحوال، ظروف معيشة اليهود

المزرية في غيتوات أوروبا، بمعنى ان العرب لم يفرضوا على اليهود العيش في احياء خاصة، إذ ان اليهود انفسهم ربما اعتادوا أو تعمدوا ولأسباب تتعلق بهم وبديانتهم العيش في أحياء خاصة بهم. ورغم ذلك لم تكن احياء اليهود تشكل حاجزاً امام اندماج اليهود في المجتمعات العربية، ولم تكن في الوقت ذاته في عيون العرب موقع ازدراء أو تنم عن اي نوع من انواع العداء الموجه إلى اليهود.

كما يمكن القول ان حدوث توترات بين العرب واليهود في سائر انحاء الوطن العربي لم يكن ناجماً عن اعتقادات أو فرضيات مسبقة ازاء وجود اليهود، بل كانت تحدث في بعض الأحيان بعض التوترات كنتيجة لعوامل خارجية موضوعية، يتمثل جزء منها في الدور الذي مارسه بعض اليهود الذين قدموا في مراحل متاخرة من الزمن من أوروبا وبلدان اخرى، حملوا معهم أزمات مجتمعاتهم الأوروبية بصورة سيئة، مما دفعهم إلى القيام بلعب دور عدواني ضد المجتمعات العربية وتحريض اليهود العرب على ممارسة السلوك على خلفية التضامن الديني. ويتمثل الجزء الثاني من العوامل الخارجية التي احدثت توترات بين العرب واليهود في لجوء بعض اليهود إلى ممارسة دور الوكيل إما للسلطات الحاكمة أو للسلطات الاستعمارية خلال فترة الاحتلال، لذلك ثار العرب ضدهم، وهذا الأمر جعل اليهود في المجتمعات العربية بمنزلة «الاسفنجة» التي يجب ان تمتص شحنات الغضب الشعبي العربي ازاء السلطات الاستعمارية.

وقد كان دور هذين الجزئين متكاملاً، ودعمته الحركة الصهيونية للايحاء ان ثمة مسألة يهودية في البلاد العربية، وذلك كي تجد المدخل الملائم لتهجير يهود تلك البلاد للقيام بممارسة دور عدواني منظم ضد الأمة العربية جمعاء انطلاقاً من قاعدة عدوان اساسية تتمثل في الكيان الصهيوني.

ونشير إلى انه في اعقاب الاعلان عن قيام الكيان الصهيوني، لم تحدث في سائر ارجاء الوطن العربي، اي احداث ضد اليهود على خلفية ما يحدث في فلسطين، ولم يتحول يهود البلاد العربية إلى رهائن، أو وضعوا في موضع انتقام، بل ان النشاط العام لسائر يهود البلاد العربية بقي مستمراً إلى حد ما. وإذا حدثت بعض المتغيرات على ذلك النشاط، فإنها كانت نتاجاً لجمل الظروف السياسية والاقتصادية التي تعرض لها هذا البلد العربي او ذاك، فاي حالة حراك او تطور اجتماعي او سياسي أو اقتصادي بنتائجها الايجابية أو السلبية في اي مجتمع عربي كانت تنعكس على المجتمع برمته وليس على اليهود فحسب.

مصادر وهوامش الجزء الأول

١- سعد الدين ابراهيم وآخرون، المجتمع والدولة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٨، ص٢٤٢.

٢- المصدر السابق ص٢٣١-٢٣٢.

٣- المصدر السابق ص٢٣٢

٤- المصدر السابق ص٢٤١

٥-مصدر سبق ذكره ص٢٤٢

٦- المصدر السابق ص٢٤٣

٧- المصدر السابق ص٢٤٤

٨- انظر التوزع الحالي ليهود العالم، نزار حميد، مجلة الأرض، العدد ١٢، كانون أول ١٩٩٣

٩- د. علي ابراهيم عبده، ود. خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، مركز الابحاث الفلسطينية، بيروت ١٩٧١ ص٤٥

١٠- إياد أبو شقرا، (اعداد)، اليهود في العالم العربي - يهود العراق- الحلقة الأولى، صحيفة «الشرق الأوسط»، لندن ، ١٩/١١/ ١٩٩٤.

١١- المصدر السابق ذاته.

١٢- المصدر السابق ذاته.

١٣- جليل العطية، (تقرير)، صحيفة «الشرق الأوسط»، لندن ٢٣/٨/١٩٩٤

١٤- المصدر السابق.

١٥- إياد أبو شقرا، (اعداد)، اليهود في العالم العربي - يهود العراق- الحلقة الثانية، صحيفة «الشرق الأوسط»، لندن ، ٢٠/١١/ ١٩٩٤.

١٦- علي ابراهيم عبده، وخيرية قاسمية، مصدر سابق ص٤٦ .

١٧- المصدر السابق ص٤٧ .

١٨- المصدر السابق ص٤٩ .

١٩- المصدر السابق ص٥٠-٥١.

٢٠- المصدر السابق ص٥٣-٥٤ .

٢١- المصدر السابق ص٦٤-٦٥.

٢٢- المصدر السابق ص٦٧ .

٢٣- صادق حسن السوداني، النشاط الصهيوني في العراق (١٩١٤-١٩٥٢)، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، سلسلة دراسات (٢٠٦)، بغداد ١٩٨٠، ص٢٣

٢٤- المصدر السابق ص١٧.

٢٥- المصدر السابق ص١٠٣.

٢٦- المصدر السابق ص٢٤٢-٢٤٣ .

٢٧- علي ابراهيم عبده، وخيرية قاسمية مصدر سبق ذكره ص٧٥ .

٢٨- المصدر السابق ص٨١.

٢٩- السوداني، مصدر سابق ص٢١٢

٣٠- سعد الدين ابراهيم، مصدر سابق ص٢٥١.

٣١- صحيفة «تشرين»، دمشق ٤/٦/١٩٩١.

٣٢- صحيفة «الرأي»، عمان ، رسالة بغداد من مصطفى كامل.٥/٢/١٩٩٥

٣٣- اياد أبو شقرا (اعداد) اليهود في العالم العربي، يهود سورية، صحيفة «الشرق الأوسط»، لندن ٢١/١١/١٩٩٤.

٣٤- علي ابراهيم عبده، وخيرية قاسمية، مصدر سابق ص٨٥.

٣٥- إياد أبو شقرا، مصدر سبق ذكره

٣٦- علي ابراهيم عبده، وخيرية قاسمية، مصدر سابق ص٨٦.

٣٧- اياد أبو شقرا، مصدر سبق ذكره.

٣٨- مطيع النونو، تعقيب على «حلقات اليهود في العالم العربي» ، لـ اياد أبو شقرا، صحيفة الشرق الاوسط، لندن ٦/١/١٩٩٥.

٣٩- علي ابراهيم عبده، وخيرية قاسمية، مصدر سابق ص٨٨.

٤٠- المصدر السابق ص٩٠-٩١.

٤١- المصدر السابق ص١٠٢.

٤٢- المصدر السابق ص ١٠٤.

٤٣- مجلة «السؤال»، العدد ١٥-١٦ ، ٢٥/١- ٢٥/٢/١٩٩٢.

٤٤- صحيفة «السفير» ٣١/٨/١٩٩٢. (مقابلة)

٤٥- صحيفة «الحياة» ، لندن ١١/١/١٩٩٤ (مقابلة).

٤٦- علي ابراهيم عبده، وخيرية قاسمية، مصدرسابق ص٩٠.

٤٧- مجلة «السؤال»، مصدر سابق.

٤٨- صحيفة «الشرق الاوسط» ، لندن ٢/٦/١٩٩٣ (مقابلة)

٤٩- علي ابراهيم عبده، وخيرية قاسمية، مصدر سابق ص٩٤.

٥٠- مجلة «السؤال» مصدر سابق

٥١- صحيفة «السفير» بيروت ٤/٦/١٩٩٣(تقرير).

٥٢- صحيفة «السفير»، بيروت ٤/٦/١٩٩٢ تحقيق منى سكرية.

٥٣- صحيفة «الحياة»، لندن ١٨/١٠/١٩٩٤.

٥٤- علي ابراهيم عبده، ود. خيرية قاسمية، مصدر سابق ص٩٨.

٥٥- المصدر السابق ص٩٩.

٥٦- المصدر السابق ص١٠٠-١٠١.

٥٧- المصدر السابق ص١٠٥.

٥٨- المصدر السابق ذاته.

٥٩- المصدر السا ق ص١٠٧.

٦٠- المصدر السابق ص٨٦.

٦١- النشرة اليومية عن الصحافة الاسرائيلية الصادرة عن مؤسسة الأرض في دمشق في ٩/٨/١٩٨٣.

٦٢- مجلة (المجلة)، لندن العدد ٦٩٧، ٢٠-٢٦/٦/١٩٩٣ .
٦٣- صحيفة (النهار)، بيروت، ٢٢/٤/١٩٩٣ .
٦٤- صحيفة (النهار ، بيروت ٥/٣/١٩٩٤ .
٦٥- صحيفة (الشرق الأوسط)، لندن ٦/٣/١٩٩٤ .
٦٦- صحيفة (الحياة)، لندن ١٩/١٠/١٩٩٤ .
٦٧- علي ابراهيم عبده، ود. خيرية قاسمية، مصدر سابق ص١٠٩-١١٠
٦٨- المصدر السابق ص١١٠-١١١ .
٦٩- صحيفة (الانباء)، الكويت، ١٢/٦/١٩٨٢ .
٧٠- مجلة (الوسط)، العدد ٩٤، ١٥/١١/١٩٩٣ .
٧١- النشرة اليومية عن الصحافة الاسرائيلية ، ١٥/٣/١٩٨٦ .
٧٢- على ابراهيم عبده مصدر سابق ص١١٢-١١٣ .
٧٣- المصدر السابق ص١٢٢-١٢٣ .
٧٤- هنري كتن، (فلسطين في ضوء الحق والعدل) ترجمة وديع فلسطين، مكتبة لبنان ، بيروت، طبعة أولى ١٩٧٠ ص٣-٤ .
٧٥- إياد أبو شقرا، (إعداد) يهود العالم العربي، يهود فلسطين، صحيفة(الشرق الأوسط)، لندن ٢٢/١١/١٩٩٤
٧٦- هنري كتن، مصدر سابق، ص٦-٧
٧٧- المصدر السابق ص١٣ .
٧٨- إياد أبو شقرا، مصدرسابق، يهود الجزيرة العربية، صحيفة(الشرق الأوسط)، لندن ٢٣/١١/١٩٩٤ .
٧٩- علي إبراهيم عبده(مصدر سابق) ص١٥٧/١٥٨ .
٨٠- صحيفة (السفير)، بيروت ٢٢/١٠/١٩٩١ .
٨١- صحيفة(السفير)، بيروت ١١/٨/١٩٩١ .
٨٢- عباس علي شامي، يهود اليمن قبل الصهينة وبعدها، الطبعة الثانية ١٩٨٨ ، صنعاء ص ٢٥/٢٦ .
٨٣- المصدر السابق ص٣٣ .
٨٤- علي إبراهيم عبده،ود. خيرية قاسمية (مصدر سابق) ص١٣٥ .
٨٥- المصدر السابق ص١٣٧ .
٨٦- المصدر السابق ص١٤٧ .
٨٧المصدر السابق ص١٥١ .
٨٨- عباس علي شامي، مصدر سابق ص٣٩/٤٠ .
٨٩علي إبراهيم عبده، ود.خيرية قاسمية،مصدر سابق ص١٤٠ .
٩٠- المصدر السابق ،ص١٤٩-ص١٥١ .
٩١- صحيفة (القبس)، الكويت، ٢٩/١/١٩٨٥ ،رسالة صنعاء من حمزة الطيراوي .
٩٢- مجلة(الوسط)، العدد(٩٤)،١٥/١١/١٩٩٣ .
٩٣- صحيفة(الشرق الوسط)، لندن،٢/٩/١٩٩٣ .

٩٤- صحيفة «الشرق الوسط»، لندن، ١١/٢/١٩٩٤. تقرير من عبد الله حموده وناجي الحرزاني
٩٥- سعدالدين إبراهيم وآخرون، مصدر سابق ص١١٠.
٩٦- المصدر السابق ص١١١.
٩٧- المصدر السابق ص١١٨.
٩٨- المصدر السابق ص١٢٠.
٩٩- أحمد عثمان، تاريخ بني إسرائيل، موسى في سيناء صحيفة «الحياة»، لندن ١٢/١١/١٩٩٣.
١٠٠- المصدر السابق ذاته.
١٠١- علي إبراهيم عبدُه، ود. «خيرية قاسمية»، مصدر سابق ص١٦١.
١٠٢- إياد أبو شقرا، اليهود في العالم العربي، «إعداد»، «الشرق الوسط»، لندن، ٢٤/١١/١٩٩٤.
١٠٣- المصدر السابق ذاته.
١٠٤علي إبراهيم عَبدُه، ود «خيريه قاسمية»، مصدر سابق ص١٦١/١٦٢.
١٠٥- المصدر السابق ص١٦٣.
١٠٦- سهام نصار، اليهود المصريين بين المصرية والصهيونية، دار الوحدة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٠.
١٠٧- المصدر السابق ص١٦.
١٠٨- علي إبراهيم عبده، ود. خيرية قاسمية، مصدر سابق ص١٧٢.
١٠٩- سهام نصار، مصدر سابق ص١٦.
١١٠- علي إبراهيم عبده، ود. خيرية قاسمية مصدر سابق ص١٧٢.
١١١- المصدر السابق ص١٧٥.
١١٢- سهام نصارالمصدر السابق ص١٥.
١١٣- صحيفة «القبس»، الكويت، ٣/٢/١٩٨٩.
١١٤- سهام نصار، المصدر السابق ص١٧-١٨.
١١٥- المصدر السابق ص١٩.
١١٦- علي إبراهيم عبده، ود. خيريةقاسمية، مصدر سابق ص١٦٥-١٦٦.
١١٧- المصدر السابق ص١٦٧.
١١٨- المصدر السابق ص١٦٨/١٦٩.
١١٩ المصدر السابق ص١٩٥.
١٢٠- سهام نصار، مصدر سابق ص١٢.
١٢١- المصدر السابق ص٢٠.
١٢٢- المصدر السابق ذاته.
١٢٣- المصدر السابق ص٢١.
١٢٤- علي إبراهيم عبده، ود. خيريةقاسمية، مصدر سابق ص١٨١.
١٢٥- المصدر السابق ص١٨٣.
١٢٦- المصدر السابق ص١٩١.

١٢٧- مجلة «الوسط»،العدد (٩٤)، ١٠/١١/١٩٩٣. مصدر سبق ذكره
١٢٨- صحيفة «السفير»، بيروت، ٨/١/١٩٩٤.
١٢٩- علي إبراهيم عبده، ود. خيرية قاسمية، مصدر سابق ص٢٠٠-٢٠١.
١٣٠- المصدر السابق ص١٠٣. ص٣٠٢
١٣١- إياد أبو شقرا، يهود العالم العربي، يهود شمال إفريقيا، صحيفة الشرق الأوسط ٢٥/١١/١٩٩٤.
١٣٢- علي إبراهيم عبده، ود. خيرية قاسمية، مصدر سابق ص٢٠٤.
١٣٣- د. محمد الحبيب إبن الخوجة، يهود المغرب العربي،القاهرة ١٩٧٣، صادر عن معهد البحوث والدراسات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية،ص١٦٢.
١٣٤- المصدر السابق ص١٦٣.
١٣٥- المصدر السابق ص١٦٤-١٦٥.
١٣٦- المصدر السابق ص١٧٠-١٧١.
١٣٧- المصدر السابق ص١٧٢.
١٣٨- المصدر السابق ص١٧٣/١٧٤.
١٣٩- صحيفة «السفير» بيروت ٢٠/٤/١٩٩٣.
١٤٠- مجلة «الوسط»العدد(٩٤)،١٥/١١/١٩٩٣.
١٤١- مجلة «المجلة» لندن، العدد(٦٩٧)، ٢٠-٢٦/٦/١٩٩٣.
١٤٢- الهادي التيمومي، النشاط الصهيوني بتونس بين ١٨٩٧-١٩٤٨، تونس(١٩٨٢)الثقافة العمالية للطباعة والنشر، ص٢٧.
١٤٣- المصدر السابق ذاته.
١٤٤- المصدر السابق ص٢٨.
١٤٥- المصدر السابق ص٢٩/٣٠.
١٤٦- لمزيد من التفاصيل، إنظر د. محمد الحبيب إبن الخوجة، يهودالمغرب العربي، المصدر السابق الصفحات من ص١١٨ إلى ص١٢٨.
١٤٧- المصدر السابق ص١٧٤-١٧٥.
١٤٨- المصدر السابق ص١٣٠-١٣١.
١٤٩- المصدر السابق ص١٣٧.
١٥٠- المصدر السابق ص١٣٨-١٣٩.
١٥١- المصدر السابق ص١٤٠.
١٥٢- المصدر السابق .ص١٢٩.
١٥٣- نزار حميد، التوزع الحالي ليهود العالم، مصدر سابق ص٨٥.
١٥٤- إنظر،يهود المغرب العربي،د.محمدالحبيب ابن الخوجة، المصدر السابق ص٢٥-٣٠.
١٥٥- المصدر السابق ص٤١.
١٥٦- تفاصيل ذلك أوردها «ابن الخوجة»،مصدر سابق ص٤٣/٤٤.
١٥٧- المصدر السابق ص٨٣.

١٥٨- المصدر السابق ص٨٤-٨٥.

١٥٩- المصدر السابق ص٩٢.

١٦٠- المصدر السابق ص٩٨.

١٦١- إياد أبو شقرا، (اعداد)، يهود العالم العربي، صحيفة «الشرق الأوسط» ١٩٩٤/١١/٢٥.

١٦٢- الحسين العكلي (تقرير)، صحيفة «الشرق الأوسط» ١٩٩٣/١٢/٩.

١٦٣- إياد أبو شقرا، (اعداد) يهود العالم العربي، يهود المغرب، صحيفة «الشرق الأوسط» ١٩٩٤/١١/٢٦.

١٦٤- المصدر السابق.

١٦٥- المصدر السابق.

١٦٦- نقلاً عن أبو شقرا (المصدر السابق).

١٦٧- المصدر السابق.

١٦٨- المصدر السابق.

١٦٩- محمد الحبيب ابن الخوجة، يهود المغرب العربي، مصدر سابق ص١٤٤.

١٧٠- المصدر السابق ص١٤٥-١٤٦.

١٧١- راجع «ابن الخوجة» المصدر السابق ص ١٥٣-١٥٤.

١٧٢- المصدر السابق ص١٥٥.

١٧٣- المصدر السابق ص١٤٤.

١٧٤- المصدر السابق ص١٨٣.

١٧٥- عبده وقاسمية، مصدر سابق ص٢٩٠.

١٧٦- نزار حميد، التوزيع الحالي ليهود العالم، مصدر سابق ص٨٤.

١٧٧- إياد أبو شقرا، الشرق الأوسط، ١٩٩٤/١١/٢٦ مصدر سابق.

١٧٨- المصدر السابق ذاته.

١٧٩- النشرة اليومية عن الصحافة الاسرائيلية ١٩٨٦/١١/١٧.

الجزء الثاني
اليهود في الكيان الصهيوني

الفصل الأول

السبي الصهيوني ليهود البلاد العربية

منذ أن انقلبت الحركة الصهيونية من حركة دينية صوفية إلى حركة سياسية ذات أهداف محددة، لدى انعقاد مؤتمرها الأول والشهير في «بازل» السويسرية (١٩١٧)، تشكلت الاستراتيجية العامة بخطوطها الأساسية للنشاط الصهيوني في أوساط اليهود في الولايات العربية من السلطنة العثمانية، التي كانت آنذاك تدخل أزمتها العميقة التي أفضت إلى بروز ماسمي في مابعد بـ«المسألة الشرقية»، ومنذ ذلك الحين أصبح «رجل أوروبا المريض»عرضة لمطامع الامبراطوريات الكبرى آنذاك. تلك الظروف السياسية الجيوبوليتيكية، أوجدت شراكة من طراز خاص بين الامبراطوريات الكبرى آنذاك -وتحديداً الامبراطورية الانكليزية- والحركة الصهيونية الناشئة آنذاك. وكلما تعمقت أزمة «رجل أوروبا المريض»، كلما تعمقت الشراكة وأواصر التعاون بين تلك الامبراطوريات القوية والحركة الصهيونية. أي أن التناسب كان طردياً، مما أفضى في نهاية المطاف إلى تقسيم تركة «رجل أوروبا المريض» بين الامبراطوريتين الفرنسية والانكليزية وهذا ما تم التعبير عنه بداية في تقرير «بنرمان» الشهير عام (١٩٠٧) -نسبة إلى كامبل بنرمان- رئيس اللجنة التي أعدت التقرير الذي جاء فيه: «أن الخطر على كيانات الامبراطوريات الاستعمارية، كامن في الدرجة الأولى في هذه المنطقة -أي المنطقة العربية- في تجمعها واتحادها حول عقيدة واحدة، وهدف واحد، فعلى كل الدول ذات المصلحة المشتركة أن تعمل على استمرار وضع هذه المنطقة المجزأ، المتأخر، وعلى إبقاء شعوبها، على ماهو عليه من تفكك وجهل وتأخر وتناحر. وكوسيلة أساسية مستعجلة لدرء الخطر، يجب العمل على فصل الجزء الافريقي من هذه المنطقة عن جزئها الاسيوي وذلك بإقامة حاجز قوي على الجسر البري الذي يربط آسيا بافريقيا، ويربطهما معاً بالبحر الأبيض المتوسط، بحيث يشكل في هذه المنطقة، وعلى مقربة من قناة السويس، قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة». (١)

هذا التوجه الاستراتيجي للدول الاستعمارية آنذاك شكل حاضنة استمدت منها الحركة الصهيونية خطط عملها المشتقة من تلك الاستراتيجية الاستعمارية

لتحقيق أهدافها وأهداف تلك القوى والدول الاستعمارية في الآن ذاته.

لذلك يبدو طبيعياً أن نبحث أولاً في جذور «السبي الصهيوني» ليهود البلاد العربية، سبيهم نحو فلسطين لتحقيق مطامع ومصالح قوى استعمارية، وليس لاعادة التاريخ فحسب أو لتحقيق «وعد الهي» في ما يسمى بـ«أرض الميعاد».

سنبدأ في عرض أوجه النشاط الصهيوني في البلاد العربية، الذي تمحور حول اغراء وجذب يهود تلك البلاد نحو فلسطين، ومن ثم رصد اخفاقات ونجاحات ذلك النشاط الصهيوني، كي نصل فيما بعد إلى تقديم واقع حال يهود البلاد العربية داخل الكيان الصهيوني، الذي ادعى قادته منذ الاعلان عن قيامه أنه «أرض العسل واللبن» و «واحة الديمقراطية» في الصحراء التوتاليتارية العربية المترامية الأطراف.

***النشاط الصهيوني في العراق:**

تشير المصادر التاريخية إلى أن يهود العراق وسط الظروف الجيدة التي كانت سائدة في العراق، لم تشكل في وعيهم أرضية لبروز ميول عدوانية ازاء المجتمع العراقي الذي عاشوا بين ظهرانيه. إلا أن تقلب الظروف السياسية المحيطة بالعراق والناشئة عن تنافس الامبراطوريات الكبرى على تقسيم وتقاسم أراضي السلطنة العثمانية المنهارة، مهد الطريق أمام بروز قلة من يهود العراق أعجبوا بالأفكار الصهيونية، ومن أبرزهم أهرون ساسون بن إلياهو ناحوم، الملقب «بالمعلم» وبنيامين ساسون، وكان بروزهما كأنصار للصهيونية قد تبلور في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وسبق لهما في تلك الحرب أن طلبا تحريرياً من المنظمة الصهيونية العالمية تخويلهما بتشكيل جمعية في العراق، تكون فرعاً لمنظمة «الكيرن كايمت» أو مايعرف باسم «الصندوق القومي اليهودي» إلا أن مكتب المنظمة الصهيونية في مدينة كولون الألمانية طلب منهما إرجاء ذلك لحين استكمال انشاء فرع المنظمة في الاستانة. ولكنهما رُفدا بنشرات وكتب وصحف ومجلات خاصة بالمنظمة الصهيونية، وقبل ما جمعاه تبرع للمنظمة والبالغ (١٨,٧٥) فرنكاً. إلا أن نشوب الحرب العالمية الأولى، وانقطاع العراق عن أوروبا، واضطراب الأحوال في العراق وتجنيد اليهود في الجيش العثماني واجبار أغنيائهم على دفع التبرعات الضخمة فضلاً عن نفي بعضهم بتهمة الفرار من الخدمة العسكرية أو التجسس لصالح الانكليز أو محاولة تخريب اقتصاد البلاد، حال دون تأسيس جمعية صهيونية في

العراق سواء كانت رسمية أم غير رسمية، مما أدى بالتالي إلى خمود النشاط الصهيوني في العراق طيلة أيام الحرب بشكل واضح حتى انتهت، إلا أنه ورغم ذلك أخذ أهرون ومن يساند بجمع الأموال كتبرعات لارسالها إلى المنظمة الصهيونية

أما في البصرة فقد بدأ الاهتمام بالصهيونية قبيل الحرب العالمية الأولى، إلا أن أول اتصال بالحركة الصهيونية من قبل اليهودي «اسحق» كان في آذار (١٩١٣) حين وصلته نشرات وكتب وأدبيات صهيونية واستفسار من برلين حيث هنالك مركز للصهيونية عما إذا كان هناك استعداد لفتح جمعية صهيونية في البصرة. فكان الرد سلبياً لأن الطائفة ليست على استعداد وأن ما يهمها هو جمع المال أو الفائدة العاجلة، إلا أن اسحق بن اسحاق أهرون كون مجموعة صغيرة ضمت حوالي (١٠) عشرة أشخاص باشرت نشاطها في آب (١٩١٣). (٢) وحاولت هذه الجمعية الحصول على إذن رسمي بممارسة عملها استناداً إلى ممارسة ضغط من المانيا على السلطات العثمانية، إلا أنها فشلت في الحصول على ذلك الإذن، ورغم ذلك مارست عملها بصورة سرية، واستطاعت عام (١٩١٤)، فتح مدرسة عبرية صغيرة سميت المدرسة العبرية الصهيونية، كانت ساتراً لعملها وفي عام (١٩١٨) بدأ النشاط الصهيوني بالاتساع وادعى «أهرون ساسون» في رسالة موجهة منه إلى مسؤول صهيوني في يافا «بأن الفكرة الصهيونية قد رسخت جذورها في قلب كل واحد من طائفتنا، وتلبية لطلب الجمهور فقد قررنا أن نغرس هنا (العراق) جمعية صهيونية حتى لا يكون نصيبنا في مساعدة الشعب اقل من نصيب بقية إخوتنا. من الواضح أن المهمات الاساسية لأعضاء جمعيتنا هي اعطاء المعلومات الكامنة. ومساعدة أولئك الراغبين في الهجرة إلى البلاد (فلسطين) بهدف الاستيطان واحياء اللغة العبرية في أوساط شبان طائفتنا في العراق التي يربو عددها على المائة الف نسمة». (٣)

وبعد سنوات قليلة تم تاسيس «الجمعية الأدبية العبرية» واسمها بالعربية «الجمعية الأدبية الاسرائيلية»، في عام (١٩٢٠)، تراسها ضابط شرطة يهودي اسمه «شلومو روبين حيا» أما سكرتيرها فهو «سلمان شينا». وذكر أن سبب تاسيسها هو تقوية أواصر التعاون بين اليهود لرفع معنوياتهم ازاء الشعور القومي العربي المتعاظم، والذي اخذوا يلمسونه بعد ثورة العشرين التي اعتبرها اليهود تمرداً ضد السلطة المحتلة. إلا ان هذه الجمعية لم تستمر في عملها وخاصة عقب اغتيال رئيسها «شلومو حيا». وفي أوائل عام (١٩٢١) استطاع عدد من الصهاينة

من تشكيلها من جديد وانتخبوا هيئة ادارية لها، وتقدموا بطلب للمندوب السامي البريطاني في ٢٢ / ٢ / ١٩٢١ فتلقوا رداً بالموافقة من سكرتيره السياسي في ٥ / ٣ / ١٩٢١، والسماح لها بممارسة نشاطها صراحة وان تظهر باسمها الصهيوني الصريح دون أي تمويه أو ستر. لذا عممت الجمعية اسماء اعضاء هيئتها الادارية، وفق الشكل التالي: «أهرون ساسون الياهو ناحوم» (رئيساً)، المحامي «يوسف الياس غباي» (نائباً للرئيس) مويز ماير (سكرتيراً)، و«سلمان شينا» (مديراً للحسابات). (٥) وقد ألغي ترخيصها في تموز (١٩٢٢) وتواقت ذلك مع صدور قانون الجمعيات العراقي.

وابتداءً من عام (١٩٢٤) أطلقت الجمعية على نفسها اسم «الهستدروت» الصهيونية لبلاد الرافدين، وهي تسمية غير علنية، وازداد نشاطها بين اليهود في العراق، إذ أنه في آذار (١٩٢٤) كانت هناك سبع جمعيات صهيونية سرية في العراق تابعة لها هي:

١- الجمعية الصهيونية لبلاد الرافدين (بغداد)، ٢- الجمعية الصهيونية لبلاد الرافدين (البصرة)، ٣- الجمعية الأدبية العبرية، ٤- جمعية شبان بني يهوذا، ٥- ممثل (وكيل) منظمة بني يهوذا في خانقين، ٦- (وكيل) منظمة بني يهوذا في العمارة، ٧- (وكيل) منظمة بني يهوذا في أربيل. وبلغ عدد أعضاء «الهستدروت» (١٠٠٠) شخص. (٦)

وقد وافقت الحكومة في نيسان (١٩٢٣) على تأسيس فرع لـ«هبوعيل مزراحي» وصل عدد أعضاءه (٣٠٠) عضو حسب زعم مجلة الحزب الصادرة في فلسطين. وإذا ما استثنينا جمعية مكابي الرياضية التي أسست عام (١٩٢٦) فإن الجمعية الصهيونية برئاسة أهرون كانت الجمعية الوحيدة النشاط التي عملت في بغداد في عقد العشرينات من هذا القرن. (٧) وفي عام (١٩٣٠) كان في العراق حوالي (٢١) جمعية ونادي يهودي مجاز، غاياتها مختلفة فبين جمعية أدبية إلى جمعية إجتماعية الى صناعية إلى رياضية. وبعض هذه الجمعيات كانت تمارس نشاطات صهيونيه. مثال ذلك الجمعيهة الأدبية الإسرائيلية المؤسسة في بغداد منذ ١ / ١٠ / ١٩٢٢ بهدف نشر العلوم بين أفراد الملة الإسرائيلية. ومن بين هذه الجمعيات والنوادي نذكر: نادي جمعية الشبيبة الإسرائيلية، نادي الشبيبة الإسرائيلية في العمارة ،نادي الزوراء، الصف الأدبي، مكتبة التقدم، لجنة إسعاف المدارس الإسرائيلية، جمعية لورة خضوري، جمعية خريجات مدارس الإليانس الإسرائيلية، جمعية تومخي تورة، جمعية حبرا قديشة، جمعية متخرجي مدارس

الإليانس الإسرائيلية، وجمعية نسيج السجاجيد. (٨) وقد وجد النشاط الصهيوني دعماً واضحاً من المندوب السامي البريطاني «هنري دوبس» في العراق، الذي تجاهل الحكومة العراقية و مشاعر الشعب العراقي، إذ إ ستدعى أقطاب الطائفة اليهودية في بغداد طالباً إليهم قبول تاسيس وكالة يهودية في بغداد بناء على التعليمات الواردةإليه من إنكلترة. ولما كان ذلك معناه تبني الصهيونية ومساندتها فقد أبى اليهود هؤلاء الإنتساب إلى هذه الوكالة التي كان من المؤمل ان تقوم كفرع للوكالة اليهوديةفي فلسطين، بل و اقنعوا «دوبس» عدم السماح بتاسيس هذه الوكالة. وهذا ما صرح به نوري السعيد رئيس الوزراء العراقي ورئيس الوفد العراقي إلى مؤتمر الطاولة المستديرة المنعقد في لندن عام (١٩٣٩). وأشار السعيد إلى ان هذه الجهود كانت رسمية تهدف إلى إرغام اليهود على ان يصبحوا صهيونيين ويهاجروا إلى فلسطين. ولكن رغم أن حقيقة جهود دوبس هذه لم تنجل للسلطات العراقية إلا فيما بعد أي بعد سنين من قيامها، وأكد ان يهود العراق لا يرغبون في الإنتماء للحركة الصهيونية.(٩)

وقد تضاءل فيما بعد نفوذ الجمعية الصهيونية في بغداد وتحديداً عام (١٩٣٥)، حينما تمت محاكمة اهرون ساسون بسبب نشاطه الصهيوني، ومن ثم إطلاق سراحه بتدخل بريطاني وتهجيره إلى فلسطين.(١٠)

وإلى جانب الجمعية الصهيونية آنفة الذكر، نشطت في العراق خلال السنوات الخمس ما بين (١٩٣٠–١٩٣٥) الجمعيات المبينة في الجدول التالي: (١١).

الجمعية	عام تاسيسها	نشاطها	مكان نشاطها
١– جمعية الشبان العبرانيين	١٩٣١/١٠/١٣	جمع التبرعات	بغداد
٢– جمعية نشر منتوجات فلسطين	كانون أول ١٩٣٣	ترويج الصناعات الصهيونية القادمة من فلسطين	الحلة
٣– جمعية اهيعيفر (الشبيبة)	؟	دعائي	بغداد
٤– منظمة الشبيبة العبرية	١٩٣٠	دعائي	بغداد
٥– جمعية مكابي	١٩٢٧	رياضي شكلاً صهيوني مضموناً	بغداد ومدن اخرى

ولقد تعددت أوجه النشاط الصهيوني بين أوساط يهود العراق، واتخذت اشكالاً وتعبيرات مختلفة وكذلك عدة اتجاهات منها: الاتجاه نحو شراء الاراضي في فلسطين بين عامي ١٩٢٠–١٩٢١، وجمع التبرعات من يهود العراق لتجسيد هذه الغاية –شراء الأراضي– وهذا ما حبذه ودعا اليه الصهيوني «الفونسوينشن»، الذي كان يعمل طبيباً وقدم الى العراق من الهند والقى عدداً من المحاضرات التي تحث اليهود في العراق على تبني الافكار الصهيونية وتقديم التبرعات لها لشراء أراضي في فلسطين وقد جاء في احدى محاضراته قوله: «ان أرض فلسطين هي أرض قومية لليهود وأن لليهود قومية».(١٢)

وحول تبرعات يهود العراق لعملية شراء الأراضي في فلسطين يذكر« موسى ابن نصير» وهو إسم رمزي لأحد اليهود الذين أسلموا، في كتابه« شذوذ ومآسي في الطائفة الإسرائيلية» ان التبرعات التي كان يجمعها يهود العراق ويرسلونها إلى المنظمات الصهيونية العاملة في فلسطين تحت أسماء متنوعة« غايتها تشجيع الهجرة إلى فلسطين وشراء أراضي هناك والإنفاق على المهاجرين المعوزين، ولتأسيس رأس مال قومي يقوم بتشكيل الجمعيات والمشاريع الكبرى التي يحتاجها اليهود في فلسطين. فهذه المبالغ على كثرة الأساليب التي ينتحلونها لجمعها إنما تجمع عن طريق الإحتيال حيناًوعن طريق إستغلال العاطفة الدينية حيناً أخر، وعن طريق الزعم بأنها لتعمير مراقد الأنبياء وأضرحتهم في فلسطين حيناً ثالثاً. فالذي يدخل الكنيس يجد نفسه أمام عدة صناديق بأسماء مختلفة ولكنها في الحقيقة تصب جميعاًفي مصب واحد يهدف إلى تعريز النشاط الصهيوني في فلسطين، وهذا قسم من أسماء الصناديق المذكورة مترجمة إلى العربية مثل:راحيل أمنا، تعليم التوراة، ربي مائير، ربي شمعون،بريوحاي، إعانة الغرباء، ساندي التوراة، الفدية، علم داود أورشاليم (أي العلم الصهيوني)، والرأس المال القومي الصهيوني.(١٣) ويشير« موسى بن نصير» إلى أنه في عام(١٩٢٠)، تبرع يهود العراق بنسبة(٦,٥٪) من مجموع دخل الكيرن كاييميت من أرجاء العالم، فاحتل يهود العراق بذلك المرتبة الرابعة بعد الولايات المتحدة وإنكلترا والصين. وفي عام (١٩٢١) إحتل المرتبة الثانية بعدالولايات المتحدة الأميركية وشكلت تبرعاتة (١٢,٥٪) من دخل الكيرن كييمت أي ما يساوي (١٥٩٤٧) جنيه استرليني. وفي عام (١٩٢٤) إحتل المرتبة الثالثة بعد الولايات المتحدة وانكلترا

وشكلت تبرعاتة (٨٪) علماًبان يهود العراق يشكلون (٠,٦٪) من مجموع يهود العالم.(١٤)

إلى جانب هذا النشاط، كان هنالك نشاط دعاوي وتربوي في أوساط أبناء الطائفة اليهودية في العراق، إستند فيما بعد إلى بعض الأحداث التي جرت في العراق تجاه اليهود، ليحدث تطوراً لاحقاً في النشاط الصهيوني في العراق، ومن تلك الأحداث: زيارة الصهيوني (الفرد موند) - الذي عرف فيما بعد بإسم اللورد مالشت- للعراق في ٨/٢/١٩٢٨، إذ قابله الشعب العراقي بالسخط وبالمظاهرات التي طافت شوارع بغداد مندددة جماهيرها بالأفكار الصهيونية ورافقه شعارات مثل: «لتسقط الصهيونية»، «ليسقط وعد بلفور»، «بيت المقدس عربية»، «لتحياالأمة العربية»، «فليرجع الزعيم الصهيوني الفريد موند». (١٥) وايضاً ردة فعل الشعب العراقي على ما حدث في فلسطين أثناء وبعد «ثورة البراق» في آب (١٩٢٩)، وأيضاً أحداث (١٩٤١)، تلك الحوادث التي أسفر عنهاجرحى وقتلى في صفوف يهود العراق، مهدت بجموعها الأرضية الملائمة لظهور نشاط إرهابي صهيوني في العراق، فإثر حادثة «الفرهود»التي حدثت في أوائل حزيران (١٩٤١) شكلت مجموعة من اليهود الصهاينة منظمة عرفت باسم «شباب الإنقاذ» تراسها سليم خليفة، إستقدمت قادة لها في وقت لاحق من رجال البالماخ من أمثال: عزرا خضوري، وشمرياهو جوتمان. وحصلت على أسلحة وذخيرة من المؤسسات الصهيونية في فلسطين وعملت على إفتعال الأزمات داخل المجتمع العراقي لتفتيته ودفع يهود العراق نحو الهجرة وإلى جانب منظمة «شباب الإنقاذ» الصهيونية الإرهابية، ظهرت منظمات أخرى مثل: حركة حالوتس (الطلائع)، ومنظمة الهاجاناه، ومنظمة هشوراه المسلحة، وجمعية تنوعه. فقد تأسست هذه الجمعية في العراق عام (١٩٤٣)، و تعد أخطر الجمعيات الصهيونية شأناً لأن تنظيمها ونشاطها يمت بصلة وثيقة إلى الحركة الصهيونية العالمية، ولأن زعائمها قد جعلوا لها اهمية قصوى وهيأوا لها كل الوسائل المؤدية لتنفيذ غرض الصهيونية بإقامة «إسرائيل» على أرض فلسطين العربية، وهذا ما صرحت به تنوعه «كان من حقنا بل كنا مضطرين ان ننظر إلى دولة التشتيت أو المهجر -ويُقصد بذلك كل دولة يسكنها اليهود- نظرنا إلى شيءغريب يجب الإبتعاد عنه وان ننظر إليها نظرنا إلى عدولنا من واجبنا التهرب من الواجبات التي يفرضها علينا ومقاومة قوانينه

ومحاربته في السر والعلن .(١٦)

وقد تمحور نشاط هذه المنظمات الإرهابية الصهيونية، حول تهجير يهود العراق قسراً، وفبركة إحداث وتفجيرات تجعل من بقاء اليهود في العراق أمراً لا يطاق، مما يدفعهم للهجرة وبأشكال مختلفة نحو فلسطين. ومن تلك الأحداث والأمور من شاكلة صدور قانون إسقاط الجنسية العراقية عن يهود العراق. وحول صدور هذا القانون وحثياته هنالك وجهات نظر متعددة ومختلفة، فالدكتور إبراهيم عبده، والدكتورة خيرية قاسمية يعللان –حسب رأي صادق حسن السوداني – بسطحية موقف الحكومة العراقية من إصدار القانون وينظران إليه بحسن نية حين يقولا: «إن الحكومة كانت لا ترغب بمغادرة اليهود للعراق ولا تشك بنواياهم، إلا أن ما واجهتة من إضطراب عام وشعور بعدم الرضا لدى جماعات لا تريد البقاء معها دفعها إلى إصدار قانون الجنسية ». أما «إسرائيل ليلينتال» فيعتقد أن أعمال اليهود المتطرفين (الصهاينة) التخريبية كانت سبباً مباشراً لاتخاذ تدابير زجرية بحق كافة يهود العراق، وبالتالي صدور القانون» وقد أخطأ ليلينتال –حسب رأي السوداني بقولة هذا لسبب بسيط هو أن جل أ عمال الحركة السرية الصهيونية التخريبية كانت بعد صدور القانون لا قبله لأننا نعلم جيداً أن صدور القانون كان قبل قيام عمليات إلقاء القنابل والمتفجرات. ويكفي أن نقول أن صدور القانون كان في ٦/٣/ ١٩٥٠ في حين بدات أول عملية تخريبية في هذه الفترة في ٨/ ٤/ ١٩٥٠أي بعد أكثر من شهر على صدور القانون. ومن هنا يتبين أن العمليات الإرهابية، إنما جاءت لتكمل القانون وتضعه موضع التنفيذ وتعجل بتنفيذه، لذا لم تكن التدابير الزجرية نتيجة بل سبباً في فرار الكثير من اليهود العراقين بل واقبالهم على الهجرة وكآن لا طريق أمامهم غيرها بفضل ضعف الحكومة وفشلها في تأمين الطمانينة وراحة البال للمواطنين وفي مقدمتهم اليهود العراقيين الذين بقوا وجهاً لوجه أمام العصابات الصهيونية في العراق وملاحقاتها وارهابها .(١٧)

تلك هي صورة النشاط الصهيوني في العراق، واستهدافاته، التي تمحورت حول يهود العراق، ووصلت ذروتها في عملية «علي بابا» أو «عزراونحمايا » التي حملت آلاف اليهود العراقيين، نحو فلسطين، وهذا ما سنبحثه لاحقاً.

النشاط الصهيوني في سوريا ولبنان

لم يلاحظ في كل من سوريا ولبنان، نشاط صهيوني مكثف بين يهود البلدين، على شاكلة ماحدث في العراق، ولم تتشكل فيها منظمات صهيونية ذات نفوذ كبير. فيهود سوريا مثلاً، كانوا أقل تماسكاً فيما بينهم بخلاف اليهود العراقيين. وكان من الصعب حصول إندماج بين يهود سوريا الأصليين واليهود الأوروبيين المهاجرين.

فاليهود الأصليون معظمهم حرفيون، وخصوصاً يهود دمشق، أما اليهود الأوروبيين. فكان معظمهم تجاراً إستقروافي حلب. كما ان يهود سوريا لم تجذبهم الدعاية الصهيونية بشكل ملحوظ، فقد أكدوا مراراً على ولائهم لسوريا، وخاصة حين تحدث أحداث مصيرية في فلسطين من شاكلة قرار تقسيم فلسطين عام (١٩٤٧) الذي دفع النائب في البرلمان السوري عن مدينة دمشق، وحيد مزراحي للقول : إن اليهود يستنكرون أعمال الصهيونية ويعتبرونها عقيدة سياسية غريبة منفصلة عن الدين لاتتفق مع عادات اليهود العرب ولغتهم وأخلاقهم. كما أعلن براءة اليهود العرب من الصهيونية وأعمالها لأنها جاءتهم من الغرب لتجعلهم ضمن حظيرتها.(١٨)

ويضاف إلى ما سبق أن الحكومة السورية تنبهت مبكراً لاستهدافات النشاط الصهيوني إذ إتخذت الحكومة عام (١٩٤٥) تدابير ضد الصهيونية ولمنع الهجرة.(١٩) وكذلك كان الحال بالنسبة ليهود لبنان، إذ اتخذت الحكومة اللبنانية على غرار الحكومة السورية، تدابير معها لوقف النشاط الصهيوني. إذ اشتبه بامر منظمات الشباب المكابي و Beni Zion التي عملت على تهريب اليهود إلى فلسطين. واتخذ يهود لبنان مواقف معادية للصهيونية، إذا استنكر المجلس الملي اليهودي في لبنان، في ذكرى وعد بلفور،في عام (١٩٤٥) الدعاوي الصهيونية واستنكرها وأكد ولاء يهود لبنان لوطنهم.(٢٠)

النشاط الصهيوني في اليمن

إزاءيهود اليمن، تكثف النشاط الصهيوني بأشكاله التحريضية وأساليب الترهيب والترغيب حول دفع يهود اليمن نحوالهجرة، وارتبط هذا النشاط مباشرة بنشاط «مكتب فلسطين» الذي أسسته الحركة الصهيونية عام (١٩٠٨) في يافا، الذي كان يديره «ارثر روبين» الذي وضع مهمة استحضار يهود اليمن إلى فلسطين كمهمة ضرورية يجب انجازها بالسرعة القصوى وذلك كي يحل يهود اليمن محل الزراعيين الفلسطينيين. وبدأ روبين نشاطة بإيفاد أحد عناصر مكتبه، وهو صموئيل يافينلي، إلى اليمن لتحريض يهودها على الهجرة مستخدماً كل الوان ووسائل الخداع وخصوصاً الإغراءات الدينية. (٢١) كما تعاونت الوكالة اليهودية مع ما يسمى ب لجنة التوزيع المشتركة، وهي منظمة صهيونية في سبيل تحويل هجرة يهود اليمن عن طريق الجو إلى فلسطين، خلال عملية «بساط الريح» الشهيرة، التي تم فيها نقل الآلاف من يهود اليمن إلى فلسطين. وهذه العملية سنلقي الأضواءعليها فيما بعد. (٢٢)

النشاط الصهيوني في مصر

بعد فترة وجيزة من المؤتمر الصهيوني الذي عقد في بازل السويسرية، بدأ النشاط الصهيوني في مصر، اذا كان قد وصلها جوزيف ماركوباروخ عام (١٨٩٦) الذي شكل جمعية صهيونية في فبراير (شباط) (١٨٩٧)، وسميت جمعية باركوخبا الصهيونية، ورئسها انذاك جاك هارملين، وعين جوزيف ليبوفيتش سكرتيراًلها. وأرسلا في ٨/٤/١٨٩٧ رسالة إلى هرتزل يبلغانه فيها تاسيس الجمعية ويطلبان منه ان يبعث إليهما نسخة من كتاب الدولة اليهودية. وكان معظم قادة جمعية باركوخبا وأعضائها في السنوات الأولى من الأشكنازيم، ولذلك سعى زعماء الصهيونية في مصر إلى جذب اليهود السفارديم الذين ارتبطوا بمصر منذ فترات طويلة لم يتعرضوا خلالها للإضطهاد. وتمكنت هذه الجمعية من تأسيس فروع لها في الإسكندرية وبورسعيد وطنطا والمنصورة. وأقامت مدرسة صهيونية في القاهرة عام (١٩٠٠) كانت تقبل الأطفال بالمجان وكانو يتعلمون فيها اللغة العبرية وفقاً للبرنامج الصهيوني. (٢٣)

وفي عام (١٩٠٠)تأسست جمعية بني صهيون وجمعية أخرى حملت أسم « زئير صهيون » تكونت من يهود الإسكندرية من أصول روسية.(٢٤) وأسس ليون كاسترو أول فرع للمنظمة الصهيونية في مصر عام (١٩١٧)،تحت اسم « منظمة الصهيونيين »وقد تراسها جاك موصيري،بينما شغل كاستروسكرتير اللجنة المركزية. وقد وجه موصيري إلى ناحوم وايزمان برقية إثر إجتماع ليهود الإسكندرية أكد فيها على الولاء للصهيونية، جاء فيها :ان هذا الإجتماع الحاشد ليهود االإسكندرية وافق بالاجماع على إعادة بناء فلسطين كوطن قومي لليهود. وتلا ذلك بفترة وجيزة تشكيل خمس جمعيات صهيونية وبلغ العدد الإجمالي لدافع الشيكل Shekel،أي رسوم العضوية في مصر ألفان.(٢٥)

وقد سبق وأن تزايد بشكل ملحوظ النشاط الصهيوني في مصر قبل الحرب العالمية، اذ كانت في مصر أعداد كبيرة من المنظمات و الجمعيات الصهيونية مثل : جمعية أبناء صهيون Ben Zionعام (١٩٠٠) وجمعية الأدب العبري عام (١٩٠٥)، وجمعية أحباء صهيون (١٩٠٦)، ولجنة التنسيق الصهيونية (١٩٠٩)، وجمعية أبناء صهيون للإمام (١٩١٠)، واتحاد أطفال صهيون عام (١٩١١)، والدائرة القومية (١٩١٢)، ودائرة هرتزل عام (١٩١٢). وفي الاسكندرية كان شارل بغدادلي قد شكل أول جمعية صهيونية فيها عام (١٨٩٨)، وحاول أن يجمع فيها صفوف الأشكنازيم والسفارديم، لكن جمعيته تحولت إلى فرع لجمعية باركوخبا عام (١٩٠١). كما ظهرت جمعية أمل صهيون عام (١٩٠٤)، وجمعية عمال صهيون (١٩٠٦)، وجمعية أبناء صهيون (١٩٠٦)، وجمعية زئير صهيون –التي أشرنا إليها سابقاً– وجمعية شبان صهيون عام (١٩٠٧). وقد تم توحيد تلك الجمعيات بناء على رغبة القيادة الصهيونية في النمسا وألمانيا. وتأسس الاتحاد الصهيوني عام (١٩١٣) الذي يضم كل تلك الجمعيات.(٢٦) اتخذ نشاط المنظمات الصهيونية في مصر عدة أشكال واتخذ من عدة منابر إعلامية وسائل لنشر الأفكار الصهيونية بين يهود مصر، وبرز في هذا المجال دور الصحافة اليهودية بشكل عام والصهيونية بشكل خاص. فقد صدرت في مصر عدة صحف صهيونية بلغات متعددة بما فيها اللغة العربية، عملت لحشد يهود مصر وراء الهدف الصهيوني المتمثل في إقامة « دولة عبرية » على أرض فلسطين. وكان من أدوات التاثير الصهيونية على الصحافة المصرية أيضاً :

١- سلاح الاعانات والمصروفات السرية، وهنا برز دور شركة الإعلانات الشرقية، التي كانت مصرية في الظاهر ويهودية في الباطن. وقد أصدرت هذه الشركة التي كان يديرها هنري حاييم عدة صحف مثل : La Bourse ,Le Progres Egyptien , Egyptinne , Egyptain Mail , Egyptain Gazette , Sphinx

٢- متابعة ما ينشر في الصحافة المصرية : إذ عنيت بعض الهيئات اليهودية بقراءة الصحف المصرية للوقوف على ما تنشره عنهم حتى يمكنهم أولاً فأول أن يصححوا المعلومات الخاطئة التي تنشر عنهم وأن يردوا على الفور على ما يكتب ضدهم.

٣- التغلغل في الصحافة المصرية، وهدف هذا التغلغل إلى توجيه الصحافة المصرية الوجهة التي تتماشى مع مخططات اليهود، ففي دار الهلال، أكبر مؤسسة صحفية في مصر قبل الثورة كان البير انكونا يشغل منصب مدير الإعلانات في هذه الدار، كما كان رئيساً للتحرير في مجلة «إيماج» Image، كذلك كان يشغل منصب مدير الإعلانات في صحيفة «الأهرام» يهودي اسباني يدعى إيخمان، وفي صحيفة «الأساس» يهودي آخر يدعى كوهين.(٢٧)

ويعود صدور أول صحيفة يهودية في مصر إلى العام (١٨٧٧) وهي صحيفة «أبو نضارة» الهزلية. ومن اهم الصحف التي برزت لاحقاً : النصيب (١٨٩٨)، والرسول الصهيوني (١٩٠١)، المجلة الإسرائيلية لمصر (١٩١٢)، المجلة الصهيونية (١٩١٨)،فلسطين (١٩٢٨)، الحرية (١٩٢٤)، البريد اليهودي (١٩٣٤)، الصوت اليهودي (١٩٣١)، الشمس (١٩٣٤) التسعيرة (١٩٤٤)، الصراحة (١٩٥٠).(٢٨)

كما اتخذ النشاط الصهيوني في مصر اتجاهاً تجسسياً، ترافق مع تشكيل شبكات وشركات لتهريب يهود مصر وتهجيرهم، إذ شكلت لجنة مخابرات الهاغاناه المسماه باسم «علياه بيت»، شبكة في مصر عام (١٩٤٤) وقام عملاؤها بإستئجار فيلا خارج الإسكندرية كمنتجع صحي لجنود الحلفاء، ولكنها كانت في الحقيقة قاعدة لعمليات التهريب وتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين. كما وتأسست وكالة للسفريات سميت Grunberg Travel Agency وشبكة للتهريب اسمها Operation Goshen (٢٩)

النشاط التجسسي الصهيوني في مصر، تصاعد منذ أوائل عقد الخمسينات إذ

أن السلطات المصرية قد إستطاعت آنذاك أن تضع يدها على خلايا يهودية للتجسس في خمس سنوات متتالية : في شهر تشرين الثاني عام (١٩٥٣) وفي شهر شباط (١٩٥٤)، وفي شهر كانون الأول (١٩٥٥)، وفي شهر نيسان (١٩٥٦) . فاستهدف النشاط الصهيوني عام (١٩٥٤)،شكل تفجير مؤسسات أمريكية في القاهرة والإسكندرية، وبرزت فيما بعد ما سميت بـفضيحةلافون التي اظهرت بوضوح دور الراعي والمشرف الذي لعبته الاستخبارات الاسرائيلية على مجمل النشاط الصهيوني في مصر، واستهدافاته السياسية.(٣٠)

أثمر النشاط الصهيوني في مصر عن هجرة أعداد كبيرة من يهود مصر، ومغادرتهم البلاد نحو أوروبا الغربية، وقسم منهم إلى فلسطين. وهذا ما سنعالجه فيما بعد، لدى بحث الترابط بين هذا النشاط وهجرة يهود البلاد العربية وظروفها.

النشاط الصهيوني في بلدان المغرب العربي

تعود أول محاولة فاشلة لبعث كيان تنظيمي صهيوني قي تونس إلى أواخر سنة (١٨٩٧)،في أعقاب انعقاد مؤتمر بازل الصهيوني، وقاد هذه المحاولة اليهودي غابريل علوش الذي كانت له صلات بالصهيوني الفرنسي الشهير برنار لازار. (٣١) وفيما بعد تشكلت عدة جمعيات ومنظمات صهيونية منها: منظمة « ترهام صهيون » في مدينة صفاقس بمقتضى مرسوم صادر في ١٧ / ٧ / ١٩١٥ . ومن الجدير بالذكر ان الخط السياسي السائد في هاتين المنظمتين هو الخط الصهيوني العام، لكن الثابت هو وجود تيارات أخرى مازالت لم تكتسب قدراً أدنى من التجانس والوضوح. (٣٢)

وعلى غرار ما حدث في مصر، فقد كان الشكل الأبرز للنشاط الصهيوني في تونس، يتمثل في الدور الهام الذي مارسته الصحافة اليهودية في تونس التي كانت تتكون من ثلاثة أنواع هي :

أ- الصحافة الناطقة باللغتين العبرية والعربية: وهي الأكثر ذيوعاً لأنها تتوجه إلى الجماهير العريضة من اليهود.

ب- الصحافة الناطقة باللغة الفرنسية وتتشكل قاعدتها من المثقفين اليهود.

ج- الصحافة ذات اللغات المتعددة (عربية- عبرية- فرنسية) وهي التي تحاول أن تكون جسراً بين النوعين من القراء. وقد صدرت في الفترة الواقعة مابين (١٨٧٨) و(١٩١١) أكثر من خمسين صحيفة من أبرزها الصحفيتين

الصهيونيتين: «البستان» و«الاتحاد». (٣٣)

وحصلت بعض المنظمات الصهيونية في تونس على تراخيص تسمح لها بالعمل، منها منظمة «الاغودات صهيون» (١٩١١)، ومنظمة «اليوشبات صهيون»، فقد كان تاسيس هذه المنظمة بمثابة رد فعل على ظاهرة النكوص عن اليهودية والانسياق في تيار تمثل الحضارة الفرنسية. وقد بلغ عدد المنضوين فيها (٥٠٠) يهودي في أواخر (١٩١٧). وهنالك منظمات أخرى مثل: منظمة «بحوري صهيون»، و «حيروت صهيون»، و «برو صهيون»، و «مساماح صهيون»، ومنظمة «هتكفاه» - «الأمل» النسائية. (٣٤)

استطاعت هذه المنظمات التغلغل في أوساط يهود تونس، وعكست بانتماءاتها الاختلافات بين التيارات الصهيونية السائدة، فكانت بمثابة تعبيرات تنظيمية مصغرة عنها ومتواجدة في تونس. ويذكر الهادي التيمومي: أن هنالك عوامل ساعدت على تعميق الوعي الصهيوني لدى يهود تونس حصرها بأربع عوامل هي: اللاسامية المدعومة من السلطة السياسية، والصحافة اليهودية، والتعليم، وفشل حركة المطالبة بالمواطنة الفرنسية. (٣٥)

ولم يقتصر نشاط المنظمات الصهيونية على تونس بل امتد ليشمل سائر بلدان المغرب العربي، واتخذ من الصحافة وسيلة أساسية له ولنشر الأفكار الصهيونية، فظهرت في الجزائر عدة صحف يهودية وصهيونية من اهمها صحيفة «الاعلام اليهودية». وكذلك الحال في المغرب. وعلى غرار ما حدث في سائر البلاد العربيةتمحور النشاط الصهيوني حول تهيئة البيئة السياسية والداخلية في تلك البلدان لعملية تهجير اليهود. وجعلها هجرة قسرية بأشكال ووسائل مباشرة وغير مباشرة وقد نجحت في الوصول إلى تجسيد هدفها المركزي المتمثل في سبي يهود البلاد العربية وصهينة شرائح هامة منهم. وهنا نعيد التذكير أنه في بعض الأحيان كانت هنالك قابلية من يهود بعض البلاد العربية للاستجابة مباشرة للدعاوى الصهيونية، واهتماماً ملحوظاً بها، فيهود الجزائر مثلاً اهتموا بالصهيونية واشتركوا في مؤتمر بازل (١٨٩٧)، وأصدروا صحفاً ناطقة باسمها وأفكارها ومبشرة بها ومن أهم الصحف التي أصدروها مجلة رسمية شهرية تدعى «Information Juive»، وصحيفة «L'Echo». وكذلك كان حال يهود المغرب الذين اسسوا عام (١٩٠١) جمعية صهيونية في المغرب، وشاركوا ممثلين عنهم في المؤتمر الصهيوني الأول. ومن أهم صحفهم: صحيفة «الحرية» «La Liberte» التي كانت تصدر في مدينة طنجة باللغة الفرنسية، وصحيفة «الصدى الاسرائيلي» «El-Eco Israelite»

وصحيفة المستقبل المشرق «L'Avenir Illustre»، التي كانت تصدر في مدينة الدار البيضاء في الفترة من ١٩٢٦– ١٩٤٠ (٣٦)

حصاد النشاط الصهيوني..

-التهجير-

لدى البحث في نتائج النشاط الصهيوني في البلاد العربية الرامي إلى تهجير يهود تلك البلاد، وفي الظروف التي ساعدت على نجاح هذا النشاط، لابد أولاً من إطلالة سريعة على أعداد يهود البلاد العربية في فترة النشاط الصهيوني، وهذا استناداً إلى مصادر متعددة. فمصادر الوكالة اليهودية واحصائياتها التي قدمت إلى اللجنة الانجلو- امريكية عام (١٩٤٦) قدرت عدد اليهود في البلاد العربية بـ (٧٠٠,٠٠٠) الف يهودي أي (٥٪) أو(٦٪) من مجموع اليهود في العالم، والذي كان يبلغ مابين (١٦) و(١٧) مليون يهودي. أما انتشارهم أو خارطة توزعهم في البلاد العربية فقد كانت على الشكل التالي:(٣٧)

البلد	التعداد التقريبي لليهود / با لألف
سورية ولبنان	١٦ – ١٨
العراق	١٢٠ – ١٣٠
اليمن وعدن	٤٥ – ٥٠
مصر	٧٠ – ٨٠
تونس	٧٠ – ٨٠
مراكش الفرنسية	١٧٠ – ١٩٠
مراكش الاسبانية وطنجة	٣٠
الجزائر	١٢٠
مناطق اخرى (حضر موت، البحرين، السودان)	٣

ووفقاً لمصادر أخرى ، فقد كانت نسبة وعدد يهود البلاد العربية، قياساً إلى سكان تلك البلاد ، حسب الجدول التالي : (٣٨)

البلد	عدد السكان اليهود	النسبة المئوية لعدد السكان
مصر	٧٥,٠٠٠	٪٠,٤
العراق	١٢٠,٠٠٠	٪٢,٤
لبنان	٦,٧٠٠	٪٠,٨
سورية	٦,٠٠٠	٪٠,٣
البحرين	٠,٤٠٠	٪٠,٤
حضرموت	٢٠٠٠	–
اليمن	٨,٠٠٠ غير مؤكد	٪٠,٢
عدن	١٢٠٠	٪٢,٥
ليبيا	١٤,٠٠٠	٪١٥
تونس	١٠٠,٠٠٠	٪٢,٩
الجزائر	١٢٠,٠٠٠	٪١,٧
مراكش	٢٢٥,٠٠٠	٪٢,٦
مراكش الاسبانية	١٤,٧٠٠ (عام ١٩٤٠)	٪٢١
طنجة	٧,٠٠٠	٪٢,٨

ولقد تناقصت وبشكل كبير أعداد اليهود في البلاد العربية بعد الاعلان عن قيام الكيان الصهيوني على وجه التحديد، وهذا ما يبرزه الجدول التالي حيث يبين أعداد اليهود في البلاد العربية عام(١٩٤٨) وأعدادهم التقديرية عام (١٩٧٦): (٣٩)

البلد	تعداد اليهود لعام ١٩٤٨ بالألف	تعداد اليهود لعام ١٩٧٦ بالألف
المغرب	٢٦٥,٠٠٠	١٧,٠٠٠
الجزائر	١٤٠,٠٠٠	؟؟٠,٥٠٠
تونس	١٠٧,٠٠٠	٥,٠٠٠
ليبيا	٣٨,٠٠٠	٢٠ (تقريبي)
مصر	٧٥,٠٠٠	١٠٠
سورية	٣٠,٠٠٠	٤٣٥٠
لبنان	٥,٠٠٠	٥٠٠
اليمن	٥٥,٠٠٠	١,٠٠٠
عدن	٨,٠٠٠	؟
المجموع	٨٥٦,٠٠٠	٢٥,٨٧٠ (تقريبي)

وأذا وسعنا دائرة نظرنا للمهاجرين الذي قدموا إلى فلسطين من البلاد العربية وغيرها، لتشمل دائرة الشرق الأوسط نجد أن تغير أعداد أولئك المهاجرين تغيرات بشكل كبير بين فترتين هامتين الأولى من (١٩١٩) إلى (١٩٤٨) والفترة الثانية من ((١٩٤٨) إلى (١٩٥١) حسب الجدول التالي :(٤٠)

القارة	البلد الأصل	اعداد المهاجرين ١٥/٥/٤٨ – ٣١/١٢/١٩٥١	اعداد المهاجرين ١٩١٩ – ١٩٤٨
آسيا	العراق	١٢٣,٠٠٠	٨,٠٠٠
	اليمن (وعدن)	٤٨,٠٠٠	١٦,٠٠٠
	تركيا	٣٤,٠٠٠	٨,٠٠٠
	ايران	٢٢,٠٠٠	٤,٠٠٠
	بلاد آسيوية أخرى	١٠,٠٠٠	٥,٠٠٠
	المجموع	**٢٣٧,٠٠٠**	**٤١,٠٠٠**
افريقيا	شمال افريقيا (الفرنسية)	٤٥,٠٠٠	٩٠٠
	ليبيا	٣١,٠٠٠	٣٠٠
	بلاد افريقية أخرى	١٧,٠٠٠	٢,٨٠٠
	المجموع	**٩٣,٠٠٠**	**٤,٠٠٠**
مجموع مهاجري آسيا وافريقيا		٣٣٠,٠٠٠	٤٥,٠٠٠
النسبة المئوية لمهاجري آسيا وافريقيا من اجمالي الموجة الكبرى		٥٠٪	١٠٪

تطورات الاعداد التقديرية لتناقص أعداد يهود الشرق الأوسط عموماً، ويهود البلاد العربية على وجه الخصوص، نتيجة للنشاط الصهيوني تقودنا إلى البحث في تفاصيل عمليات تهجير البلاد العربية المختلفة وأهمها عمليتي: «علي بابا» و«بساط الريح»، وصولاً إلى الفترة الراهنة.

* هجرة يهود العراق

يعود قدوم مهاجرين يهود من العراق إلى فلسطين إلى منتصف القرن التاسع عشر، حيث هاجرت أعداد قليلة ولأسباب دينية العراق واتجهت إلى فلسطين، أنشأت طائفة يهودية عراقية في فلسطين وساهمت في ايجاد عدد من المؤسسات الدينية في القدس والخليل وبعض القرى قرب القدس ومدرسة زراعية باسم «خضوري».(٤١) ويشير أول احصاء سكاني أجري في الكيان الصهيوني عام (١٩٤٨) إلى أن (١٦٠) يهودياً كانوا من مواليد العراق هاجروا حتى (١٩٠٣) و (٣١٠) بين عامي (١٩٠٤-١٩٠٨) أي ما مجموعه (٤٧٠) يهودياً بقوا على قيد الحياة من بين ألف يهودي عراقي هاجر إلى فلسطين بين (١٩٠٣- ١٩١٨) (٤٢) وفي فترة لاحقة هاجر من العراق(٧٩٨٨) يهودياً معظمهم من كردستان وذلك بين عامي (١٩١٩- ١٩٤٨) استجابة لاغراءات الحركة الصهيونية التي استغلت فكرة العودة إلى «صهيون» لدى بعض يهود كردستان. ولم يزد للفترة من أيلول (١٩٣٩) حتى كانون الأول (١٩٤٤) عدد مهاجري العراق إلى فلسطين على (٦٢٢) يهودياً، على الرغم مما ساد تلك الفترة وسبقها من حوادث تفجير للقنابل في الاحياء اليهودية خاصة في عام (١٩٣٨) بهدف تخويف اليهود وحثهم على الهجرة..(٤٣)

أما اليهود العراقيون الذين هاجروا إلى فلسطين بين ١٥/٥/١٩٤٨ وحتى نهاية ذلك العام فلم يزد على (١٥) شخصاً فقط. وقدر عدد اليهود الذين غادروا العراق منذ قيام الكيان الصهيوني حتى منتصف كانون الأول ١٩٤٩ بـ(١٥٠٠) يهودياً وصل منهم إلى فلسطين (١٠٠) يهودي تقريباً. (٤٤) وقد تصاعد عدد المهاجرين من يهود العراق إلى فلسطين في أعقاب صدور قانون الجنسية وتعاظم النشاط الارهابي الصهيوني في العراق، والمغادرة السرية أو تهريب اليهود عبر ايران، يضاف إلى ما سبق الضغط الذي مارسته الحركة الصهيونية السرية في العراق

ومن يدعمها من الدول الاستعمارية على الحكومة العراقيةلتوافق على خروج اليهود لمكان قريب من فلسطين على قدر الامكان. وأبدت الحكومة العراقية استعدادها لبدء المفاوضات حول اخراج اليهود عن طريق الجو، وتسهيلاً لنقل اليهودالعراقيين إلى اسرائيل عقدت حكومة تل أبيب العنصرية اتفاقية مع شركة الطيران الاميركية – الشرق الأدنى Near East ـ لنقل المهاجرين بطائرات السكاي ماستر «Sky Mas-ter» وحضر إلى بغداد كل من مدير الشركة وشلومو هيلل الذي انتحل شخصية عضو مجلس ادارة الشركة باسم ارمسترونغ، واجتمعا إلى توفيق السويدي رئيس الحكومة وصباح نجل نوري السعيد الذي كان يعمل مديراً لشعبة الطيران المدني في العراق. وتوصلا معهما إلى اتفاق من أجل جلاء اليهود إلى قبرص ومنها يذهبون إلى حيث يريدون. وبعد أن سمح بأول رحلتين الح مردخاي بن فورات على هيلل ليغادر العراق خشية انفضاح أمره وعاد هذا في طائرة مع المهاجرين اليهود يوم ١٩/٥/١٩٥٠ وبذلك بدأت عملية تهجير يهود العراق التي عرفت باسمها الرمزي «عزرا ونحاميا» أو اسمها الاسطوري الذي اشتهر باسم عملية «علي بابا». (٤٥) التي أفضت إلى هجرة أعداد كبيرة من يهود العراق إلى فلسطين حسب الجدول التالي الذي يعرض تصاعد عملية الهجرة من العراق بعد قيام الكيان الصهيوني وحتى (١٩٥٣).(٤٦)

العام	عدد المهاجرين اليهود
١٩٤٨	١٥
١٩٤٩	١٧٠٨
١٩٥٠	٣٢,٤٥٣
١٩٥١	٨٩,٠٨٨
١٩٥٢	٩٦١
١٩٥٣	٤٢١
المجموع	١٢٤,٦٤٦

وبعد عملية علي بابا غادرت أعداد أخرى من يهود العراق إلى فلسطين وبلدان أخرى إلا أن كتاباً يحمل عنوان «التحالف السري» صدر عام (١٩٩٢) للكاتب «تادزولك»، الذي كان أحد الأعضاء العاملين في جمعيات الهجرة اليهودية وعمل مراسلاً لصحيفة «نيويورك تايمز» في مدريد خلال حرب حزيران (١٩٦٧)، كشف عن خبايا هجرة يهود العراق في عقدي الستينات والسبعينات إلى الكيان الصهيوني، إذ يشير «زولك» إلى تقرير أعدته جمعية «هياس –HIAS» اختصاراً للجمعية الأميركية– اليهودية المشتركة للتوزيع والجمعية العبرية لمساعدة الهجرة عام (١٩٦٨)، لتوضيح ظروف اليهود العراقيين، واقدمت على تصويرهم بأنه شبه سجناء ومعزولين عن العالم الخارجي ولايسمح لهم بالسفر إلى الخارج ويشير التقرير إلى حملات الاعدام لعدد من اليهود العراقيين التي قام بها النظام البعثي بعد استيلائه على دفة الحكم. ويذكر (التقرير) أن النظام قام بحملات اعدام في مدن عراقية منها البصرة وبغداد ١٩٦٨– ١٩٧٢ وتمت تحت غطاء اكتشاف الحكومة لشبكات تجسس اسرائيلية، وعلى ذلك تم اعدام عدد من الاشخاص المسلمين وغير المسلمين بضمنهم الحاج «جيتا» وهو تاجر باكستاني مقيم في البصرة و«ناجي زلخا» وهو تاجر يهودي عراقي وجمال صباح حكيم وعلقت جثثهم في ساحة أم البروم في مدينة البصرة. وعلقت جثث أخرين بينهم عدد من اليهود في ساحة التحرير في بغداد.

وأشار التقرير الداخلي لجمعية (هياس) أن حملات الاعدام قد تطال يهوداً أخرين لذلك يجب أن تسرع جمعيات الهجرة اليهودية من نشاطها لتهريب من بقي من اليهود وبأسرع وقت لانقاذهم. ويذكر زولك المساعدة التي قدمتها حكومة شاه ايران بالتعاون مع «الموساد» الاسرائيلي لنقل حوالي ١٥٠٠ يهودي عراقي عن طريق شمال العراق إلى ايران ومن ثم إلى اسرائيل. لكن تلك العمليات لم تؤد إلى نقل كل اليهود العراقيين إذ بقي أنذاك حوالي ٣٠٠٠ يهودي عراقي. وكان لابد على جمعيات الهجرة اليهودية من ايجاد مخرج لهم بأي طريقة من الطرق ولو تطلب الأمر الاتصال بالحكومة العراقية مباشرة أو عن طريق بعض الوسطاء. ويذكر زولك أن جمعية (هياس) اتخذت آنذاك قراراً سياسياً اعتبر مغامرة في ذلك الوقت وهو الاتصال بالشخص الفعلي المسيطر على مجلس قيادة الثورةالعراقية أي صدام حسين. في ضوء ذلك اقنعت جمعية (هياس) مندوب

الامم المتحدة للاجئين الأمير صدر الدين آغا خان في زيارة العراق بصورة شخصية والتباحث مع العناصر المهمة في الحكومة وبضمنهم صدام حسين للسماح بهجرة اليهود إلى اسرائيل. ونقلاً عن مصادر (هياس) زار صدر الدين آغا خان بغداد في (مارس) ١٩٦٩ وقدم تقريراً مفصلاً إلى الجمعية بخصوص تلك الزيارة. وفي ضوء ذلك التقرير اعدت (هياس) تقريرها الداخلي السري قالت فيه: «ناقش الأمير آغا خان مسألة اعدام اليهود في العراق مع الحكومة وذكر لهم أن حملات الاعدام أثرت كثيراً على سمعة العراق في الخارج، ولتحسين سمعة العراق واعادته إلى المجتمع الدولي ولاثبات حسن النوايا يمكن السماح لليهود العراقيين بالهجرة الحرة. لكن الحكومة العراقية اخبرته أنها ستفكر باقتراحاته وانها ستعلمه بالجواب. وقال الأمير أنه التقى عدداً من اليهود العراقيين أثناء زيارته وكانوا في حال يرثى لها. وذكر الأمير أيضاً في تقريره لهياس أنه في حال عدم السماح لليهود العراقيين بالهجرة في غضون سنة فانهم سيندثرون بسبب شحة الطعام. وقال الأمير أيضاً في حال عدم تسليمه جواب الحكومة العراقية في منتصف شهر نيسان (ابريل) من ذلك العام فانه سيعود مرة أخرى للعراق. وقد ابدى الأمير ارتياحه من المباحثات الرسمية الصريحة وهو شيء لم يحدث من قبل».

ويذكر زولك أن مكتب الحكومة الاميركية للشرق الأدنى اخبر جمعية (هياس) آنذاك أن عملية هجرة اليهود من العراق ستتطلب مبالغ ضخمة من المال وان الأمير صدر الدين آغا خان يمكن أن يسأل عن التعهد المادي عند زيارته لبغداد. وخصصت جمعية (هياس) لذاك الغرض موازنة مالية لتغطية التعهد المادي للحكومة العراقية ومصاريف النقل الجوي. ويقول زولك في كتابه «أن هناك غموضاً حول ما حدث بالضبط بين ١٩٦٩ و١٩٧٠ إلا أن المباحثات استؤنفت في عام ١٩٧١ بعد أن اقنعت جمعية (هياس) رجل أعمال كندي من أصل عربي وهو كارل راهي بزيارة العراق لهذا الغرض وزار راهي بغداد في بداية أيار (مايو) عام ١٩٧١ وقدم للجمعية تقريراً سرياً حول مقابلته لصدام حسين وسعدون غيدان ونعيم حداد. وذكر تقرير راهي أن العراقيين وافقوا على القيام بعملية تهجير اليهود وتضمنت الموافقة تزويدهم بجوازات سفر عراقية بصفة سياح لزيارة بيروت أو أوروبا بشرط أن تدفع لقاء ذلك مبالغ مالية معينة.

واشتمل الاتفاق آنذاك على دفع حوالي ١٢٠٠ دولار عن كل شخص اي دفع

حوالي مليون دولار مقابل تهجير ألف يهودي عراقي. لكن سفر هؤلاء يجب أن يتم بصورة خفية وعلى دفعات لعدم اثارة أي ضجة حول الموضوع. وبناء على طلب جمعية (هياس) التقى ديبلوماسي يدعي غسان أرنوط صدام حسين لتثبيت الاتفاقية. وحددت جمعية (هياس) في تقريرها السنوي المعلن في عام ١٩٧١ هجرة ١٢٤٧ يهودياً من العراق من دون جوازات سفر. ولتسهيل سفر اليهود العراقيين استأجرت جمعية (هياس) طائرات خاصة لنقل اليهود على دفعات من بغداد إلى بيروت ومن ثم إلى امستردام ومنها إلى زيورخ وبعدها إلى اسرائيل للتمويه على العملية. واعتبرت جمعية (هياس) تلك العملية من أكثر عمليات الهجرة اليهودية سرية. وربما كان سبب تلك السرية الشديدة أن النظام العراقي تزعم وقتها عملية محاربة اسرائيل وشبكاتها التجسيسية في العراق. وبعد اصدار الحكومة العراقية جوازات سفر لليهود العراقيين أوعزت جمعيات الهجرة اليهودية إلى مساعد رئيس جمعية (هياس) للشؤون المالية المدعو هاري فريدمان لايداع المبلغ المتفق عليه مع صدام حسين في أحد البنوك السويسرية. وتكررت هذه العملية مع كل مجموعة من اليهود التي غادرت العراق. وفي تقريرها السنوي لعام ١٩٧٣ ذكرت جمعية (هياس) «من دون ذكر الطرق التي اتبعت» تمكنها في عام ١٩٧٢ وباستناد من بعض الحكومات الصديقة والجمعيات اليهودية بمساعدة ٥٨٣ يهودياً على الهجرة من العراق. وقال التقرير أن الحكومة العراقية أصدرت جوازات سفر لمئة من اليهود العراقيين قبل اندلاع حرب تشرين الأول(اكتوبر) عام ١٩٧٣. وذكر تقرير المدير العام لجمعية (هياس) اليهودية المدعو جاكوبسون أن حوالي ٢٣ يهودياً قتلوا في العراق في الفترة ١٩٧٢ و١٩٧٣ وأن حوالي ٣٠٠ إلى ٤٠٠ يهودي رفضوا الهجرة من العراق آنذاك.(٤٧)

ويضيف نادر أحمد «أن الحكومة العراقية حسب معلومات صحيفة «معاريف» الاسرائيلية سمحت خلال السنوات الأخيرة أي بعد فترة حرب الخليج الثانية لنحو (٧٠) يهودياً عراقياً بمغادرة وطنهم والتوجه إلى دول أوروبية. وأشارت الصحيفة إلى أن موفداً خاصاً من طرف مركز تراث بابل اليهودي الاسرائيلي توجه إلى العراق قبل بضعة أشهر وأحضر معه إلى اسرائيل صوراً عن حياة اليهود هناك وقال المصدر انه بقي في العراق (٨٠) يهودياً، يعيشون حياة هادئة ويعاملون معاملة حسنة. ويبدو من هذا الخبر أن الحكومة العراقية على دراية وعلم كاملين بهجرة اليهود العراقيين الذي لم يسمح لهم بالسفر في السابق».(٤٨)

* هجرة يهود سورية ولبنان

سبق وأن أشرنا إلى الضعف النسبي للنشاط الصهيوني في كل من سورية ولبنان والذي اقتصر على نشاط دعائي مارسته بعض الصحف اليهودية في لبنان فقط، لذا لم يهاجر يهود سورية ولبنان الى الكيان الصهيوني لأسباب ايديولوجية أو غيرها، بل هاجروا في بعض المراحل الزمنية نحو الولايات المتحدة الأميركية وكندا. وقد بلغ عدد يهود سورية في العقد الأول من القرن العشرين (٥٠,٠٠٠) يهودي تقلص بعد الهجرة اليهودية نحو الأميركيتين تحت تأثير الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي شملتهم كباقي السوريين، إلى (٢٩,٧٧٠) يهودياً من أصل (٢,٨٦٠,٤١١١) نسمة عدد سكان سورية. ثم تقلص عدد يهود سورية فيما بعد إلى (١٣,٠٠٠) يهودي، حسب معلومات (١٩٤٧) (٤٩) ونتيجة للضغوط الخارجية وضغط المنظمات الصهيونية على يهود سورية غادر بعضهم إلى فلسطين في عقد الثلاثينات، واستوطن عدد منهم في كيبوتسات الجليل. وقدر عدد الذين هاجروا من سورية ولبنان قبل عام (١٩٤٨) بـ(٩١٠٠) يهودي أضيف إليهم (٥٦٦٠) هاجروا بعد عام (١٩٤٨). ونذكر أن هجرة يهود سورية كانت تتجه أحياناً نحو لبنان وليس إلى فلسطين. (٥٠)

وفي أعقاب اندلاع الحرب الأهلية في لبنان غادر مئات اليهود لبنان إلى فلسطين وبلدان غربية عديدة منها الولايات المتحدة الاميركية، ففي عام (١٩٧٤) بلغ عدد يهود لبنان (١٨٠٠) يهودي لم يتبق منهم بعد فترة وجيزة سوى (٤٠٠) يهودي.(٥١)

* هجرة يهود اليمن

حدثت هجرة يهود من اليمن إلى فلسطين في وقت مبكر، أي إلى أوائل عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر، ففي عام (١٨٨١-١٨٨٢) هاجر (٢٠٠) شخص من صنعاء ومن المناطق المحيطة بها، تبعهم في عام (١٨٨٥) حوالي (٤٥٠) يهودياً، لم يهاجروا جميعهم إلى فلسطين، التي وصلها عام (١٨٩٠) أول يهودي يمني، وصل إلى مدينة يافا تحديداً، ومابين (١٩٠٧) و(١٩٠٨) هاجر

(٢٧٢٠) يهودياً إلى فلسطين واستوطنوا في القدس ويافا. وخلال فترة الحرب العالمية الأولى توقفت هجرة يهود اليمن ثم استؤنفت عام (١٩٢٣) فوصل حتى عام (١٩٣١) حوالي (٢٥٠٠) يهودي استوطنوا في المدن وخاصة في تل أبيب وعمل معظمهم في البناء والتجارة.(٥٢)

وقد قدر المجموع العام ليهود اليمن من عام ١٩٢٣ وحتى ١٩٥٠/٥/٣١ بـ (٥٨,٤٣٦) يهودياً في اطار التهجير الرسمي، وقد تمت هجرات يهود اليمن ما بين (١٩٢٣) و(١٩٥٠) كما يلي:(٥٣)

العام	عدد المهاجرين اليهود
١٩٢٣	١٨٤
١٩٢٤	٤٠٦
١٩٢٥	٥٢٧
١٩٢٦	٢١٥
١٩٢٧	٦٢
١٩٢٨	–
١٩٢٩	٥٦٤
١٩٣٠	٣٧٤
١٩٣١	١٦٩
١٩٣٢	٤٣٦
١٩٣٣	١,٢٠٠
١٩٣٤	١,٩٠٧
١٩٣٥	١,٣٣٩
المجموع	٧,٣٨٣

وتؤكد المصادر على اختلافها صحة هذه الارقام كما تؤكدها مصادر العدو الصهيوني أيضاً حيث جاء أن هجرة يهود اليمن تمت من (١٩١٧ إلى ١٩٤٨) خلال الاحتلال البريطاني لفلسطين بمقدار (١٥٣٦٠) من مجموع الهجرة اليهودية تحققت قبل عام (١٩٤٨) وبين عامي (١٩٤٩-١٩٥٠) هاجر (٤٧١٤٠) في (٤٣٠) رحلة جوية فيما سمي آنذاك « البساط السحري » وقد قدرت تكاليف الرحلات بـ (٤,٥٠٠,٠٠٠) دولار وجاء في المراجع ذاتها أن عدد يهود اليمن في فلسطن عام (١٩٥٢) بلغ (١١٢ ،٦٧٠) يهودياً.

وكانت الحركة الصهيونية قد خصصت خمسمائة ريال يمني (ماريا تريزا) أي (٥٠٠ دولار اميركي) لكل يهودي يغادر اليمن في حين خصصت الف دولار لكل يهودي من دول المغرب العربي، وخصصت خمسة آلاف دولار لكل يهودي غادر الاتحاد السوفييتي « وفي هذا الرقم الأخير مصيدة اميركية معروفة للخبراء الفنيين الروس.

ولعل اشهر عملية لتهجير يهود اليمن، واكبرها، هي عملية « بساط الريح » التي حملت إلى (٤٧,١٤٠) يهودياً يمنياً كما اشرنا اعلاه. وقد جاءت هذه العملية على خلفية سياسية أوضحها الياس سعد في كتابه « الهجرة اليهودية إلى فلسطين » باعتقاده ان السلطات البريطانية اقنعت حكام المحميات بعدم التعرض لليهود لدى عبورهم إلى عدن. وفي هذه الأثناء كانت المنظمات الصهيونية قد أرسلت عملاء لها كثيرين إلى اليمن للعمل بين صفوف اليهود لتحريضهم على الهجرة إلى فلسطين المحتلة عن طريق إغرائهم بالوعود الخيالية. ثم حصلت مفاجاة بأن وافق إمام اليمن على هجرة اليهود من بلاده. والأسباب الحقيقية لا تزال مجهولة حتى اليوم. إلا اننا نعتقد انها كانت نتيجة لعاملين مختلفين: أولاً، ضغطت السلطات البريطانية على الإمام وباقي حكام المحميات من أجل السماح بالهجرة لارضاء الصهاينة من جهة وللتخلص من المأزق الذي خلفه تسلل اليهود من اليمن من عدن من جهة ثانية. ثانياً، قام العملاء الصهيونيون في اليمن عن طريق وسائل ملتوية كثيرة بخلق اسباب الفتنة بين السكان اليهود وغير اليهود في اليمن وفي عدن مما اضطر الإمام للسماح بالهجرة لكل من شاء من يهود اليمن للتخلص من "الصهيونيين بينهم. وطلب الإمام آنذاك من جميع اليهود الذين أرادوا مغادرة البلاد ببيع ممتلكاتهم كي يحول دون مطالبة هؤلاء اليهود بحقوق لهم في

المستقبل في اليمن. وتمكنت المنظمات الصهيونية من حمل أكثرية يهود البلاد على التدفق إلى عدن حيث تجمعوا فيها قبل نقلهم إلى فلسطين. (٥٤)

وتواصلت في العقود التالية من الزمن هجرة يهود يمنيين إلى الكيان الصهيوني. وفي السنوات الأخيرة أفادت صحيفة «الصاندي تايمز» اللندنية أن اسرائيل تحضر لاقامة «سجادة سحرية» لنقل اليهود اليمنيين وبحماية مطاردات مقاتلة من نوع ف١٥. وأن اسحق شامير، رئيس الوزراء السابق، يشرف على تلك التحضيرات. وذكرت الصحيفة أن (٥٠٠) يهودي مازالوا يعيشون في اليمن وأغلبيتهم يقطنون في المدن التالية: الروضة وصرواح شمالي العاصمة صنعاء. (٥٥) وأشارت مصادر مسؤولي الهجرة في الكيان الصهوني في وقت لاحق من ذلك العام (١٩٩٢) أن (٢٥٠) يهودياً يمنياً هاجروا سراً إلى اسرائيل خلال العام ذاته. (٥٦)

*هجرة يهود مصر وليبيا

بلغ عدد يهود مصر عام (١٨٣٥) حوالي (٥,٠٠٠) يهودي ارتفع عام (١٨٩٧) إلى (٢٥,٢٠٠) يهودي من أصل (٩,٧٣٤,٤٠٥) نسمة عدد سكان مصر، ووصل إلى (٦٤,٤٨٤) يهودياً في عام (١٩٤٧) من أصل سكان مصر البالغ عددهم آنذاك (١٥,٩٠٠,٠٠٠) نسمة وتوزعوا على القاهرة التي وجد فيها آنذاك (٣٦,١٥٥) يهودياً، والاسكندرية التي بلغ عدد اليهود فيها في العام ذاته (٢٥١٨٣) يهودياً. وقد قدر آنذاك أن (٥,٠٠٠) يهودي فقط يحملون الجنسية المصرية. ويعزى حصول الكثيرين من اليهود على جنسية أجنبية إلى فوائد نظام الامتيازات الذي لا يؤمن فقط حماية القناصل الأجانب، بل يعفيهم (اليهود) من الخضوع إلى المحاكم المصرية، ويخولهم عرض قضاياهم على المحاكم المختلفة إلى جانب حقوق استثنائية أخرى. (٥٧)

وقد كانت هجرة يهود مصر إلى فلسطين ضئيلة جداً قبل قيام الكيان الصهيوني إذ لم يسجل سوى قدوم حوالي (١٨٠٠) مهاجر قبل ١٩٤٨/٥/١٥. (٥٨) وعند بداية حرب فلسطين ١٩٤٨، منعت السلطات المصرية حاملي جوازات السفر دون الحصول على سمة خروج من وزارة الداخلية. ولا شك أن هذا القانون ساهم في انخفاض الهجرة، إلا أن السلطات المصرية سرعان ما رفعت الحظر عن الهجرة في شهر آب (١٩٤٩) مما أدى إلى حصول هجرة واسعة حتى شهر تشرين

الثاني(١٩٤٩ م)(٥٩) واستمرت الهجرة فيما بعد، إذ هاجر بعد العدوان الثلاثي على مصر حوالي (١٢) ألف يهودي. وتدعي الأوساط الصهيونية أن اليهود قد طردوا من مصر، لكن اليهود الذين تركوا مصر كانت أغلبيتهم من رعايا انجلترا وفرنسا وان كان بعض اليهود المصريين قد رحلوا إلى اسرائيل فإن السبب الاساسي في ذهابهم إليها يرجع إلى عوامل اقتصادية وليس نتيجة اضطهاد المصريين لهم كما تزعم الصهيونية.(٦٠)

وعند نشوب حرب حزيران (١٩٦٧) كان عدد يهود مصر يتراوح بين (٢٥٠٠) و(٣٠٠٠) يهودي. وأشاعت الدعاية الصهيونية أنه قد اعتقل منهم (٣٥٠–٦٠٠) يهودي ووضعوا في السجون ومعسكرات الاعتقال، في شروط لا إنسانية دون أن توجه لهم تهم معينة. ونفت الحكومة المصرية تلك الادعاءات، وفي السياق ذاته صرح الحاخام دويك : «أن اليهود هم رعايا مصريون دون تفرقة، وقد ألقي القبض على مصريين يهود وغير يهود لأسباب اقتضتها ضرورة الأمن وافرج عن بعضهم (بقي حوالي(٢٣٠) من أصل (٥٠٠) يهودي وان الذين اطلق سراحهم قد رحلوا حسب رغبتهم أو عادوا إلى أعمالهم» .(٦١)

أما عدد اليهود الليبيين الذين وصلوا إلى الكيان الصهيوني منذ قيامه وحتى (١٩٥٨) فبلغ (٣٥,١٤٢) نسمة ولم يبق في طرابلس الغرب سوى ٤٥٠٠–٥٠٠٠ يهودي، وفي بنغازي (٣٠٠) يهودي في عام (١٩٦٧).(٦٢) وغادر المتبقين في سنوات لاحقة إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة، ووصل جزء منهم إلى الكيان الصهيوني.

* هجرة يهود المغرب العربي

لم تمثل هجرة يهود تونس والجزائر والمغرب قبل الاعلان عن قيام الكيان الصهيوني، حجماً كبيراً، فخلال الفترة مابين (١٩١٩) و(١٩٤٨) لم تزد حصة اليهود من بلدان المغرب العربي على (٠,٧٪) من الحجم الكلي للهجرة في هذه الفترة. ولكن بعد قيام الكيان الصهيوني تضخمت بشكل مفاجىء هجرة يهود شمال افريقيا فبلغت (١١٧) ألفاً من (١٩٤٨–١٩٥٤).(٦٣)

وقد تزايدت فيما بعد هجرة يهود تونس مع اقتراب موعد الاستقلال، فغادرها حوالي (٦١٠٠) يهودي عام (١٩٥٦) وحوالي (٦٥٠٠) يهودي عام

(١٩٦٦)(٦٤) وكذلك كان حال يهود الجزائر الذين انخفض عددهم من (١٣٥,٠٠٠) يهودي عام (١٩٦٠) إلى حوالي (١٤٠٠٠) يهودي عام (١٩٦٣)، ويذكر أن نسبة (١٠٪) من المهاجرين اليهود الجزائريين توجهوا إلى فلسطين في حين توجه (٩٠٪) منهم إلى فرنسا (٦٥)

أما عن هجرة يهود المغرب، فخلال فترة الانتداب (١٩٢٠-١٩٤٧) لم يهاجر سوى (١٠٠٠) يهودي مغربي إلى فلسطين، ويعترف المؤلف الاسرائيلي «الكس وينفرود» بأن فلسطين كانت بلاد خيالية، تلك التي اتجه اليها يهود المغرب من أساطير حاكتها لهم الدعاية الصهيونية وأساطير انطلقت من مخيلاتهم. والواقع أن أكثرية الذين هاجروا إلى اسرائيل فيما بعد كانوا من الفقراء، أما الأثرياء فقد آثروا البقاء في المغرب أو الهجرة إلى فرنسا في وقت لاحق. أما خلال العامين (١٩٤٨-١٩٤٩) فقد هاجر (٨,٠٠٠) يهودي مغربي عن البلاد، وبلغ عدد الذين هاجروا خلال الفترة (١٩٥٠-١٩٥٤) حوالي (٢٨) ألف يهودي حسب التقديرات الاسرائيلية.(٦٦)

ومهدت السلطات المغربية للحؤول دون هجرة يهود البلاد إلى الكيان الصهيوني بعد استقلال البلاد. وفي حين لم تسمح بهجرة العائلات اليهودية بكاملها إلا أنهالم تتعرض لرجال الأعمال اليهود الذين كانوا يسافرون إلى الخارج في رحلات تجارية أو ترفيهية. وقامت المنظمات الصهيونية بجمع المتطوعين للهجرة ونقلهم عبر محطات سرية إلى الموانىء الصغيرة في الشمال. وكان معظم المتسللين ينتقلون إلى طنجة ومنها إلى جبل طارق أو فرنسة ومنها في غالب الأحيان إلى اسرائيل. وقد انخفض عدد يهود المغرب من (١٩٠,٠٠٠) يهودي عام (١٩٥٦) إلى (٧٠,٠٠٠) يهودي عام ١٩٦٥ .(٦٧)

* مابعد السبي الصهيوني

بعد أن عرضنا في الجزء الأول لواقع اليهود في البلاد العربية، وفي الصفحات السابقة للنشاط الصهيوني بين يهود تلك البلاد الذي أدى إلى سبي جديد من طراز خاص ليهود البلاد العربية، تمثل في تهجيرهم من البلاد التي عاشوا فيها منذ عدة قرون، سنقدم صورة أولئك اليهود في المنفى الصهيوني الجديد -اسرائيل- كي نحدد طبيعة الحل الصهيوني لما يسمى بـ «المسالة اليهودية».

* اليهود العراقيون في الكيان الصهيوني:

يأتي اليهود العراقيون في المرتبة الخامسة من حيث الحجم بين المجموعات الاثنية الموجودة في الكيان الصهيوني بعد اليهود المغاربة والبولونيين، والروس والرومانيين. وقد بلغ عددهم في نهاية عام (١٩٨٥) حسب المجموعة الاحصائية الاسرائيلية «٢٦٧٨٠٠» شخص. منهم حوالي «٩٧» الف شخص من مواليد العراق و«١٧٠٨٠٠» شخص ولدوا في الكيان الصهيوني لآباء يهود عراقيين.

وقد واجه اليهود العراقيون صعوبات كبيرة جداً حيث وجدوا أنفسهم في بيئة اجتماعية مختلفة جداً، عن حياتهم السابقة التي عاشوها في العراق. وكانت اللغة الجديدة المفروضة عليهم واختلاف أنماط العمل، وصعوبات السكن والعيش في المعابر مدة طويلة، أهم المشاكل التي واجهوها. وزاد من مأسوية أوضاعهم في السنوات الأولى رؤيتهم لأبنائهم وبناتهم يساقون قسراً للخدمة في الجيش الصهيوني.

أما بالنسبة للاستيطان فقد تم توجيه أغلبيةالمهاجرين العراقيين إلى مدن التطوير، والى المستوطنات الزراعية الجديدة، حيث وجد القسم الذي كان يعيش منهم في بغداد والمدن العراقية الكبيرة الاخرى نفسه مضطراً للتكييف مع حياة القرى الزراعية. أما الذين كانوا يعيشون في القرى الشمالية (ومعظمهم من اليهود الأكراد) فلم يكن الامر صعباً بالنسبة إليهم.

وفي الواقع كان اليهود العراقيون المهاجرين يضمون في صفوفهم نخبة متعلمة تضم اعداد كبيرة من المتخصصين. فقد كان بينهم من الف مدرس، وأكثر من مئة

طبيب، وعدد لاباس به من المحامين والمهندسين والصحفيين. وعليه فقد احتل هؤلاء المركز الأول بين اليهود الشرقيين سواء من حيث أوضاعهم الاقتصادية أو من حيث تقدمهم السياسي، وهو ما أشرنا إليه عند الحديث عن اليهود المغاربة الذين نازعوهم هذا المركز في السنوات الأخيرة.

وقد شكل اليهود العراقيون الطاقم الاساسي في الصحافة والاذاعة الصهيونية باللغة العربية، واحتلوا مراكز هامة في الدائرة العربية بالحكومة الصهيونية، كما برزوا في الهستدروت، والتجارة والبنوك، وكان الطلبة العراقيون يشكلون العدد الأكبر من الطلبة اليهود الشرقيين في الجامعة العبرية، والجامعات الصهيونية الأخرى.

وعلي المستوى السياسي فقد برز اليهود العراقيين عدد من الشخصيات السياسية مثل شلومو هيلل رئيس الكنيست السابق، وموشي شاحال وزير من قادة حزب العمل البارزين، وموشي نسيم وزير مالية سابق والرجل الثاني في الحزب الليبرالي، وشوشانا أربيلي الموزلينو وزيرة صحة سابقاً ومن قادة حزب العمل، ،مردخاي بن بورات رئيس حركة تيلم وعضو كنيست سابق. ومنهم أيضاً موشي ليفي رئيس أركان سابق ، وبنيامين بن اليعازر الرجل الثاني في حركة ياحد ومنسق سابق لقوات الاحتلال في الضفة الغربية. وغيرهم (٦٨)، والذي يعرف باسم « فؤاد » واستلم وزارة الاسكان في الحكومة الاسرائيلية الحالية وموشيه شاحال أو موريس فتال سابقاً وتسلم في حكومة رابين وزارة الشرطة .(٦٩)

أما بالنسبة إلى اندماج اليهود العراقيين في التجمع الاستيطاني الصهيوني، فقد شكلوا في السنوات الأولى لقدومهم مجموعة متقوقعة حول نفسها، حيث كانت نسبة الزواج داخل مجموعة اليهود العراقيين عام (١٩٥٢) أعلى نسبة بين كل المجموعات الموجودة داخل الكيان الصهيوني وبلغت ٩٢٪. ثم اخذت هذه النسبة في التناقص تدريجياً حتى بلغت ٧٠٪ عام (١٩٦٢) وظلت على الرغم من هذا التناقص من أعلى النسب في ذلك العام ويتم اندماج اليهود العراقيين أساساً مع اليهود الآخرين في الأقطار العربية كيهود مصر وسورية ولبنان.. ومع يهود الأقطار الاسلامية بوجه عام كيهود ايران وتركيا وغيرهم.

وقد انعكس تأثير الحياة داخل الكيان الصهيوني في اليهود العراقيين ضعفاً للنظام الاسري الابوي، حيث بدأ الشبان والفتيات يتمردون علي أسرهم وعلى

السلطة الابوية أو يعيشون بشكل مستقل اجتماعياً واقتصادياً، وهو ما يظهر تأثير نمط حياة اليهود الغربيين فيهم. (٧٠)

*اليهود السوريون واللبنانيون في الكيان الصهيوني

يعود اليهود السوريون واللبنانيون في الكيان الصهيوني إلى الطائفة اليهودية التي كانت تتواجد أساساً في مدينتي حلب ودمشق وكذلك في بعض المدن الأخرى كبيروت وصيدا...

وكان «اليهود الحلبيون» يأتون للاقامة في القدس بدوافع دينية قبل الاستيطان اليهودي الحديث في فلسطين حيث كان أغلبهم من الحاخامات.

أما الهجرة الرئيسة ليهود سورية ولبنان فقد كانت تتجه إلى الولايات المتحدة واقطار اميركا الجنوبية، إلا أن التقييدات التي وضعتها السلطات الاميركية على الهجرة اليهابعد عام (١٩٢٤) اضافة إلى الاوضاع الاقتصادية التي تعيشها سورية في عهد الانتداب الفرنسي وخاصة المنافسة الخارجية التي وجدتها صناعة زخرفة النحاسيات التي كانت تشكل المهنة الاساسية ليهود دمشق وحلب، دفعت العديد منهم للهجرة إلى فلسطين تحت اغراءات الحركة الصهيونية.

ولا يعرف عدد اليهود السوريين واللبنانيين في الكيان الصهيوني لأن قسماً منهم مسجل كمصريين أو كأتراك «من يهود الاسكندرون وعنتاب» أو كمهاجرين من اقطار الأمريكيتين، وأما الذين ولدوا في فلسطين فإنه يشار اليهم على أساس أن بلد الأصل بالنسبة اليهم هو فلسطين. كما أن العديد منهم يغادرون الكيان الصهيوني إلى الولايات المتحدة والامريكيتين حيث توجد جالية مهمة من هؤلاء اليهود.

وتعتبر نسبة الولادات مرتفعة بالنسبة اليهم شأنهم شأن بقية اليهود الشرقيين، في الوقت الذي يعتبر اتجاهم نحو الاندماج في المجموعات الاخرى جيدة بالنسبة للمجموعات الشرقية الاخرى. فقد انخفضت نسبة الزواج ضمن المجموعة نفسها عند اليهود السوريين واللبنانيين من ٣٩٪ عام ١٩٥٢ إلى ٢٩٪ عام ١٩٦٢.

وليهود الشام وحلب كنس خاصة في القدس وتل ابيب وحيفا، وهم معروفون بتراتيلهم واغانيهم الدينية الخاصة التي تعرف باسم «الباكشوت» والتي تستخدم فيها الالحان العربية (تغنى على نسق الموشحات والقدود الحلبية). وهم بارزون في

النشاطات الدينية العامة وخاصة الحلبيون، إذ أن العديد من الحاخامات السفارديين في القدس هم من أصل حلبي.

وأبناء هذه المجموعة نشيطون في مجال التجارة والصرافة، ووجودهم ضئيل في الكيبوتسات التي ذهبوا إليها وإلى المستوطنات الزراعية بعض من ولدوا منهم في الكيان الصهيوني.

وكان لليهود السوريين واللبنانيين وجود في مختلف المستويات السياسية في الكيان الصهيوني، فبعضهم كان عضواً في الكنيست مثل: مناحيم باديد وابراهام عباس. ويعتبر «موشي ساسون» سفير الكيان الصهيوني الحالي في مصر ووالده الياهو ساسون وزير البريد والشرطة سابقاً، من أبرز الشخصيات السياسية في هذه المجموعة.(٧١)

* اليهود اليمنيون في الكيان الصهيوني

نظراً لقدوم يهود اليمن بوقت مبكر إلى فلسطين، وانخراطهم في عداد المستوطنين فإنهم بلوروا لأنفسهم تنظيمات خاصة بهم، بدأت بالظهور عام (١٩٢٣) من أبرزها المنظمات التالية: مجلس الرابين ليهود اليمن، وتنظيم نساء اليمن، ومنظمة شباب اليمن (تل أبيب)، ومنظمة الأبناء، واللجنة الأمريكية لاعادة يهود اليمن وهي مرتبطة بالوكالة اليهودية في كل نشاطاتها.(٧٢)

يعيش في الكيان الصهيوني حالياً حوالي «٢٠٠» الف يهودي من أصل يمني، وتشير المجموعة الاحصائية الاسرائيلية لعام (١٩٨٦) إلى وجود «٤٩٥٠٠» يهودي من مواليد اليمن، إضافة إلى «١٦١١٠٠» يهودي ولدوا في الكيان الصهيوني لآباء يمنيين. ويمكن أن يضاف إلى هؤلاء حوالي «٣٥» ألف يمني ممن تعتبرهم الاحصاءات الصهيونية من أصل اسرائيلي (الذين ولد آباؤهم في اسرائيل مهما كانت أصولهم الاثنية)، فالمجموعة اليهودية اليمنية كانت المجموعة اليهودية الشرقية الوحيدة ذات الحجم المعتبر عند قيام الكيان الصهيوني عام (١٩٤٨) حوالي (٣٥) ألف يهودي يمني.

وكغيرهم من يهود الاقطار العربية كان اليهود اليمنيون يأتون إلى فلسطين بشكل فردي للاقامة في المدن المقدسة بالنسبة اليهم وخاصة القدس وصفد، وذلك خلال القرون الثلاثة الماضية. أما أول مجموعة يهودية يمنية ذات حجم معتبر فقد

جاءت لتستوطن القدس خلال عامي (١٨٨١و١٨٨٢) قبل وصول جماعة أحباء صهيون « البيلو » . كما جاءت مجموعة أخرى مهمة في عام (١٩٠٥) لتستقر في مستوطنات « ريشون لتسيون » و« رحفوت »، وبتاح تكفا في منطقة يافا .

وقد وجد اليهود الصهاينة الاوروبيون في يهود اليمن يداً عاملة رخيصة وعمالاً زراعيين جيدين فأرسلوا أحد اليهود الروس إلى اليمن (شموئيل يافنيلي) ليقوم بالدعاية للهجرة ولتسريعها وتنظيمها الامر الذي نتج عنه هجرة أكثر من (١٥٠٠) يهودي يمني .

وبالاجمال فقد كان عدد اليهود اليمنيين في فلسطين عند وقوعها تحت الانتداب البريطاني حوالي « ٧ » آلاف شخص شكلوا ٨٪ من يهود فلسطين في ذلك الحين (حسب موسوعة الصهيونية واسرائيل) .

وقد استوطن ثلث اليهود اليمنيين في المدن، وخاصة في احياء الضائقة مثل حي المصرارة في القدس وحي كفار شاليم في تل أبيب اللذين يشكل اليهود اليمنيون غالبية السكان فيهما . ويعمل هؤلاء المقيمون في المدن في البناء، وفي الأعمال والحرف اليدوية، وفي قطاعي التعليم والخدمات . كما استوطن عدد كبير من اليهود اليمنيين في مدن التطوير في الجليل والنقب، وفي المستوطنات الزراعية . وفي عام (١٩٦٩) كان هناك « ٤٠ » موشافاً مسكوناً بالكامل تقريباً باليهود اليمنيين .

وقد واجه اليهود اليمنيون في سنوات هجرتهم الأولي صعوبات تأقلم كبيرة جداً بسبب من الفوارق والاختلافات الثقافية وخاصة مع اليهود « الاشكناز » الغربيين . وكانت مهنهم ولباسهم، وأمزجتهم وطريقتهم في الحياة غريبة كلياً عن حياة هذا الكيان . وكانت الحدادة حرفتهم الاساسية، وكذلك صناعة الاحذية والجلود التي تقوم على طرق بدائية لا تجد لها طريقاً في الكيان الصهيوني . وقد ظلوا يعملون في زخرفة النحاس وصناعة المطرزات وكتابة الرقائق التي لم تكن لتجد لها سوقاً في البداية، ولكن الصهاينة الذين اخذوا فيما بعد يتطلعون لاصطناع « تراث اسرائيلي خاص » بدؤوا الاهتمام بها، وبالتقاليد اليمنية الخاصة في اللباس والغناء والالحان الجماعية لتوظيفها في الحديث عن « الفلكلور الاسرائيلي » المزعوم .

ومنذ أواسط الستينات وبتأثير من الانتشار النسبي للتعليم في أوساطهم، صار

هناك المئات من اليهود اليمنيين الدارسين في الجامعات الصهيونية، وصار اليهود اليمنيون يتمركزون في مجال البيع والتجارة. وعلى الرغم من ذلك فقد ظل معظمهم متمسكين بنمط معيشتهم، وظلوا يعيشون في تجمعات خاصة في ضواحي المدن وفي مدن التطوير والمستوطنات الخاصة بهم. واليهود اليمنيون يفضلون ارسال أبنائهم إلى المدارس الدينية ليتعلموا التوراة.

ومازالت نسبة الولادات مرتفعة في أوساطهم، والطلاق قليل، وتعدد الزوجات نادر على الرغم من أن الجيل الجديد المولود في الكيان الصهيوني يصبح أكثر قرباً من هذه المجالات من النسب الموجودة عند المجموعات الأخرى في هذا الكيان.

أما بالنسبة للزواج داخل المجموعة نفسها، فقد كانت المعدلات مرتفعة جداً وشبه ثابتة خلال السنوات الممتدة بين عامي (١٩٥٢) و(١٩٦٢) تراوحت بين ٨٥٪ و٨٢٪ .

وعلى الصعيد السياسي فاليهود اليمنيون الذين اشتهروا بالتطرف وبتأييد الاحزاب والحركات الصهيونية اليمنية مثل «حيروت» و«هتحيا»، موجودون في مختلف الاحزاب والحركات السياسية الموجودة في الكيان الصهيوني، وقد برز منهم «يسرائيل كيسار» السكرتير العام السابق للهستدروت وأحد قادة حزب العمل المعروفين، جيئولا كوهين عضو الكنيست وزعيمة حركة «هتحيا» والحاخام حنان بورات من زعماء غوش أمونيم، ويسرائيل يشعياهو من الوزراء السابقين ورئيس الكنيست الأسبق.(٧٣)

ومؤخراً، أصبح يسرائيل كيسار المولود في صنعاء وزيراً للمواصلات في حكومة اسحق رابين.(٧٤)

* اليهود المصريون في الكيان الصهيوني

تشير المجموعة الاحصائية الاسرائيلية لعام (١٩٨٦) إلى وجود حوالي (٦٥) ألف يهودي مصري وسوداني في الكيان الصهيوني عام (١٩٨٥) منهم (٢٨) ألفاً من المهاجرين و(٣٧) ألفاً ولدوا في الكيان الصهيوني. ولقد استوطن قسم قليل منهم في المستوطنات الزراعية والكيبوتسات، فيما استوطن القسم الأكبر منهم في مدينة حولون، وبات يام الاستيطانيتين في منطقة تل أبيب، وفي مدينة عكا، وفي مستوطنة كريات حاييم بمنطقة حيفا، وفي مدينة بئر السبع. وبسبب

من طبيعة النمط السابق لحياتهم -مدنيون في معظمهم- ومستواهم التعليمي الجيد ومهاراتهم في معرفة اللغات الأجنبية، وما يعرف من المصريون من حسن تعامل فقد برزوا في مجال السياحة والفنادق والمصارف والخدمات المدنية. كما يوجد عدد منهم في الصناعات الجوية، وتضم النخبة منهم محامين ومحاسبين وضباط بوليس، إلا انه لم يبرز بينهم سياسيون أو قادة معروفون في الكيان الصهيوني.(٧٥)

* يهود شمال افريقيا في الكيان الصهيوني

حسبما تشير اليه المجموعة الاحصائية الاسرائيلية لعام (١٩٨٦)، فان عدد اليهود المغاربة في الكيان الصهيوني قد بلغ عام (١٩٨٥) (المهاجرين مع الزيادة الديمغرافية) حوالي «٤٨٠» الف شخص يمثلون المجموعة الأكبر عدداً بين جميع المجموعات اليهودية في هذا الكيان. وتشير إلى أن عدد اليهود التونسيين والجزائريين قد بلغ في العام نفسه «١٢٥» الف شخص فيما وصل عدد اليهود الليبيين إلى «٧٨» الف شخص. وعليه فان مجموع يهود شمال افريقيا (المغرب العربي) في الكيان الصهيوني يكون قد بلغ في ذلك العام «٦٨٢» الفاً، يشكلون حوالي ٢٠٪ من مجموع المستوطنين اليهود في الكيان الصهيوني.

ولا تشكل مجموعة يهود «المغرب العربي» المجموعة الأكبر عدداً في الكيان الصهيوني فحسب، بل والمجموعة الأكثر فتوة ونشاطاً من الناحية الديمغرافية فمتوسط عدد افراد الاسرة الواحدة من هذه الاقطار هو «٥» اشخاص، في حين يبلغ عدد بعض الاسر منها «١٠-١٢» فرداً.

اما من الناحية الاجتماعية فقد جاء المهاجرون من ابناء هذه المجموعة وخاصة الذين جاؤوا في الخمسينات وأوائل الستينات، دون صفوة سياسية أو اقتصادية. فالنخبة المالية المدنية المثقفة من يهود هذه الاقطار والتي كانت مندمجة في اطار النخبة الفرنسية المثقفة، هاجرت إلى فرنسا، تاركة الجماهير اليهودية الأكثر فقراً وبؤساً، الأمية في معظمها، تذهب إلى الكيان الصهوني.

وقد كان لهذا الامر ابعاد كبيرة على مسالة اندماج هؤلاء المهاجرين في الكيان الصهوني، بحيث زادت من المصاعب التي واجهتهم في هذا المجال. ولم يتغير الوضع إلا بوصول بعض افراد الصفوة في مراحل متأخرة، وبعد تكون صفوة جديدة

من هؤلاء المهاجرين أنفسهم، بدأت تأخذ مكانها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

أما من الناحية الاستيطانية فان معظم مهاجري شمال افريقيا (المغرب العربي) قد وجهوا إلى المستوطنات والكيبوتسات الجديدة التي بنيت في الخمسينات والستينات، والى مدن التطوير مثل: بيسان (يشكل اليهود المغاربة نصف سكانها)، ومجدال هاعيمك (يشكل اليهود المغاربة ثلثي سكانها)، وعسقلان، واسدود، وحتسور (رؤساء بلدياتها من المغاربة)، وكذلك بئر السبع، وأوفاكيم، ومتسفي رمون، وسدروت، وأور يهودا، وكريات ملاخي وغيرها.

وفي عام (١٩٦٥) كان يهود المغرب يتوزعون في الكيان الصهيوني على الوجه الآتي: ١٤٪ في المدن الثلاث الكبرى، القدس، وتل أبيب، وحيفا، ١٦٪ في المدن الأخرى الأصغر، ٦٠٪ في مدن التطوير والمستوطنات البلدية، ٢٪ في المستوطنات الزراعية الجديدة.

ويسكن يهود المغرب مع بقية اليهود الشرقيين في المدن الكبرى ضمن أحياء الضائقة بوجه عام، مثل وادي الصليب في حيفا، وأحياء: هاتكفا، ولفي تساهل، وكفار شاليم في تل أبيب، والمصرارة في القدس.

ولا يختلف وضع يهود تونس، والجزائر، وليبيا عن وضع يهود المغرب في مجال الاستيطان والتوزع الجغرافي تقريباً.

وقد أدى وجود هؤلاء المهاجرين في الكيان الصهيوني سنوات متتالية، إلى بعض التغيير في نمط حياتهم، حيث تحول معظمهم من العمل في التجارة والحرف أو كباعة جوالين في بلدان المغرب العربي، إلى العمل في الزراعة (٢٣٪) والبناء (١٣٪) والصناعة والحرف (٢٥٪).

أما بالنسبة إلى اتجاهات الاندماج عند يهود هذه الاقطار في التجمع الاستيطاني الصهيوني فهي ضعيفة، حيث تظهر هذه المجموعات تماسكاً داخلياً قوياً. فمعدلات الزواج ضمن المجموعة نفسها هي من أعلى المعدلات بين المجموعات الأثنية، حيث تراوحت هذه النسبة فيما يخص يهود المغرب وتونس والجزائر بين ٨٢٪ و٧٤٪ خلال السنوات العشر الممتدة من عام (١٩٥٢) إلى عام (١٩٦٢). أما فيما يخص يهود ليبيا، فقد كانت هذه النسبة مرتفعة جداً في السنوات الثلاث الأولى من نفس الفترة تراوحت بين ٩١٪ و٨٨٪ ثم أخذت في الهبوط

حتى أصبحت ٦٣٪ في عام (١٩٦١) و٦١٪ عام (١٩٦٢) .

وتوجه هذه المجموعات للاندماج هو في اتجاه يهود البلاد العربية واليهود الشرقيين أساساً .

وفي السنوات الأخيرة أصبح اليهود المغاربة يمثلون المركز بين المجموعات اليهودية الشرقية، عدا المركز الذي كانت تحتله مجموعة اليهود العراقيين في سنوات الخمسينات والستينات . وهذا الوضع يضعهم في مكانهم الطبيعي المتناسب مع وزنهم العددي بين اليهود الشرقيين.

وفي هذا المجال يمكن الحديث عن حركات سياسية يشكل اليهود المغاربة كتلتها الاساسية مثل الفهود السود الذين ظهروا في أوائل السبعينات . وحركتا تامي التي يقودها أهرون أبو حصيرة، وحركة شاس التي يقودها الحاخام عوفيديا يوسف، واللتان ظهرتا في الثمانينات .

ومن أبرز الشخصيات السياسية التي تعود أصولها إلى يهود هذه الاقطار : « دافيد ليفي » نائب رئيس الحكومة الصهيونية والشخصية الثانية في حزب حيروت وتكتل الليكود الصهيوني اليميني، « ورافي أدري » من قادة حزب العمل، وأعضاء الكنيست : شارلي بيتون، وأهرون أبو حصيرة ومئير شتريت، وجاك أمير، ورعنان نعيم، ويتسحاق بيرتس، وهم من يهود المغرب . وأهرون أوزان الوزير السابق والشخصية الثانية في حركة تامي وهو من يهود تونس، وبن تسيون روبين عضو كنيست سابق والشخصية الثالثة في حركة تامي وهو من يهود ليبيا .(٧٦)

ومن أبرز شخصيات الطائفة المغربية في الكيان الصهيوني، نذكر : شمعون شطريت الذي تسلم وزارة الاقتصاد في الحكومة الاسرائيلية التي شكلها اسحق رابين في أعقاب الانتخابات الثالثة عشرة للكنيست، وهو من مواليد المغرب عام (١٩٤٦)، هاجر مع والديه إلى فلسطين عام (١٩٤٩) .(٧٧)

* المجموعات الاسيوية الافريقية في الكيان الصهوني

نجد ضرورياً الاشارة إلى المجموعات اليهودية الأثنية ذات الاصول الاسيوية الافريقية غير العربية، التي هاجرت إلى الكيان الصهيوني، والكشف عن واقعها فيه تمهيداً لبحثنا في أوضاع عموم اليهود الشرقيين في الكيان الصهوني. وهنا نستعرض بعض ما جاء في دراسة محمد رشاد الشريف حول أوضاع هذه المجموعات الأثنية:(٧٨)

● يهود ايران في الكيان الصهيوني

يعيش في الكيان الصهوني حالياً حوالي (١٣٠) الف يهودي من أصل ايراني، حيث تشير المجموعة الاحصائية الاسرائيلية (لعام ١٩٨٦) إلى وجود « ٥٥٨٠٠) يهودي من المهاجرين من ايران و« ١١٦١٠٠ » يهودي ممن ولدوا لآباء ايرانيين.

وإضافة إلى هؤلاء هناك الايرانيون الذين ولد أجدادهم أو آباء أجدادهم في ايران ويعتبرهم الصهاينة من أصل « اسرائيلي » فلقد كانت هناك مجموعة من اليهود الايرانيين في فلسطين قبل وعد بلفور وقبل وقوعها تحت الانتداب البريطاني.

وتشير المصادر الصهيونية إلى أن مجموعة من « يهود شيراز » تعرف باسم مجموعة « الملا أهرون كوهين » قدمت إلى القدس عام (١٨٨٦)، وعمل افرادها رعاة وعمالاً في مقالع الحجارة وكان اليهود السفارديون الاخرون يساعدونهم في الحصول على الارض، فقاموا ببناء حي عرف باسم « نفي تسيدك »، وآخر عرف باسم « شافونات باهيم ».

وتذكر هذه المصادر أن يهود ايران شكلوا في عام ١٩٠٠ منظمة بهم عرفت باسم « أوحاف زيون » كانت تهتم باحتياجات المجموعة وبتقديم المساعدة لأفرادها. وأن ممثلين عنها شاركوا في انعقاد « جمعية يهود فلسطين » عام (١٩٠٢) في مستوطنة « زخرون يعقوب ». كما تذكر أيضاً أن بعض الاغنياء من يهود ايران قاموا ببناء معبد خاص لهم في « حي البخارية » في القدس حيث كان يقيم معظم يهود « مشهد ». وأن رابطة ليهود ايران الشباب انشئت عام (١٩١٩) للاهتمام بالمهاجرين الجدد وتقديم الخدمات لهم في المجال الاجتماعي.

وبعد صدور وعد بلفور ووقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني جاءت مجموعة من « يهود مشهد » عام (١٩٢٢) كانت تضم بعض الاسر الغنية من أمثال عزيز ولايوف، وامينوف، التي استوطنت القدس وأدخلت تجارة السجاد العجمي إلى فلسطين (حسب ادعاء الصهاينة) .

كما جاء في الوقت نفسه يهود آخرون من المدن الايرانية الاخرى وخاصة همدان، واستوطنوا في حي « نفي تسادوك » الذي سبقت الاشارة اليه، وتشير موسوعة الصهيونية واسرائيل إلى أن عدد يهود مشهد الذين استوطنوا في القدس كان عام (١٩٣٠) حوالي « ٢٠٠٠ » شخص كما تشير إلى أن عدد اليهود الايرانيين في فلسطين بلغ عام (١٩٣٠) « ١٦ » ألفاً بسبب نسبة زيادتهم الطبيعية العالية .

وبالاجمال فقد بلغ عدد المهاجرين الايرانيين إلى فلسطين خلال فترة الانتداب البريطاني « ٣٥٣٦ » مهاجراً، حسب المجموعة الاحصائية الاسرائيلية .

وبعد الاعلان عن قيام الكيان الصهيوني عام (١٩٤٨) ارتفعت معدلات الهجرة من ايران إلى فلسطين بشكل كبير، حيث بلغ عدد هؤلاء المهاجرين في الفترة الممتدة بين عامي (١٩٤٨) و(١٩٥٢) ما مجموعه « ٢٥٩٧٢ » مهاجراً، وفي الفترة الممتدة من عام (١٩٥٢) وحتى عام (١٩٦١)، وصل « ١٥٦٦٩ » مهاجراً آخر، أعقبهم وصول « ٨٨٥٧ » آخرين .

وفي عام (١٩٦٦) قدر عدد اليهود الايرانيين في الكيان الصهوني بحوالي « ٧٥ » ألف شخص، كان قسم كبير منهم مازال يسكن المعابر قرب برديس حنا و« تل موند » وناتانيا، وعسقلان، فيما انتقل قسم كبير منهم إلى المستوطنات الزراعية، ومدن التطوير. وحتى ذلك التاريخ كان معظمهم يستخدمون الفارسية كلغة للمخاطبة اليومية .

ومنذ منتصف الستينات وحتى نهاية عام ١٩٨٥ جاء إلى الكيان الصهوني « ٢٣٩٢٩ » مهاجراً ايرانياً حسب معطيات المجموعة الاحصائية الاسرائيلية .

ويتواجد اليهود الايرانيون كما سبق واشرنا في القدس، ومستوطنة بيت شيمش (جنوب غربي القدس) وفي حيفا، وتل أبيب، ومدن التطوير وخاصة بئر السبع، وفي العديد من المستوطنات الزراعية .

اما بالنسبة إلى اندماجهم في المجموعات الاخرى فقد كانوا شانهم شان اليهود

الشرقيين الآخرين يتجهون ببطء نحو الاندماج في هذه المجموعات حيث بلغت نسبة الزواج داخل المجموعة ٧٧٪ عام ١٩٥٢ ثم هبطت إلى ٦٠٪ عام ١٩٦٢. وهي نسب مرتفعة عموماً.

ومن الشخصيات البارزة في الكيان الصهوني التي تعود إلى الأصل الايراني «موشي كتساف» وزير العمل والرفاه السابق.

●يهود تركيا في الكيان الصهيوني

يبلغ عدد اليهود الأتراك في الكيان الصهيوني حوالي «١٠٠» ألف نسمة. وتشير المجموعة الاحصائية الاسرائيلية إلى أنه كان يوجد في الكيان الصهيوني عام (١٩٨٥) حوالي «٤١٨٠٠» شخص من المهاجرين من تركيا و«٥٠١٠٠» شخص ممن ولدوا لآباء من أصل تركي، فاذا أخذ بالاعتبار من ولد اجدادهم في تركيا، فان الرقم يصل كما أشرنا إلى حوالي «١٠٠» ألف يهودي تركي.

وعلى الرغم من هذا الحجم الكبير لليهود الاتراك في الكيان الصهيوني فان المصادر الصهيونية لم تتعرض لأوضاعهم ولا لدورهم في الاستيطان أو لمكانتهم في الكيان الصهيوني ومن استقراء سجلات الهجرة الصهيونية يتبين أنه هناك حوالي «٩» آلاف يهودي تركي موجودين في فلسطين عند قيام الكيان الصهيوني، جاء القسم الاكبر منهم ضمن موجة الهجرة الرابعة (١٩٢٤-١٩٣١) وان هجرة ضخمة جاءت عقب قيام الكيان الصهيوني، حيث جاء في الفترة الممتدة من أيلول عام (١٩٤٨) وحتى تموز عام (١٩٤٩) حوالي «٣٥» ألف مهاجر تركي فيما يبدو أن عملية مشابهة لعملية «علي بابا» التي نقل فيها اليهود العراقيون، و«البساط السحري» التي نقل فيها يهود اليمن.

وقد انخفضت أرقام الهجرة بعد تلك العملية الضخمة، وبلغ مجموع المهاجرين في الفترة التي امتدت من عام (١٩٥٢) وحتى غاية (١٩٨٥) «٢٥٧٥٣» شخصاً وقد تم توطين اليهود الاتراك وخاصة من جاء منهم عقب قيام الكيان الصهيوني في مدن التطوير. بشكل رئيسي وفي المستوطنات الزراعية. ووجودهم واضح في بيسان وفي «أوريهودا». أما المهاجرون القدامى فهم موجودون أساساً في مدينتي القدس وتل أبيب.

واليهود الاتراك هم يهود سفارديون بشكل عام، وهم يظهرون ميلاً للاندماج

في المجموعات الشرقية الاخرى، الامر الذي يبدو أنه السبب الرئيسي وراء تغييبهم في صورة المجموعات الاثنية البارزة في الكيان الصهيوني.

وتظهر معدلات الزواج داخل مجموعة اليهود الاتراك هذا الاتجاه فقد انخفضت من ٦٧٪ عام ١٩٥٢ إلى ٤٥٪ عام (١٩٦٢).

من الشخصيات المعروفة في الكيان الصهيوني التي تعود إلى الاصل التركي الكاتب والصحفي المعروف جنرال الاحتياط شلومو غازيت.

●اليهود الاكراد في الكيان الصهيوني

والمقصود هنا اليهود الذين تعود أصولهم إلى كردستان سواء أكانوا من كردستان فارس أم العراق أم تركيا. وهؤلاء كانوا يشكلون مجموعة متميزة داخل اليشوف اليهودي في فلسطين ثم جاء قسم آخر منهم بعد قيام الكيان الصهيوني ضمن المجموعات اليهودية العراقية والتركية والايرانية.

وحسب المصادر الصهيونية فاليهود الاكراد كانوا يأتون إلى فلسطين منذ القرن السادس عشر وقد جاءت مجموعة منهم وأقامت في مدينة صفد في أوائل القرن التاسع عشر، وبعد وقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وكنتيجة لاضطراب الاوضاع في كردستان بعد الحرب العالمية الاولى، فقد جاء حوالي «١٩٠٠» يهودي كردي إلى فلسطين فيما بين (١٩٢٠ و١٩٢٩). وفي عام (١٩٣٥) جاءت مجموعة أخرى قدرت بحوالي «٢٥٠٠» شخص. وفي ذلك العام قدر عدد اليهود الاكراد في فلسطين بحوالي «٨» آلاف شخص كانوا أساساً من أكراد العراق وأكراد تركيا، واستوطن معظمهم في مدينة القدس حيث كانوا يعملون حمالين وباعة جوالين وعملالً في مقالع الحجارة.

وعشية قيام الكيان الصهيوني قدر عدد اليهود الاكراد في مدينة القدس بحوالي «٦» آلاف شخص كانوا يسكنون في محيط كنيس «عوزبر داليم» وفي شارع «شموئيل ناحوفي»، وفي حارة النجارين. اما بقية اليهود الاكراد فقد كانوا مستوطنين في مستوطنات زخرون يعقوب (بين حيفا والخضيرة)، وزخرون يوسف، وشعاريا رحميم، وفي موشاف كريات تيفون (على تلال طبعون بين الناصرة وحيفا)، وعين هاعيمك، وكفار اريبه (السفوحْ الغربية لجبل القدس)، وفي ضواحي حيفا، وطبريا، وكان لهم لجانهم الخاصة بكل مدينة كردية، وقد

اندمجت تلك اللجان عام (١٩٤٥) في اتحاد مهاجري كردستان، كما كان لهم كنسهم الخاصة.

واليهود الاكراد يعملون أساساً في الزراعة وكان بعضهم ينتقل داخل الكيان الصهيوني وفي عام ١٩٦٠ كانت المستوطنات الزراعية المسكونة باليهود الاكراد تشتمل على أجور (عجور غرب منطقة الخليل)، أفيتال (مرج بن عامر) عزاريا (منطقة الرملة على أرض قرية البرية العربية)، الكوش (غرب الجليل الاعلى على أراضي قرية دير القاسي العربية)، ايفن سابير (منطقة القدس)، سدية تروميت (وادي بيسان)، بطيش (النقب الشمالي) بير زوت (مرج بن عامر قرب العفولة)، رحوف (وادي بيسان) ياردينا (على طريق بيسان - طبريا)، زخاريا (جنوب غربي القدس مكان قرية زكريا العربية)، وفيعزرت تسيون(منطقة القدس)، ونيش هريم، ومءات مفتاحيم، وغيرها.

وفي الواقع فانه يصعب معرفة عدد اليهود الاكراد في اسرائيل حالياً كونهم مسجلين كيهود عراقيين في غالبهم.

●اليهود الافغان في الكيان الصهيوني

يعيش في الكيان الصهيوني حوالي « ١٠ » آلاف يهودي افغاني، وقد بدأت هجرة اليهود الافغان إلى فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى واستمرت خلال فترة الانتداب البريطاني. وقد قدر عددها في فلسطين عام (١٩٣٧) بحوالي « ١٠٠٠ » شخص، كانت أغلبيتهم تقيم في القدس (٧٠٠شخص)، كما كان لهم مجالس جماعة في القدس، وحيفا وتل أبيب، وطبريا.

وفي عهد الانتداب البريطاني عمل قسم منهم في الجيش البريطاني، وتطوعوا في الفرقة اليهودية، ثم في عصابتي «الهجاناة» و«البالماخ».

وبعد قيام الكيان الصهيوني عام (١٩٤٨) وحتى عام ١٩٨٠ بلغ عدد المهاجرين منهم « ٤٠٥٧ » يهودياً افغانياً.

وفي عام (١٩٧٠) كان قد قدر عدد اليهود الافغان في الكيان الصهيوني بحوالي « ٧ » آلاف شخص في الوقت الذي لم يعد هناك وجود فعلي لليهود في أفغانستان.

واليهود الافغان موزعون في أنحاء الكيان الصهيوني، غير أن القسم الأكبر منهم موجود في مدينتي القدس وتل أبيب.

● اليهود البخاريون في الكيان الصهيوني

وهم من يهود بخارى في جمهورية أوزبكستان السوفيتية السابقة، حيث كانوا يشكلون طائفة ذات وزن لها مؤسساتها الدينية وتراثها ونمط حياتها الخاص، المختلف عن نمط وتراث يهود روسيا الاوربيين.

وقد بدأت هجرة هؤلاء اليهود إلى فلسطين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وخاصة بعد عام (١٨٨٢)، حين كان الوضع الاقتصادي لهؤلاء اليهود مزدهراً بسبب تعاضدهم مع الحكم القيصري (عكس يهود روسيا).

وفي عام (١٨٨٩) كان لهم لجنة اجتماعية في فلسطين اهتمت ببناء المدارس وبيوت الضيافة لابناء المجموعة. وقد قدر عدد اليهود البخاريين عشية الحرب العالمية الاولى بحوالي ١٥٠٠ شخص كان معظمهم يقيم في مدينة القدس، حيث شكل هؤلاء مركزاً روحياً خاصاً بالنسبة إلى اليهود في بخارى.

خلال الحرب العالمية الاولى عانى هؤلاء اليهود معاناة شديدة حيث صودرت مراكزهم لصالح الجيش التركي، وفقدوا معظم ثروتهم، وغادر عدد كبير منهم فلسطين.

وبعد انتهاء تلك الحرب، وخلال عهد الانتداب البريطاني جاءت إلى فلسطين مجموعات جديدة من يهود بخارى من الاتحاد السوفيتي بطرق مختلفة. وقد قدر عددهم في فلسطين عام (١٩٣٠) بحوالي « ٣ » آلاف شخص كان معظمهم يقيم في القدس (حارة البخارية) وفي تل أبيب وحيفا، والقليل منهم في المستوطنات الزراعية.

وبعد قيام الكيان الصهيوني كان « حي البخارية » اكثر قطاعات القدس فقراً وتخلفاً، حيث كانت شوارعه غير مرصوفة، وبيوته الكبيرة تحولت إلى مدارس. وقد قام الجيل الجديد من هؤلاء اليهود بعد عام (١٩٦٠) باعادة بناء هذا الحي حيث كان المعبد القديم ما يزال قائماً، وقام هؤلاء باحياء تراث المجموعة وتقاليدها الدينية، وخاصة ما يتعلق بصناعة الحلي، والملابس والاغاني الشعبية، وذلك في اطار ما سبق وأن أشرنا إليه من سعي الصهاينة لاصطناع تراث وفلكلور اسرائيلي من تراث المجموعات الاثنية اليهودية المتعددة وخاصة الشرقية منها.

واليهود البخاريون من الجبل القديم ما يزالون يتحدثون اللغة الطاجيكية أو العامية اليهودية الفارسية، فيما يستخدم الجيل الأصغر العبرية في مجال الكتابة.

ولهذه المجموعة مجلة خاصة تصدر في تل ابيب بالعبرية وتدعى « تفونا ».

●اليهود الهنود في الكيان الصهيوني

يعيش في الكيان الصهيوني حوالي «٤٥» ألف يهودي هندي، حيث تشير المجموعة الاحصائية الاسرائيلية لعام (١٩٨٦) إلى وجود «١٩٧٠٠» شخص يهودي من مواليد شبه القارة الهندية، وحوالي «٢٥٠٠٠» يهودي آخر ولدوا في الكيان الصهيوني لآباء من شبه القارة الهندية.

أما موسوعة الصهيونية واسرائيل فهي تذكر أنه كان في الكيان الصهيوني عام (١٩٦٨) حوالي «١٣» ألف يهودي هندي (على أساس أن هناك يهودا من باكستان وسيرلانكا لم تتعرض لهم الموسوعة). وبعد عام (١٩٦٨) جاء إلى الكيان الصهيوني خمسة عشر ألف مهاجر جديد من شبه القارة الهندية حسب الاحصاءات الصهيونية.

وينتمي الهند إلى ثلاثة فروع رئيسية هي:

– بني اسرائيل: وهم من غرب الهند قرب «بمباي» واصل هؤلاء اليهود غير معروف، فقد كانوا يعيشون على شكل مجموعة منفصلة في الهند تختلف في طقوسها عن اليهود الاخرين غير أن هذه الطقوس تغيرت وأصبحت قريبة من الطقوس السفاردية العامة، وذلك بتأثير من يهود المجموعتين اليهوديتين الآخرين في الهند.

– يهود كوشين: وكوشين منطقة في جنوب الهند قرب ساحل ملبور.

– يهود بغداد: وهم يتكلمون العربية ويعودون في أصولهم إلى يهود العراق.

وفي الكيان الصهيوني يعيش القسم الاكبر من يهود الهند في مدن التطوير وخاصة الموجودة في النقب والمنطقة الجنوبية في الكيان الصهيوني مثل بئر السبع وعسقلان وعراد اضافة إلى بيسان في غور الاردن. فيما كان يعيش قسم آخر في المدن الكبرى الثلاث: القدس وتل أبيب وحيفا، كما يعيش عدد منهم في الكيبوتسات والموشافات.

ويعمل معظم اليهود الهنود في الاعمال التي تحتاج إلى جهد عضلي، ولا تحتاج إلى مهارات خاصة، ويعمل القليل منهم في بعض المهن أو في سلك الحاخامية.

وفي الواقع فقد هجر اليهود الهنود إلى الكيان الصهيوني بشكل واسع في

عملية نقل جوي جرت عام ١٩٤٩ باشراف الوكالة اليهودية حيث تم نقلهم من «بمباي» إلى مطار اللد. وكان البعض من هؤلاء اليهود قد انضم إلى وحدات المتطوعين «ماجل» للمشاركة في حرب عام (١٩٤٨).

وفي عام (١٩٤٩) انشأت الوكالة اليهودية موشافاً خاصاً باليهود الهنود قرب عسقلان هو موشاف «جوليس». وفي العام نفسه أنشأت رابطة مهاجري الهند للمساعدة في استيعاب واستيطان المهاجرين الهنود.

وفي عام (١٩٥١) حين جاءت مجموعة يهود «بني اسرائيل» لم تستطع التكيف مع حياة الكيبوتسات والمستوطنات الصهيونية في الوقت الذي لم يستطع أفرادها الحصول على مساكن في بئر السبع حيث كانوا يرغبون، فقاموا باضراب جلوس أمام مقرات الوكالة اليهودية مطالبين باعادتهم إلى الهند، حيث أعيد بعضهم إليه فعلاً.

وفي عام (١٩٥٢) أنشيء موشاف اخر لليهود الهنود قرب حيفا هو موشاف «كفار عوفر» الذي استوطنوا فيه إلى جانب بعض اليهود العراقيين. ثم أنشئت مستوطنتان أخريان لليهود الهنود هما معيان تسفي، وطيرات تسفي.

وعند وصول «يهود كوشين» عامي (١٩٥٤ و١٩٥٥) تم توطينهم في موشافي: تاعوز، وميسلات تسيون (على طريق تل أبيب القدس). وكان استيعاب يهود كوشين أقل صعوبة لأنهم كانوا أصلاً من المزارعين.

وفي عام (١٩٦١) برزت أمام اليهود من مجموعة «بني اسرائيل» مشكلة هامة تمثلت في اصدار الحاخام السفاردي الرئيسي (يتسحاق نسيم) تعليمات تقضي بفحص أفراد هذه الجماعة ممن يرغبون في الزواج من المجموعات الاخرى الامر الذي يعني شكاً في صحة يهوديتهم، وقد أدى تطور الصراع حول هذه المسألة إلى اضرابات عن الطعام قام به أفراد المجموعة، حتى قام الكنيست بعقد جلسة خاصة لبحث المسألة عام (١٩٦٤) قرر فيها الطلب إلى الحاخامية تغيير سياستها تجاه هذه المجموعة. وفي النهاية انصاعت الحاخامية إلى الطلب، وتخلت عن قرارها في هذا الخصوص.

وقد استمرت هجرة يهود الهند إلى الكيان الصهيوني وقويت بعد حرب عام (١٩٦٧) ووصل ما مجموعه (١٠) آلاف مهاجر في الفترة الممتدة من عام (١٩٦٤) وحتى عام (١٩٧١) وكان هؤلاء المهاجرون يوجهون إلى مدن التطوير

والمستوطنات الزراعية بعد قضاء فترة من حياة المعابر.

وقد أشرنا إلى أن «آبي ناثان» هو أبرز الشخصيات المعروفة على المستوى السياسي من أصل هندي، ويمكن الاشارة أيضاً إلى ظهور قائمة خاصة بمهاجري الهند في انتخابات عام ١٩٨٤ تزعمها تسفنيا تسريكر.

●يهود الحبشة (الفلاشا)

يوجد في الكيان الصهيوني حوالي «١٥» الفاً من يهود الحبشة الفلاشا، وقد كان الصهاينة في السابق يرفضون تهجير هؤلاء اليهود أو الاعتراف بيهوديتهم، إلا أنه مع نضوب المصادر التقليدية للهجرة اليهودية. بدأ الصهاينة في التوجه لتهجير هؤلاء اليهود لاظهار أن الهجرة الصهيونية ماتزال تتمتع بالحيوية، واستغلال هؤلاء المهاجرين في الحصول على المساعدات والتبرعات اليهودية والامبريالية.

وقد بدأت عملية التهجير في عام (١٩٨٠) عدة مئات ثم قوي تيار هذه الهجرة في السنوات البالية حتى بلغ عدد المهاجرين من عام (١٩٨٠) وحتى عام (١٩٨٤) حوالي «٦٥٠٠» شخص وقد كان هؤلاء المهاجرون يأتون عن طريق السودان بتواطؤ من نظام جعفر النميري. وقد تمت عملية تهجير تآمرية في الربع الأخير من عام (١٩٨٤) كان طرفاها الحكومة الصهيونية ونظام النميري وبمشاركة الولايات المتحدة وربما نظام كامب ديفيد في مصر أريد بها نقل حوالي (١٠) الاف من يهود الحبشة إلى الكيان الصهيوني. وأطلق عليها اسم «عملية موسى». وبالفعل نقل حوالي «٧٥٠٠» منهم إلى هذا الكيان في الفترة من تشرين الثاني عام (١٩٨٤) وحتى كانون الأول من العام نفسه حين تم افتضاح هذه العملية لخلافات داخل الحكومية الصهيونية.

وقد وضع هؤلاء اليهود في مراكز استيعاب في مدينة عسقلان، وناتانيا وكفار فتكين، وصفد والعفولة وكريات شمونا، وجفعات أولغا (٣٣). وذكر يعقوب تسور وزير الاستيعاب في الكيان الصهيوني أنه سيجري توزيعهم على القدس وبات يام وحي جفعات في حيفا، وفي حي نفي عوفر في تل أبيب، وفي كفار سابا وناتانيا، وبيت شيمش وعراد، ومعالية أوديم.

وقد نقل بعض هؤلاء إلى مستوطنات الضفة الغربية مثل «كريات أربع» كما

نقل ٢٠٪ منهم إلى المستوطنات الشمالية، وجرى الحديث عن توطينهم في الشريط الحدودي في جنوب لبنان.

وقد واجه هؤلاء صعوبات تكيف كبيرة جداً لدرجة ان عشرات منهم قد انتحروا خلال السنوات الماضية، وقد وقفت الحاخامية في الكيان الصهيوني بفرعيها منهم موقفها من يهود «بني اسرائيل» الهنود في أوائل الستينات ولا تزال عند موقفها هذا، كما ووجهوا برفض وموقف عنصري تجلى في حديث الصحافة الصهيونية عن تخلفهم قروناً عن الحياة في الكيان الصهيوني، وفي رفض مجالس البلديات لاستقبالهم وهو ما جاء في تصريحات رؤساء بلديات ايلات (الذي قال: «لن نكون اسدود ثانية التي ملأها الجورجيون») ويروحام، وعكا، ونهاريا، وكرمئيل، وغيرها...

وقد ادت هذه الممارسات والمواقف العنصرية بيهود اثيوبيا إلى التهديد بالانتحار الجماعي وذلك في اجتماع عقد عام (١٩٨٥) في رامات غان.

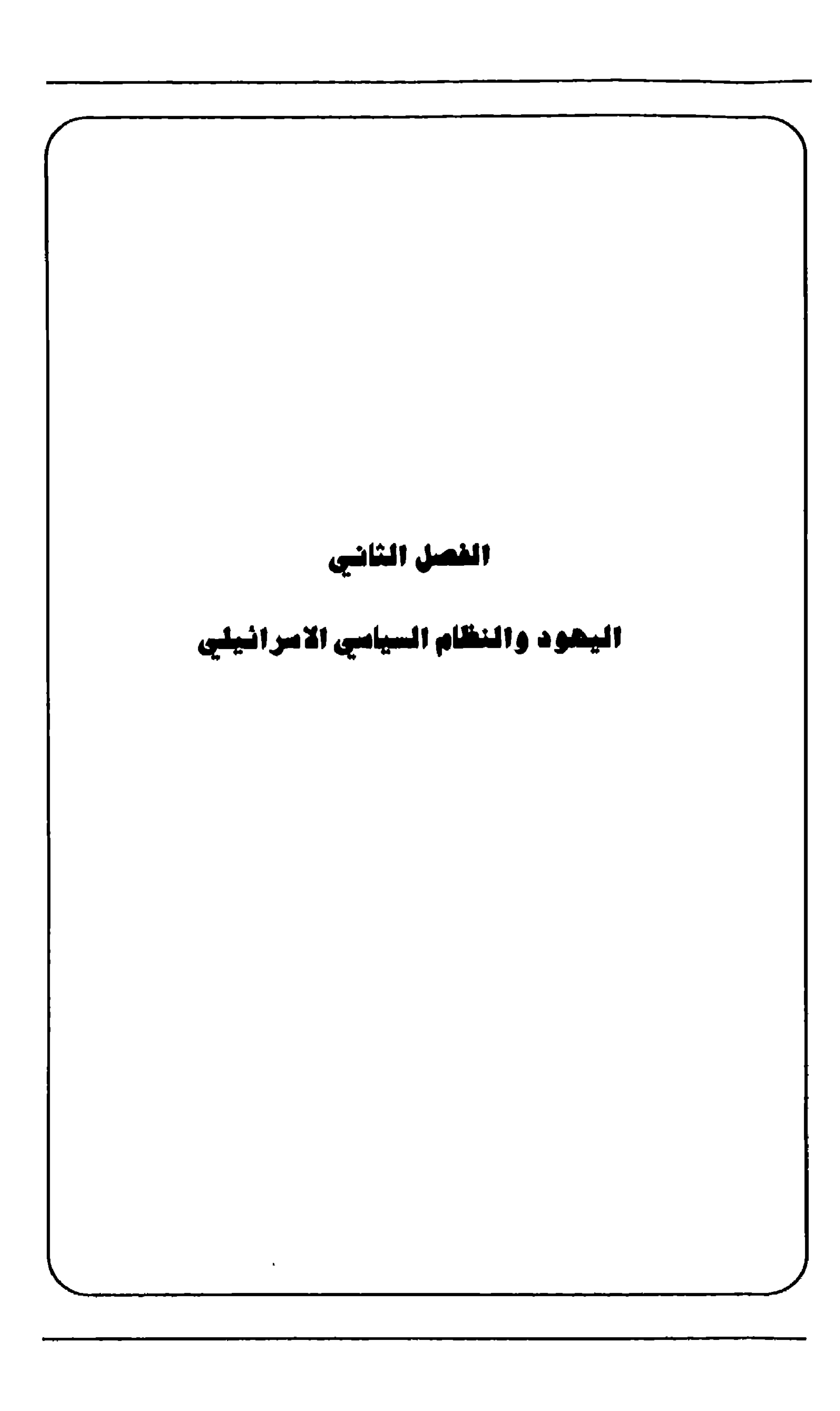
وقد انشأ هؤلاء اليهود «منطقة مهاجري اثيوبيا» ليس لتسهيل استيعابهم واستيطانهم شأن مثل هذه المنظمات التي ينشئها، بل للعمل على تهجير جزء منهم إلى كندا بعد عدم الاعتراف بيهوديتهم من قبل الحاخامية.

بعد معالجتنا للنشاط الصهيوني في البلاد العربية وحصاده المتمثل في الهجرة وأوضاع يهود تلك الدول بعض وصولهم إلى الكيان الصهيوني. نجد أن النشاط الصهيوني الدعائي والعملي ازاء يهود الدول العربية لم يخفت بعد هجرة أعداد كبيرة من اليهود العرب إلى الكيان الصهيوني، بل صعده قادة تل أبيب، وخاصة في لحظات الانعطاف الحادة في مسار الصراع العربي – الصهيوني. فصدور قرارات من مجلس الأمن الدولي والجمعية العمومية للأمم المتحدة حول التحقيق في أوضاع العرب في المناطق المحتلة، على سبيل المثال، شكل إطاراً عاماً لمطالبة السلطات الاسرائيلية بالتحقيق في الآن ذاته في أوضاع اليهود في البلاد العربية، وذلك على خلفية الادعاء أن اليهود في تلك البلاد يعانون من ظروف مشابهة للظروف التي يعاني منها العرب في الأراضي المحتلة. إذ دعا الكنيست الاسرائيلي في ٢٨/٨/١٩٦٩، الامم المتحدة إلى اجراء تحقيق مستعجل فيما وضعه باضطهاد اليهود في الدول العزبية.(٧٩) ويبدو طبيعياً أن هذه الدعوة هي نتاج لحاجة الكيان الصهيوني إلى المزيد من المهاجرين، والطريق لتلبية هذه الحاجة يكمن في الادعاء أن هنالك اضطهاد لليهود في البلاد العربية. وهذا الامر سبق أن نفته ليس تصريحات السلطات العربية أو زعماء الطوائف اليهودية في البلاد العربية، كما سبق وأن أشرنا، بل نفته أيضاً معطيات المسار العام للهجرة اليهودية، فيهود البلاد العربية لم يقبلوا على الذهاب إلى فلسطين إلا بعد نحو عامين من اعلان قيام الكيان الصهيوني. وهذا يقطع بأن هجرتهم لم تكن نتيجة لاضطهادأو طرد مزعوم.(٨٠)

وفي هذا السياق نشير أيضاً إلى ناحوم غولدمان الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية العالمية الذي علق على مسألة هجرة يهود المغرب العربي بقولها: أن هجرة «لا تمليها ضائقة، وليست لها متطلبات الهجرة من الاماكن التي أصبحت معزولة ومقطوعة، والتي تدمر فيها وضع اليهود بعد الحرب العالمية الثانية».(٨١)

ومن معالجة أوضاع يهود البلاد العربية في الكيان الصهيوني، نجد أن درجة الاضطهاد التي تعرضوا لها ليست كبيرة، وشكلت حالة معاكسة، للاغراءات التي

قدمتها لهم الحركة الصهيونية حول العيش في بحبوحة وحرية في الكيان الصهيوني. إذ ان السلطات الاسرائيلية لم تعترف بالوضع القانوني لبعض طوائف يهود البلاد العربية. بعد مضي عقود من الزمن على هجرتهم إلى الكيان الصهيوني. فقد ذكرت في هذا السياق صحيفة «هآرتس»، ان ممثلين لأبناء الطائفة اليهودية القرائين، هما الدكتور ميخائيل كورينالدي، الذي يمثل شؤون الطائفة اليهودية المصرية في اسرائيل، وموشي موريد رئيس المجلس القطري وجها طلباً لرئيس الحكومة مناحيم بيغن (١٩٧٨) لكي يعترف بالوضع القانوني لطائفة القرائين في اسرائيل كطائفة دينية. واشار إلى ان هذه الطائفة قدمت طلبات كثيرة منذ قيام الدولة بهذا الخصوص، إلا ان هذه الطلبات لم تلق الاجابة، كما ان طلبهم من اجل مقابلة بيغن قوبل بالرفض ايضاً، وقال كورينالدي انه لا توجد في اسرائيل محكمة دينية خاصة للطائفة وتوجد تفرقة ضد أبناء هذه الطائفة وهذه التفرقة تتعارض مع ميثاق الامم المتحدة لحقوق الانسان ومع القانون الذي يحدد حقوق الفرد والمواطن».(٨٢)



الفصل الثاني

اليهود والنظام السياسي الاسرائيلي

يصف الصهاينة نظامهم السياسي بأنه نظام جمهوري ديمقراطي رئاسي يستند إلى وجود سلطة منتخبة. وتشكل العملية الانتخابية في الكيان الصهيوني البوتقة التي تنطلق منها عملية اضفاء الشرعية على كل من السلطتين التشريعية والتنفيذية ،فالسلطة التشريعية بهيئاتها المتمثلة بشكل أساسي في الكنيست تقوم بمهمة الدعم للسلطة التنفيذية (الحكومة) ،صاحبة القرار الفصل في تحديد أولويات العمل بالنسبة للكيان الصهيوني الذي ما زال في طور عملية البناء، وهذه المهمة ستتضح خلال بحثنا في أجهزة السلطة الاسرائيلية .

***الكنيست**

تتمثل في الكنيست السلطة التشريعية الصهيونية ولقد أطلق هذا الاسم عليها في ٨/٣/١٩٤٩، إذ قبل ذلك كانت توجد في الكيان الصهيوني «جمعية تأسيسية»، وبعد ذلك مجلس مؤقت للدولة .وتحتل مسألة التشريع مكانة هامة بنظر الصهاينة يدلل عليها أنه وفي اليوم التالي لصدور قرار تقسيم فلسطين (١٩٤٧) ،عمدت الوكالة اليهودية إلى تشكيل لجنة من فقهاء القانون برئاسة «ليوكوهين» لتحضير مشروع الدستور الذي عرض على "مجلس الدولة" المؤقت ،وأدخلت عليه بعض التعديلات، ثم نشر في ٩/١٢/١٩٤٨قبل أن تجري انتخابات الجمعية التأسيسية ويتكون ذلك المشروع من ديباجة وتسعة أبواب تتحدث عن المبادىء العامة، والحريات الأساسية والسلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ورئيس الجمهورية، وإجراءات التعديل والرقابة القضائية وإصدار الدستور. ولم توافق الجمعية التأسيسية على ذلك المشروع، واستبدل بـ "الدستور الصغير" الذي أصدرته حكومة بن غوريون المؤقتة.

ان عدم وجود دستور للكيان الصهيوني ،وبالرغم من وجود دول أخرى لا تملك دستوراً مكتوباً -بريطانياً- لا ينفي أن هناك مبررات كثيرة بالنسبة للصهاينة تجعلهم لا يرون ضرورة لوجود دستور يقوم عليه الكيان الصهيوني وفي نظر بن غوريون الذي عارض بشدة وجود دستور- أنه لا يجب وضع ذلك الدستور قبل أن يتهيأ لأغلبية اليهود المنتشرين في مختلف أنحاء العالم فرصة الهجرة إلى اسرائيل، وإلا كان وضع الدستور قبل « عودتهم » بمثابة تعبير تعسفي عن ارادتهم. كما أن مويدي بن غوريون يعتبرون أن فكرة وضع دستور في ظل

وضع «اسرائيل» التي لا تضم غالبية «الشعب اليهودي» بل جزءاً ضئيلاً منه يعتبر تقييداً للأجيال الاسرائيلية القادمة، اضافة إلى أن القوانين الدستورية البسيطة أسهل تكيفاً وملائمة مع الحاجات الجديدة الطارئة، ويمكن لهذه القوانين ان تكفل حماية حقوق الاسرائيليين وحرياتهم.(٨٤)

ويحق لكل اسرائيلي يبلغ الحادية والعشرين من عمره حين تقديم قائمة المرشحين لعضوية الكنيست تقديم اسمه لضمه إلى تلك القائمة، مالم تكن المحكمة قد سحبت منه هذا الحق حسب القوانين. أما من لا يحق له الترشيح للكنيست فهو الاسرائيلي الذي يشغل أحد المناصب التالية: أ- رئيس الدولة. ب- الحاخامين الرئيسين. ج- القاضي. د- قضاة المحاكم الدينية. هـ- مراقب الدولة. و- رئيس الأركان العامة للجش. ز- شيوخ وقساوسة الديانات الاخرى. ح- موظفو الحكومة وكبار ضباط الجيش.(٨٥)

ومن المفارقات التي تبدد ديمقراطية الكيان الصهيوني، تلك التي تبرز في مسالة الحصانة البرلمانية، التي يتمتع بها عضو الكنيست، والتي تتألف من نوعين: أ- حصانة جوهرية : حددتها المادة الأولى من قانون الحصانة التي تعني على انه لا يمكن محاسبة عضو الكنيست على اي شيء يفعله خلال اداء وظيفة أو من اجل أداء وظيفة في أو خارجها وتتميز هذه الحصانة بثلاث ميزات هي : ١- انها تحمي عضو الكنيست من المحاكمة الجنائية ومن أي شكوى مدنية. ٢- يتمتع عضو الكنيست بهذه الحصانة طوال حياته وتحميه حتى بعد ان يخرج من عضوية الكنيست، ٣- هذه الحصانة لا يمكن رفعها بمفهوم ان الكنيست نفسها لا يمكنها رفع الحصانة الجوهرية حتى إذا تم إستغلالها بطريقة سيئة. ب- حصانة شكلية : حددتها المادة الرابعة من قانون الحصانة التي نصت على انه لا يمكن محاكمة عضو كنيست في أي محكمة جنائية على اي امر اذا كان هذا الأمر لا يمت بصلة لعمله كعضو كنيست إلا إذا رفعت الحصانة البرلمانية.(٨٦)

كما أن ترشيح عضو الكنيست غير مقيد بتقييدات فيمكن أن يكون المرشح في الكنيست حتى من كان لصاً أو تاجر مخدرات او مغتصباً أو جاسوساً وان يشغل عضو كنيست، وعضو حكومة حتى لو كان مريضاً في نفسه، وهذا الأمر بخلاف المرشح لمجلس محلي في الكيان الصهيوني، ذلك الذي لا يجوز له ترشيح نفسه للمجلس المحلي إذا أدين المرشح بتهمة مشينة ولم يمض عليها خمس سنوات

أو إذا أعلن إفلاسه أو مرض مرضاً نفسياً ولم يمض على شفائه أقل من عامين.(٨٧)
ولا تخلو الكنيست من حالات تمييز عنصري ضد الأعضاء العرب فقد سبق لعضو الكنيست بنحاس غولد شتاين(ليكود) أن إقترح في إجتماع للجنة الكنيست تجريد عضوي الكنيست العربيين عبد الوهاب الدراوشة ومحمد ميعاري من الحصانة البرلمانية لأنهما دخلا قرية بيت ساحور بعد أن أغلقتها السلطات الإسرائيلية واعتبرتها منطقة عسكرية.(٨٨) وعدم موافقة الكنيست على ذلك الاقتراح لا يلغي إمكانية إقدام الكنيست على إقتراحات مماثلة مستقبلاً.

أما من ناحية شكل الكنيست الذي يعتمد على مجلس واحد، فيقول الصهاينة بأن شكل النظام في إسرائيل قد تأثر بشكل أساسي بكل من النظام البريطاني، وبما يسمى ب«التراث اليهودي»و«التقليد الصهيوني». فالسيطرة التي تقوم بها الكنيست على الحكومة مأخوذة عن نموذج «ويستمنستر» البريطاني الذي عُدل حسب حاجات الدولة الصهيونية وكذلك مسألة الدستور والتشريعات وصلاحيات بعض مؤسسات النظام. أما وجود مؤسسة تشريعية واحدة -الكنيست- وعدد أعضائها فهو استمرار لتقليد قديم يقول بأن المجلس اليهودي في العهد الفارسي كان يضم (١٢٠) عضواً حسب ما جاء في التلمود.(٨٩)

العملية الإنتخابية..النظام والآلية

جاء في قرار لجنة إعداد دستور الإنتخابات (١٩٤٩) أنه ستكون الإنتخابات قطرية، مباشرة، متساوية، سرية، نسبية، وسيكون الإقتراع حيال قوائم (٠٠)وتعتبر إسرائيل منطقة إنتخابية واحدة ويحق الانتخاب لكل من يبلغ الثامنة عشر من عمره. أما الترشيح فهو من حق كل من بلغ الحادية والعشرين من عمره والترشيح يكون في قوائم. ويجب أن يرمز لكل قائمة بحرف أو أكثر من حروف اللغة العبرية، وحتى إذا أراد شخص مستقل أن يرشح نفسه فعليه أن يسمي نفسه قائمة كذا أو أن يرمز للقائمة بحرف أو أكثر من حروف اللغة العبرية. وتجري إنتخابات الكنيست كل أربع سنوات وذلك في ثالث يوم ثلاثاء من شهر حشفان (العبري) وهي يقع بين شهري تشرين الأول وتشرين الثاني من السنة الميلادية. كما أن القانون الأساسي للكنيست يخوله حل نفسه قبل انتهاءولايته عن طريق إصدار القانون الخاص بذلك بأكثرية تزيد عن نصف أعضائه. شرط أن يحدد هذا

القانون موعد الإنتخابات الجديدة. وهناك لجنة مركزية للإنتخابات تقوم بتحديد توزيع مقاعد الكنيست على الأحزاب الفائزة بعضوية الكنيست وذلك حسب ما يلي ا- تجمع عدد الأصوات الصحيحة التي حصلت عليها القوائم الإنتخابية. ب- تحسب نسبة ال(١٪) من المجموع الكلي للأصوات الصحيحة. ج- يطرح من العدد الكلي الأصوات الصحيحة أصوات القوائم التي لم تحصل على نسبة الحسم وقدرة (١٪) حيث لا تشارك هذه القوائم بتوزيع مقاعد الكنيست د- بعد حذف الأصوات الصحيحة التي حصلت عليها القوائم التي لا تشارك في عملية توزيع المقاعد يوزع العدد الباقي من الأصوات على (١٢٠) وهو عدد أعضاء الكنيست. هـ- كل قائمة تشارك بتوزيع المقاعد تحصل على عدد من المقاعد مساو للعدد السليم الذي ينتج عن توزيع أصواتها الصحيحة حسب المقياس. و- والمقاعد التي لم يتم توزيعها بعد ذلك توزع حسب مقياس القائمة وهو الرقم المتبقي من توزيع العدد الكبير على عدد المقاعد التي حصلت عليها القائمة. ز- القائمة التي تحصل على أكبر مقياس في القائمة تحصل على مقعد إضافي، ولا تحصل أي قائمة على مقعد إضافي وفقاً لمقياس القائمة ما دامت هناك قائمة أخرى تمتلك مقياس قائمة أكبر ج- يستمر التوزيع حسب مقياس القائمة حتى يتم توزيع جميع المقاعد.(٩٠) وفي الجلسة الإفتتاحية للكنيست الجديد يجري ترتيب جلوس الأعضاء في الكنيست من اليسار إلى اليمين حسب نتائج الإنتخابات والقوة العددية التي حصل عليها كل حزب، إذ يجلس في أقصى اليمين أعضاء آخر قائمة من حيث العدد ممثلة في الكنيست.

إن النسبة المعمول بها راهناً هي نسبة (١,٥٪) بدلاً من (١٪) وقد صادقت عليها الكنيست في ١٤ / ١٠ / ١٩٩١، وعلى أساس هذه النسبة سيصير عدد الأصوات ما فوق نسبة الإغلاق الجديدة قريباً من (٤٠) الف صوت ناخب وقد علق على رفع نسبة الحسم رئيس لجنة التشريع في الكنيست « اوري ايليين » بقوله : « هذا القانون سيمنع بشكل عملي قيام كتل كثيرة ووحيدة في الكنيست القادمة بنسبة ٤-٥ كتل »(٩١)

العوامل المؤثرة على نتائج الانتخابات :

تصدر النتائج الأولية للانتخابات في اليوم التالي لانتهاء عملية الإقتراع، أما

النتائج الرسمية فتصدر خلال فترة (١٤) يوماً، بعد ان يتم الأخذ بالاعتبار عدة عوامل تؤدي إلى تعديل تلك النتائج، ومن تلك العوامل :

الاصوات العائمة :

وهذه الأصوات هي اصوات الذين لم يقرروالمن سيصوتون في إنتخابات الكنيست . وتهتم الأحزاب الصهيونية عادة بهذه الأصوات وترجح التقديرات الصهيونية أن هذه الأصوات تشكل ما نسبته (١٠٪)أي حوالي (٢٥٠-٣٠٠) الف ناخب، أي (١٢-١٣) مقعداً في الكنيست، بينما تشير تقديرات آخرى إلي أن النسبة التي تشكلها الاصوات العائمة لا تتعدى نسبة تتراوح بين (٤٪) إلى(٧٪) من أصوات الناخبين(٩٢).

الصوت العربي :

كان عدد العرب حاملي الجنسية « الإسرائيلية » عام (١٩٥٠) يبلغ (٦٠) الف نسمة أي ما نسبته (١١٪) من سكان الكيان الصهيوني ، ولقد تضاعف هذا العدد عدة مرات خلال العقود المنصرمة وبالتالي إزدادت نسبة مساهمة عرب (١٩٤٨) في انتخابات الكنيست ، وتقدر بعض المصادر ان مجموع الاصوات العربية التي ستشارك في انتخابات الكنيست الثالثة عشرة (٣٥٠) الف صوت ويمكن ان تحصل على (١٧) مقعداً في الكنيست ، (٩٤) أي مانسبته (١٤٪) من اصوات الناخبين، بينما تؤكد مصادر صهيونية أخرى أن نسبة الأصوات العربية هي(١٨٪) .(٩٥) وبذلك تهدف تلك المصادر إلى إظهار القلق والريبة من الأصوات العربية لاغراض سياسية .

ولا تذهب أصوات الناخبين العرب جميعاً نحو تاييد اتجاه محدد داخل الكنيست، بل إنها تذهب لصالح قوائم انتخابية متعددة، إذ أن ما يحدد مسار تلك الأصوات الإنتخابية إعتبارات قومية وايديولوجية وبراغماتية وتقليدية، لذلك من الطبيعي ان تذهب الأصوات العربية باتجاه كل من الليكود والعمل والأحزاب الصغيرة بنسب مختلفة . ويعمد الصهاينة عادة إلى محاولة شرذمة الصوت العربي كي لا يشكل ثقلاً في العملية الإنتخابية .

ج- **أصوات الجنود** : تتم عملية فرز أصوات الجنود المشاركين في العملية الإنتخابية في مرحلة لاحقة لعملية فرز اصوات الناخبين المدنيين . وتدلل اصوات الجنود في العادة على طبيعة ميولهم السياسية، وأهمية هذه الأصوات تبرز عادة في

انها تؤدي إلى تعديلات طفيفة على عملية توزيع مقاعد الكنيست على القوى الحزبية المشاركة في الإنتخابات.

د- **أصوات المهاجرين** : تبرز اهمية هذه الأصوات راهناً وتحديداً في مرحلة الاعداد لانتخابات الكنيست، على خلفية الهجرة التي تمت من قبل من ما كان يسمى ب« الإتحاد السوفياتي » إلى الكيان الصهيوني . وتقدر المصادر الصهيونية عدد المهاجرين الروس يبلغ (٣٥٠) ألف، ويبلغ عدد من يحق لهم الإدلاء باصواتهم في العملية الإنتخابية للكنيست الثالثة عشر بـ(٢٥٠) ألف ناخب، إذ اعتقد حصولهم على (١٠) مقاعد في هذه الكنيست.(٩٦) وتعتبر مصادر صهيونية أخرى أن اليهود الروس في الكيان الصهيوني بلغ تعدادهم حوالي (٦١٠) آلاف نسمة، وهم بذلك يمثلون الأقلية العرقية الأكبر في الكيان الصهيوني، وذلك لأول مرة في تاريخها مقابل (٥٠٠) الف يهودي مغربي و(٢٦٠) ألف يهودي عراقي، وهم بذلك، أي اليهود الروس يتمتعون بـ(٢٤٠) الف صوت إنتخابي. مما دفع للإعتقاد أنهم سيحصلون على (١٠) مقاعد في الكنيست الثالثة عشرة(٩٧).

ويفيد تقرير صادر عن مكتب الإحصاء المركزي الإسرائيلي يتعلق بانتخابات للكنيست الثانية عشرة (١٩٨٨) بأن عدد من كان يحق لهم الإقتراع في تلك الإنتخابات بلغ (٢٨٩٤٠٠٠) شخص منهم (٢٥٤٧٠٠٠) . يهودي أي ما نسبتة (٨٨٪) و(٣٤٧٠٠٠)ألف شخص غير يهودي أي ما نسبته (١٢٪) . واشار التقرير المذكور إلى إزدياد عدد ذوي حق الإقتراع منذ الإنتخابات الحادية عشرة الكنيست بحوالي (٢٤٣) ألفاً أي بنسبة (٩٪) وازداد عدد الناخبين العرب بنسبة (٢٠٪)، بينما إزداد عدد الناخبين اليهود بنسبة (٨٪) فقط. كما أن (٢٤٪) من أصحاب الإقتراع هم من المدن الثلاث الكبرى (حيفا، تل أبيب، القدس) و(٥٨٪) من المدن اليهودية و(٩٪) من المدن الغير اليهودية، وإن (٩٪) من مجموع الناخبين يقيمون في المناطق القروية اليهودية و(٣٪) يقطنون في الكيبوتسات و(٤٪) في الموشافات و(٢٨) ألف شخص لهم حق الإقتراع يقيمون في المستوطنات الموجودة في الضفة الغربية وقطاع غزة. وإن عدد الناخبين اليهود من مواليد الكيان الصهيوني بلغت حوالي (٤٤٪) من مجموع الناخبين. كما إزدادت نسبة الناخبين من مواليد آسيا وافريقيا من (٤٦٪) إلى (٤٧٪) أما نسبة

المقترعين من أصل أوروبي -أمريكي فقد إنخفضوا من (٤٨٪) إلى (٤٦٪) (٩٨).

إن النسب والإحصاءات المشار إليها أعلاه تقدم لوحة رقمية عن العوامل التي تساهم في إنتاج العملية الإنتخابية في الكيان الصهيوني، والتي على أساسها تقوم الأحزاب الصهيونية بوضع الخطوط العامة لحملاتها الإنتخابية.

ان السمة الأساسية للنظام الانتخابي في الكيان الصهيوني تتمثل في اعتماد النظام النسبي الذي من محاسنه، في المنظور الإسرائيلي، انه لا يفسح مجالاً لبروز عملية «الغدر الانتخابي» وذلك عن طريق الزامه الناخب بأن يدلي بصوته لصالح قائمة انتخابية وليس لصالح افراد. كما ان هذا النظام لا يسمح لاي حزب صهيوني بالإستفراد والهيمنة، إلا ان سلبياته من وجهة النظر الصهيونية أيضاً كثيرة منها :

ا- اتاحة المجال لتفشي عقلية المساومات السياسية.

ب- ينتج حالة من الإرتباك السياسي.

ج- يعطي للاحزاب الصغيرة «اللوبيات» ثقلاً لايتناسب مع حجمها الطبيعي.

د- تخرج الأحزاب الكبيرة بموجب هذا النظام شبة متعادلة.

هـ- لا يمثل النظام النسبي تعبيراً حقيقياً عن اراء ومصالح مجموع الناخبين أي ان من يتم ترشيحهم لشغل مقاعد الكنيست الجديدة عبرالقوائم الحزبية ينتخبون من قبل اعضاء احزابهم او من قبل هيئات حزبية محددة - اللجنة المركزية (الليكود)، جميع أعضاء الحزب (العمل) - وبالتالي لا يعبرون اي إهتمام لمصالح الناخبين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تتم ممارسة قواعد اللعبة الديمقراطية باشكال مختلفة داخل الأحزاب وفي نهاية الأمر ياتي دور الناخب الصهيوني. وهذا ما يفسر بقاء العديد من اعضاء الكنيست لفترات طويلة محافظين على مقاعدهم في الكنيست. ولقد تبنى حزب العمل قانوناً عرف باسم «قانون التناوب» ينص على عدم السماح للعضو بأن يرشح نفسه لاكثر من دورتين متتاليتين (لعضوية الكنيست) إلا إن ملحق ذلك القانون يلغي القانون من اساسه، إذ ينص على أنه إذا صوت (٦٠٪) من اعضاء مركز الحزب على إعادة ترشيحه فانه بإمكان العضو المرشح لعضوية الكنيست أن يرشح نفسه لأكثر من مرتين.(٩٩)

وبرإي الصهاينة ان تبني نظام التمثيل النسبي في إنتخابات الكنيست يعود

إلى سببين : الأول، أن معظم الصهاينة الأوائل جاؤوا من أوربا الشرقية والبلقان وألمانيا حين كان نظام التمثيل النسبي هوالسائد في تلك البلاد. الثاني، ان الصهاينة كانوا سجناء تقاليدهم الماضية الضيقة، حيث كان هذا النظام هو النظام السائد في المؤتمرات الصهيونية.(١٠٠)

ويعتقد الصهاينة أيضاً أن الأحزاب الصهيونية الصغيرة التي هي نتاج للنظام النسبي تحقق الكثير من الأهداف التي تحد من سلبيات نظام التمثيل النسبي، وتتمثل تلك الأهداف في ما يلي :ا- إعطاء اللعبة الديمقراطية في الكنيست والإنتخابات مصداقية أكثر ب- إمتصاص ظواهر الإحتجاج والتململ والإنشقاق سواء داخل الأحزاب الكبيرة والصغيرة أو بين أوساط الناخبين. ج- المساهمة في تسهيل مهمة الكيان الصهيوني في المنطقة ولتثبيت الإدعاء بأنه واحة الديمقراطية. د- التغطية على فشل الصهيونية في دمج الطوائف في الكيان الصهيوني.(١٠١)

إن الديمقراطية الصهيونية الناجمة عن طبيعة وآلية النظام الإنتخابي في الكيان الصهيوني تبقى من التفاعلات الداخلية للتناقضات التي يحفل بها الكيان الصهيوني في حالة من المراوحة والكمون بشكل عام وذلك نظراً لعملية إخضاعها -التناقضات الداخلية - لصالح التناقض الرئيس مع الشعب الفلسطيني.

إصلاح النظام الإنتخابي :

تبرز داخل الكيان الصهيوني دعوات متفرقة لاجراءتعديلات جذريةأو شكلية في النظام الإنتخابي تتخذ مسارين : الأول، يدعو إلى إلغاء النظام النسبي المعمول به راهناً واستبداله بنظام المناطق الإنتخابية، وأن يتم التصويت لصالح أفراد وليس لصالح قوائم انتخابية حزبية، وفي ذلك يتم منع وصول الأحزاب الصغيرة إلى الكنيست. إلا أن مخاطر تقسيم الكيان إلى مناطق إنتخابية في نظر الصهاينة قد يوحي بتشجيع عملية إضعاف السلطة والإنضباط الحزبيين ويؤدي أيضاً إلى إلحاق الضرر بالتضامن الإجتماعي.(١٠٢) وبرزت دعوات معدلة للدعوة السابقة ففي عام (١٩٦٩) شكلت لجنة برئاسة دوف يوسف وزير العدل السابق اوصت بتقسيم الكيان الصهيوني إلى ثلاثين دائرة إنتخابية تنتخب كل منها (٣) أعضاء للكنيست ثم يجري إنتخاب (٣٠) عضواً على مستوى الكيان وفقاً لقاعدة التمثيل النسبي.(١٠٣)

أما المسار الثاني، فتمثل في رفع نسبة الحسم في الإنتخابات، فلقد سبق ان طالب «بن غوريون» برفعها إلى نسبة (١٠٪)، كما أن مناحيم بيغن طالب بأن تكون نسبة الحسم (٥٪).(١٠٤) ومؤخراً صادقت الكنيست على قانون يقضي برفع نسبة الإغلاق للقوائم المتنافسة في الإنتخابات القادمة للكنيست من (١٪) إلى (١,٥٪). وبذلك سيصبح عدد الأصوات ما فوق نسبة الإغلاق الجديدة قريباً من (٤٠) ألف ناخباً.(١٠٥)

إن الهدف من رفع نسبة الحسم هو منع وصول الأحزاب الصغيرة إلى الكنيست وهذا الهدف لا يقود إلى الإعتقاد بأنه يتناقض مع رغبة الصهاينة في إظهار «ديمقراطية» العملية الإنتخابية، بل يتمثل في منح الأحزاب الكبيرة القدرة على إنتاج حكومات مستقرة، كما إن الإصلاحات الانتخابية لا تمس جوهر العملية الإنتخابية الذي يتعلق برأي الناخب في الفئة الحاكمة للكيان الصهيوني.

وإزاء هذه المسألة هنالك انقسام داخل الكيان الصهيوني، فالليكود يقول ان عملية الاختيار التي يستند إليها الناخب الصهيوني هي بين «اقتصاد ليبرالي» وسياسة خارجية «قومية»، اما «المعراخ» فيعتقد أن الناخب يختار على أساس طبقي بين «حركة العمل» واليمين الذي يمثل الطبقات الغنية الرأسمالية. وهناك وجهةنظر مثلتها «الحركة الديمقراطية للتغير» تقول أنه لا توجد أهمية كبيرة لا للطبقات ولا للافكار، إذ تتركز الاهمية حول الأشخاص المؤهلين والجيدين وذوي الجدوى، الذين يعرفون كيف يقومون ببلورة المشروع الملائم وينفذونه لمصلحة الشعب «والوطن».(١٠٦)

ويميز «يورام بيري» بين «التصويت التعبيري» و«التصويت الأدواتي» ويعتبر ان الناخب الصهيوني يميل وبنسبة كبيرة إلى التصويت التعبيري الأكثر إرتباطاً وصلة باعتبارات ذاتية، ماضية وراهنة، تجعلة ينتخب بعيداً عن التصويت الأدواتي أي الذي يجعل من الإنتخابات أداته للوصول إلى هدف وغرض معين ويعود سبب ذلك إلى أولاً: عدم قناعة الناخب لمعسكر معين بأن البرنامج المعلن لذلك المعسكر هو برنامج استراتيجي غير قابل للمساومة، ويكمن ثانياً في الموقف الذي يتخذه الناخب على أساس ذاتي غير مصلحي وغير عقلاني بالضرورة ومفعم بالترسبات سلبية سابقة ومشاعر سلبية راهنة، أملاها وضعه الإجتماعي - «الطبقي».(١٠٧)

كما أشار حاييم رامون رئيس كتلة حزب العمل في الكنيست في محاضرة له أمام معهد «واشنطن» إلى أن: القضية الرئيسية التي ستقرر نتائج الإنتخابات في إسرائيل (...) هي قضية «السلم والأمن» ومستقبل دولة إسرئيل وليس قضية

الأراضي المحتلة. فعندما كانت قضية الأراضي المحتلة هي الحاسمة في الإنتخابات السابقة (الثانية عشرة) إستطاع الليكود إعلان إنتصاره لأنه طالب بسيطرة إسرائيل على جميع الأراضي التي تحتلها منذ عام (١٩٦٧)، ومن جهة أخرى فإن حزب العمل الذي طالب بـ(٥٠٪) من الأراضي المحتلة فقد تعرض للخسارة (...) إن الاراضي ليست قضية لأن معظم الإسرائيليين يفضلون دولة يهودية صغيرة على دولة ثنائية القومية من نوع كينغ سايز(١٠٨). ونجد في ما ذهب إليه حاييم رامون تأكيداً واضحاً على أهمية العامل السياسي في تحديد رأي الناخب الصهيوني المنبثق من طبيعة وعية لوجوده الإستيطاني في فلسطين.

رئيس الكيان الصهيوني..

يشكل منصب « الرئيس » في الكيان الصهيوني قمة السلطة التنفيذية، ومهمة

« الرئيس » هي مهمة تمثيلية فقط ، إذ أنه لا يتمتع بصلاحيات مهمة، فالقانون الأساسي الذي صدر عن الكنيست في ١٦/٦/١٩٦٤، حدد طريقة انتخاب الرئيس وصلاحياته وطريقة إقصائه. فالرئيس ينتخب من قبل أعضاء الكنيست لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة فقط ، وبالأغلبية المطلقة، ويحق لأي إسرائيلي ترشيح نفسه لذلك المنصب. ودور الرئيس في الكيان الصهيوني يتمثل في القيام بمهام برتوكولية أو تشريفية فقط مثل قبول إعتماد أوراق سفراء الدول لدى الكيان الصهيوني، وتعين رئيس الحكومة وتكليفه بصلاحيات تشكيلها، ويتسلم الرئيس إستقالة رئيس الحكومة والوزراء، ويقوم أيضاً بتوقيع الأوراق الرسمية الخاصة بالحكومة وأيضاً الإطلاع على التقارير الرسمية عن أعمال الحكومة. كما يقوم بتعين الهيئات الدبلوماسية الإسرائيلية بناءعلى توصية من وزير خارجيته(١٠٩). وعلى أساس الدور الهامشي الذي يقوم به، يمكن القول أن منصب الرئيس هو منصب فخري يشابه منصب الملكة في بريطانيا، بينما المفارقة تكمن في إن الظروف والأسباب التي أملت إن يكون دور الملكة التنفيذي في بريطانيا هامشياًتختلف عن الأسباب التي تجعل الرئيس في الكيان الصهيوني مجرداً من حق حل الكنيست ، ذلك الأمر الذي يشكل إخلالاً بمبدأ التوازن بين السلطتيين التنفيذية والتشريعية مادام الكنيست يملك حق حجب الثقة عن الحكومة وإسقاطها كما أن صفة الرئيس لا تخوله حق إلغائها والإعتراض عليها لأي سبب من الأسباب.(١١٠) إضافة إلى حرمانه من حقوق أخرى. وقبل إنتخابات

الكنيست السابقة تحدث الرئيس السابق للكيان الصهيوني حول مسألة مهام وصلاحيات الرئيس وأبدى تذمره بسلطاته المحدودة وبشكل الديمقراطية السائد في الكيان الصهيوني، ففي خطابة الشهري قال« حاييم هيرتسوغ »أنه « يكفي للإنكليز(٤٥) يوماً لتنظيم الإنتخابات وتشكيل حكومة في حين أن إسرائيل تغرق في معركة إنتخابية لمدة ستة أشهر على الأقل وفي بريطانيا ينتخب من يحصل على أكثرية الأصوات في دائرته مما يسمح بتشكيل حكومة بسرعة (٠٠٠) أن الطريقة الوحيدة للوصول إلى نظام ديمقراطي هو وضع سلطة القرار بين أيدي « الشعب » الإسرائيلي وليس بين أيدي الأحزاب السياسية .(١١١)

ولتعزيز دور الرئيس تصدر في بعض الأحيان دعوات إعلامية وحزبية صهيونية تدعو إلى إعتماد الإسلوب الرئاسي في الحكم على غرار ما هو سائد في فرنسا، وذلك لأن إعتماد النظام الرئاسي يتيح فرصة من الهدوء والإتزان لما يراد تحقيقه في الكيان الصهيوني (١١٢)،كماعبر« شيفح فايس » -عضوالكنيست - في صحيفة « دافار» الصهيونية عن تأيدة الشديد لفكرة إعتماد النظام الرئاسي وقال :«إن الإدعاء بأن النظام الرئاسي يسهل تواجد وإزدياد اليمين لاأساس له من الصحة (وإن اعتماد النظام الرئاسي) سيؤدي إلى إجبارالأحزاب على تحسين عملية التعبئة والتجنيد السياسي للاعضاء المرشحين لرئاسة الدولة(١١٣)

وتبقى تلك الدعوات محدودة الصدى وغير مؤثرة في ظل وجود رئيس للوزراء يتمتع بصلاحيات تنفيذية واسعة، وفي ظل تحكم الأحزاب الصهيونية بعملية صنع القرار السياسي الصهيوني من جهة وتقزيمها وحصرها لعملية الإنتخابات التشريعية - التي تعد أحد إشكال الديمقراطية - في حدود مصالحها وجعلها حكراً على أعضائها فقط من جهه ثانية.

السلطة التنفيذية:

يعتبر رئيس الوزراء في الكيان الصهيوني بمثابة الواجهة الأساسية للسلطة التنفيذية، فهو يشرف على كل الامور التنفيذية سواء أكانت سياسية أم إقتصادية أم أمنية أم عسكرية أم إجتماعية، وذلك لأنه في الغالب زعيم حزب الأغلبية في الكنيست ويتمتع أيضاً بمؤهلات قيادية إضافة إلى كونه يمتلك صفات كارزمية نظراً لكونه في الغالب من جيل مؤسسي الكيان الصهيوني.

ورئيس الوزراء هو الذي يختار الوزراء بعد التشاور مع الأحزاب المتعاونة أو المؤتلفة مع حزبه، وهوالذي يدعو الوزراء إلى الإجتماع ويترأس إجتماعهم. ولذلك فإن كل اجتماع يعقده الوزراء بدون موافقة رئيس الوزراء يكون غير قانوني

وبالتالي تصبح القرارات التي تتخذ في مثل هذا الإجتماع باطلة. واستقالة رئيس الوزراء أوإقالته أو سحب الثقة من حكومته يؤدي إلى سقوط حكومة بأجمعها. وللتأكيد على أهمية دور رئيس الحكومة في الكيان الصهيوني تم إدخال تعديل على القانون الأساسي للحكومة يقضي بأن كل وزير مسؤول أمام الحكومة في المهام الملقاه على عاتقه. وأنه يحق لرئيس الوزراء عزل أي وزير. ويمكن أن يكون له نائبان من بين الوزراء، لكن هذه الصفة لا تخولهما مكانة مفضلة على الوزراء الأخرين، باستثناء شيء واحد وهو أن نائب رئيس الحكومة يقوم بأعمال الرئيس في حالة غيابه.(١١٤)

ولقد احتدم الجدال في الآونة الاخيرة داخل الكيان الصهيوني حول إقرار قانون الإنتخاب المباشر لرئيس الوزراء، وتنقسم الساحة الحزبية بين معارض ومؤيد لذلك القانون. فأوساط حزب العمل الصهيوني بوجة عام تؤيده، بينما تعارضه الاحزاب الصغيرة ومعظم الليكود. ويعتقد عوزي لنداو في مقالة له في صحيفة يديعوت احرونوت الصادرة في ١٢ / ١٢ / ١٩٩١أن الإقتراح الخاص بتعزيز مكانة رئيس الحكومة يقترح تغييرين في النظام القائم : رفع نسبة الحسم والإنتقال إلى إقتراح بناء لحجب الثقة. وإن نسبة الحسم بمقدار(٢٪) ستقلص بصورة ملحوظة عدد الأحزاب الصغيرة ومعها إحتمالات الإبتزاز الإئتلافي، وستختفي الأحزاب الصغيرة التي تتألف من عضوواحد أوإثنين في الوقت الذي سيفسر فيه هذا الأمر في الكنيست كتوفير بحوالي ستة أحزاب. ويعني إقتراح حجب الثقة البناء أن يتم تعديل الحكومة إذا توفرت لحظة إسقاطها أغلبية (٦١) عضو كنيست من الذين يؤيدون الحكومة البديلة. والهدف من نسبة حسم كهذه الحيلولة دون وضع يدفع اليسار واليمين المتطرف للإسراع للتوحد من أجل إسقاط الحكومة، لكن لا تتوفر القدرة للموافقة على حكومة جديدة.(١١٥) لكن لنداو يعتبر الانتخاب المباشر إقتراحاً ثورياً يحمل بين جوانحه أخطار كبيرة تتهدد الديقراطية وهو دواء أسوأ من المرض الذي أعد من أجل معالجته ولماذا نخاطر في الوقت الذي يكفي فيه الإصلاح في الإسلوب القائم لتعزيز مكانة رئيس الحكومة. (١١٦)

كما أن المعارضين لقانون الإنتخاب المباشر لرئيس الحكومة يعربون عن خوفهم من تأثير إرتفاع نسبة التصويت العربي في الإنتخاب إلى نسبة (١٨٪)(١١٧)على عملية إنتخاب رئيس الوزراء بصورة مباشرة. وعبر عن ذلك جدعون بات -عضوكنيست ليكودي سابقاً بقوله : إذا تمت الموافقة على هذا القانون فإن إتباع (م.ت .ف) من أوساط عرب إسرائيل وسوف يبذلون جهودهم كي ينتخب

رئيس حكومة يساند قيام دولة فلسطينية (١١٨)، بينما يرى ارئيل لين – ليكود – أن ارتفاع نسبة اشتراك ما يسمى عرب إسرائيل في الإنتخابات إلى (١٨٪) لا يشكل مبرراً لمعارضة قانون الإنتخاب المباشر لرئيس الحكومة وذلك يعود إلى أن « المواطنين العرب لا يصوتون ككتلة واحدة ». (١١٩)

ولقد أقرت الكنيست قانوناً يتعلق بمسألة الإنتخاب المباشر لمنصب رئيس الحكومة بعد موافقة (٥٥) عضو كنيست عليه من ضمنهم ستة أعضاء كنيست من الليكود ومعارضة (٣٢) عضو كنيست وامتناع عضو كنيست عن التصويت، وبموجب النظام الجديد سيدلي الناخب الإسرائيلي ببطاقتي اقتراع واحدة لاختيار الحزب الذي يؤيده والأخرى لاختيار رئيس الوزراء، الذي يتعين عليه الفوز بأكثر من (٥٠٪) من الأصوات وإلا أعيدت عملية الإقتراع، وحدد النظام الجديد عدد أعضاء الحكومة بـ (١٨) وزيراً وستة نواب وزراء، كما الغى قدرة رئيس الوزراء على توسيعها متى شاء بما يتوافق مع تحالفاته.

وتضمن القرار أنه على الحكومة التي ستشكل عشية الإنتخابات أن تحوز على مصادقة الكنيست وبغالبية (٦١) صوتاً بديلاً عن (٧٠) صوت عضو كنيست حسب ما جاء في نص مشروع القانون. وإذاحجبت الكنيست الثقة عن رئيس الوزراء المنتخب فتكون بذلك تنهي عملها كي تستعد لاجراء انتخابات قادمة. وسوف يطبق ذلك القانون في الإنتخابات الرابعة عشر للكنيست. (١٢٠)

واعتبر « اريئيل لين » ان مصادقة الكنيست على ذلك القانون تعبر عن « تغيير دستوري تاريخي وسيكون لنا الأن نظام هو مزيج من النظامين الرئاسي والبرلماني (وان النظام الجديد سيحد نهائياً من سلطة الأحزاب الصغيرة، وخصوصاً قدرتها على كسب وعود لا تستحقها لان عليها أن تتعامل مستقبلاً مع شخص واحد. (١٢١)

وهكذا نجد ان هنالك ميلاً داخل الكيان الصهيوني إلى تعزيز أهمية الدور الذي يقوم به رئيس الحكومة في الكيان الصهيوني من جهة، وان عملية التغيير تتم ببطء ولا تطبق مباشرة من جهة ثانية.

الحكومة :

تقوم عملية تشكيل الحكومة في الكيان الصهيوني على إجرائين : الأول، اجراء قانوني ويتضمن مرحلتين هما : التشكيل والإقامة وتشترك ثلاثة عناصر في عملية تشكيل الحكومة :

١- مندوبو الكتل والأحزاب في الكنيست الذين يوصون رئيس « الدولة » بالمرشح المفضل من وجهة نظرهم لتشكيل الحكومة.

٢- رئيس الدولة الذي يتعين علية تكليف أحد أعضاء الكنيست بعد التشاور مع مندوبي الكتل والأحزاب بتشكيل الحكومة.

٣- عضو الكنيست الذي يكلفه رئيس الدولة بتشكيل الحكومة والذي يوافق على تحمل مسؤوليات هذه المهمة، وبعد أن ينجح في ذلك يقوم بإعلام رئيس الدولة.

ورغم الدور الهامشي والشكلي لرئيس الكيان في عملية تشكيل الحكومة، فإن حتى هذا الدور يمكن أن يجرد منه، إذ أنه إذا تقدم اغلبية أعضاء الكنيست له بطلب يقضي بإسناد مهمة تشكيل الحكومة إلى أحد الأعضاء. وكان الرئيس قد كلف شخص آخر بتشكيل الحكومة فإنه يتعين على الرئيس أن يستجيب لذالك الطلب واستبدال ذلك الشخص الذي سبق له أن كلفه بتشكيل الحكومة. (١٢٢)

أما الإجراء الثاني اللازم لتشكيل الحكومة فهو إجراء سياسي يتمثل في موافقة أعضاء الحكومة المنتمين إلى عدة أحزاب، أي أعضاء الحكومة الإئتلافية، - التي هي بالشكل الائتلافي المعهود تشكل السمة الملازمة لغالبية الحكومات الصهيونية - على وثيقة الائتلاف السياسي الذي هو إتفاق سياسي لا يملك أي صفة قانونية مما يسهل الأمر على أحد الأحزاب المؤتلفة أن تخرقه وتهدد عمل الحكومة وتعرضها للسقوط.(١٢٣)

ومن ناحية البنية المكونة للحكومة فإن أنواع الوزارات تتعدد بناء على أهمية الوظيفة الملقاة على عاتق الوزارة المعنية، لذلك نجد أن هنالك عدة أنواع للوزارات مثل : ا- وزارات سياسية أمنية : تضم مكتب رئاسة الوزراء، وزارة الخارجية، ووزارة الدفاع . ب- وزارات إدارية : تضم كلاً من وزارتي الداخلية ووزارة العدل. ج- وزارات إقتصادية : تضم وزارة المالية، الزراعة، الصناعة والتجارة، السياحة، البناء والإسكان، المواصلات، الإتصال، ووزارة الطاقة.

د- وزارات الخدمات والمجتمع : تضم وزارة التربية والتعليم، وزارة العمل والرفاه الإجتماعي، ووزارة الإستيعاب والهجرة، وزارة الأديان، وزارة الصحة. كما أنه يتم تقسيم الحكومة إلى لجان عمل مختلفة مثل : اللجنة الوزارية لشؤون الأمن، اللجنة الوزارية للشؤون الإقتصادية، اللجنة الوزارية لشؤون التشريع، اللجنة الوزارية للشؤون الداخلية والخدمات وحماية الطبيعة، واللجنة الوزارية لشؤون الرفاه الإجتماعي، ولجان وزارية أخرى أقل أهمية.(١٢٤)

وتتمتع الحكومة الصهيونية أيضاً بصلاحيات تشريعية موازية لصلاحيات الكنيست شرط ان لا يتناقض أي تشريع حكومي سواء أكان تشريعيا فرعياً أوإدارياً مع أي قانون للكنيست، ويتم تحقيق ذلك الشرط عبر منح الحكومة صلاحية تعديل بعض القوانين مثل قانون الطوارىء .(١٢٥)

الأحزاب الصهيونية :

بناءعلى ظروف نشأة الكيان الصهيوني وبناء على الوظيفة العقائدية لذلك الكيان فإن ماتسمى بـ « الأحزاب » داخله تتمتع بالخصائص التالية : ١- نشأت قبل قيام « اسرائيل » في أوربا الشرقية وروسيا. ٢- بدأت كأحزاب طائفية متعصبة طوباوية ومثالية من جهة ومتعصبة عقائدياً من جهة ثانية. ٣- تأليفها وتشكيلها حصل بتشجيع من الحركة الصهيونية ومنظمتها وتحت إشرافها ٤- تكونت على أمل أن تصبح نواة « المجتمع » الصهيوني في المستقبل. ٥- هي ليست أحزاباً على الطريقة الأوروبية أوبالمعنى المألوف للحزب السياسي. ٦- هي مجرد صيغ للهدف الصهيوني وآلية تحقيقة. ٧- تعكس تلك الأحزاب صورة الحركة الصهيونية منذ نشأتها. ٨-التنافس فيما بينها ليس عقائدياً بقدر ما هو من قبيل السعي وراء المصالح الخاصة والمنافع الإقتصادية للحصول على إكبر حصة من الميزانية العامة للدولة. وهي دولة « دولة ضمن دولة ». وقد تحولت إلى « تروستات اقتصادية » ضخمة تسيطر على حياة الأفراد من المهد إلى اللحد. ٩- مركزية القيادة، فالعضوية في الحزب أو ظاهرة الإنتماء إلى الحزب هي من أبرز ظواهر الحياة السياسية في الكيان الصهيوني، وذلك الحزب يقترب في عملة من المؤسسة الخيرية حيناً والتروست الإقتصادي الذي يقدم الخدمات والتسهيلات ويؤمن الوظائف للزبائن الأعضاء ويمارس هيمنة لا مثيل لها على سلوك الأعضاء وتصرفاتهم من نواح اخرى. ١٠- إن الاحزاب الدينية متصالحة منذ زمن طويل مع فكرة « الدولة الصهيونية » على الرغم مما يشاع عن معارضتها الأولية لفكرة الدولة ١١- يمكن إعتبار تلك الأحزاب مرآة للمجتمع الصهيوني الإستيطاني ١٢-معظم تلك الأحزاب ساهم ومازال في عملية بناء الكيان الصهيوني(١٢٦).

إن شكل وبنية الكيان الصهيوني هما الإطار الذي تنتج داخله ظاهرة « التعددية » الحزبية، وأسباب تلك الظاهرة هي : ا- التعددية الإثنية والعرقية. ب- إيديولوجيا الاحزاب وأهدافها في الوصول إلى السلطة. ج- تركيبة الاحزاب وحياتها الداخلية. د-طبيعة وآلية نظام الإنتخابات(١٢٧). فلأحزاب الصهيونية هي المحرك الأساسي والعامل الحاسم في الحياة السياسية، وكذلك المؤشر الأساسي على نظام الحكم في الكيان الصهيوني، وهي خاصية يتفرد بها الكيان بسبب من طبيعة

نشأته الإستيطانية، إذ هو ثمرة لعمل تلك الأحزاب، لذلك يصح وصفه بأنه دولة الأحزاب.(١٢٨)

ولا ينطبق على الأحزاب الصهيونية، جميعها المفهوم التقليدي للحزب. وهذا ما ينعكس على طبيعة بنيتها التنظيمية، ولتوضيح ذلك فإن تعريف الحزب الذي يقدمه بنيامين كونستان الذي ينص على أن الحزب هو جماعة من الناس تعتنق مذهباً سياسياً واحداً، يجعل من الكيان الصهيوني حزباً واحداً. أما الإستناد إلى الطابع التشريحي للحزب من زاوية تركيبته وطبيعته التنظيمية حسب تعريف موريس دوفرجيه.(١٢٩) فيقود إلى الإعتقاد بأن الأحزاب الصهيونية التي تعتمد مبدأ المركزية في القيادة لا تمارس من الديمقراطية إلا طقوسها الشكلية. كما إن بعض تلك الأحزاب ليست أحزاباً، بل هي أقرب ما تكون إلى جماعات مصالح أو جماعات ضغط -لوبيات - إذ أن هنالك فروقات عديدة بين الحزب وجماعات المصالح.(١٣٠)يوضحها الجدول التالي :

	الحزب السياسي	جماعات المصالح او الضغط
مجال الاهتمام	قضايا وامور المجتمع الدينية والدنيوية كافة	أمور ضيقة وخاصة باعضاء الجماعة فقط
الهدف	سياسي قد يترافق مع أهداف اجتماعية واقتصادية وجميعها تشير إلى الرغبة في الوصول إلى السلطة	اقتصادي واجتماعي ، واحياناً سياسي لخدمة أهداف الجماعة الاقتصادية والاجتماعية.
الوسيلة	الانتخابات التشريعية، وشكل عملها شرعي وقانوني	غير شرعية : رشوة، تجسس، اغتيالات
التنظيم	هرمي على رأسه قيادة مركزية وهنالك تسلسل تنظيمي	لا وجود لشكل تنظيمي تقليدي فقد يكون شكلاً خيطياً بزعيم الجماعة
الوظيفة والمسؤولية	وظيفة الاحزاب محددة في برامجها الانتخابية وخاضعة لرقابة الشعب	لا وجود لبرامج محددة ولا تخضع لأي رقابة شعبية

ومما يدلل على عدم تحمل الأحزاب الصهيونية أية مسؤولية أمام الناخب يتجسد في أن تلك الأحزاب تعمد إلى الهروب نحو الأمام أي نحو إسقاط الحكومة عندما تفشل تلك الحكومة في مواجهة أزمة سياسية أم إقتصادية وتمني الناخب بالوعود أثناء فترة الإنتخابات - التي تلي فترة سقوط الحكومة والتي تؤدي إلى حل الكنيست في غالب الأحيان - بإنها حين تستلم السلطة ستعمل على حل تلك الأزمات. كما إن دور « مراقب الدولة » الذي يراقب عمل الحكومة ويقدم تقارير للناخبين هو دور هامشي فتلك التقارير لا تقدم إلا بعد إنتهاء فترة الإنتخابات وهذا ما يعفي الاحزاب من المسؤولية ولا يشوه صورتها أثناء حملاتها الانتخابية. وهذا العمل أي حجب دور مفتش أو مراقب الدولة قبل فترة الإنتخابات هو الذي دفع (يسرائيل كيسار) السكرتير العام للهستدروت للقول انه تقع على عاتقنا مسؤولية وطنية لانقاذ الدولة وقد تحول الديمقراطية إلى سخرية عندما ينوون تأجيل تقريرمفتشة الدولة إلى بعد الإنتخابات. كي لا يتضرر الليكود .(١٣١)،بينما تم نشر تقرير مراقبة الدولة المتعلق بمخالفات ارتكبتها حركة شاس وتم فرض غرامة مالية عليها بحوالي (٤٠٠) ألف شيكل جديد لأنها خالفت قانون تمويل الأحزاب .(١٣٢)

إما البنية التنظيمية للأحزاب الصهيونية فشكلها العام هو الشكل الهرمي والعضوية في تلك الأحزاب تتم وفق مبدأ تطوع الأفراد، ويعكس هذا المبدأ نفسه على تلك الأحزاب في آلية عملها، إذ انه لا يتم الخضوع فيها لرأي الأغلبية، ولذلك إذا لم يحترم رأي الأقلية أيضاً فهذا يفتح لها المجال امام الإنسحاب. ويبذل جهد من قيادة تلك الأحزاب كي تتمثل كل الفئات الحزبية في الحركة الصهيونية .(١٣٣)

وعادة ما تضم الأحزاب الصهيونية الكبرى معسكرات تلتف حول بعض القيادات الحزبية ذات النفوذ داخل الحزب تطلق عليها أسماء القيادي أو الزعيم أو تطلق عليها صفات ذات علاقة بإتجاهها السياسي. وتكون تلك المعسكرات تمثل أما إنقساماً عامودياً أو افقياً داخل الحزب. وعادة ما يبدأ الإنقسام من قمة تلك الأحزاب، ففي الليكود هنالك ثلاثة معسكرات :

ا- معسكر شامير- أرنس، ب- معسكر دافيد ليفي، معسكر أريئيل شارون وقد يطلق على أنصار « موشي نسيم » إسم معسكر مجازا. والليكود في الوقت

ذاته مؤلف من : ١- حزب حيروت، ٢- الحزب الليبرالي ٣- حركة «أومتس »، وجماعة «أبو حصيرة ».

وحزب «حيروت » لم يعقد أي مؤتمر خلال الفترة الممتدة من ١٩٧٨-١٩٨٥، وله (١٦٠) فرعاً داخل الكيان الصهيوني، وهو من المفترض أن يعقد مؤتمراً كل عامين حيث يتم فيه إنتخاب ممثلي الفروع بالاقتراع السري، كما ينتخب المؤتمر رئيس الحزب ومجلسه الوطني ولجنته المركزية ومحكمته العليا وهيئة التحكيم فيه. أما اللجنة التنفيذية للحزب فتنتخبها اللجنة المركزية. وبنية الحزب هي بنية تنظيمية هرمية.(١٣٤)

وتكتل الليكود بوصفه اطاراً تنظيمياً واسعاً يستحق صفة «التكتل » أكثر من «الحزب»، وقيادته منتخبة من قبل اللجنة المركزية التي يبلغ عدد أعضاؤها (٣٥٠٠)عضواً، والتي عمدت مؤخراً وبهدف الحفاظ على مواقع القيادة التقليدية للتكتل ولمواجهة «صراع الأجيال » داخله، إلى تخفيض النسبة التي يجب أن يحصل عليها المرشح لزعامة التكتل من (٥٠٪) من أصوات الناخبين في اللجنة المركزية إلى (٤٠٪) فقط.(١٣٥)

واستعداداً للإنتخابات الثالثة عشرة للكنيست تم إعتماد نظام «السبعينات » هذا النظام الذي يحاول مواجهة البعد العرقي - الطائفي الذي برز في صفوف الليكود فالمعروف أن اليهود الشرقين كانوا عاملاً رئيسياً في وصول الليكود إلى الحكم عام (١٩٧٧). وأن اعتماد نظام المجموعات المكونة من سبعة نواب مؤخراً داخل تكتل الليكود هو أحد أشكال الصراع بين معسكرات الليكود. وأهمية اعتماد ذلك النظام تبرز راهناً على خلفية حسم مسألة خلافة «اسحق شامير »، «فالامراء »- وهواصطلاح يطلق على أبناء القيادات التاريخية لليكود أمثال : «بنيامين بيغن، بنيامين نتنياهو، وروني ميلو » بايعوا«موشي آرينس » -الأمير الأول - في إنتخابات المجموعات السباعيةليكون خليفة لإسحاق شامير، من جهة، ولتأكيد إحتكار الأشكناز لقيادة الليكود من جهة ثانية، وهذا ما دفع صحيفة «دافار» للقول « بعد سنوات طويلة من السبات إندفعت الجراثيم الطائفية لضرب التكتل وقوته(٠٠٠) وبعد صدور نتائج الإنتخابات النهائية والسباعية بدأت تتبلور صورة التكتل الطائفية »(١٣٦).

لقد شكل إعتماد المجموعات السباعية كشكل لإدارة الصراعات الطائفية داخل

الليكود بداية لاحتدام وتجدد حالة من الإبتزاز الداخلي واللجوء إلى المساومات وعقد الصفقات الرامية إلى الإبقاء على وحدة التكتل. وهذا ما دللت عليه بوضوح تصريحات « دافيد ليفي » حين عمد إلى تقديم إستقالته من وزارة الخارجية، ومن ثم عاد عن إستقالته بعد أن لبى اسحق شامير، بعض مطالبه المتعلقة بتطوير أوضاع اليهود الشرقيين في المراكز الحساسة داخل الليكود..

وعلى صعيد حزب العمل، يتشكل الحزب من ألوية وفروع ولجان محلية ولجنة مركزية، ولقد عمدت قيادة الحزب إلى إدخال بعض الإصلاحات التنظيمية تتعلق بمسألة إنتخاب رئيس الحزب، إذ لم يعد انتخابة حكراً على اللجنة المركزية، وهذا دفع صحيفة « هارتس » للقول :« لقد نهج حزب العمل منهجاً ديمقراطياً جديداً لم يعد معه مركز الحزب ولا اللجان أو اللجنة المحلية التي تضم (٣٠٠٠)عضوتقريرالأشخاص الذين يمثلون جمهور الناخبين كمرشحين من أجل الكنيست (٠٠٠) إن لجوء الحزب إلى الإنتخاب المباشر يعني أن طبقة رجال الاعمال لم تعد تتمتع بصلاحية إتخاذ القرار وأن توجه (٣٣) الف ناخب إلى صناديق الإقتراع، تدل على قدرة الحزب التنظيمية وقابليته ليكون بديل الليكود في الإئتلاف القادم ».(١٣٧) وهذا ما حدث فعلاً لكن ليس لأسباب تنظيمية بحتة.

كما خلص ناحوم بارنيع في « يديعوت احرونوت »إلى أن المكسب الأساسي للإنتخابات في حزب العمل بالمقارنة مع الإنتخابات في الليكود هو أن هذه الإنتخابات مضت بسلام، ولا يوجد خلاف في الزعامة. الأن بيرس ورابين مصممان على أن يحافظا على مشاحنتهما تحت الطاولة. وكانت لرابين مصلحة في نجاح بيرس، إلا أنه ليس له مصلحة أن يصل بيرس إلى هذه الدرجة. وقد حصل بيرس على (٨٣٪) من أصوات الناخبين وأن (١٢) من المقربين إليه وصلوا إلى أماكن معقولة. وتبين مقارنة بين (٤٢) مرشحاً أولاً لليكود مع (٤٢) مرشحاً أولاً لحزب العمل إلى تقريب الصورة الإجتماعية في القائمة من الصورة الإجتماعية في الليكود، لقد فتح حزب العمل الباب في وجه السياسين الشبان. وأبناء الطوائف الشرقية، وأمام الدمج بين الطرفين. وفي وجه الحزبين يدور حديث عن سياسين محترفين ورجال جهاز ورجال الطبقة الوسطى ولا وجود هناك للفقراء، وبين (١٥)مرشحاً جديداً في حزب العمل ضمن ال (٤٢) مكاناً الأولى، هناك (٧) من أبناء الطوائف الشرقية، وبالمقابل بين الـ(١٢) الجدد في الليكود هناك (٢٧)

أيضاً من أبناء الطوائف الشرقية. وبالمقابل تنازل الحزبان نهائياً عن خيار انتخاب مرشح لربع مليون ناخب من بين المهاجرين الجدد .(١٣٨)

وللأحزاب الصهيونية جميعها عموماً، إمتدادات خارج الكيان الصهيوني وخصوصاً في الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بتمويل الحملات الإنتخابية لتلك الآحزاب من جهة وتدعيم قيام تلك الأحزاب بوظائفها المتشابهة سواء المتعلق منها في الإستيطان أو الإقتصاد أوغير ذلك من جهة ثانية .(١٣٩)

الهستدروت:

يشكل الهستدرت قوة كبيرة داخل الكيان الصهيوني نظراً لكون الوظائف التي يقوم بها سواء السياسية أم الإقتصادية أم التشريعية توازي دور كل من الحكومة والكنيست، لذا يمكن إطلاق إسم الكنيست الثاني عليه أيضاً، إذ تشترك فيه غالبية الأحزاب الصهيونية. والتنظيم الإداري للهستدروت معقد وواسع. إذ يعتبر مؤتمر الهستدروت الذي يعقد كل أربع سنوات أعلى سلطة فيه، وتجري انتخابات أعضاء مؤتمره على الطريقة السرية الديمقراطية حسب قوائم الأحزاب. ثم تتم عملية إنتخاب مجلس للهستدروت. يؤلف هذا المجلس بدوره مجلساً أعلى يدير عمل الهستدروت بين مؤتمرين. وهذا المجلس ينتخب بدوره اللجنة التنفيذية وهذه اللجنة تعين مجلس إداري تنفيذي يتولى مسؤولية جميع الأعمال اليومية للنقابات واللجان العمالية. ويتبع للهستدروت مؤسسات إقتصادية هامة أهمها : « حضرات عوفديم » أي تعاونيات(١٤٠). وينطبق على الهستدروت من خلال وظيفته اسم جماعة المصالح المنظمة أكثر من اسم النقابة في المجتمعات العادية، فجماعة المصالح المنظمة من حيث تعريفها هي جماعة منظمة ولها أعضاء مسجلون فيها بصورة رسمية وتخضع لقيادة متفرغة وتضمن تمويلاً دائماً. وقد تهتم أحياناً بالتعبير عن مصالح أعضائها وقد تجمع بين الإهتمامات الخاصة والعامة. وللتدليل على قوة ونفوذ الهستدروت يطلق على مبناه الرئيسي في مدينة تل أبيب اسم « الكرملين » .(١٤١)

إن تطبيق « الديمقراطية » داخل الكيان الصهيوني من الزاوية النظرية يعتبر تقليداً شكلياً منه « للديمقراطية الليبرالية » السائدة في دول أوروبة الغربية والولايات المتحدة الأميركية، لكنه تطبيق يستند إلى عملية انتقائية بحتة، فتارة تستمد بعض الظواهر والأشكال الديمقراطية من النموذج البريطاني وتارة أخرى من

النموذج الأميركي. وهذا ما يظهرجلياً في تركيبة الكنيست من جهة، وفي الدور الذي يقوم الهستدروت أو الأحزاب الصغيرة الدينية الملتزمة الذي يشبة دور اللوبيات في النظام السياسي الأميركي من جهة ثانية.

وبالمقارنة مع طبيعة الثقافة السائدة في الكيانات السياسية الإستيطانية ومع بروز سمة «الإزدواجية» في عمل مؤسسات تلك الكيانات، نجد أن الكيان الصهيوني يمتلك ذات السمة، فالحكومة والكنيست والهستدروت والوكالة اليهودية والمؤسسة العسكرية جميعها تقوم بوظائف موازية لبعضها البعض والتي تتمحور حول «تهويد فلسطين» أرضاً وشعباً وسوقاً. والنظام الإنتخابي الصهيوني في تعامله مع فلسطيني الأراضي المحتلة (١٩٤٨) يستند إلى قاعدة «الأسياد و العبيد»، ويتعامل معهم بشكل نفعي،ويكبح أي عملية قد تؤدي لاحقاً إلى ظهورهم ككتلة انتخابية موحدة ذات ثقل في العملية الإنتخابية، لان حدوثها يقطع الطريق على فكرة «الصفاء القومي» أو بمعنى آخر لايجعل من الكيان الصهيوني تجسيداً «للحلم الصهيوني» في إقامة «دولةلليهود» فقط في فلسطين.

ويمثل النظام الإنتخابي القائم على أساس النظام النسبي والمطبق بشكل عام في كافة الاشكال التنظيمية والمؤسسية داخل الكيان الصهيوني سواءأكانت تتجسد في الحكومة أو الكنيست أو الأحزاب أو الهستدروت، تعبيراً عن الدرجة التي وصلت إليها عملية بناء الكيان الصهيوني، التي لم تستكمل بعد، إذ أنها تتم بشكل تراكمي. كما إن بطء عملية إجراء تعديلات إصلاحية أو جذرية سواء على مستوى نظام الحكم أو دور الحكومة أو النظام الإنتخابي المعمول به راهناً يدلل على أن ظروف الكيان الصهيونية الذاتية لا تؤهله للإقدام على تسريع تلك العملية، لذلك يبقى التأجيل هو أهون الشرور بالنسبة لقيادة الكيان الصهيوني.

وإن الشكل الليبرالي «للديمقراطية» السائدة داخل الكيان الصهيوني، والذي يمارس في إطار الناخبين الصهاينة، يستهدف تخفيف حدة الأزمة التاريخية التي يعاني منها، فالتناقضات التي تنشب في إطار المستوطنين سواء أكانت بين «العلمانيين» والمتدينين أم بين «الاشكناز» و«السفارديم» وغيرها من تناقضات يتم اخضاعها لصالح التناقض الأساسي مع الشعب الفلسطيني والأمة العربية

***آخر إنتخابات كنيست وفق النمط القديم**

إستأثرت إنتخابات الكنيست الثالثة عشرة بإهتمام كبير لا يقارن بسابقاتها التي جرت منذ الإعلان عن قيام الكيان الصهيوني. ويعود ذلك إلى جملة من

الأسباب يمكن إجمالها بما يلي :-تعتبر هذه الإنتخابات آخر إنتخابات للكنيست تجري إستناداً إلى النظام الإنتخابي القديم، إذ أقرت الكنيست قانوناً بإنتخاب رئيس الحكومة الإسرائيلية القادمة عن طريق الإقتراع المباشر، وتم ذلك في جلستها التي عقدتها في ١٨ /٣/١٩٩٢ . وقد تم إقرار ذلك القانون بعد موافقة (٥٥)عضواً من أعضائها ومعارضة (٣٢) عضواً وامتناع عضو كنيست واحد عن التصويت . وبموجب القانون الجديد سيدلي الناخب الإسرائيلي في إنتخابات الكنيست الرابعة عشرة ببطاقتي إقتراع : واحدة لاختيار الحزب الذي يؤيده، والثانية لاختيار رئيس الوزراء، الذي يتعين عليه أن يفوز بأكثر من (٥٠٪) من أصوات الناخبين وإلا أعيدت عملية الإقتراع .(١٤٢) – تجري هذة الإنتخابات وفق قانون جديد جرى بموجبه رفع نسبة الحسم للقوائم الإنتخابية المتنافسة من (١٪) إلى (١,٥٪) وبذلك سيصير عدد الأصوات ما فوق نسبة الحسم الجديدة قريباً من (٤٠) ألف صوت إنتخابي . وهذا القانون يمنع وبشكل عملي قيام كتل كثيرة في الكنيست .(١٤٣) – تأتي الإنتخابات بعد مضي خمس سنوات على إندلاع الإنتفاضة الفلسطينية التي عمقت أزمة الكيان الصهيوني، وهذا ما جعلها قضية هامة في برامج الأحزاب الصهيونية الإنتخابية، كما ترافقت الإنتخابات مع إستمرار المفاوضات وعملية السلام التي إنطلقت من مدريد في تشرين الثاني (١٩٩١)

-تجري إنتخابات الكنيست الثالثة عشرة في ظل متغيرات دولية هامة، حسب ما إشار إلى ذلك « إسحق رابين » في إحدى مقالاته عندما قال : «إن ما سيتقرر في الإنتخابات هو صورة ومصير إسرائيل والطريق الذي ستسلكه في السنوات القادمة . والقضية ليست مناصب وزارية أو شرفاً فنحن نتعامل مع قضايا حرب وسلام وحياة أو موت (...) ورغم إن الوقت لم يحن بعد لنغمد سيوفنا ولنحول دبابتنا إلى تراكتورات (...) يجب علينا الا نفوت فرصة التحرك نحو السلام .(١٤٤)- تتميز إنتخابات الكنيست الثالثة عشرة بكونها إنتخابات مبكرة تجري في غير موعدها الذي كان مقرراً في ٣- ١١-١٩٩٢ . ولقد اتخذ قرارإجراء هذه الإنتخابات، بعد أن تم التوصل إلى اتفاق بين « الليكود »و« حزب العمل » على تقديم موعد الإنتخابات التشريعية، والذي أقرته الكنيست بعد القراءتين الثانية والثالثة .(١٤٥)

وتم ذلك في أعقاب فقدان حكومة « شامير» للغالبية البرلمانية في ١٩-١-١٩٩٢ بعد انسحاب كل من حركتي « هتحيا » و« موليدت » من الحكومةعلى خلفية الإختلاف حول مسالة الحكم الذاتي .(١٤٦)

* **التحضيرات الداخلية للاحزاب والكتل الاسرائيلية**

باشرت الاحزاب الاسرائيلية عملية ترتيب أوضاعها الداخلية استعداداً لخوض انتخابات الكنيست الثالثة عشرة، عبر سلسلة من الاجراءات الداخلية التي تراوحت ما بين عقد مؤتمرات حزبية، واقرارالخطوط السياسية العامة لبرامجها الانتخابية، وتشكيل لجان تقوم بمهمة متابعة الحملة الانتخابية لكل حزب، وتسوية أوضاعها واشكالاتها الداخلية كي تدخل الانتخابات بصفوف موحدة. وقد حملت تلك الترتيبات صورة جديدة للاحزاب الاسرائيلية كان لها دور هام فيما آلت اليه امورها – الاحزاب – في اعقاب انتخابات الكنيست الثالثة عشرة، وهذا ما سيتبين من خلال استعراض لتلك الترتيبات التي قامت بها الاحزاب الصهيونية،وفق الترتيب التالي

ا- معسكر «الليكود» و«اليمين» المتطرف : ويشمل الاحزاب التالية : الليكود، هتحيا، تسومت، موليدت، حركة كاخ، حركة «التوراة والبلاد»، والحزب الليبرالي الجديد.

ب- معسكر« العمل » والوسط الاسرائيلي : ويشمل الأحزاب التالية : العمل، ميرتس – المكونة من راتس، مابام، وشينوى.وحزب النساء، قائمة المتقاعدين والمهاجرين، والحركة الوطنية للديمقراطية والهجرة.

ج- معسكر الاحزاب الدينية : ويضم كل من :المفدال، القائمة الموحدة للمتدينين المكونة من –اغودات يسرائيل وبوعالي يسرائيل، وديفل هاتوارة، وموريا –وحركة شاس. د- معسكر الاحزاب المختلطة والعربية : ويضم هذا المعسكر كلاً من حداش والجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، الحركة التقدمية للسلام، والحزب العربي الديمقراطي.

* **الليكود :**

يتألف الليكود من حزب «حيروت » المعبر عن تعاليم جابوتنسكي والممثل في اتجاه الصهيونية التصحيحية داخل الحركة الصهيونية، وحركة« اومتس »، وبقايا الحزب الليبرالي، ومجموعة أهارون أبو حصيرة، وتسود داخل التكتل – سمي حزباً فيما بعد ثلاثة معسكرات اساسية هي : ا- معسكر شامير- ارنس : وهو المعسكر القوي والسائد داخل الليكود والمتمتع بالسلطة والنفوذ، والذي يعتبر ممثلاً لقوة الاشكناز داخله، والذي يحظى أيضاً بدعم أبناء قادة الليكود التاريخيين الذي يطلق عليهم إسم «الأمراء» من أمثال : يهود أولمرت، دان مريدور، بنيامين بيغن، وبنيامين نتنياهو. ب- معسكر «ليفي»، يمثل اليهود الشرقيين داخل

الليكود، والذين ساهموا بفعالية في وصول الليكود إلى السلطة عام(١٩٧٧)بعد انسحابهم من حزب العمل.وهم يشكلون راهناً حوالي ثلث أعضاء الليكود حسب مصادر ليكودية سبق لها أن أعطت معسكر ليفي مكانة خاصة داخل الليكود بنسبة (٣٢٪) .(١٤٥) ج-معسكر « شارون »، الذي يعتبر على يمين معسكر« شامير- أرنس » ومتشدداً في الوقت ذاته تجاه بعض القضايا التي يعتبرها مصيرية مثل : الهجرة والاستيطان وقد احتدمت عملية ترتيب أوضاع الليكود عند معالجة قيادته لقضيتين هامتين هما : إنتخاب زعيم لليكود، وانتخاب مرشحيه لانتخاب الكنيست الثالثة عشرة. وقد أفضت هاتان القضيتان إلى إندلاع مسألتين واجهتهما قيادة الليكود هما: مسألة دافيد ليفي ،ومسألة ا سحق موداعي،فبالنسبة لمسألةانتخاب رئيس لليكود أقرت اللجنة المركزية لليكود وجوب أن يحصل المرشح لشغل منصب رئيس التكتل على(٤٠٪) من أصوات أعضائها بدلاً من (٥٠٪). وأعلن الناطق باسم الليكود أنه من حق اللجنه المركزية اتخاذ ما تراه مناسباً وانه في حال عدم وصول أي من المرشحين على النسبة المطلوبة يتم تنظيم دورة انتخابية ثانية .(١٤٨) وبموجب عملية الاقتراع التي جرت داخل اللجنة المركزية لتكتل الليكود حصل « اسحاق شامير » على نسبة ٤٦٪ من اصوات اللجنة المركزية، بينما حصل دافيد ليفي على نسبة ٣١٪ في حين حصل ارئيل شارون على ٢٢٪ من اصوات اللجنة المركزية .(١٤٩)

وأثر الانتهاء من انتخاب زعيم الليكود، تم في ٢٧ / ٢ / ١٩٩٢ انتخاب مرشحي الليكود لمقاعد الكنيست، الذين قدرتهم قيادة الليكود بخمسين عضواً. وجائت نتائج تلك الانتخابات على الشكل التالي : حل في المرتبة الأولى موشي كتساف، تلاه بنيامين نتنياهو، ثم بنيامين بيغن، ثم ارئيل شارون، تلاه روني ميلو، وبعده ليمور لفنيت، وحل في المرتبة السابعة موشي ارنس، أما المرتبة الحادية عشرة فشغلها يهود اولمرت، تلاه دوف شلنسكي. أما ديفيد ليفي فحل في المرتبة الثامنة عشرة، وشغل المرتبة الخامسة والعشرون موشي نسيم. والمرتبة الحاديةوالثلاثون أسعد الأسعد. وحصيلة تلك الانتخابات جاءت مدعمة لمواقع معسكر « شامير-أرنس »الذي حصل على ٣٥ مقعداً في قائمة الخمسين بينما تراجعت مكانة معسكر « ليفي » الذي اعتبر أن ما جرى في تلك الانتخابات يعبر عن « مؤامرة حيكت ضدى داخل اللجنة المركزية »(١٥٠). ولقد كانت نسبة المشاركين في انتخابات قائمة الخمسين هي ٩٢,٣٪) أي ٢٩١٢ عضوامن أعضاء

اللجنة المركـزية لـ(الليكود) التي يبلغ عـدد أعـضائهـا حـوالي ٣١٥٠ عـضـواً فقط(١٥١).

ولقـد اعـقـبـت تلك الانتـخـابات دورة انتـخـاب أخـرى جـرت وفق نظام «السباعيات » الذي تم اقراره داخل التكتل، والذي على أساسه تم اقرار مرشحي « الليكود» للكنيست الثالثة عشرة . وقد تمخضت تلك الانتخابات على القائمة التالية :

ا- مرشح لرئاسة الوزراء : اسحق شامير.ب- مجموعة السبعة الأولى : موشي ارنس، ارئيل شارون، ديفيد ليفي، موشي كتساف، بنيامين نتنياهو، زئيف بني بيغن، وروني ميلو. ج- مجموعة السبعة الثانية : موشي نسيم، دوف شلنسكي، مئير شطريت، الياهو بن اليسار، ايهود اولمرت، دان تيخون، ودافيد ماغين.

د- مجـموعـة السـبـعة الثـالثـة : دان ميـريدور، جدعـون بات، عـوزي لانداو، شاؤول عـمـور، يهوشع متسا، يعقوب شـماي، وتساجي هنجفي. هـ- مجـموعـة السبعة الرابعة : ميخائيل ايتان، عوفيدياعلي ، دافيد مينع، أفرهام هيرشيزون، حاييم كوفمان، رون نحمان، وأسعد الأسعد . و- بقية المتدرجين حسب ترتيب انتخابهم في مجـموعة النخبـة : ليمورليفنت، نعمي بلومنتال، سلفان شالوم، اريئيل فينشتاين، يوسي احـمـئير، ميخائيل راتسون، رؤوبين ربيلين، اهرون أبو حصيرة جيل سيمسونو، ميخائيل كلينر، فروسفور ارزان، ايلي بوكسم، يهوشع ساجي،مريام مزار، يسرائيل كيتس، موشي باركوخفا، يوسف غولد برغ، موشي بداش، يهودا بيرح، شلومو بن لولو، أبراهام شرير، شموئيل سلبين.(١٥٢)

وبموجب هذة الانتـخـابات ضـمن مـوشي ارنس خـلافـة اسـحـاق شـامـيـر، ومما يلاحظ أن قائمة مرشحي الليكود لانتخابات الكنيست الثالثة عشرة لم تضم ولو ممثلاً واحـداً لمهـاجـري ١٩٩٠-١٩٩١ الروس أو لسـابقـيـهـم من مـهـاجـري عـقـد السبعينات .(١٥٣)

* مسألة ليفي :

يعتبر دافيد ليفي -المغربي الولد- ممثلاً لليهود الشرقين داخل تكتل «الليكود »، ولقد اندلعت المسالة التي ارتبطت باسمه على خلفية احتكار اليهود الغربين -الاشكناز- لمواقع السلطة والنفوذ داخل التكتل وبخسهم لحقوق الشرقيين والتي تجلت سياسياً عندما ترأس اسحق شامير الوفد الاسرائيلي المشارك في أعمال مؤتمر مدريد واستبعاد دافيد ليفي عن رئاسة ذلك الوفد تحت ذرائع عديدة . وبعد ذلك حاول دافيد ليفي استعراض قوته داخل الليكود عندما أقدم على الإستقالة من

منصبه الوزاري، ومن ثم عودته عن تلك الاستقالة في أعقاب حصوله على مكاسب لصالح الشرقيين داخل «الليكود » تم التعبير عنها -المكاسب - في الاتفاق الذي تم التوصل اليه بين اسحق شامير ودافيد ليفي، الذي نص على ١-« رفع عدد ممثلي معسكر ليفي في سكرتارية الليكود من (٣) إلى (٧) أعضاء والحرص على تمثيلها في كافة اللجان الحزبية وتحديداً اللجنة القانونية ولجنة قبول الأعضاء الجدد، ولجنة الاعداد للمؤتمر الحزبي العام، واللجنة المشرفة على حملة إنتخابات الكنيست. ٢-« ابقاء ليفي نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للخارجية في اية حكومة تشكل بعد الانتخابات العامة. ٣-تمثيل معسكر ليفي بشكل لائق في جميع اللجان المنبثقة عن الكنيست المقبلة. ٤-تخصيص مقعد في ادارة الوكالة اليهودية لاحد اعضاء معسكر ليفي، وترشيح بعض اعضائه إلى المؤتمر الصهيوني العالمي. ٥-طرح مشروع قانون على الكنيست يقضي بضرورة تخلي أعضائه الذين يشغلون مناصب وزارية عن مقاعدهم في الكنيست لصالح أعضاءآخرين في أحزابهم، الأمر الذي يفسح المجال أمام دخول بعض مؤيدي ليفي الذين اقصتهم الانتخابات الحزبية إلى الكنيست المقبل (١٥٤).

* **مسألة موداعي :**

يمثل اسحق موداعي مجموعة الليبراليين داخل الليكود ويحتفظ موداعي باتفاق مع الليكود موقع من قبل اسحق شامير والوزراء في حكومته في ١١-٤-١٩٩٠ ينص في مواده الثالثة والخامسة والرابعة عشرة على أن اعضاء كتلة « تطوير الفكرة الصهيونية » سيظهرون في قائمة مشتركة مع الليكود في الانتخابات وسيتم تعيين كل من : اسحق موداعي وغروبر وغولد شتاين كوزراء في حكومة الليكود في حال تشكيلها .(١٥٥) ولقد اندلعت مسألة « موداعي »بعد ادعائه أن اسحق شامير خرق ذلك الاتفاق، مما دفع اسحق موداعي إلى الاعلان عن اقامة الحزب الليبرالي الجديد وبالتالي الخروج من تكتل الليكود.

إن الازمات التي اندلعت داخل صفوف تكتل « الليكود » على خلفيات سياسية واجتماعية وغيرها اشرت إلى أن هناك ضعفاً وتشرذماً، حاول اسحق شامير كبحه والتقليل من أهميته وفي أحيان عدةإلى تسوية تلك الاشكالات على غرار الاتفاق الذي تم التوصل إليه مع دافيد ليفي. اضافة إلى أن اسحق شامير بقي متمسك بثوابت ليكودية أساسية مثل شعار « أرض اسرائيل الكاملة »وبتسريع عملية الاستيطان في الضفة الغربية وقطاع غزة، اضافة إلى تمسكه بمبدأ « السلام

مقابل السلام »في مواجهة مبدأ «الأرض مقابل السلام »الذي على أساسه بدأت عملية «السلام »في مدريد بمبادرة من الادارة الاميركية ممثلة بالرئيس الاميركي (جورج بوش)

*** الترتيبات داخل الاحزاب اليمينية**

تتكون الأحزاب الصهيونية التي يطلق عليها صفة «يمينية » أو«متطرفة »، بشكل أساسي من الاحزاب التالية: تسومت - الصهيونية المتجددة - موليدت - الوطن أو أمناء أرض اسرائيل -، وحركة هتحيا - النهضة - . ولقد تمحورت الترتيبات داخل هذه الاحزاب حول انتخاب قوائم مرشحيها لانتخابات الكنيست، ففي حركة تسومت، انتخب رفائيل ايتان رئيسا للحركة من جهة واحتل المرتبة الأولى في قائمة مرشحي الحركة من جهة ثانية وذلك بعد أن حصل على (٦١) صوتاً من أصل (٧٢) صوتاً، تلاه عونين سيجف، وبني بداش، واليعزر زندربرغ وموشي بيلد، وحاييم دايان، واستمر سلموفيتش،واليكس غولدفرب(١٥٦). وهؤلاء المرشحين هم من أصل (٣٢) مرشحاً منهم ٤نساء و٢عرب (...) و٢من الكيبوتسات و٢٤من المدن اليهودية(١٥٧)

إما في موليدت فتم انتخاب رحبعام زئيفي رئيساً للحركة ومرشحاً اولاً لعضوية الحركة في الكنيست، اضافة إلى كل من شاؤول غوتماف ويوسف بارجاد(١٥٨). وفي حركة هتحيا تم انتخاب كلاً من يوفال نئمان وغيئولاكوهين للمركزين الاول والثاني في قائمة الحركة تلاهما كل من: اليكيم هعيتساني وبني كتسوفر ويعقوب فيتلوفسكي، وحل في المركز العاشر هشام ساجي. (١٥٩)

ولم تفلح الاحزاب اليمينية في تشكيل قائمة انتخابية موحدة لخوض انتخابات الكنيست ولمواجهته ارتفاع نسبة الحسم ، لذلك شارك كل حزب من تلك الاحزاب في انتخابات الكنيست بقائمة مستقلة.

اما الحزب الليبرالي المستقل الجديد الذي جرى الاعلان عن قيامه من قبل اسحق موداعي بعد انشقاقه عن «الليكود »وحاز على مصادقة الكنيست في ٣-٣-١٩٩٢ باعتباره حزبا جديد، فقد اعلن أن مبادئه واهدافه هي :

- تحقيق استقلال اقتصادي ومرافق اقتصادية مزدهرة.

- رفاه الفرد واجب اساسي للدولة تجاه مواطنيها وعلى هذا الاساس سوف يعمل ممثلوا الحزب على رفع مستوى المعيشة إلى المستوى المناسب لكل المواطنين وسيحرصون على تامين المسكن والعمل للجميع.

– تحتاج اسرائيل إلى بنية سلطوية جديدة تقوم على الاختيار المباشر لرئيس الحكومة وانتخاب أعضاء الكنيست باسلوب اقليمي – شخصي – واجراءاستفتاء شعبي كأداة للبت في القضايا المبدئية.

– امور الخارجية والأمن ستكون رهن الاعتبارات المبدئية والموضوعية.(١٦٠)

*** معسكر «العمل» و«اليسار» الصهيوني**

شهد هذا المعسكر كثيراً من التغيرات الداخلية بخلاف معسكر «الليكود» و«اليمين» الصهيوني، وطالت تلك التغيرات البنية الداخلية للاحزاب المكونة لهذا المعسكر، وذلك على خلفية اصرار تلك الاحزاب على الوصول إلى السلطة من جهة ومعالجة الاخفاقات والمشاكل التي أفرزتها فترة حكم الليكود على كافة المستويات وخصوصاًعلى الصعيد الاقتصادي، ومواجهة تحديات المرحلة الراهنة من جهة ثانية وذلك في محاولة من الاحزاب لتأكيد قدرة الكيان الصهيوني على مواكبة المتغيرات العالمية وبالتالي اثبات قدرته على تجديد ذاته وتقديم صياغة جديدة للعلاقة الخاصة الرابطة بين الكيان الصهيوني والولايات المتحدة الاميركية، اضافة إلى إعادة تحديد صياغة جديدة لاولويات أو لنظام افضليات الكيان الصهيوني على كافة المستويات.

وستتضح تلك التغيرات في العرض التالي لما جرى داخل هذه الاحزاب وعلى وجه التحديد حزب «العمل» بما يمثله من ثقل في الساحة الحزبية الاسرائيلية.

*** حزب العمل :**

عقد حزب «العمل» الصهيوني مؤتمره الخامس في آواخر العام (١٩٩١) واقر عدداً من الاصلاحات الداخلية والتوجهات السياسية أهمها :

–انتخاب رئيس الحزب من قبل جميع أعضاء الحزب .

– ألتأكد على أن الوصول إلى السلطة بموجب انتخابات الكنيست القادمة يجب أن يكون هدفاً لقيادة الحزب .

– طرح مبدأ فصل الدين عن الدولة.

– اضافة بعض التعديلات على مشروع «آلون».

– تعديل موقف الحزب من مسألة اجراء اتصالات مع (م.ت.ف).

– التخفيف من حدة التنافس داخل الحزب بين كل من جناحي «الحمائم» و«الصقور»

وإن ابرز مسألة تم حسمها داخل حزب العمل هي مسألة زعامة الحزب، فبموجب انتخابات داخلية جرت في ١٩-٢-١٩٩٢، فاز «اسحق رابين» بزعامة الحزب بعد أن حصل على نسبة ٤٦,٤٪ من مجموع أصوات الناخبين المسجلين في الحزب والبالغ عددهم ١٣٢ الف عضو، في حين نال «شمعون بيرس» على نسبة ٣٩٪ وحصل المتنافسان الآخران: «يسرائيل كيسار» و«اورا نمير» على نسب لا تزيد عن ٧٪.(١٦١)

وفي سياق الاستعدادات لخوض انتخابات الكنيست تمت عملية انتخاب مرشحي حزب العمل للكنيست الثالثة عشرة، وفيما يلي قائمة مرشحي الحزب للكنيست والبالغ عددهم (٤٥) مرشحاً، على التوالي: اسحق رابين، شمعون بيرس، ابرهام بورغ، بنيامين بن اليعيزر، اورا نمير، حاييم رامون، ميخا حريش، يسرائيل كيسار، دافيد ليبائي، نسيم زفيلي، شمعون شتريت، عوزي برعام، رافي الول، اورى اور، ابراهام شوحط، شيفح فايتس، حاجي ميروم، ماشا لوبلسكي، ايلي بن مناحيم، نواف مصالحة، موشي شاحل، رعنان كوهين، ايلي ديان، يوسي بيلين، داليا ايزيك، جداليا جاد افرايم، رافي ادرى، مردخاي غور، يعقوب شابي، ايلي غولد شميدت، ياعيل دايان، افرايم سنية، ميخا غولدمان، افي يحزقئيل، صالح طريف، افيغدور كهلاني، يوسي كاتس، جدعون ساجي، عمانوئيل زيسمان، يورام لاس، يوسف فانانو، شلومو بوحبوت، عامير بيرتس، شموئيل ابيتال، وجاد يعقوبي.(١٦٢)

ولقد افضت انتخابات مرشحي حزب «العمل» إلى حالة من الاستقرار بين معسكرات حزب العمل الاساسية أي معسكر «الصقور» وهو المعسكر الاساسي والاكثر قوة داخل الحزب ويقوده اسحاق رابين وكل من مردخاي غور وشلومو هيلل، ومعسكر «الحمائم» الذي يقوده حاييم رامون و«ابراهام يورغ»، ومعسكر «الوسط» الذي يتزعمه شمعون بيرس الذي يقترب في بعض مواقفه من معسكر «الحمائم».

*** ميرتس:**

تتالف من الأحزاب التالية:

١- حركة حقوق المواطن - راتس - بزعامة شولاميت الوني، حزب العمال الموحد - مابام - بزعامة يائير تسبان وحزب التغيير - شينوى - بزعامة امنون روبنشتاين. ولقد قررت تلك الأحزاب بعد أن عقدت مؤتمراتها أن تشترك في قائمة انتخابية موحدة تدعى «اسرائيل الديمقراطية» واختصارها «ميرتس» وذلك

على خلفيات عديدة أهمها مواجهة ارتفاع نسبة الحسم وتوحيد «اليسار» كي يصبح قوة حزبية كبيرة منافسة لكل من «العمل» و«الليكود».

وأعقب ذلك الإتفاق بين تلك الأحزاب انتخاب كل حزب لقائمة مرشحيه ومن ثم ترتيب اولئك المرشحين في قائمة واحدة. ولذلك انتخب مجلس حركة «شينوى» المكون من ١٤٠ عضواً، مرشحيه للكنيست وهم: امنون روبنشتاين، أبرهام بورات، يهوشع بورات، شوش عرعر (منسقة الحزب) وسيحتل هؤلاء المرشحين الأمكنة: الثالث، السابع، الثاني عشر في قائمة «ميرتس».(١٦٣)

أما مركز «المابام» فانتخب كل من يائير تسبان كمرشح أول لقائمته الحزبية تلاه حاييم اورون، ومن ثم حاييم تسادوك.(١٦٤) وفي حركة «راتس» تم انتخاب مرشحي الحركة اعتماداً على مجموعتين ثلاثيتين، ففي المجموعة الثلاثية الأولى فاز كل من: يوسي سريد، راني كوهين ودادي تسوكر. وفي المجموعة الثلاثية الثانية فاز كل من: نعمي حزان، بني نحمكين ونجيب أبورقية.(١٦٥) ولقد تراست شولاميت الوني بزعامة راتس قائمة مرشحي الحركة وتراست أيضاً قائمة ميرتس ليصبح مرشحي ميرتس هم بالترتيب: شولاميت الوني، يائير تسبان، امنون روبنشتاين، يوسي سريد، ران كوهين، حاييم اورون، ابرهام بوراز، ودادي تسوكر، وليد صادق، نعمي حزان، بني لحمكين، رعنان مئير.(١٦٦)

* معسكر الأحزاب الدينية

عادة ما يجري اعتبار الأحزاب الدينية الصهيونية بمثابة «لوبي» أو عامل ابتزاز دائم لكل من الليكود والعمل اثناء اقدامهما على تشكيلهما لأي حكومة اسرائيلية، نظراً لما تمثله الأحزاب الدينية من ثقل مرجح لعملية تشكيل أي حكومة اسرائيلية، ولقد تنامت قوة هذه الأحزاب على خلفيات مختلفة. ويطلق على تلك الأحزاب اسم «الحراديم» - المتزمتين - الذي حصلوا في انتخابات الكنيست الثانية عشرة على عدد مهم من مقاعد الكنيست إلى الدرجة التي اعتقدت فيها بعض المصادر الاسرائيلية أنه حدث في تلك الانتخابات انقلاب لصالح الحراديم.

لقد تراوحت ترتيبات الأحزاب الدينية ما بين دخول انتخابات الكنيست بقائمة موحدة لمواجهة ارتفاع نسبة الاغلاق، وما بين الدخول بقائمة مستقلة على غرارالانتخابات السابقة. وهذا ما سيتبين لاحقاً.

*المفدال: «الحزب القومي الديني»

لم تتعد الترتيبات التي قامت بها قيادة الحزب، سوى اجراء تصويت داخل مركز الحزب لاختيار مرشحيه لانتخابات الكنيست الثالثة عشرة، ذلك التصويت

الذي أدى إلى فوز الحزب « زفولون هامر » بالمكان الأول في قائمة مرشحي الحزب، تلاه « افنير شاكي » وفي المكان الثالث « يغال بيبي » و« اسحق ليفي » في المكان الرابع، وحنان بورات في المكان الخـــامس، ومن ثم « شـمـريا هوبن تسـور »، و« يهـــوديت هيفز »، و« ناحوم لنجتل » ويوسف مند لفيت على التوالي(١٦٧).

أمـا الاحـزاب الدينيـة الاخـرى فلقـد تنامت الخـلافـات بينهـا، فـبـعض تـلك الخلافات اندلع حول قرب مجيء المسيح المنتظر . . . فلقد هاجم الحاخام « اليعاز مناحيم شاخ ٩٥ عاماً وهو الزعيم الروحي للحزبين الدينيين المتطرفين ديغيل هتواره -(راية التوراة) - وشـاس (حراس التوراة) - بحدة حاخام الطائفـية الحسيـدية من سلالة لوبافـيتش مناحيم مندل شنيرسـون ٩٠ عاماً، العضـو المتنفـذ في قيـادة حزب اغودات يسـرائيل. وبسـبب غضبه هو الحملة التي قامت بها حركة لوبافيتش حـول قـرب مـجيء المسـيح الذي قـد يكون حـسب اتبـاع الحـاخام شنيـرسون هذا الحاخـام نفسـه حتى وإن كـان هذا الأخيـر الذي يعيـش في بروكلين لم يطلق على نفـسه هذا اللقب. وتبعـاً للدين اليـهـودي يمنع تحديد الموعـد الدقيق لمجيء المسيح الذي سيعيد بناء الهيكل الثالث (١٦٨).

وبعد ذلك بدا الحزبان الاشكنازيان : « اغودات يسرائيل » و« وديغل هتوارة » مفـاوضـات فـيـمـا بينهـمـا لتـقـديم قائـمـة مـشتركـة إلى انتخـابات الـكنيـست الثـالثـة عشرة(١٦٩). وتلا تلك المفاوضات محاولة تأسيس مجلس كبار التوراة بهدف تمكين حـزبي المتـدينيين اغـودات يسـرائيل وعلم التـوراة للسـيـر مـعـاً إلى الانـتـخـابات، والمشكلة التي اعترضت قيام ذلك المجلس تمحورت حول وجـود مـجلسين لكبـار التوراة احـدهـمـا لاغـودات يسرائيل برئاسة الحاخام مويجينتس والثاني لعلم التوراة برئاسة الحـاخام شاخ » (١٧٠). وتلا ذلك موافقة زعماء حزب ديغل هتواره على أن يكون التنـاوب في حــزب ديغل هتــوارة على المكان الرابع وفي حــزب اغــودات يسـرائيل على المكان الخامس وذلك من أجل تمكين الحـاخـام فـينرنيـتس من حـزب اغودات يسرائيل من الحصول على التمثيل في الكنيست(١٧١).

وظهر حزب ديني آخر سفاردي سمي باسم « موريا » بزعامة « اسحق بيرتس » يرمز إلى القيم اليهودية الصحيحة والمأمولة حسب أقوال بيرتس.(١٧٢) وسرعان ما تم بعد ذلك التوقيع على اتفاق بين كل من اغودات يسرائيل وعلم التوراة وموريا على اتفـاق تخوض بموجبه انتخابات الكنيسـت سوياً ضمن قائـمة تدعى يهـودية التـوراة الموحـدة(١٧٣). واثر ذلك شكلت الاحـزاب السـابقـة اضافـة إلى « بو عـالي

اغودات يسرائيل» قيادة موحدة تقتصر على قيادة الأحزاب والحركة المنضوية تحتها على أن يحتفظ كل حزب بقيادته مستقلاً وتراس هذا القيام الموحدة ابرهام شابيرا، يليه زعيم موريا اسحق بيرتس(١٧٤). أما قائمة المرشحين للكنيست فضمت كل من ابرهام شابيرا رئيساً للقائمة يليه اسحق بيرتس، وشموئيل هالبرت، ابرهام رابيتس وابرهام فريجاد، وموشي جفني(١٧٥).

* شاس :

حزب ديني متطرف بزعامة أرييه درعي يضم المتدينين السفارديم لم يدخل في قائمةمشتركةمع أغودات يسرائيل وديغل هتوراه بسبب تصريحات الحاخام اليعزر شاخ الذي اعتبرأن السفارديم غير مؤهلين لاستلام مناصب قياديةلأنهم يحتاجون إلى وقت طويل من التعليم والدراسة(١٧٦). ولذلك أثرأرييه درعي خوض إنتخابات الكنيست بقائمة مستقلة بزعامته إضافة إلى موشي مايا ويوسف عزران، وأرييه جلمئيل ورفائيل بنحاسي وشلومو بنزاري على التوالي(١٧٧).

معسكر الأحزاب المختلطة والعربية :

يتشكل هذا المعسكر من الأحزاب والكتل التي ينضوي في إطارها عرب الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨ ليشكلواغالبية أعضاء هذه الأحزاب إضافة إلى بعض اليهود مثل حزب «راكح» أو ليشكلوا أحزاباً عربية بشكل نقي. ورغم تواضع ما تحصل عليه هذه الاحزاب من مقاعد في الكنيست الاسرائيلية، إلا أن أهمية الصوت العربي في الانتخابات الكنيست غالباً ما تكون مجال تنافس واستقطاب من قبل الاحزاب الاسرائيلية لاسباب متعددة بعضها سياسي وبعضها انتخابي وآني.

والاحزاب المكونة لهذا المعسكر هي : الجبهه الديمقراطية للسلام والمساواة -(حداش) برئاسة توفيق زياد وتتالف اساساً من «راكح» والحركة الديمقراطية للسلام برئاسة محمد ميعاري، والحزب العربي الديمقراطي برئاسة عبد الوهاب دراوشة. ولقد حاولت هذه الأحزاب تشكيل قائمة عربية موحدة الا أن الجهود التي بذلت لتحقيق ذلك باءت بالفشل لاسباب سنذكرها لاحقاً بعد استعراض ما تم داخل كل حزب من هذه الاحزاب والكتل.

* حداش :

قبل أن تختار حداش قائمة مرشحيها لانتخابات الكنيست، قررمجلس الحزب الشيوعي الاسرائيلي «راكح» اختيار مرشحيه لقائمة حداش عبر التوصية بانتخاب عضو الكنيست هاشم محاميد سكرتيراً عاماً للحزب، وهذه هي المرة الاولى منذ

عام ١٩٤٨ التي يترأس فيها مرشح غير يهودي قائمة مرشحي الحزب الشيوعي للكنيست(١٧٨) تم في نهايتها انتخاب رئيس بلدية الناصرة توفيق زياد رئيساً لقائمة حداش تلاه هاشم محاميد للمكان الثاني في القائمة، ثم عضو الكنيست « تمارا غوجنسكي » للمكان الثالث وصالح مرشد رئيس مجلس عبلين في المكان الرابع.(١٧٩) وفي اثر ذلك اعلنت حركة حداش قائمتها الانتخابية الرسمية التي اضيف فيها كل من مصطفى أبو ريا رئيس مجلس سخنين وحسن بشارة من بلدة الطيبة، ليصبح عدد أعضاء قائمة حداش ستة اعضاء، بشكل رسمي. وفي أعقاب ذلك أعرب مرشحو حداش عن أنهم « يشكلون اليسار الحقيقي الواحد، اذ لا فرق بين العمل والليكود وميرتس، بينما أعرب توفيق زياد عن أن « الهدف الرئيسي لحركتي هو افشال الليكود الذي يدخل العصى في عجلة السلام ».(١٨٠)

* **الحركة التقدمية للسلام :**

برئاسة محمد ميعاري، وبناء على قرار من المكتب السياسي للحركة، عمدت إلى تشكيل قائمة مشتركة للانتخابات مع حركة المستقلين العرب. وذلك لاغلاق الطريق أمام الحزب العربي الديمقراطي برئاسة عبد الوهاب دراوشة، الذي يحاول منع مثل هذه القائمة. ولقد اتفقت الحركتان التقدمية والمستقلون على الظهور كحركة واحدة في أية مفاوضات مع حزب دراوشة وأعلنتا أنهما سوف تتركان الباب مفتوحاً أمام اي جماعة سياسية محلية. (١٨١)

* **الحزب العربي الديمقراطي :**

تم انتخاب عبد الوهاب الدراوشة كمرشح للمكان الاول في قائمة الحزب باغلبية الاصوات في انتخابات مباشرة وسرية، وانتخب في المكان الثاني طالب سنيه من النقب وفي المكان الثالث صفا ابراهيم من قرية البعنة.(١٨٢)

واضافة إلى الاحزاب السابقة فهنالك نفوذ للحركة الاسلامية في اوساط عرب ١٩٤٨ تلك الحركة التي أعلن رئيسها عبد الله نمر درويش ان حركته لن تقاطع الإنتخابات وانه إذا تم تشكيل حزب عربي موحد فإنه سيأمر رجاله بالتصويت لهذا الحزب(١٨٣).

ويعود سبب فشل تشكيل قائمة عربية موحدة إلى وجود خلاف أساسي بين الحزب الديمقراطي العربي والحركة التقدمية للسلام وأن اسباب ذلك الخلاف حسب تصريحات ابراهيم نمر حسين رئيس مجالس السلطات المحلية العربية رئيس بلدية شفا عمرو: « لم تكن ايديولوجية ومحورها توزيع المراكز الاولى بينهما وأما

الخلاف فهو على كراسي بدلاً من المصلحة العامة ». اما محمد الميعاري فقال لم يكن هنالك فهم موحد للمنهج ومن أجل ماذا نتوحد وعلى ماذا فالسيد دراوشة يريد الذهاب إلى ائتلاف مع حزب العمل والمطالبة بان يكون وزيراً في الحكومة المقبلة (...) بينما نعمل نحن على الساحة الوطنية من موقع الاحتجاج والمعارضة لابراز القضايا الاساسية للجماهير العربية في اسرائيل أما السبب الثاني لفشل تشكيل قائمة موحدة فيتعلق بتوزيع المقاعد بين الطرفين وبرر ميعاري ذلك بقولة في محاولة تركيب قائمة موحدة يجب أن نضمن موقعنا والا فإن العملية ستكون غير متوازنة .(١٨٤)

معسكر المهاجرين الروس

يمكن إضافة هذا المعسكر إلى باقي المعسكرات الاسرائيلية السياسية على اعتبار أن المهاجرين الروس بادروا إلى تشكيل أحزاب سياسية على قاعدة أوضاعهم الراهنة داخل الكيان الصهيوني وعلى قاعدة تنامي قوتهم العددية، فاليهود الروس يبلغ تعدادهم (١٦٠) الاف نسمة يمثلون الان « الأقلية العرقية » الأكبر في الكيان الصهيوني وذلك لاول مرة منذ الاعلان عن قيامه عام ١٩٤٨ مقابل ٥٠٠ الف يهودي مغربي و(٢٦٠) الف يهودي عراقي. (١٨٥)

والاحزاب التي شكلها المهاجرون الروس هي :

ا- داع : الحركة الوطنية للديمقراطية والهجرة : الذي يراسه يولي كوشا - روفسكي والذي يهتم بشؤون المهاجرين الروس من اسكان وعمل. ولقد عبر رئيس هذا الحزب عن موقفه ازاء الاحزاب الاسرائيلية الاخرى بقوله : ان لديها ميلاً إلى احتضاننا وتقبيلنا، لكنها لا تفعل ما يكفي لتحسين أوضاعنا .(١٨٦)

ب- حركة تجدد اسرائيل - تالي - برئاسة روبرت غولان.

ج- قائمة المتقاعدين والمهاجرين - يد بيد - برئاسة آبا جيفن. ولقد تعرضت داع لعملية انقسام بعد انسحاب مجموعة كبيرة من الشخصيات من مجلسها. وجرت محاولات للدمج ما بين : يد بيد، داع، تالي في تجمع واحد انتخابي الا أن ذلك لم يتم على خلفية الخلاف في حركة داع حول تعيين مرشحين في القائمة المشتركة .(١٨٧)

*** الحملات الانتخابية**

تراوحت جهود الحملات الانتخابية التي قامت بها الاحزاب الاسرائيلية مابين شن هجمات اعلامية ضد شخصيات سياسية محددة مثل اسحق رابين، وبين طرح

برامج وشعارات سياسية انتخابية لجذب أصوات الناخبين الاسرائيليين، وبين التركيز على بعض الاصوات الهامة مثل : الصوت العربي والصوت الروسي.

ومنذ ما قبل بدء حملة الانتخابات بادر كل من الليكود والعمل إلى تشكيل اللجان القيادية المكلفة بادارة حملتها الانتخابية، فالليكود شكل لجنة مكونة من روني ميلو وموشي كتساف ودافيد ماغن وجدعون بات وتم اضافة موشي نسيم إليها فيما بعد. أما حزب العمل فعهد إلى كل من ميخا حريش سكرتير الحزب وموشي شاحل وبنيامين بن اليعزر بادارة حملته الانتخابية.

وعمد الليكود إلى تنظيم رحلات لـ(١٠٠) الف مهاجر جديد في الضفة الغربية وقطاع غزة لتشجيع هؤلاء المهاجرين على الاستيطان في تلك المناطق ودفعهم للتصويت لصالح الليكود، وقد قاد تلك الرحلات « يسرائيل كاتز » المستشار السابق لوزير الاسكان اريئيل شارون. وقد أطلق على تلك الرحلات اسم « عملية الحياة ».(١٨٩)

وعند بدء العملية الانتخابية بادر اسحق شامير إلى توجيه نقد حاد إلى قادة حزب العمل واعتبرهم يشوهون الحقيقة على الصعيدين السياسي والاجتماعي وقال : « علينا أن نعبىء الطاقات والا نقدم على أي تنازل فيما يتعلق بحدود أرض اسرائيل مع الحرص على علاقة الصداقة مع الولايات المتحدة.(١٩٠)

أما بنيامين بيغن فوجه نقداً إلى رئيس حزب العمل اسحق رابين على اعتباره أنه يمثل « خطراً داهماً على أمن اسرائيل » لان برنامج رابين الانتخابي يفيد بأن « اسرائيل ستنسحب من معظم مناطق يهودا والسامرة وغزة بموجب تسوية اقليمية ومتى تم تنفيذ ذلك فإن النتيجة الوحيدة ستكون واضحة كل الوضوح، سنواجه دولة (ارهابية) مستقلة تبعد ٢٠ ميلاً عن تل أبيب وخمسة اميال عن الكنيست في القدس.(١٩١)

وصرح الناطق باسم قيادة الحملة الانتخابية لليكود « يوسي احيميئر » بأن الليكود لن يسمح للعمل بأن يترك المنطقة لسيطرة المنظمات الفلسطينية حسب خطة الانسحاب التي يطرحها رابين واليسار(١٩٢) .ولقد كان شعار الليكود الانتخابي هو : « الليكود هو الصحيح » وهو عنوان نشيد انتخابي لصالح الليكود أعلف كلماته اليعزر جوربين وابنه اورن جوربين ولجنة أتري برتر. ومن كلمات ذلك النشيد ما يلي :

البيت لي والطريق لي .....والليكود هو الصحيح

المستقبل لي والامن لي .....والليكود هو الصحيح

الليكود في القلب والعقل ...واليكود هو الصحيح.(١٩٣)

حزب العمل من جهته بادر بافتتاح حملته الانتخابية بانتقاد سياسة الليكود التي تهدر الاموال الحكومية وذلك بقول رابين ان الانفاق الحكومي على المستوطنات السياسية هو هدر مالي ومع ذلك أيد رابين بناء مستوطنات ضرورية لصالح أمن اسرائيل.(١٩٤)

كما نشر حزب العمل اعلاناً في الصحف تحت عنوان «اسرائيل تريد السلام» اضافة إلى تصريحات أدلى بها حاييم رامون قال فيها: ان الليكود لن ينجح في اخفاء فشله الكبير في معالجة الانتفاضة وذلك رغم تعهداته بالقضاء على الانتفاضة خلال اسبوعين. ان الوضع الامني الفردي قد ازداد تدهوراً في عهد شامير-ارنس وميلاً إلى درجة خطيرة لم يسبق لها مثيل منذ قيام اسرائيل حيث أصبحت الانتفاضة تشكل تهديداً لحياة كل اسرائيلي في الدولة.(١٩٥)

وجوهر الحملة الانتخابية التي قام بها حزب العمل تركزت حول قول رابين: «لنا مقدرة في حزب العمل على دفع المسيرة السلمية إلى الامام. وذلك من خلال تغيير سلم الأفضليات القومي ونقل مركز الثقل من الاستيطان السياسي إلى بناء مجتمع اقتصادي سليم وجيد جداً يخدم الشعب الاسرائيلي.(١٩٦)

وأعرب حزب العمل في حملته الانتخابية من انه: «إذا القيت على رابين مهمة تشكيل الحكومة القادمة فانه سيدعو كل حزب صهيوني للمشاركة فيها بما في ذلك الليكود. ولكن سوف لا يدعوه للمشاركة في حكومة واحدة.(١٩٧)

وشكلت المناظرة التلفزيونية التي عقدت ما بين اسحق شامير واسحق رابين ذروة الحملة الانتخابية للحزبين الكبيرين، تم فيها عرض للافكار الاساسية لهما، فاسحق شامير أكد بانه لن نسمح لاعدائنا ان يفرضوا علينا وضعاً لا نستطيع أن نتحمله .... وسنبقى نعمل على احباط عمليات الارهاب» وأكد على انه لا وجود لأزمة مع الولايات المتحدة. وقال شامير بان حكومته الليكودية حققت «انجازات بارزة في المجال الاقتصادي وأصبح هناك نمو اقتصادي بنسبة ٧٪ أما البطالة الحالية فهي نتاج لتدفق أعداد كبيرة من المهاجرين. أما اسحاق رابين فقال في تلك المناظرة «ان الخطوة الاولى بناء على التزامنا الدولي تقضي بمنح الحكم الذاتي، وأنا اريد أن أرى أهالي غزة يعيشون فيها». واشار رابين إلى وجود .... توتر في العلاقات مع الولايات المتحدة والمشكلة هي اعادة بناء الثقة بيننا وبينهم وبشأن

التسوية قال : « كان السوريون وما زالوا متصلبين جداً ومن الافضل أن نبقيهم للنهاية » . وفي المجال الاقتصادي قال رابين :« كانت حكومة اليكود قبل ثماني سنوات قد تسببت في قيام تضخم بنسبة ٤٠٠٪ وفي عجز الموازنة وعندما تشكلت حكومة الوحدة برئاسة شمعون بيرس استطعنا أن ننهي التضخم » . وقد علق على تلك المناظرة البروفسور يشعياهو ليبيوتس بقوله : « ان هناك شيئاً واضحاً وهو أن كلاً من رابين وشامير لا يريدان السلام والسلام يعني اجراء المحادثات مع الفلسطينيين وان كل واحد من هذين الزعيمين من شأنه أن يتسبب في تدمير اسرائيل وان هذا الرفض سيؤدي إلى هذا التدمير» .(١٩٨)

أما كتلة ميرتس فتميزت حملتها الانتخابية بالتقليل من حدة الهجمات ضد حزب العمل وشذت عن عادتها وأعربت عن تأييدها لاسحق رابين وأشارت إلى أنها تؤيد موقف رابين لتحقيق نسبة حسم في الانتخابات حيث مع تحقيق هذه النسبة فقط ستجري مفاوضات ائتلاف مع الاحزاب الدينية . واعلنت ميرتس انه « سننفذ سوياً حسماً لليكود وسنقيم معاً حكومة واحدة تنفذ سياسة مختلفة تماماً في كل المجالات(١٩٩).

يوسي سريد من جهته اعلن في مؤتمر انتخابي عقدته ميرتس مطالبته اسحق شامير بالتنحي وقال مرة موجهاً كلامه إلى اسحق رابين : « سنسير معك بشرط أن تسير معنا القيادة لك والطريق لنا » .(٢٠٠) وفي ذات المؤتمر قالت شولاميت الوني :« في نهاية القرن العشرين لن نبقى نسيطر على شعب آخر بالقوة العسكرية » .(٢٠١)

وحول أهمية تشكيل ميرتس كقوة يسارية قال امنون روبنشتاين :« ان ميرتس هي عكس « داش »لعدة أسباب . فقد ترأس داش شخص يفتقر إلى الخبرة السياسية وكانت النتيجة تراجيدية جداً له وللتاريخ السياسي الاسرائيلي . ويترأس ميرتس أصحاب خبرة سياسية كبيرة . ثانياً في داش كانت هناك جماعة تجمعت في اللحظة الاخيرة للانتخابات ولم تمر في مسيرة التعاون الشخصي وبلورة موقف ايديولوجي . ونأتي إلى هنا بعد ما يقرب ثلاثة سنوات من العمل المشترك في الكنيست والذي أثبت نفسه في مجال العلاقات الشخصية .(٢٠٢)

تقرير مراقبة الدولة : بعد أن صادقت الكنيست بالاجماع على قانون بحل الكنيست الثانية عشرة وتقديم موعد انتخابات الكنيست إلى ١٩٩٢/٦/٢٣ . اقترح عضو الكنيست حاييم كورفو- الليكود منع مراقبة الدولة من نشر تقريرها خلال الاشهر الستة القادمة حتى لا تستغل أحزاب المعارضة محتوياته .(٢٠٣) إلا ان

مراقبة الدولة مريام بن بورات قامت بنشر تقريرها عن سير اعمال حكومة شامير وتضمن التقرير في احدى بنوده انتقاداً شديد اللهجة إلى وزارة الاسكان التي يرأسها اريئيل شارون وقالت: « ان الغاية لا تبرر الوسيلة ويجب الا نبرر عمليات التجاوز وخرق القانون من قبل بعض العناصر الحكومية وبخاصة عمليات الاعتداء على أموال الدولة، ان نصف الكرفانات كان باهظ الثمن ويستغرق وقتاً طويلاً. وكان بالامكان شراء حوالي ٤ الاف مسكن مسبق الصنع بالمبلغ الذي خصص لشراء ٥ آلاف كرفانه »

وهكذا شكل تقرير مراقبة الدولة مادة انتخابية سهلت على الاحزاب الاسرائيلية المنافسة لتكتل الليكود عملية تجبير ذلك التقرير لصالحها خلال حملاتها الانتخابية. وهذا ما اعلنه ارئيل شارون عندما اتهم مراقبة الدولة بان توقيتها نشرها للتقرير وارسلها. المادة المتعلقة بوزارة الاسكان إلى المستشار القانوني للحكومة من اجل فنح تحقيق جزائي هو أمر له صلة وثيقة بالانتخابات.(٢٠٥)

*** البرامج الانتخابية**

ترافقت الحملات الانتخابية التي قامت بها الاحزاب الاسرائيلية بنشر الخطوط البرنامجية السياسية لتلك الاحزاب في صيغة برامج انتخابية تعالج كافة القضايا الداخلية والخارجية المتعلقة بالكيان الصهيوني، أي القضايا الاقتصادية والاجتماعية والامنية والسياسية، وكل ما سبق على ضوء ما يجري من متغيرات تجري على الصعيد العالمي وكذلك معالجة الازمات التي يعاني منها الكيان الصهيوني الذي ما زال وبالرعم من مضي اربعة عقود ونيف عن الاعلان عن قيامه لا يزال مشروعاً قيد الانجاز، فهو لم يحقق مرتكزات التحول إلى دولة عادية بعد كونه من ناحية المنشا يعتبر جسماً غريباً متنافراً ومعادياً لمحيطه الاقليمي.

ورغم التباين في البرامج الانتخابية للاحزاب الاسرائيلية الا انه يلاحظ اجماع لدى تلك الاحزاب حول تحقيق هدف صهيوني محدد يتمثل في تهويد فلسطين ارضاً وشعباً وسوقاً. وهذا ما يؤكده استعراض لتلك البرامج الانتخابية.

*** برنامج «الليكود» الانتخابي**

لقد عبر اسحق شامير في تصريحاته أثناء الحملة الانتخابية عن الخطوط السياسية الاساسية لـ الليكود، ففي المسالة الاقليمية تؤكد الوثائق الليكودية أن الضفة الغربية وقطاع غزة جزء لا يتجزء من أرض اسرائيل الكبرى وهذا ما أكده

اسحق شامير حين أعلن يوم ١-٤-١٩٩٢ : «يهودا والسامرة لنا إلى أبد الآبدين».

وعن الاستيطان اليهودي أكد اسحاق شامير ان « الاستيطان اليهودي في كل اجـزاء ارض اسـرائيل لن يتـوقف طالما هناك يهـود، وهناك أرض فـارغــة من الانسان» .(٢٠٦) وفي قول شامير هذا تأكيداً على مقولة صهيونية أساسية تدعي ان « فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » !!

ان برنامج حكومة شامير الائتلافية التي شكلها في نيسان ١٩٩٠ هو المعبر عن الخطوط السياسية للبرنامج الانتخابي ل «الليكود » فالاهداف المركزية لتلك الحكومة هي : الارض والسلام ومنع الحرب واستيعاب المهاجرين وتقريب وجهات النظر السياسية بين أبناء الشعب. أما بصدد الخارجية والأمن فان سياسة حكومة الليكود المتبعة لدفع عملية السلام فتستهدف ضمان الاستقلال وزيادة القوة الامنية وتحقيق السلام مع الجيران والعمل على تطوير العلاقات الودية بين اسرائيل والدول التي تسعى لتحقيق السلام، أما القدس الكاملة فهي عاصمة اسرائيل إلى الأبد وستبقى مدينة موحدة تحت السيادة الاسرائيلية، وليست قابلة للتجزئة، وإن أي خطة للحكم الذاتي لن تطبق عليها . (٢٠٧)

* **برنامج حزب «العمل »الانتخابي**

في أعقاب انعقاد المؤتمر الخامس لحزب «العمل » تبلور بعد نقاشات طويلة بين أجنحة الحزب البرنامج السياسي لحزب العمل على الشكل التالي :

١- العمل من أجل تسوية مع الاردن والفلسطينيين. ٢- لا يوجد حق تقرير المصير للفلسطينيين. ٣- لا لاقامة دولة فلسطينية. ٤- نعم للاعتراف بحقوق الفلسطينيين بما فيها حقوقهم الوطنية ومشاركتهم في تحديد مستقبلهم. ٥- خلال المفاوضات ستصر اسرائيل على أن تكون مناطق غور الاردن وشمال غرب البحر الميت تحت السيادة الاسرائيلية والخط الأمني للدولة. ٦- المناطق التي تخليها اسرائيل يجب أن تكون منزوعة السلاح. وأن لا يدخلها أي جيش أجنبي. ٧- ستحافظ اسرائيل على مناطق حيوية ليست مأهولة بالسكان العرب تحت سيطرتها مثل محيط القدس وغوش عصيون. ٨- استمرار عملية الاستيطان في مناطق القدس وغور الاردن. ٩- حزب العمل سيعمل لمنح الحكم الذاتي من جانب واحد وجاء في النص : «ان اسرائيل ستنقل معظم الصلاحيات المدنية والبلدية للبلديات والمؤسسات في المناطق ».(٢٠٨)

أما في المجال الاقتصادي فان الملامح العامة لبرنامج حزب العمل الاقتصادي فهي

التالية : ١- عندما تكون هناك حكومة برئاسة حزب العمل فانها ستعمل على ربط الشعب اليهودي برؤوس الاموال وتطوير الاقتصاد والمجتمع. ٢- حزب العمل يؤيد الحوار بين الحكومة والهستدروت وأرباب العمل. ٣- تعهد الحزب بسن قانون لتحديد «سلة الخدمات الاجتماعية». ٤- حزب العمل يؤيد إجراء تعديل في سوق رأس المال. ٥- حزب العمل يؤيد تقليص الضرائب وتوسيع القاعدة الضريبية.

٦- يجب زيادة الرقابة على رؤوس الاموال واتحادات المنتجين والاسعار المتعلقة بمواضيع الاسكان ويجب حماية المستهلك وحماية المستأجر. ٧- يؤيد العمل المحافظة على الاجور الحقيقية. ٨- حزب العمل يتعهد بتوسيع قاعدة التقاعد.(٢٠٩)

*** برنامج ميرتس الانتخابي :**

ان أهم بنود البرنامج السياسي لـ ميرتس هي :

١- الصراع والنزاع بين اسرائيل والشعب العربي الفلسطيني هو على رأس القضايا الهامة للصراع في الشرق الأوسط، وان الخيار واحد وهو حل وسط وتقسيم بين الشعبين، واذا لم يحدث ذلك فان حرباً دائمة ستكون بيننا.

٢- دولة اسرائيل تعترف بحق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني في الضفة وقطاع غزة، وتطالب هذا الشعب بالاعتراف بوجود اسرائيل وسيادتها وأمنها، واعتراف متبادل في حق تقرير المصير للشعبين هو الأساس للسلام الاسرائيلي - الفلسطيني. ٣- الشعب العربي الفلسطيني هو الذي سيحسم أي شكل سيكون في حقه لتقرير المصير، سواء في اطار فيدرالي، أو كونفدرالي مع الاردن،أو سواء في اطار الحق في اقامة دولة مستقلة، فان اسرائيل ستحترم قراره.

٤- اسرائيل لا ترفض قطعياً مشاركة (م. ت. ف) في المراحل المتقدمة من المفاوضات. بعد تثبت المنظمة في اعلاناتها وتصريحاتها وبالاساس عملياً اعترافها باسرائيل ووقف الاعمال المسلحة. ٥- ان تقدم المسيرة السلمية سيجبر الفلسطينيين على التخلي علناً عن حق العودة والتمسك بحل قضية اللاجئين، والتخلي نهائياً ورسمياً عن موضوع المراحل والكف عن الاعمال المسلحة.

٦- الحكم الذاتي في المناطق المحتلة هو الهدف القريب والفوري بشرط أن يكون عاملاً ومرحلياً على طريقة الحل الدائم. ٧- كي يكون تطبيق الحكم الذاتي ممكناً على اسرائيل أن تتبنى عملياً قرار مجلس الامن ٢٤٢ وهو الارض مقابل السلام، وان توقف الاستيطان فوراً. ٨- انسحاب اسرائيل من الضفة والقطاع والجولان يجب ان يرتبط بترتيبات أمنية مشددة تمكن اسرائيل من احباط الخطر

بفائدة وبسرعة قصوى والمساحات التي ستخلى ستكون منزوعة السلاح وأي خرق سيجعل اسرائيل تتصرف بناء على الحق الاساسي للدفاع عن النفس.

٩- القدس عاصمة اسرائيل ولن تتجزأ والمكانة الدائمة للقدس كما ستحدد في اتفاقية السلام، وسوف يؤخذ بعين الاعتبار كل ما يتعلق بالمدينة من أديان وقوميات وغير ذلك .(٢١٠)

أما في المجال الاقتصادي وبعد أن تمكنت الاحزاب المؤتلفة داخل ميرتس من التوصل إلى الميثاق الاقتصادي المشترك وتم الاتفاق بشكل شبه كامل حول بعض الامور مثل قانون الضمان الصحي الحكومي وقانون التقاعد كما تم الاتفاق بصورة تامة حول الحاجة لضمان مستوى الرفاه للطبقات الفقيرة بزيادة مخصصات الشيخوخة والمعوقين.(٢١١) وبشكل عام فان الهدف الاقتصادي لـ ميرتس هو خلق مرافق اقتصادية متطورة ومزدهرة في اسرائيل ذات مستوى تكنولوجي وصناعي كبير يسمح بقيام دولة متقدمة وذات رخاء اقتصادي. وذلك عبر تأييد زيادة الانتاج، والتصدير وتقليص البطالة وزيادة موازنات البحث والتطوير وزيادة المنافسة. وتعارض ميرتس تبذير النقود قيام زراعة كمصدر رزق محترم ، وتؤيد ميرتس الغاء موازنات الاستيطان والموازنات الخاصة وتؤيد اعادة مخصصات الاولاد من أجل الولد الاول والثاني كما أنها تؤيد الغاء التمييز ضد العرب بالنسبة للحصول على مخصصات الاولاد والرهون العقارية. (٢١٢)

* **برنامج المفدال الانتخابي :**

بعد نقاش طويل بين زعماء المفدال تبلور البرنامج السياسي للمفدال في أيار ١٩٩٢ومن نقاطه الهامة : ١- توسيع حدود القدس باتجاه الشرق. ٢- الدعوة لاقامة أحياء أخرى في شرقي (القدس) على أرض املاك الدولة. ويساعد الحزب لتحقيق ذلك جمعيات الاستيطان في شرقي المدينة مثل «عطيرت كوهانيم» و«العاد» . ٣-يؤيد المفدال استمرار المفاوضات السلمية غير أنه يعارض الحكم الذاتي على طريقة كامب ديفيد .٤- سوف يعمل المفدال لتطبيق السيادة الاسرائيلية في المناطق ولكن في اطار تسوية نهائية فقط.(٢١٣)

* **برنامج «تسومت الانتخابي»:**

ان اهم بنود برنامج تسومت الانتخابي هي التالية :- في المفاوضات السلمية مع الدول العربية لن تطرح للنقاش أي منطقة موجودة حالياً تحت سيطرة دولة اسرائيل.-دولة اسرائيل ستطبق القانون الاسرائيلي على يهودا والسامرة وقطاع غزة التي هي سوية مع هضبة الجولان مناطق حيوية لامن الدولة.- ان المشكلة الوطنية

الفلسطينية يجب أن تحل في شرقي الاردن حيث يشكل الفلسطينيون هناك أغلبية مطلقة، في حين أن سكان مخيمات اللاجئين في البلاد يجب أن ينقلوا الى البلاد العربية كجزء من اتفاق سلام وبالتالي يهاجر اليهود الباقين في الدول العربية إلى اسرائيل في اطار تبادل السكان .- ستعطى للعرب الذين لا يحملون الجنسية الاسرائيلية ويختارون البقاء تحت السلطة الاسرائيلية مكانة مواطن أجنبي مع حقوق اقتصادية وثقافية ودينية ولكن تجسيد حقوقهم السياسية يتم خارج حدود دولة اسرائيل .(٢١٤) ورفائيل ايتان زعيم تسومت يعلن صراحة عن موقف تسومت من فلسطيني الـ١٩٤٨ بقوله : «ان العرب في اسرائيل اعداء وهم يتمنون أن تزول اسرائيل فوراً ... ان الذي لا يخدم في الجيش الاسرائيلي . يجب الا يصوت في الانتخابات للكنيست وهذا ينطبق على العرب في اسرائيل .(٢١٥)

*** برنامج «موليدت» الانتخابي :**

يتألف هذا البرنامج من (٣٨)فصلاً أهمها :

١- ستؤيد موليدت مصادرة سيطرة الاوقاف الاسلامية على (جبل البيت) والعمل على تسليمها إلى سلطة رسمية تقوم وفق القانون. ٢- تطوير- تهويد - النقب والجليل سيحظى بأفضلية مماثلة لتطوير وتعزيز مناطق يهودا والسامرة وغزة. ٣- سيتم القيام بنشاطات خاصة لاجتثاث الجهات المعادية الموالية لسورية في هضبة الجولان. ٤- ستعمل موليدت على مضاعفة عدد السكان اليهود في يهودا والسامرة وغزة في غضون أربع سنوات وسيتم توجيه المستوطنين إلى هناك. ٥- ستتخذ اجراءات عقابية ضد العرب الاسرائيليين الذين يخفون لديهم عرباً من يهودا والسامرة وغزة. ٦- العمل على ايقاف النشاطات الحرة لقيادات الارهاب والانتفاضة في شرقي القدس. ٧- ستمارس ضغوطاً على التجمعات السكانية واحياء مثيري الشغب «اغلاق خط المياه ليوم أو يومين». ٨- سيتم تغيير اوامر فتح النار. ٩- سيسمح للمواطنين اليهود في يهودا والسامرة وغزة بالعمل للدفاع عن أنفسهم وعن أسرهم. ١٠- ستتم معاقبة أهالي راشقي الحجارة .(٢١٦)

*** حزب هتحيا :**

لم يطرح برنامجاً انتخابياً محدداً انما سلوكه السياسي خلال الحملة الانتخابية لم يشذ عن مبادئه ومنطلقاته الاساسية التالية :

١- الايمان المطلق بفكرة وطرح «ارض اسرائيل الكبرى».

٢- الرفض المطلق لاية تسوية سياسية مع العرب والرفض المطلق لاي مباحثات

قد تؤدي الى تنازل عن شبر من ارض اسرائيل الكبرى.

٣- رفض اتفاقات كامب ديفيد بشقيها المصري والفلسطيني ومعارضة تطبيق البند المتعلق بالحكم الذاتي في الضفة والقطاع معارضة تامة.

٤- الدعوة إلى ارض اسرائيل الكاملة التي تشمل بمفهوم الحزب ايضاً شرقي النهر وجنوب لبنان.

٥- الدعوة إلى طرد المواطنين العرب من الاراضي المحتلة واخلاء المخيمات الفلسطينية وحل مشكلة سكانها في الدول العربية.(٢١٧)

*** حركة أمناء جبل البيت :**

برئاسة غرشون سلومون، هي حركة يمينية أعلنت انها قررت ان تغير هدفها من حركة احتجاج ايديولوجية إلى حركة سياسية وذلك لخوض انتخابات الكنيست ولتشكل الرد الحقيقي لليمين في أرض اسرائيل، وتضمن برنامجها السياسي الجديد خطة واضحة من أجل مقاومة الانتفاضة والتي تشمل طرد تجمع سكاني كامل إلى ماوراء الحدود فيما لو تورط شخص ما بعملية قتل أو القاء زجاجة وفرض عقوبة الموت بحق الفدائيين وتسريح وزير الدفاع ورئيس الاركان بسبب ادائهما السيء لعملهما في الجيش الاسرائيلي وجهاز الامن.(٢١٨)الا ان الحركة تراجعت عن قرارها بخوض انتخابات الكنيست فيما بعد.

*** القائمة الموحدة للمتدينين :**

يهوديت هتوارة - المكونة من :

١- اغودات يسرائيل وبوعالي اغودات يسرائيل. ٢- ديغل هتوارة٣- وحركة موريا لم تنشر أيضاً برنامجاً سياسياً لخوض الانتخابات الا هذه القائمة ترى التوراة الحارس الامين للكيان واستمرارية شعب اسرائيل ويستند برنامخها الائتلافي إلى نصوص توراتية واضحة، إذ ترى ان أرض اسرائيل قد أعطاها الله ملكاً لشعب اسرائيل. وشعب اسرائيل الذي لا ولن يتنازل عن حقه أبداً، قد منحته العناية الالهية ان يوحد القدس ويحرر ملك وارث الاباء والاجداد في حرب حزيران ١٩٦٧.(٢١٩)

*** حزب « شاس » :**

برئاسة الحاخام اسحق بيرتس، لم يطرح بشكل رسمي برنامجاً انتخابياً واضح المعالم انما سلوكه يستند إلى مبادئه الاساسية التالية :

١- القدس، عاصمة دولة الشعب اليهودي الابدية. ٢- يعتبر شاس تقوية

الشعب اليهودي هدفاً مركزياً روحياً أدبياً ومبدئياً يجب خوض نضال بالتالي لمنع كل أشكال الزواج المختلط مع الاغيار. ٣- الدين والدولة سيعمل شاس على تحقيق الطابع اليهودي للدولة.

السياسة الخارجية والامن: التوراة المقدسة هي التي حددت حدود البلاد ولم تتوقف الرغبة في اسرائيل بعودة صهيون إلى ارض اسرائيل الكاملة لكن اضافة إلى ذلك يجب على قادة الامة ان يعملوا على وقف دائرة الحرب في المنطقة من خلال المفاوضات السلمية.(٢٢٠)

أما باقي القوائم الحزبية التي تنافست في انتخابات الكنيست فلم تطرح برنامج سياسية متكاملة بل كان تشكيلها قائماً على اساس خوض الانتخابات لتحقيق مكاسب انية فقط سواء اكانت تلك المكاسب اقتصادية أو غير ذلك من مكاسب.

*** القوائم الانتخابية**

عند الاعلان عن اجراء انتخابات للكنيست الاسرائيلية يتم تشكيل لجنة مركزية للانتخابات من ممثلي الاحزاب الاسرائيلية برئاسة قاضي. ويحق الاقتراع لكل اسرائيلي بلغ الثامنة عشرة من العمر. كما يحق الترشيح لعضوية الكنيست لكل اسرائيلي بلغ الحادية والعشرين من العمر. ويفقد هذا الحق كل من يحمل جنسية مزدوجة أو كل من سحبت منه المحكمة هذا الحق لسبب ما. ويشترط على كل قائمة تريد خوض الانتخابات ما يلي:

ا- ان تتقدم إلى اللجنة المركزية للانتخابات بتواقيع (١٥٠٠) ناخب على الاقل على ان لا يزكوا قوائم أخرى.

ب- ان تودع كل قائمة لدى اللجنة المركزية للانتخابات شيكاً بمبلغ (٢٣) ألف شيكل ويعاد هذا المبلغ إلى القائمة إذا فازت بممثلين لها في الكنيست. أما إذا لم تتجاوز نسبة الحسم فانها تخسر هذا المبلغ الذي يحول إلى خزينة الدولة.

على اساس ما سبق حضر إلى مكاتب اللجنة المركزية للانتخابات الثالثة عشرة ممثلو (٢٨) قائمة جديدة، وثماني قوائم قديمة كان لها تمثيل في الكنيست المستقيلة - موليدت، مفدال، الحزب الليبرالي الجديد، جيئوليت يسرائيل، هتكفا، تسومت وحداش وديغل هتوارة، وذلك في الاول من نيسان المنصرم وذلك للحصول علي استمارات التسجيل ومن المعلوم ان ليس كل من يطلب الحصول على استمارات تسجيل يقدم أيضاً قائمة المرشحين للكنيست، ففي الانتخابات الثانية عشرة حصلت حوالي (٥٠) قائمة على استمارات تسجيل ولكن (١٥) قائمة جديدة فقط تنافست في الانتخابات.(٢٢١)

و بعد ذلك ارتفع عددالقوائم التي حصلت على بطاقات تسجيل تخوض بموجبها الانتخابات الى (٥٠) قائمة. عشر قوائم منها قديمة. وأربعون قائمة جديدة. ومن بين القوائم، تبرز قائمة شموئيل بلاتوشارون التي تدعى « دوح » والتي تضم نشطاء اسكان ومهاجرين جدداً وجنوداً مسرحين، الذي يدعو برنامجها الى طرد كل من لم يعترف بإسرائيل وانه يكفي الخجل من العرب في إسرائيل وان الوقت قد حان للبدء بالعمل « ويطالب شموئيل بلاتوشارون بفرض عقوبة الاعدام على كل الفدائيين ويدعو إلى ذلك اعتبار كل الاحزاب العربية خارجة عن القانون، ومنع اشتراك اعضاء كنيست عرب في قوائم إسرائيلية حتى مجيء السلام(٢٢٢)- كماوسجلت قوائم حزب الخضر الاسرائيلي لحركة حماية البيئة والطبيعة وقائمتين مسيحيتين وقائمة(التوارة) التي تدعو الى نظام طوارىء من اجل الانقاذ القومي وقائمة الزرق (حركة الديمقراطية المباشرة) وحركة باسم « شبان من اجل الشعب ». (٢٢٣)

وفي بداية شهر أيار ١٩٩٢ طالبت ٦٤ قائمة نماذج تسجيل من لجنة الانتخابات المركزية ومن بين القوائم الجديدة تلك، حركة غمي بوفر، احدوت يسرائيل، هتنوعا لاحدوت ماوما-حركة وحدة الامة-، حزب قانون الطبيعة، نور العام ، حزب النساء(شيني) قائمة الزرق، حركة التحرير، اضافة إلى حركتين جديدتين هما: تسبور-العصفور أو الاصلاح الانتخابي -وحركة شباب في مصلحةالتوحيد،اللتين قررتا الاندماج في قائمة واحدة. (٢٢٤)

واضافة إلى القوائم السابقة كان هناك (٨) قوائم تتنافس من أجل كسب أصوات اليمينين وهي : هتحيا، تسومت، موليدت، قائمة موشي ليفنغر، والموالين لامناء جبل البيت، وقائمة كاخ برئاسة باروخ مرزيل وقائمة كاهنا حي برئاسة بنيامين كهانا (الابن) الذي يدعي كهناحي، اضافة إلى قائمة « عوتسما » وهي تنظيم جديد يشارك فيه نحمان كهانا شقيق مؤسس حركة كاخ الذي مات .(٢٢٥)

كما وبرزت قائمة انتخابية تدعى حركة « وقف الهجرة » برئاسة كوخني شيمش الذي قال أنه اذا تواصلت الهجرة، فمن المحتمل ان تنشب حركة اهلية بين القدماء والجدد من المهاجرين، ولذلك يتعين وقف الهجرة. (٢٢٦) وتجدر الاشارة إلى ان هذه القائمة لم تدخل الانتخابات بسبب تاخر حدث في تحويل الشيك المتوجب دفعة لصالح لجنة الانتخابات المركزية عن موعد اغلاق قبول طلبات دخول الانتخابات المقرر في ١٩-٥-١٩٩٢.

أما القوائم الانتخابية التي قدمت مرشحيها للكنيست الثالثة عشرة إلى اللجنة

المركزية للانتخابات يوم ١٨-٥-١٩٩٢ فكانت هي التالية :« هتكفا » التابعة لعضو الكنيست تشارلي بيتون وليئا تكديئيل، يد بيد - المتقاعدين والمهاجرين، ويرأسها ابا جيفن وهي قائمة جديدة على جلجاليم تابعة لسائقي السيارات ويرأسها هرتسل حخام وهي قائمة جديدة، وحركة كاخ ويترأسها مرزيك، وكاهنا حي برئاسة كهانا وهي قائمة جديدة، الحزب الليبرالي الجديدة برئاسة اسحق موداعي، قائمة« داع » - الحركة الوطنية للديمقراطية والهجرة - برئاسة يورى كوشروفسكي وهي قائمة جديدة. وحزب النساء - شيني - برئاسة رزنيك واستر هيرتسوغ وهذه القائمة جديدة وحزب قانون الطبيعة برئاسة عاميحي روكيح وهي قائمة جديدة. وحركة تجديد اسرائيل - تالي - برئاسة روبرت غولان وهي قائمة جديدة. وحزب المفدال برئاسة زفولون هامر. ونفجاعي مشكنتاؤوت برئاسة روني ارنون وهي قائمة جديدة. وقائمة حداش برئاسة توفيق زياد. (٢٢٧)

وبعد انتهاء مدة تقديم الطلبات إلى لجنة الانتخابات المركزية، اتضح العدد النهائي للقوائم الانتخابية التي ستتنافس في الانتخابات الكنيست الثالثة عشرة.

ولقد استبعدت لجنة الانتخابات المركزية كل من :

١- قائمة كاخ برئاسة باروخ مرزل، بسبب كونها حركة عنصرية. .وقائمة كهانا حي بسبب التحريض العنصري ورفض الشكل الديمقراطي للدولة! (٢٢٨).

وهكذا فالقوائم الجديدة المشاركة في انتخابات الكنيست الثالثة عشرة هي(٢٢٩)

- الحركة الوطنية للديمقراطيةوالهجرة - بكناتي - تسبور - حزب قانون - الطبيعة - التوراة والبلاد - حركة تجديد اسرائيل « تالي » - عل جلجاليم - على العربات - حركة المتضررين من السكن ومن يفتقدون للسكن والجنود المسرحين حزب النساء - شيني -(٢٢٩)

* التحالفات والاتفاقات الانتخابية

أثناء سير الحملات الانتخابية للاحزاب الاسرائيلية وعرض البرامج الانتخابية نشأت جملة من التحالفات والاصطفافات الحزبية الاسرائيلية بعضها تمحور حول قضايا السياسة الخارجية والامن، وبعضها الاخر تمحور حول قضايا داخلية مثل :

البطالة التي ارتفعت نسبتها إلى (١١,٦٪) .(٢٣١) فهنالك وحسب معطيات المكتب المركزي للاحصاء حوالي (٤٨الف مهاجر) كانوا عاطلين عن العمل في شهور تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٩١ وأن ٨٥ الف من المهاجرين هم من أبناء ١٥ سنة فما فوق .(٢٣٢)

كما ان بعض التحالفات الحزبية لخوض الانتخابات فشلت مثل فشل اتفاق لايجاد قائمة مشتركة بين موليدت وهتحيا والعائق الرئيسي للوحدة هو عائق ايدلوجي قوامه فكرة الترانسفير التي رفض رحبعام زئيفي التنازل عنها في حين ترفضها حركة هتحيا.(٢٣٣)

كما جرت محاولات لتشكيل قائمة انتخابية مشتركة تضم جميع الاحزاب المعبرة عن مصالح المهاجرين الروس إلا ان تلك المحاولات فشلت. وكذلك جرت محاولة ضم حزب « داع » إلى الحزب الليبرالي الجديد الا ان تلك المحاولة باءت بالفشل.

اما الاتفاقات التي تم التوصل إليها فهي التالية :

ا- وقعت تسومت والليكود اتفاقاً يتناول فائض الاصوات. ويقول الاتفاق :

انه لا يفضل احد الحزبين على الاخر ويتجاهل الاتفاق المفاوضات الجارية في واشنطن، ويتبنى مواقف صقرية تقول بتطبيق القانون الاسرائيلي على الضفة الغربية وقطاع غزة. (٢٣٤) ب- وقع رؤساء حركتي هتحيا وموليدت على اتفاقية لاقتسام فائض الاصوات بينهما في انتخابات الكنيست. مع العلم ان هتحيا كانت مرشحة لتوقيع اتفاق مع المفدال.(٢٣٥) ج- وقع حزب العمل وميرتس على اتفاق فائض الاصوات. د- وقعت حداش اتفاقاً حول اقتسام فائض الاصوات مع الحركة الديمقراطية للسلام برئاسة محمد ميعاري وهذا الاتفاق اغلق الطريق امام امكانية التوقيع على اتفاق مع الحزب العربي الديمقراطي برئاسة عبد الوهاب الدراوشة.(٢٣٦)

* **الانتخابات : نتائج**

لقد جاءت نتائج انتخابات العينة التلفزيونية قريبة من النتائج النهائية للانتخابات فقد كانت نتائج تلك العينة على الشكل التالي.(٢٣٧)

١- العمل(٤٧) مقعداً.
٢- الليكود (٣٣) مقعداً.
٣-ميرتس (١٣) مقعداً.
٤- تسومت (٦)مقاعد .
٥- شاس (٥) مقاعد .
٦- المفدال(٥)مقاعد
٧- يهوديت هتوارة (٤) مقاعد .
٨-موليدت (٣) مقاعد .
٩- حداش (٢) مقعدين.
١٠- العربي الديمقراطي (٢) مقعدين.

أما النتائج النهائية لانتخابات الكنيست الثالثة عشرة التي نشرتها اللجنة المركزية للانتخابات برئاسة ابرهام حليمة فكانت حسبما هو وارد في الجدول التالي. (٢٣٨)

الحزب	عدد الأصوات	عدد المقاعد
١- العمل	٩٠٦٨١٠	٤٤
٢- الليكود	٦٥١٢٢٩	٣٢
٣- ميرتس	٢٥٠٦٦٧	١٢
٤- تسومت	١٦٦٣٦٦	٨
٥- المفدال	١٢٩٦٩٣	٦
٦- شاس	١٢٩٣٤٧	٦
٧- يهوديت هتوراة	٨٦١٦٧	٤
٨- حداش	٦٢٥٤٦	٣
٩- موليدت	٦٢٢٦٩	٣
١٠- الحزب الديمقراطي العربي	٤٠٧٨٨	٢

* **الانتخابات : ارقام**

بلغ عدد الاصوات المساوية لنسبة الحسم (٣٩٢٥٣) صوتاً. وبلغ عدد الاصوات المطلوبة لشغل مقعد في الكنيست (٢٠٧١٥) صوتاً. أما عدد الاصوات الصحيحة فكان ٢,٦١٦,٨٤١ أي أصوات المقترعين الذين أدلو باصواتهم بدون اخطاء ولا يشمل الرقم السابق عدد الاصوات الملغاة أو الضائعة بسبب عدم تجاوز بعض القوائم الانتخابية لنسبة الحسم ويقدر عدد الاصوات الضائعة بـ (١٣٠٩٨٩) صوتا. اما الاصوات التي شاركت في توزيع المقاعد على القوائم فهي ٢,٤٨٥,٨٥٢ صوتاً.(٢٣٩)

القائمة	عدد الاصوات	نسبة الأصوات
١- هتحيا	٣١٩٧٥	
٢- القائمة التقدمية	٢٤١٨١	٪٠,٩
الحزب الليبرالي الجديد	١٦٦٦٩	٪٠,٦
جيهولات يسرائيل	١٢٨٥١	
الديمقراطية والهجرة	١١٦٩٧	
المتقاعدين	٨٣٢٧	
المتضررين والقروض العقارية	٥٩٦٢	
بكناتي	٣٧٥٠	
هتوراة هآرتس	٣,٧٠٨	٪٠,١
على العجلات	٣٣٥٥	
حزب النساء	٢٨٨٦	
هتكفا	٢,٠٥٣	٪٠,١
قانون الطبيعة	١٧٣٤	
تالي	١٢٣٦	
تسبور	٥٢٣	

وبلغ عدد الناخبين العرب في انتخابات الكنيست الثالثةعشرة حوالي ٤٠٣ الاف من أصحاب حق الاقتراع، أي بزيادة تقدر بحوالي ٧٧ الف شخص مقارنة مع عددهم في عام ١٩٨٨ . وهم يشكلون ١١,٨٪ من مجمل أصحاب الاقتراع (٢٤١).

والجدول التالي يبين نسبة مشاركة عرب ١٩٤٨ في كافة الانتخابات الاسرائيلية(٢٤٢).

الكنيست	أصحاب حق الاقتراع من العرب (بالالاف)	عدد الذين مارسوا حق الاقتراع
الكنيست الأولى ١٩٤٩	٣٣,٢٥٠ = ٦,٦٪	٢٦٣٣٢ = ٧٩٪
الكنيست الثانية ١٩٥١	٦٨,٩١٤ = ٧,٥٪	٥٣٩٨٤ = ٨٦٪
الكنيست الثالثة ١٩٥٥	٨٦,٨٩٨ = ٨,٢٪	٧٨٥٢٦ = ٩٠٪
الكنيست الرابعة ١٩٥٩	٩٦,٦٠٨ = ٧,٩٪	٨١٧٦٤ = ٨٠
الكنيست الخامسة ١٩٦١	١٠٤,٨٨٤ = ٨,٣٪	٨٦٨٤٣ = ٨٣٪
الكنيست السادسة ١٩٦٥	١٢٩,٩٠٩ = ٨,٦٪	١٠٦٣٤٢ = ٨٢٪
الكنيست السابعة ١٩٦٩	١٤٦,٨٢٣ = ٨,٤٪	١١٧١٩٠ = ٨٠٪
الكنيست الثامنة ١٩٧٣	١٧٣,٢٩٢ = ٨,٥٪	١٣٨٦٣٣ = ٨٠٪
الكنيست التاسعة ١٩٧٧	١٩٨,١٣٧ = ٨,٩٪	١١٥١١٧ = ٧٦,٣٪
الكنيست العاشرة ١٩٨١	٢٤٧,٠٠٠ = ١٠٪	١٧٢,١٥٩ = ٦٩,٧٪
الكنيست الحادية عشرة ١٩٨٤	٢٦٠,٠٠	٧٠٪
الكنيست الثانية عشرة ١٩٨٨	٣٣٠,٠٠٠ = ١٢,٥٪	٧٦٪

وتوزيع الاصوات العرب في انتخابات الكنيست الثالثة عشرة هو على الشكل الموضح في الجدول التالي الذي يضم أيضاً توزيع اصواتهم في الانتخابات الثانية عشرة(٢٤٣).

الحزب	الانتخابات الـ ١٣	الانتخابات الـ ١٢
العمل	٢٠,٤٪	١٦,٥٪
الليكود	٨,٤٪	٦,٧٪
ميرتس	٩,٨٪	١٠,٦٪
شاس	٤,٩٪	٠,٥٪
المفدال	٤,٧٪	٣,١٪
حداش	٢٣,١٪	٣٣,٣٪
الحزب الديمقراطي العربي	١٥,٣٪	١١,٣٪
القائمة التقدمية	٩,٢٪	١٤,٣٪

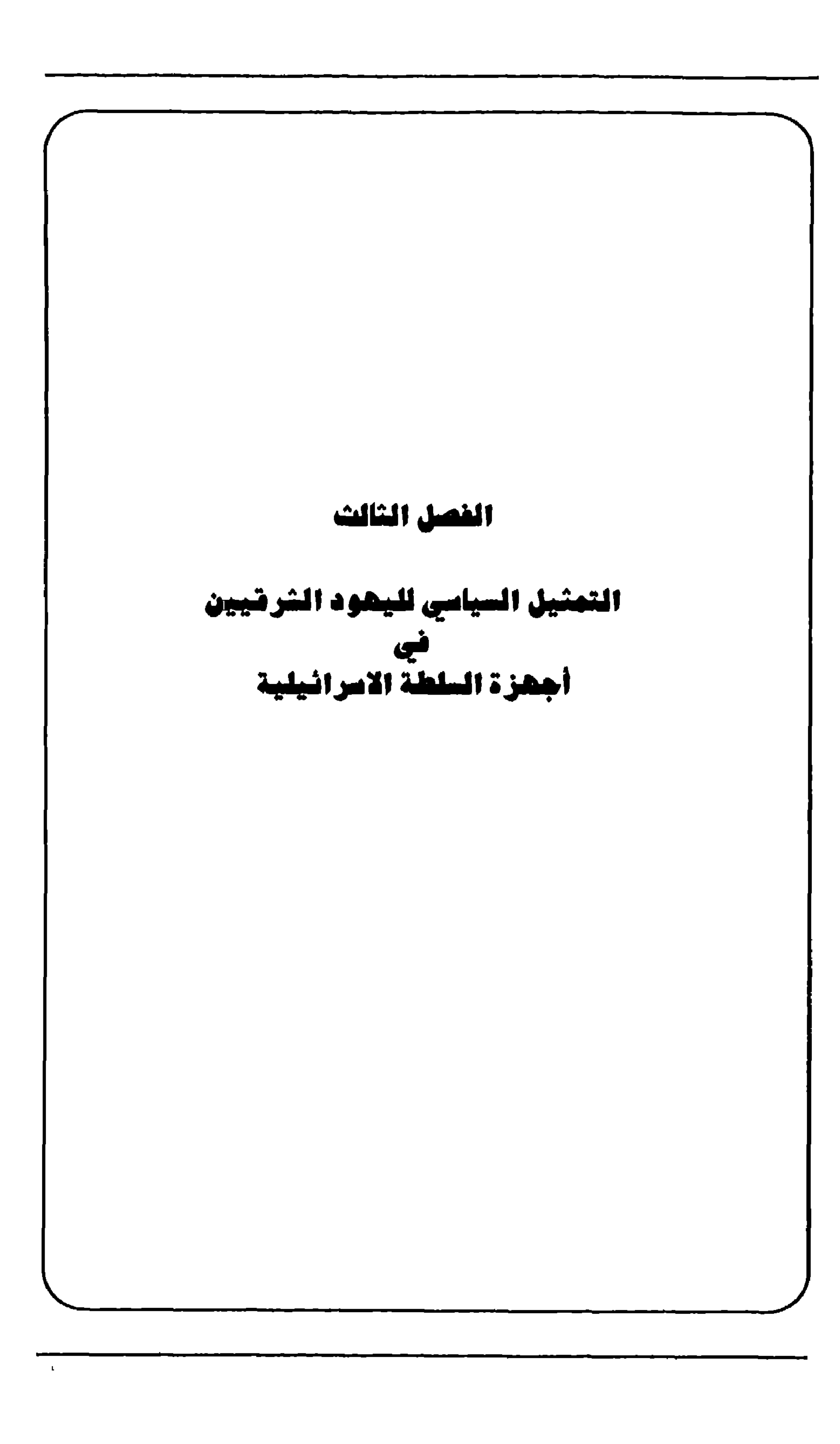
اما مكانة الحزبين الكبيرين وتطورها خلال الدورات الانتخابية الخمس الاخيرة للكنيست في موضحة في الجدول التالي. (٢٤٤)

الكنيست	العمل	الليكود
التاسعة ١٩٧٧	٣٢	٤٣
العاشرة ١٩٨١	٤٧	٤٨
الحادية عشرة ١٩٨٤	٤٤	٤١
الثانية عشرة ١٩٨٨	٣٩	٤٠
الثالثة عشرة ١٩٩٢	٤٤	٣٢

وتوزعت أصوات المهاجرين الروس بنسبة ٥٠٪ لصالح حزب العمل مقايسة مع ٣٥٪ من الناخبين الاصلين وبالمقايسة مع ١٠٪ منهم فقط منحوا أصواتهم لحزب الليكود. وبالتالي مكنت الاصوات الروسية حزب العمل من الحصول على أربعة مقاعد اضافية كما ان ١٣٪ من المهاجرين الجدد صوتوا لصالح قائمة ميرتس مقايسة مع ١٠٪ من الناخبين الاسرائيلين الاصلين الامر الذي ضمن حصول ميرتس على مقعد إضافي واحد. وهذه المقاعد الخمسة تشكل الاغلبية من بين المقاعد السبعة التي انتقلت من اليمين إلى اليسار السياسي والتي حسمت نتيجة الانتخابات. (٢٤٥)

وبالمقارنة بين معطيات نتائج انتخابات الكنيست الثالثة عشرة وسابقتها الثانية عشرة يتشكل الجدول التالي. (٢٤٦)

المعطيات	انتخابات ١٩٩٢	انتخابات ١٩٨٨
مقياس المقعد	٢٠٧٠٠	١٨٥٦٣
نسبة الحسم	٣٩,٢٢٧	٢٢٨٣١
اصوات ضاءعة	١٣١١٢٨	٥٨٥٢٧
اصوات مرفوضة	٢١٠٨٤	٢٢٤٤٤
اصوات صالحة	٢,٦٣٦,٤٤٣	٢٨٣,١٢٣
اصحاب حق الاقتراع	٣,٤٠٩,٠١٥	٢,٨٩٤,٢٦٧



الفصل الثالث

التمثيل السياسي لليهود الشرقيين
في
أجهزة السلطة الاسرائيلية

تبلورت حالة الانقسام الاثني داخل الكيان الصهيوني في ظهور تسمية اليهود الشرقيين التي اطلقت على المجموعات الاثنية اليهودية التي قدمت من البلاد العربية وغير العربية في قارتي آسيا وافريقيا - ماعدا جنوب افريقيا - وتسمية الغربيين الاشكنازيين التي أطلقت على المجموعات الاثنية اليهودية التي قدمت إلى فلسطين وتعود في أصولها إلى أوروبا وخاصة أوروبا الشرقية وأمريكا.

وارتبط بحالة الانقسام هذه اندلاع أزمة اطلق عليها أحياناً اسم (أزمة طائفية)، وفي أحيان أخرى اسم (المشكلة السفاردية)، التي يعتقد اليهود الشرقيون أنها نتيجة لتسلط الاشكنازيين عليهم. وبرزت في هذا الاطار مسألة التمثيل السياسي لليهود الشرقيين في أجهزة السلطة السياسية الاسرائيلية، ولقد تعددت أشكال حل هذه المسألة، فهناك حلول لجأ إليها اليهود الشرقيون بمحض ارادتهم، وهناك حلول أخرى تم فرضها عليهم من قبل الاشكنازيين نتيجة هيمنتهم على سائر أجهزة الدولة.

*جذور مسألة تمثيل اليهود الشرقيين:

يتم التعبير عن مسألة تمثيل اليهود الشرقيين في أجهزة السلطة الاسرائيلية بالحديث داخل الأوساط الاسرائيلية عن ظاهرة بعد اليهود الشرقيين عن مراكز السلطة، وقلة مساهمتهم في عملية صنع القرار السياسي الاسرائيلي. وتعود جذور هذه الظاهرة تاريخياً إلى فترة الانتداب البريطاني في فلسطين، أي إلى عهد ما يسمى بـ(اليبشوف اليهودي)، حيث نشطت الأحزاب الصهيونية القائمة آنذاك في انشاء مؤسسات عليا لادارة شؤون المستوطنين وتنظيمهم ضمن اطار عام باسم المجلس المحلي اليهودي (كنيست يسرائيل) الذي حظي باعتراف حكومة الانتداب البريطاني عام (١٩٢٨)، ومن أبرز هذه المؤسسات ما عرف بجمعية الناخبين (اسيفات هانفحاريم)، التي كانت بمثابة المؤسسة العليا لليبشوف، ثم اللجنة التنفيذية للمجلس الملي اليهودي (فاعاد ليئومي) المنبثقة عنها والتي كانت تهتم بقضايا الدين والتعليم والمساعدات الاجتماعية والصحة العامة، اضافة إلى اهتمامها بتنظيم الطوائف والبلديات والمجالس المحلية في المستوطنات اليهودية، والاشراف على القضايا الامنية المتعلقة بها. وبرز أيضاً نشاط الوكالة اليهودية التي كانت مؤلفة رسمياً - على الأقل مناصفة - من ممثلي الصهيونيين «وغير الصهيونيين»، ومعظمهم من يهود بريطانيا وأمريكا وبعض الدول الغربية

الاخرى(٢٤٨). والجدير بالذكر ان معظم سكان «اليشوف» في فترة الانتداب البريطاني كانوا من اليهود الاشكنازيين الذين هاجروا إلى فلسطين من أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي في الاساس، بينما اقتصر وجود اليهود السفارديين على الجالية السفاردية القديمة التي كانت تعيش في فلسطين سنين طويلة قبل ذلك الوقت. وعلى بضعة آلاف من المهاجرين من الشرق، خصوصاً من يهود اليمن الذين دفعهم الصهيونيون للقدوم إلى فلسطين لاستغلالهم في منافسة العمل العربي، وقد شكل هؤلاء (السفارديين) نحو (١٠٪) من عدد سكان «اليشوف» عند الاعلان عن قيام الكيان الصهيوني عام (١٩٤٨). وكان نتيجة توافد اليهود الاشكنازيين الى فلسطين ظهور زعاماتهم السياسية، كما تمثلت في مؤسسات المجلس الملي اليهودي، وفي الوكالة اليهودية، وزعزعة نفوذ الجالية السفاردية القديمة، التي انتقلت من وضع الصدارة فيما يتعلق بادارة شؤون اليهود وتمثيلهم، الى وضع المشاركة بها وفق رغبة الزعماء الصهاينة، وقد تجسدت المشاركة السفاردية في ادارة شؤون «اليشوف»، في التمثيل المستقل الذي منح لكل من الجالية السفاردية القديمة وليهود اليمن في جمعية الناخبين واللجنة التنفيذية (٢٤٩) ففي الجمعية الاولى، التي انتخبت سنة (١٩٢٠)، مثل الجالية «السفاردية» (٥٤) عضواً (قائمة اتحاد السفارديين) ومثل يهود اليمن (١٢) عضواً وذلم من أصل (٣١٤) عضواً في الجمعية كلها. وكذلك مثل «الجالية» السفاردية عضوان في اللجنة التنفيذية التي انتخبتها جمعية الناخبين في شهر تشرين الاول من عام (١٩٢٠) وفي أعقاب تزايد أعداد الاشكنازيين في فلسطين، انحصر تمثيل السفارديين في جمعية الناخبين، ففي الجمعية الثانية مثلاً - التي انتخبت في كانون الاول (١٩٢٥) - انخفض تمثيلهم (السفارديين) إلى (١٩) عضواً من أصل (٢٢١) عضواً، وفي الجمعية الثالثة التي انتخبت في كانون الثاني (١٩٣١) مثل السفارديون ويهود اليمن (٣) قوائم منفصلة بلغ عدد أعضائها المنتخبين (١٣) عضواً من أصل (٧١) عضواً. وفي الجمعية الرابعة التي انتخبت سنة (١٩٤٤) اخفقت الطائفة السفاردية القديمة في تحقيق اي فوز، بينما نجحت قائمتا يهود اليمن في الحصول على (٦) مقاعد فقط. وتجد الاشارة إلى أنه لم يكن السفارديين أي تمثيل في الوكالة اليهودية، وذلك بسبب طابعها الاشكنازي. وكذلك كان حال المنظمة الصهيونية العالمية. كما أن ما يسمى بـ «اعلان»

استقلال » الكيان الصهيوني لم يوقع عليه سوى يهوديين شرقيين هما: بخور شطريت وهو سفاردي من فلسطين، وسعاديا كيبشي وهو من يهود اليمن، وقد وقعا بصفتهما عضوين طائفيين فيما يسمى بـ « مجلس الشعب » الذي سبق قيام الكيان الصهيوني، وليس لانتمائهما إلى اطار حزبي معين (٢٥٠)

* اشكال مشاركة اليهود الشرقيين في انتخابات الكنيست

تعتبر الكنيست - كونها مؤسسة تشريعية - احدى المؤسسات الهامة داخل الكيان الصهيوني، وما يزيد في أهميتها هو دورها الهام في صناعة القرار السياسي الاسرائيلي، بالاضافة الى دورها التشريعي. وكلا الدورين -التشريعي والسياسي- يعتبران هامين بالنسبة لليهود الشرقيين، الذين تعددت أشكال مشاركتهم في العملية الانتخابية. ولهذا الأمر أسباب ذاتية واخرى موضوعية. كما أن هنالك محددات لعملية التمثيل السياسي لليهود الشرقيين في الكنيست ترتبط مباشرة بمحددات عملية التصويت.

خلال اربعة عقود ونيف اتخذت مشاركة اليهود الشرقيين في انتخابات الكنيست أشكالاً عديدة يمكن حصرها في ثلاثة أشكال:

الشكل الأول: المشاركة من خلال قوائم شرقية مستقلة، إذ أنه في انتخابات الكنيست الاولى التي جرت في ٢٥/١/١٩٤٩ فازت قائمتان شرقيتان: الاولى تدعى « قائمة الاتحاد القطري للشرقيين وابناء الطوائف الشرقية »، التي حصلت على (١٥٢٨٧) صوتاً أي ما نسبته (٣,٥٪) التي أهلتها الحصول على (٤) مقاعد في تلك الكنيست. والثانية قائمة « اتحاد يهود اليمن في اسرائيل » التي حصلت على (٤٣٩٩) صوتاً، اي مانسبته (١٪)، وهي النسبة التي اهلتها للحصول على مقعد كنيست واحد. ونشير إلى أن عدد الأصوات التي كان يجب أن يحصل عليها عضو الكنيست في تلك الانتخابات هو (٣٥٩٢) صوتاً (٢٥١) وفي انتخابات الكنيست الثانية، حصلت « قائمة الشرقيين والطوائف الشرقية » على (١٢٩٠٢) صوتاً أي نسبة (١,٨٪) ونالت بموجبها مقعدين في الكنيست. وحازت قائمة « اتحاد يهود اليمن في اسرائيل » على (٧٩٦٥) صوتاً، أي ما نسبته (١,٢٪) بمعدل مقعد كنيست واحد، هذا في حين انه كان على عضو الكنيست أن يحصل على (٥٦٩٢) صوتاً، وفازت أيضاً قائمة شرقية جديدة تدعى

«السفارديين»، وحازت على تأييد (١٠٣٨٣) صوتاً أي ما نسبته (١,٥٪) ونالت نتيجة ذلك مقعدين في الكنيست (٢٥٢) وفي انتخابات الكنيست الثالثة لم تفز أية قائمة شرقية في تجاوز نسبة الحسم، إذ اخفقت قائمتا: «اتحاد يهود اليمن في اسرائيل» و«الشرقيين والطوائف الشرقية» في تحقيق تلك النسبة(٢٥٣) ولم تفز في اتخابات الكنيست الرابعة، خمس قوائم انتخابية شرقية في تجاوز نسبة الحسم، وهذه القوائم هي قائمة «مهاجري شمال افريقيا» وحزب اليمنيين، «تأسيس الشرقيين وأبناء الطوائف الشرقية»، والحزب الوطني الشرقي، وقائمة الطوائف الشرقية (٢٥٤)

كما لم تشترك في انتخابات الكنيست الخامسة أية قائمة شرقية. أما في انتخابات الكنيست السادسة، فشاركت القائمتان الانتخابيتان الشرقيتان التاليتان «قائمة السلام» وحركة الشرقيين وأبناء الطوائف الشرقية، لكنهما لم تتجاوزا نسبة الحسم (٢٥٥). ،في انتخابات الكنيست السابعة شاركت قائمة شرقية واحدة هي: قائمة «السلام» لكنها لم تتجاوز نسبة الحسم أيضاً(٢٥٦)

وفي انتخابات الكنيست الثامنة التي جرت في ٣١/١٢/١٩٧٣، اخفقت القائمتان الشرقيتان التاليتان: الفهود السود، وقائمة اليمنيين في تجاوز نسبة الحسم(٢٥٧). واخفقت قائمتا: اتحاد مهاجري اليمن والطوائف الاسرائيلية، وقائمة الفهود السود في انتخابات الكنيست التاسعة(٢٥٨)

أما الشكل الثاني لمشاركة اليهود الشرقيين في انتخابات الكنيست، فكان من خلال انتظامهم في حزب ذي طابع شرقي هو حزب «تامي» أي حركة تقاليد اسرائيل تزعمها «أهرون أبو حصيرة»، بعد انسحابه من حزب «المفدال»، وكانت هذه أول مشاركة لليهود الشرقيين في انتخابات الكنيست في حزب ذي طابع شرقي. وكان ذلك في انتخابات الكنيست العاشرة، التي حصلت فيها قائمة (تامي) على (٤٤٤٦٦) صوتاً أي مانسبته (٢,٣٪) وحازت على (٣) مقاعد في حين اخفقت قوائم شرقية انتخابية اخرى مثل: قائمة «اسرائيل الواحدة»، قائمة «الوحدة» وقائمة حركة الخيام، وقائمة «شعبك» التي ترأسها فيكتور ثيار(٢٥٩)

وفازت في انتخابات الكنيست الحادية عشرة، قائمة تامي بتأييد (٣١,١٠١) صوتاً ما نسبته (١,٥٪)، وحصلت على مقعد واحد فقط، متراجعة عما حققته

في الانتخابات السابقة، وفازت أيضاً قائمة (موراشاة) وقائمة (شاس)، اذ حصلت «موراشاة على (٢٣,٢٨٧) صوتاً، وحازت على مقعدين في الكنيست، في حين حصلت شاس على (٦٣,٦٠٥) صوتاً أي على (٤) مقاعد. وبالمقابل اخفقت قائمتان شرقيتان هما : قائمة (حركة شيلوف)، وقائمة حركة (شعبك) في تجاوز نسبة الحسم(٢٦٠)

ولم تشارك حركة تامي في انتخابات الكنيست الثانية عشرة التي فازت فيها قائمة شاس بـ(١٠٧,٧٠٩) صوتاً، وحازت بموجبها على (٦) مقاعد في الكنيست. في حين اخفقت قائمتا :شعبك واتحاد اليمنيين في تجاوز نسبة الحسم(٢٦١)

وفي انتخابات الكنيست الثالثة عشرة، حازت قائمة شاس على (١٢٩٣٤٧) صوتاً، وحصلت لقاء ذلك على (٦) مقاعد للمرة الثانية. ومن الجدير ذكره انه في هذه الانتخابات لم تشارك أية قائمة شرقية أخرى (٢٦٢)

الشكل الثالث لمشاركة اليهود الشرقيين في انتخابات الكنيست تمثل في تأييدهم لمرشحيهم المنضوين في الاحزاب الصهيونية الكبرى مثل (المعراخ، الليكود) والاحزاب الدينية من طراز (المفدال، وشاس كونه حزباً دينياً شرقياً).

ونشير الى أن شكل المشاركة التي لجأ اليها اليهود الشرقيون في انتخابات الكنيست كان خاضعاً لطبيعة ظروفهم الذاتية من جهة ولظروف موضوعية من جهة أخرى، ففي انتخابات الكنيست الرابعة عام (١٩٥٩). وبعد احداث (وادي الصليب) التي عكست حجم الازمة الطائفية في الكيان الصهيوني، تضاعف عدد اليهود المرشحين لانتخابات الكنيست في قوائم الاحزاب الصهيونية، رغم انهم لم يوضعوا في أماكن مضمونة، اذ نجح حزب المباي وحزب المتدينين في استيعاب العناصر الناقمةعلى التمييز الطائفي .(٢٦٣)

وحاولت حركة الفهود السود – التي صعدت الصراع الطائفي– الطبقي في الكيان الصهيوني، والتي اعتبرت ان المكانة الطبقية الدنيا وقف على اليهود الشرقيين– أن تدخل الكنيست الثامنة عام (١٩٧٣) اعتماداً على قواها الذاتية، الا انها فشلت، وتعرضت في اعقاب الانتخابات وعلى خلفية تحديد موقفها من الصهيونية للانقسام وانضمام بعض قادتها إلى أحزاب أخرى(٢٦٤)

-الثقل الانتخابي لليهود الشرقيين:

بناء على مشاركة اليهود الشرقيين في العملية الانتخابية، حصل اليهود الشرقيون على تمثيل في الكنيست لا يتوازى مع أصواتهم الانتخابية من جهة، ولا

الكنيست	السنة	عدد الأعضاء من اليهود الشرقيين	نسبتهم إلى عدد أعضاء	النسبة التقريبية للشرقيين إلى مجموع
الأولى	١٩٤٩	٩	٪٧,٨	٪١٥
الرابعة	١٩٥٩	١٥	٪١٢,٥	٪٤٣
التاسعة	١٩٧٧	٢٢	٪١٨,٣	٪٥٠
العاشرة	١٩٨١	٢٧	٪٢٢,٥	٪٦٠
الحادية عشرة	١٩٨٤	٣٢	٪٢٦,٥	٪٦٥
الثانية عشرة	١٩٨٨	٣٧	٪٣٠,٠	–
الثالثة عشرة	١٩٩٢	٤٠	٪٣٣,٣	–

ويلاحظ أن توزع اليهود الشرقيين علي مقاعد الكنيست بناء على انتماءاتهم الحزبية كان متساوياً على صعيد الحزبين الأسرائيليين الكبيرين (الليكود والمعراخ) بالدرجة الاولى، اذ أن اليهود الشرقيين حصلوا على (٢٠) مقعداً مناصفة بين الليكود والمعراخ، وحصلوا على (٤) مقاعد نتيجة مشاركة حزب شاس. أما المقاعد الاخرى التي حصلوا عليها، فتوزعت على الاحزاب الاخرى وهذا ما يظهره الجدول التالي الذي نبين فيه مايمكن تسميته بالبنية الطائفية الكنيست الحادية عشرة(٢٦٦)

الحزب	اشكنازيون	شرقيون	اقليات
المعراخ	٣٢	١٠	٢
الليكود	٣٠	١٠	١
المفدال	٢	٢	–
شاس	–	٤	–
تامي	–	١	–
هتحيا	٤	١	–
يعود	١	٢	–
حداش	١	١	٢
التقدمية	١	–	١
شينوى	٢	–	١
اغودات يسرائيل	٢	–	–
راتس	٣	–	–
كاخ	١	–	–
موراشاة	٢	–	–
اومتس	١	–	–
المجموع	٨٢	٣١	٧

أما البنية الطائفية للكنيست الثالثة عشرة التي ضمت (٤٠) يهودياً شرقياً، فيبينها الجدول التالي(٢٦٧)

الحزب	اشكنازيون	شرقيون	أقليات
العمل	٢٥	١٧	٢
الليكود	٢٠	١١	١
المفدال	٣	٣	–
شاس	–	٦	–
تسومت	٨	–	–
ميرتس	١٠	١	١
يهوديت هتوراة	٤	–	–
موليدت	٢	١	–
حداش	–	١	٢
الحزب الديمقراطي العربي	–	–	٢
المجموع	٧٢	٤٠	٨

وفي حال الدمج بين البعدين الطائفي والحزبي في انتخابات الكنيست تبرز موشرات عديدة حول تمثيل اليهود الشرقيين في الكنيست، وهذه المؤشرات سنذكرها لاحقاً بعد أن نقدم الجدول التالي الذي يبين حالة الدمج بين البعدين الطائفي والحزبي(٢٦٨)

(البنية الطائفية للكنيست منذ ١٩٤٩ – ١٩٨١)

الكنيست	الطائفة	المعراخ		المفدال		اغودات		ليكود		احرار		الشيوعيون	
		العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
الأولى	أشكنازيون	٦٥	٨٨	١٢	١٠٠	١٤	١٠٠	٢١	٩١	٥	١٠٠	٣	٧٥
	سفارديون	٧	٩	—	—	—	—	٢	٩	—	—	—	—
	عرب	٣	٣	—	—	—	—	—	—	—	—	١	٢٥
الثانية	أشكنازيون	٥٥	٨١	١٠	١٠٠	٧	١٠٠	٢٧	٩٣	٦	١٠٠	٣	٦٠
	سفارديون	٧	١٠	—	—	—	—	٢	٧	—	—	—	—
	عرب	٦	٩	—	—	—	—	—	—		—	٢	٤٠
الثالثة	أشكنازيون	٦١	٨٢	٩	٩٠	٨	١٠٠	٢٦	٩٣	٥	١٠٠	٤	٦٧
	سفارديون	٧	٩	١	١٠	—	—	٢	٧	—	—	—	—
	عرب	٦	٩	—	—	—		—	—	—	—	٢	٢٣
الرابعة	أشكنازيون	٥٥	٧٧	١٠	٩١	٨	١٠٠	٢٣	٨٥	٦	١٠٠	٣	٧٥
	سفارديون	١٠	١٤	١	٩	—	—	٤	١٥	—	—	—	—
	عرب	٦	٩	—	—	—		—	—	—	—	١	٢٥
الخامسة	أشكنازيون	٥٦	٧٨	١١	٨٥	٧	١٠٠	٢٦	٨٧	٥	١٠٠	٤	٦٧
	سفارديون	١٠	١٤	٢	١٥	—	—	٤	١٣	—	—	—	—
	عرب	٦	٨	—	—	—	—	—	—	—	—	٢	٣٣
السادسة	أشكنازيون	٥٤	٦٩	٩	٨٢	٧	١٠٠	٢٣	٨٨	٦	٨٦	٢	٥٠
	سفارديون	١٩	٢٤	٢	١٨	—	—	٣	١٢	١	١٤	—	—
	عرب	٥	٧	—	—	—	—	—	—	—	—	٢	٥٠
السابعة	أشكنازيون	٤٧	٧٥	١٢	٨٦	٥	١٠٠	٢٢	٧٩	٣	٧٥	٢	٥٠
	سفارديون	١١	١٨	٢	١٤	—	—	٦	٢١	١	٢٥	—	—
	عرب	٥	٧	—	—	—	—	—	—	—	—	٢	٥٠
الثامنة	أشكنازيون	٤٠	٧١	٨	٨٠	٥	١٠٠	٣٠	٨١	٤	١٠٠	٢	٥٠
	سفارديون	١٠	١٨	٢	٢٠	—	—	٧	٩١	—	—	—	—
	عرب	٦	١١	—	—	—	—	—	—	—	—	٢	٥٠
التاسعة	أشكنازيون	٢٤	٧٣	٩	٧٥	٥	١٠٠	٣٤	٧٩	١	١٠٠	١	٢٠
	سفارديون	٨	٢٤	٣	٢٥	—	—	٨	١٨	—	—	١	٢٠
	عرب	١	٣	—	—	—	—	١	٢	—	—	٢	٦٠
العاشرة	أشكنازيون	٣٤	٦٩	٥	٨٠	—	—	٢٨	٧٩	—	—	١	٢٥
	سفارديون	١٣	٢٧	١	٢٠	—	—	٩	١٩	—	—	١	٢٥
	عرب	٣	٤	—	—	—		١	٢	—	—	٢	٥٠

بناءاً على الجداول السابقة، يلاحظ وجود تطور في تمثيل اليهود الشرقيين في الكنيست خلال العقود المنصرمة، لكن هذا التطور لم يعكس ذاته في مواقعهم في الكنيست . وهذا ما يمكن ملاحظته على الأقل لدى مراجعة مواقع اليهود الشرقيين في هيئات الكنيست خلال الفترة الممتدة من عام (١٩٤٩ إلى ١٩٧٣)، التي يمكن ابرازها في الجدول التالي الذي يبين توزع أعضاء ثماني كنيسات على هيئات الكنيست (٢٦٩)

بلد الأصل	أعضاء الكنيست		رؤساء لجان كنيست		أعضاء لجنة الخارجية والأمن		أعضاء اللجنة المالية	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
اسرائيل	٢٧	٪٢٣	٤	٪١٠	٨	٪١٢	١٢	٪١٦
أوروبا الشرقية	٢١٥	٪٥٨	٣٠	٪٧٥	٥٠	٪٧٤	٥٥	٪٧٢
أوروبا الغربية	٢٩	٪٨	٤	٪١٠	٧	٪١٠	٥	٪٧
آسيا - افريقيا	٣٧	٪١٠	٢	٪٥	٥	٪٣	٤	٪٥
الأمريكيتان وجنوب افريقيا	١٦	٪١	-	-	-	-	-	-
المجموع	٣٢٤	٪١٠٠	٤٠	٪١٠٠	٧٠	٪١٠٠	٧٦	٪١٠٠

* اتجاهات التصويت لدى اليهود الشرقيين

هنالك عدة عوامل تحدد اتجاهات التصويت لدى اليهود الشرقيين في انتخابات الكنيست، منها المستوى الثقافي، والأصل الأثني (مكان الولادة) اضافة إلى العمر (فتيان ، كهول)، وهذه العوامل تعكس ذاتها على طبيعة دور أعضاء الكنيست من اليهود الشرقيين خلال فترة ولاية الكنيست على الصعد كافة، وتلك العوامل كان لها دور في الانقلاب السياسي الذي حدث عام (١٩٧٧) والذي بموجبه أوصل الناخبون من اليهود الشرقيين الليكود إلى السلطة لأول مرة في تاريخ الحكومات الاسرائيلية . فقد كانت اتجاهات تصويت اليهود الشرقيين في تلك الانتخابات وفق الجدول التالي :(٧٠)

المستوى الثقافي	مكان الميلاد	العدد بالآلاف	المعراخ	الليكود	الاحزاب الدينية	الحركة الديمقراطية للتغيير	باقي الاحزاب
ابتدائي أو أقل	آسيا – افريقيا	٦٣	٣٨	٤٩	٥	٦	٢
	أوروبا – أمريكا	٨٢	٧٢	١٠	١٢	٤	٢
	فلسطين	٤٢	٢١	٧٢	٧	–	–
ثانوي	آسيا – افريقيا	١٠٤	٣٤	٤٦	٢	١٥	٣
	أوروبا – أمريكا	١٧٦	٤٣	٢٤	٩	٢٢	٣
	فلسطين	١٧٨	٢٧	٤٧	٤	١٩	٣
تعليم جامعي أو أكاديمي	آسيا – افريقيا	٢٤	١٣	٣٣	٢١	٣٣	–
	أوروبا – أمريكا	١٤٨	٤٠	١٧	١١	٢٩	٣
	فلسطين	١٣٥	١٩	٢٢	١٣	٤٢	٤
المجموع		٩٥٢	٣٥	٣٢	٩	٢١	٣

وحول أسباب اتجاه تصويت اليهود الشرقيين نحو الليكود في انتخابات الكنيست التاسعة (١٩٧٧) يقول « ايلي اليشار » أحد قادة الشرقيين : (ان الاقتراع لبيغن هو اعلان احتجاج شديد اللهجة، لأن السفارديين لم يشعروا بأنهم يملكون القوة للوقوف وجهاً لوجه أمام المؤسسة الحاكمة بتنظيماتهم الخاصة، عندئذ لجؤوا إلى الحزب البديل كأفضل طريقة يعبرون بها عن يأسهم واعتراضهم، لأنهم أخفقوا في كل ما بذلوه من جهد خلال ثلاثين عاماً، كي يتوصلوا إلى تقديم لوائح جماعية لأن المعركة كانت بين الممولين الكبار ومن لا يستطيعون تمويل حملاتهم الانتخابية)(٢٧١)

وخلال انتخابات الكنيست العاشرة، تجلت الطائفية اكثر من السابق، مما دفع الإسرائيليين الى مناقشة مسائل انتخابية هامة مثل العلاقة بين النشأة الطائفية والهوية الذاتية . فقد ورد في بحث اعده يوحنان بيرس (الاستاذ في دائرة الاجتماع والانثربولوجيا في جامعة تل أبيب) والدكتورة سارة شيمر حول العنصر الطائفي في الكنيست العاشرة : ان النشأة الطائفية هي احد العوامل المهمة المؤثرة في السلوك السياسي للجمهور اليهودي الاسرائيلي في بداية الثمانينات، وقد تعزز

التطابق بين النشاة –الطائفية – وطابع التصويت منذ الانتخابات الاخيرة. على حد قول ايلي تافور: ان هوية المجتمع الاسرائيلي السياسية تتحدد سلفا نتيجة التطابق بين النشأة الطائفية والهوية الذاتية السياسية (٢٧٢)

ولقد سادت وجهتا نظراسرائيليتان متباينتان ازاء وجود تمييز واضح بين تصويت السفارديين وتصويت الاشكنازيين في انتخابات الكنيست الحادية عشرة، وعبر عن وجهة النظر الاولى يوحنا بيرس خلال مقابلة له مع صحيفة دافار، بقوله : في سنة (١٩٦٩) راحت الطوائف الشرقية تتكتل حول حيروت ، واخذت تتخلى شيئا فشيئا عن حزب العمل، ولهذا اسباب عديدة هي :

١–البحث عن تعبير وهوية وبيت سياسي لنفسها ليس للسماح لها لتحل فيه وحسب ، بل لتسيطر عليه . وهنا ايضا يوجد تحول معين لدى الطوائف الشرقية، وكان من الطبيعي ان القادة الذين وحدوهم وشقوا الطريق لهم هم عراقيون ويمنيون، اذ لم تكن يقظة المراكشيين السياسية قد بدات بعد . فالمراكشيون لم يقبلوا بهذه الزعامة، كما ان العراقيون لم يقبلوا المراكشيين كشركاء كاملين. حيث ان العراقيين يعتبرون انفسهم اقرب من المراكشيين الى الاشكنازيين. ويشاء القدر ان يكون المراكشيون قوة كبرى من الناحية الانتخابية ان اشخاصا ارادوا الصعود مثل ديفيد ليفي ومئير شطريت التجؤوا الى مباي، الاان جميع المواقع كانت مشغولة. ثم توجهوا الى حيروت ومع مرور الايام، صار ينظر اليهم كقادة مدعومين أكثر من الجماعة اليمنية والعراقية .

٢– الازمة الاقتصادية (. . .) ان عمال المناطق (المحتلة) ساعدوا عمليا الطوائف الشرقية في الصعود واحتلال مراكز أكبر شانا،اذ ان مطالبة الحمائم باعادة الوضع الى ما كانت عليه تعتبر في نظر الطوائف الشرقية بمثابة اعادة الوضع الاقتصادي الطبقي الى سابق عهده. ولهذا السبب، فان صورة حيروت كانت اكثر استهواء لهم (٢٧٣)

أما وجهة النظر الثانية، فعبر عنها البروفيسور سامي سموحة (رئيس دائرة علم الاجتماع والانتربولوجيا في جامعة حيفا) في رده على السؤال المتعلق بوجود تمييز واضح بين تصويت السفارديين وتصويت الاشكنازيين، وذلك بقولة :بالنسبة للاشكنازيين هذا صحيح، واما بالنسبة الطوائف الشرقية، فهو غير دقيق . ففي سنة (١٩٨١) ، صوت نصف ابناء الطوائف الشرقية لصالح الليكود، اما الاشكنازيون فان تصويتهم يبدو اكثر طائفية من الطوائف الشرقية . . .واما السفارديم، فهم يصوتون للاحزاب الدينية اكثر من الاشكنازيين)(٢٧٤) وفي مناسبة

اخرى، تحدث يوحنا بيرس عن انماط التصويت لدى الطوائف الشرقية بوضوح اكثر قائلا : « كلما كان الناخب من طوائف الشرق ذا دخل اكثر انخفاضا وثقافة، وكلما كانت منطقة سكناه اكثر بعدا عن وسط البلد، زادت الاحتمالات بأن يصوت لمصلحة اليمين » (٢٧٥)

ويعزو قادة المعراخ اسباب انحسار تأييد الطوائف الشرقيين للمعراخ الى ان التغييرالذي حصل في في التركيب السكاني هو السبب، واذا استمر فسوف تأخذ قوة حركة العمل بالتقلص... فالمهاجرون الجدد، والجمهور الجديد - وخاصة الطوائف الشرقية - ليس لهم علاقة روحية مع العمل ومؤسساتها (٢٧٦) ويشار الى انه في انتخابات الكنيست الثانية عشرة لوحظ ابتعاد عن الموضوع الطائفي، وذلك رغم ان حزب العمل ضم الى قائمته وجوها شرقية عديدة وفي مواقع متقدمة ومضمونة من امثال: يتسحاق نافون، ويسرائيل كيسار وشلومو هيلل ، وموشي شاحل اربيلي الموزلينو، وعمير بيرتس، ورافي ادري وغيرهم، والهدف من ذلك محاولة كسب تأييد اكبر من اليهود الشرقيين (٢٧٧)

وهناك عامل ذاتي شرقي يحدد احيانا اتجاهات تصويت اليهود الشرقيين . ففي انتخابات الكنيست الحادية عشرة ووفقا لنتائجها تم الكشف عن ان اليهود الشرقيين لا يشكلون كلا متكاملاً منسجما فيما يتعلق بمواقفهم السياسية وتصويتهم لمختلف الاحزاب الصهيونية، اذ ان هنالك عداء بين اليهود العراقيين واليهود المراكشيين، وكذلك يوجد عداء بين يهود دمشق ويهود حلب .

***السلوك الانتخابي لليهود الشرقيين :**

اضافة الى ماتمت الاشارة اليه سابقا من أن اليهود الشرقيين ليسوا كلاً متكاملاً منسجماً، فسلوكهم الانتخابي غير متوازن في بعض الاحيان، حيث يشار إلى ان بعض زعماء الطوائف الشرقية ركبوا موجة استمرار الأزمة الطائفية وسخروها لخدمة مصالحهم، وشكلو قوائم طائفية. ومن هذه القوائم حركة تقاليد اسرائيل تامي برئاسة اهرون ابو حصيرة، وهي قائمة ذات سمة طائفية خالصة،توجهت بشكل خاص إلى يهود شمال افريقيا، وقد مولها المليونير نسيم غاؤون رئيس التحاد العالمي للطوائف الشرقية. وقائمة يسرائيل آحاد (اسرائيل واحدة) بزعامة يتسحاق يتسحاقي، وقائمة عمخا بزعامة فيكتور تيار أحد زعماء الفهود السود، وقائمة حركة الخيام التي ظهرت احتجاجاً على الاوضاع السيئة لليهود الشرقين .(٢٧٨)

كما ان اليهود الشرقيين صوتوا لصالح الاحزاب الدينية الصهيونية رغم أن بعضهم لم يكن متديناً، ففي انتخابات الكنيست الثانية عشرة التي حصل فيها حزب شاس على (٦) مقاعد نتيجة لتأييد اليهود الشرقين، لم يكن الناخبون الشرقيون ملتزمين بقدسية يوم السبت، بل اجتذبهم صوت شاس الطائفي، فطائفية شاس ذات ارتباط بالتقاليد، ولاتلزم تحديداً القيام بفرائض الدين كما هو مالوف في عالم الحراديم.(٢٧٩)

وقد وصف اريبه ايلياف سلوك اليهود الشرقيين خلال انتخابات الكنيست بقوله: «ان ربع النواب البالغ عددهم مائة وعشرين هم من أصل شرقي. ويبدو حسب انتخابات القوائم المتبع في اسرائيل اننا لطفاء معهم، واننا نحفظ لهم هذا الربع البائس من المقاعد، لكن الاحزاب جميعها (في اليمين واليسار) تتساوى في البخل .... أنهم - الشرقيين - يدخلون الكنيست وهم يدركون ان الاشكنازيين قد احتفظوا لهم بمكانهم وانهم كانو مهذبين معهم، وبانه يجب عليهم رد الجميل للمحسنين اليهم باكبر قدر من التملق والتزلف لكي يستطيعوا رؤية اسمائهم على اللوائح الانتخابية عندما يحضرون للانتخابات القادمة ».(٢٨٠)

ويفسر« ايلي ايشار » اسباب استغلال الاحزاب الاشكنازية للسفارديين خلال العملية الانتخابية، حيث يعتبر ان الاشكنازيين وجدوا بين السفارديين الكثيرين من الذين يوافقون على كل أمر، والذين يبيعون مصالح الجماهير التي يمثلونها من أجل مصلحتهم الخاصة، هذا علاوة على ان السفاريين لم يكونوا مهيئين لهذا اللقاء (الانتخابات) مع التطورات الديمقراطية، فهم لم يستوعبوا بسرعة ضرورة استعمال الحقوق والواجبات المدنية التي تعود لكل فرد، لان التمثيل الديمقراطي لم يكن معروفاً في بلادهم الاصلية الا بعد الحرب العالمية الثانية. وبعد انحسار النظم الاستعمارية، والسفارديون حلقة مشينة، لان الجيل الثاني تأقلم ثقافياً واجتماعياً بالنهج الذي يرتكزبكليته على الطريقة الاشكنازية، مما أحدث انقساما بين الاباءوالابناء. فقد اصبح السفارديون بهذا التاقلم اشبه باليهودي الذي يحاول ان يكون ارثوذكسياً اكثر من البابا. وهكذا التحقت الشبيبة بالحركة الاجتماعية المهيمنة التي هي حركة اشكنازية(٢٨١)

*** سلوك الاشكنازيين ازاء تمثيل الشرقيين:**

شكل الاشكنازيون، ومازالوا -وبسبب هيمنتهم على اجهزة السلطة كافة في الكيان الصهيوني - عقبة كاداء أمام ايجاد حل لعقدة تمثيل اليهود الشرقيين، اذ انهم مارسوا تمييزا واضحا ازاء اليهود الشرقيين تم التعبير عنه باشكال مختلفة، وفي

مناسبات عدة . وقد تجسد سلوك الاشكنازيين خلال الحملات الانتخابية لاحتواء اليهود الشرقيين وجذب اصواتهم الانتخابية لصالحهم،فخلال انتخابات الكنيست الحادية عشرة على سبيل المثال حاولت الاحزاب الاشكنازية رشوة اليهود الشرقيين ووضعهم في اماكن مضمونة ضمن قوائمها الانتخابية، ففي قائمة الليكود كان من بين المرشحين الاوائل البالغ عددهم خمسة واربعين مرشحا، تسعة مرشحين من اليهوديين الشرقيين، اما المعراخ،فقد وضع ضمن المرشحين الاوائل البالغ عددهم خمسين مرشحا، احد عشرمرشحا يهوديا شرقيا . واعطي الرقم (١٢) في القائمة لعضوة الكنيست « شوشانة اربيلي الموزلينو » (٢٨٢)

وفي حملة انتخابات الكنيست الثالثة عشرة، اعتمد اليكود في انتخابات مرشحيه لعضوية الكنيست على نظام « السباعيات »، ووفق هذاالنظام، فاز اليهود الشرقيون بمواقع متقدمة .ففي المجموعة السباعية الاولى حصل دافيد ليفي على المكان الثالث موشي كتساف كما احتل موشيه نسيم الموقع الاول في المجموعة السباعية الثانية. وضمت هذه المجموعة كلا من « مائير شطريت » و« دافيدماغين ». وبموجب انتخابات الكنيست الثالثة عشرة وصل عدد اليهود الشرقيين الذين دخلوا الكنيست من الليكود (١١) يهوديا شرقيا. في حين تمكن حزب العمل من ايصال(١٧) يهوديا شرقيا من مرشحيه للانتخابات ذاتها الى الكنيست (٢٨٣)

ويمكن القول: لقد تم التعبير عن سلوك الاشكنازيين ازاء السفارديين باساليب عدة وذلك لضبط تطور عملية التمثيل السياسي لليهود الشرقيين في اجهزة الكيان الصهيوني منها: اسلوب الاحتواء ويتم ذلك من خلال الحكم المحلي الذي يمثل احدى القنوات الاساسية التي تسمح باحتواء القوى الشرقية الجديدة، وافساح المجال لها التعبير عن نفسها ثم ايقافها عند حد معين، وعدم السماح لها بتجاوز المستوى « القومي ». اما اسلوب الامتصاص فيتم اللجوء اليه بروز قادة شرقيين على مسرح الرأي العام الاسرائيلي. ولكن اذا حاول احدهؤلاء القادة ان يكون سيد نفسه فسرعان مايجد نفسه خارج الدائرة للحاكمة ...كما حدث مع « موشيه شاريت ». ويتبع اسلوب الشراء مع المشاغبين من اليهود الشرقيين، الذين يتصدرون لفضح الموسسة الحاكمة وذلك عن طريق التعيين في وظائف غير حساسة، ولكنها ذوات مراتب مرتفعة، مثلما حدث مع بعض زعماء حركة الفهود السود. ويمارس اسلوب العزل ضد المناوئين من الشرقيين الذين يصعب احتواؤهم أو شراؤهم أو امتصاصهم وذلك بايجاد فجوة عاطفية ونفسية شديدة حولهم، حيث تجعلهم فريسة لعداوة « المجتمع » أو بالحد من تأثيرهم قدر الامكان (٢٨٤).

ونشير إلى أنه بعد وصول اليهود الشرقيين إلى الكنيست يشارك عدد منهم في تشكيل لجان الكنيست، وقد وصل إلى رئاسة الكنيست منهم اليهودي العراقي الأصل «شلومو هيلل».

*** حل مسألة التمثيل في الكنيست:**

منذ أن طرحت مسألة تمثيل اليهود الشرقيين في الكنيست وحتى الوقت الراهن طرحت حلول عديدة لحل هذه المسألة التي ظهرت على الشكل التالي: وجود أهمية ديمغرافية متباينة للشرقيين في اسرائيل، إذ أن اليهود الشرقيين - حسب بعض الاحصائيات - لا يمثلون إلا (١٦٪) من يهود العالم وفي الوقت ذاته يشكلون ما يفوق نسبة (٦٥٪) من يهود اسرائيل (٢٨٥)، ورغم تمتعهم بهذه النسبة المرتفعة، الا ان تمثيلهم في الكنيست لا يتوافق مع هذه النسبة اذ ان نسبتهم إلى اعضاء الكنيست لا تتجاوز (٢٥٪) (٢٨٦).

ويعتقد أحد اليهود الشرقين ان جوهر قضية التمثيل هو جوهر تاريخي ولا يرجع كل شيء لثقل الاشياء، فهنالك على الاخص نمط الاقتراع المعمول به ضمن الحركة الصهيونية وضمن الدولة، فهو يرتكز منذ عام (١٩٤٨) على الاحزاب السياسية التي يقوم المنتسب إليها بتسمية الذين سيمثلونه في الكنيست وفي المجلس الصهيوني. ويجب الا يغيب على بالنا ان السفارديين لم يكونوا يملكون القدرة على تأسيس أحزاب خاصة بهم لانهم لم يكونوا ممثلين في الحركة الصهيونية ولم تكن لهم حصة من ميزانية تلك الحركة التي كانت توزع بحسب قاعدة تعطي كل حزب ممثل في الحركة مبلغاً مخصصاً لتغطية كل مشاريعه الاقتصادية ومؤسساته الزراعية ....الخ، فهو يمنح كل حزب من الاحزاب مبلغ (٧٥٠,٠٠٠) ليرة اسرائيلية عن كل عضو له في الكنيست كنفقات انتخابية، فكيف يمكن للسفارديين أن يكونوا قائمة انتخابية خاصة بهم ؟ وكيف يتمكنون من تغطية نفقاتهم الانتخابية وقد استثنوا من تلك المنح؟ (٢٨٧)

ويعتقد «اليشار» (احد قادة الطائفة الشرقية) ان حل مسألة تمثيل اليهود الشرقيين في الكنيست يتمثل في «تغيير نظام الاقتراع لكي يوجد اللحمة بين المقترع ومن يقترع له. وان على العضو المنتخب ان يعلم أن كل شيء يتوقف على دفاعه عن حقوق ناخبيه. وهكذا يتمكن الاعضاء السفارديون كافة من مختلف الاحزاب في الكنيست من الوصول ليس على اساس طبقي ذي طبيعة سياسية او استراتيجية، عند ذلك يمكن ان نتوصل الى بداية الحل»(٢٨٨)

قديكون تغيير نظام الاقتراع للكنيست بداية حل لمسالة تمثيل اليهود الشرقيين في الكنيست، الان هذا الحل لا يعدو ان يكون حلاً جزئياً للمسألة المرتبطة بابعاد سياسية واقتصادية واجتماعية، بعضها يتعلق بالاوضاع الذاتية لليهود الشرقين وبعضها الاخر مرتبط بتبدد المخاوف التي تدفع الاشكنازيين ألى فرض هيمنتهم ووضع سقوف محددة لتطوير تمثيل اليهود الشرقيين في الكنيست.

ويبدو في نهاية المطاف ان حل مسألة تمثيل اليهودالشرقيين في الكنيست خاصة أو في بقية مؤسسات الكيان الصهيوني، يرتبط من حيث الاساس ببعد سياسي محض ذي صلة ببنية الكيان الصهيوني من جهة، وباستمرار صراعه مع محيطه الاقليمي من جهة ثانية، وعليه فان المشكلة السفاردية المعبر عنهافي مسألة تمثيل اليهود الشرقيين في مؤسسات الكيان الصهيوني، هي مسألة مصيرية لم تتوفر حتى الان الشروط الكافية لحلها. اذ ان الحد الاقصى الذي استطاع تحقيقة اليهود الشرقيون من خلال مشاركتهم في الكنيست،لم يتعد حدود أحداث انقلابين سياسيين، أولهما تمثل في ايصال الليكود إلى سدة الحكم (١٩٧٧) بناءعلى نتائج انتخابات الكنيست التاسعة. وثانيهما تعزيز مواقع شاس عبر ما يسمى بـ(الانقلاب الحرادي) الذي حدث في انتخابات الكنيست الثانية عشرة (١٩٨٨)، لكن هذين الانقلابين لم يؤديا إلى تغير نوعي في تمثيلهم السياسي.

اليهود الشرقيون في الحكومة

اذا لم تؤد مسيرة التمثيل السياسي لليهود الشرقيين في الكنيست الى ردم الفجوة القائمة بينهم وبين الاشكنازيين، فان تمثيلهم في الحكومات الصهيونية المتعاقبة لم يكن افضل حالاً، وكان مرتبطاً بشكل اوبآخر بنتائج مشاركة اليهود الشرقيين في انتخابات الكنيست من جهة، وبتوجهات الاحزاب الكبرى صاحبة القول الفصل في تحديد تركيبة كل الحكومة . وبالتالي فهي التي كانت تعين الوزراء الشرقيين في مواقع وزارية محددة.

ونذكر للتدليل على ذلك ، ان خمسا وعشرين حكومة شكلت منذ اعلان قيام الكيان الصهيوني حتى عام (١٩٩٢) اختلف تمثيل اليهود الشرقيين فيها، فمنذ الحكومة الأولى وحتى الحكومه العاشرة لم يمثل اليهود الشرقيين سوى وزير واحد هو (بخور شلوم شطريت) الذي تسلم حقيبة العدل فيها وحقيبة الشرطة في الحكومة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة .(٢٨٩)

وفي الحكومة الحادية عشرة، أصبح اليهود الشرقيون يحتلون موقعين وزاريين، إذ أنه اضافة إلى الوزير شطريت الذي استمر في توليه وزارة الشرطة استلم الوزير « الياهو ساسون » وزارة البريد، وكذلك كان حالهما في الحكومة الثانية عشرة مع بعض التعديل. إذ استقال من تلك الحكومةبخور شلوم شطريت وعين بدلاً منه ساسون وزيراً للشرطة واستلم وزارة البريد بدلاً منه وزير شرقي جديد هو يسرائيل يشعياهو .(٢٩٠) وبقيا على تلك الحالة حتى الحكومة الرابعة عشرة.

أما في الحكومة الخامسة عشرة، فاستلم وزارة البريد الوزير شلومو هيلل وكان الوزيرالشرقي الوحيد في تلك الحكومة .(٢٩١) وبعد ذلك جمع بين وزارتي الداخلية والشرطة في وزارة واحدة في الحكومة السابعة عشرة التي فازت بثقة الكنيست في ١٩٧٤/٦/٣ بعد أن كان في الحكومة السادسة عشرة يستلم حقيبة الشرطة فقط .(٢٩٢)

ونعيد إلى الأذهان أن اليهود الشرقيين خلال الحكومات الاسرائيلية التي تشكلت في فترة ما بين عامي ١٩٤٩و١٩٧٣ كانت مواقعهم الوزارية متواضعة، وهذا ما يظهره الجدول التالي :(٢٩٣)

(البنية الطائفية للحكومات الاسرائيلية ١٩٤٩-١٩٧٣)

بلد الأصلي	الوزراء		نواب الوزراء	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة
اسرائيل	٨	١١٪	٧	٣٠٪
أوروبا الشرقية	٤٨	٦٩٪	١٣	٥٧٪
أوروبا الغربية	٨	١١٪	٢	٩٪
آسيا - افريقيا	٤	٦٪	١	٤٪
الأمريكيتان وجنوب افريقيا	٢	٣٪	-	-

لذا يعتبر الشرقيون هذا الامر مجحفا بحقهم، ولذلك طالب رئيس طائفة اليهود الشرقيين الياهو اليشار بزيادة في عدد نواب الوزراء والوزراء الشرقيين لاكرمز ولا لتغطية الاعين انما لكي يساعدوا -اي الشرقيين- الدولة على حل قضايا وطنية واساسية وليس فقط طائفية، لانه يجب ان تشترك الدوائر كلها بمسؤلية ادارة الدولة، ومادام المتحكمون في امور الدولة يعتقدون ان وزارتي الشرطة والبريد تكفيان لتمثيل اكثر من نصف مواطني البلاد، فانه ليس هناك امل للاتحاد المطلوب، بل على العكس ان ذلك يزيد من خطر الانقسام (٢٩٤)

ويبدي «اريه ايلياف» تساؤلات ازاء المواقع الوزارية التي تخصص لليهود الشرقيين في الحكومات الصهيونية المتعاقبة ويقول (لماذا يجب ان يكون الوزير الشرقي الثاني مسؤولا عن المواصلات؟ اليس لانهم يعتبرون هذا المنصب بدائيا، يكتفي فيه المستخدمون بلصق الطوابع ونقل الحقائب البريدية. لكنها في الواقع وزارة في غاية الحداثة، وربما هي الوزارة التي تحتوي على الجهاز الاكثر تعقيدا. لكن الشارة التي تميزها والتي لاتستطيع التخلص منها-وهي تحولها الى وزارة من الدرجة الثانية- هي بالضبط مايناسب وزيرا شرقيا(٢٩٥)

وبعد وصول الليكود الى سدة الحكم تغيرت قليلا مواقع اليهود الشرقيين في الحكومة، إذ أنه في الحكومة الثامنه عشرة التي شكلها الليكود لأول مرة كان هناك وزيران شرقيان حيث استلم أهارون أبو حصيرة من حركة تامي وزارة الأديان، وعين دافيد ليفي وزيراً للاستيعاب وبتعيينهما تفوقت مكانة اليهود الشرقيين المغاربة المتميزة على باقي طوائف اليهود الشرقيين.(٢٩٦) ويذكر أنه في التعديل الذي

حدث على تلك الحكومة نتيجة للمفاوضات الإئتلافية مع حركة «داش» اضيف وزير شرقي آخر من العراق هو الوزيرموشي نسيم الذي عين في موقع وزيربلا وزارة.(٢٩٧)

وفي الحكومة التاسعة عشرة بقي عدد اليهود الشرقيين في الحكومة وزيرين. فكان الوزير دافيد ليفي نائباً لرئيس الحكومة مناحيم بيغن وفي الان ذاته وزيراً للبناء والاسكان، وأصبح اهارون أبو حصيرة وزير للعمل والرفاه الاجتماعي، لكنه استقال في ٣٠/٤/١٩٨٢، بعد أن ادانته محكمة اسرائيلية بتهمة الاختلاس والتلاعب بأموال الدولة وعين بدلاً منه (اهارون اوزان) التونسي الأصل. أما موشيه نسيم، فاستلم وزارة العدل في تلك الحكومة.(٢٩٨) أما الحكومة العشرون التي ترأسها اسحاق شامير، فاستمرت فيها المكانة المميزة للوزير دافيد ليفي إذ استمر في موقعه نائباً لرئيس الحكومة ووزيراً للبناء والاسكان، وعين أهارون أوزان وزيراً للعمل والرفاه ووزيراً للاستيعاب والهجرة، وبقي موشيه نسيم وزيراً للعدل، ودخل مردخاي بن بورات الحكومة وعين وزيراً بلا وزارة.(٢٩٩)

وفي حكومة (الوحدة الوطنية) التي فازت بثقة الكنيست يوم ١٤/٩/١٩٨٤، والتي ترأسها بالتناوب كلاً من شمعون بيرس واسحق شامير كان نصيب دافيد ليفي في فترة بيرس متراجعاً، إذ استلم وزارة الانشاء والاسكان، وبقي نسيم وزيراً للعدل. أما الوزير الجديد موشيه شاحل فاستلم وزارة الطاقة، واستلم موشي كتساف وزارة العمل والشؤون الاجتماعية. وفي فترة رئاسة شامير للحكومة، اصبح ليفي نائباً لرئيس الحكومة ووزيراً للاسكان، وعين موشي نسيم وزيراً للمالية، وبقي شاحل وزيراً للطاقة وكتساف وزيرٌ للعمل والشؤون الاجتماعية، وتسلمت شوشانة اربيلي الموزلينو وزارة الصحة.(٣٠٠)

وفي حكومة الوحدة الوطنية (١٩٨٨) مثل اليهود الشرقيون بـ(٧) وزراء، وبقي دافيد ليفي في موقعه الوزاري المتميز ودخل «رفائيل ادري» الحكومة بصفة وزير دولة، وتسلم أرييه درعي وزارة الداخلية، وعاد موشي نسيم إلى مكانة وزير دولة. وعين الحاخام يتسحاق بيرتس وزيراً للاستيعاب والهجرة، وموشي كتساف وزيراً للمواصلات، وموشي شاحل وزيراً للطاقة.(٣٠١)وفيما بعد وفي الحكومة الاسرائيلية اللاحقة تسلم ليفي منصب وزير للخارجية، وهو أرفع منصب يصل إليه يهودي شرقي.

وعند عودة حزب العمل إلى السلطة عام ١٩٩٢، طرأ تغيير ملحوظ على تمثيل

اليهود الشرقين. إذ أصبح بنيامين بن اليعزر وزيراً للاسكان ويسرائيل كيسار وزيراً للمواصلات، وأرييه درعي وزيراً للداخلية. لكنه بعد شهور - ونتيجة لفضيحة مالية - فدم استقالته من الحكومة، وقررت الكنيست رفع الحصانه عنه في ١٢/١٠/١٩٩٣ بغالبية ٦٥ صوتاً مقابل ٩ أصوات.(٣٠٢)

وهكذا نجد وجود تغيير في المواقع الوزارية لليهود الشرقين في الحكومات الاسرائيلية الاخيرة، وهذه المواقع تؤهلهم لاداء دور مؤثر نسبياً، وفي حدود معينة قد لا تمثل حلاً نهائياً لمشكلة بعدهم النسبي عن مواقع صنع القرار الاسرائيلي.

اليهود الشرقيون ورئاسة الدولة

يبدو احتجاج زعماء اليهود الشرقيين على تدني مستوى تمثيلهم في الاجهزة السياسية الاسرائيلية بارزاً في اعتراضهم على خلو مؤسسة الرئاسة من أي ممثل لهم، وفي هذا الصدد يقول أريية ايلياف (لقد تعاقب علينا أربعة رؤساء جميعهم من أصل أوروبي غربي، لكنني لا أتهم هنا كفاءاتهم كرؤساء، ولكن هل من المعقول الا يقدم لنا نصف سكاننا رئيسا واحداً.(٣٠٣)

وتجدر الاشارة إلى أن مؤسسة الرئاسة في الكيان الصهيوني هي مؤسسة قليلة الاهمية، نظراً لكون مهام رئيس الكيان هي مهام بروتوكولية. ويعتقد أن منصب رئيس الكيان اعطى مضامين إجتماعية وثقافية أكثر مما أعطى مضامين سياسية أو عملية في مجال ممارسة الحكم. فقد تركت هذه الممارسة للحكومة، وترك الاشراف على الحكومة ومحاسبتها للكنيست. وحددت لرئيس (الدولة) مهام وصلاحيات قريبة من الصيغ الوظيفية الادارية. التي تنتمي أساساً إلى اعتبارات رمزية. وجرى بذلك التعبير عن تقسيم الوظائف بين السلطات، وعن الترابط بين أجهزة الحكومة والتشريع والقضاء، سواء أكان ذلك عبر قناة رئيس الدولة، أم عبر قنوات أخرى. وبمرور الزمن، درجت المؤسسات الاسرائيلية على إبراز الطابع المعنوي أو الاسمي/الشكلي لمكانة رئيس الدولة. الامر الذي ساهم في دفع الكثيرين للتنافس على منصب الرئيس. وفي اثارة النقاشات والاهتمامات الصحفية والعامة بهذا التنافس.(٣٠٤)

ومن بين الرؤساء السبعة الذين تعاقبوا على رئاسة الدولة، لا يوجد سوى يهودي واحد من الطائفة الشرقية (السفارديم). وهو الرئيس الخامس للكيان الصهيوني، وهو اسحق نافون، إذ أن جميع الرؤوساء الآخرين هم من الاشكناز. وقد سبق لـ «نافون» أن رشح نفسه للرئاسة عام (١٩٧٣)، وخسر، إذ حينما جرت الانتخابات داخل مركز حزب العمل، فقد فاز إفرايم كاتسير، حيث صوت لصالحه (٢٧٩) عضواً، بينما صوت لصالح نافون (٢٢١) عضواً، وامتنع عضوين عن التصويت. وبذلك فقد فاز كاتسير بـ«٥٥,٨٪) من الأصوات مقابل (٤٤,٢٪) لصالح نافون ثم دعي جميع الأعضاء بعد ذلك للتصويت لصالح الفائز فنال المرشح لرئاسة الدولة ١٠٠٪ من الأصوات.

وفي ١٩/٤/١٩٧٨، إجتمعت الكنيست في جلسة خاصة وبالتصويت

السري فقد تم انتخاب اسحق نافون رئيساً خامساً لاسرائيل خلفاً لـ «افرايم كاتسير». وقد حصل نافون على (٨٦) صوتاً، ووجد في صناديق الاقتراع (٢٣) ورقة بيضاء وتغيب عن الجلسة (١١) نائباً، كانوا في الخارج. وقد تولى نافون منصبه في ٢٥/٥/١٩٧٨ بعد تسعة أيام من إنتخابه داخل الكنيست.(٣٠٥)

اجمالاً يمكن القول: أن مسالة تمثيل اليهود الشرقيين في مختلف مؤسسات السلطة في الكيان الصهيوني معرضة لثلاثة احتمالات: أولها، يتمثل في تذويب اليهود الشرقيين في إطار المجتمع الغربي خلال عدة أجيال، حيث يفقدون خصائصهم الثقافية والحضارية، ويندمجون في تيار ذلك المجتمع. وثانيهما يتمثل في تحويل الكيان الصهيوني إلى (دولة بسمات شرقية) من حيث العدد والثقافة، غير أن النخبة الاشكنازية الحاكمة والمهيمنة على المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية لن تسمح بهذا التطور لاعتبارات ايديولوجية بحتة ولاعتبارات بنيوية وسياسية هامة. وثالث تلك الاحتمالات يتمثل في أن تطور اسرائيل هو أساس التعدد الثقافي، بحيث يعطي المجتمع فرصة النمو كل الثقافات اليهودية بداخله.(٣٠٦)

إن احتمالات حل مسالة تمثيل اليهود الشرقيين في أجهزة السلطة الاسرائيلية احتمالات مفتوحة، وسيكون تحقيق أي احتمال منها في المستقبل المنظور أو البعيد عاملاً هاماً في تحديد هوية الكيان الصهيوني برمته.

اليهود الشرقيون في الجيش الاسرائيلي

تنعكس مسألة التمييز الاثني أو ما يعرف بـ « المشكلة السفاردية » على كافة أوجه النشاط السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الكيان الصهيوني. وسبق لنا أن. بحثنا في السابق. مسألة تمثيل اليهود الشرقيين في أجهزة السلطة الاسرائيلية (الكنيست، الحكومة، ورئاسة الدولة). وراهناً نعالج هذه المسألة على صعيد الجيش الاسرائيلي باعتباره جزءاً هاماً مما يسمى بـ « جهاز أمن الدولة » في الكيان الصهيوني وفوق ذلك بإعتباره من وجهة نظر الباحثين الاسرائيلين أداة « مساواة ودمج للطوائف ».

وكي تتضح صورة اليهود الشرقيين في الجيش الاسرائيلي، سنعمد بداية إلى تحديد موقع الجيش في المؤسسة العسكرية الاسرائيلية، وعلاقته بعملية صنع القرار السياسي الاسرائيلي. وبعد ذلك الاضواء على علاقة الجيش « بالمجتمع » أو التركيب الاجتماعي، الاثني المكون للكيان الصهيوني، كي نسبر درجة إنعكاس « المشكلة السفاردية » على البنية الهيكلية للجيش وبالتالي علي طبيعة المهام التي يقوم بها، وبالتالي موقع اليهود الشرقيين في هذه المؤسسة الامنية الصهيونيةالتي كانت سباقة في وجودها على وجود الكيان الصهيوني بل هي التي أوجدته. بمعنى أن التشكيلات العسكرية الصهيونية التي بعد توحدها عشية الأعلان عن قيام الكيان الصهيوني والتي إتخذت شكل الجيش، هي التي أوجدت الكيان الصهيوني. بينما عمدت قيادة هذا الكيان إلى اتخاذ إجراء شكلي فقط بتشكيل الجيش الاسرائيلي. وهذا الامر بخلاف الحالات العادية لنشأة الجيوش في دول العالم، ففي تلك الدول العادية ظهرت الجيوش لتحقيق وظيفة الدفاع عن سيادة وحدود تلك البلدان بينما الامر في حالة الكيان الصهيوني يخالف تلك الحالات، فالجيش الاسرائيلي كما أشرنا أعلاه وجد قبل نشوء الكيان بشكل منظمات مسلحة، وهو أداة تشكيل الكيان الصهيوني الذي مهمته ضمان استمرار هذه الالة العسكرية الصهيونية بأداء دورها العدواني في المحيط الاقليمي للكيان الصهيوني.

ويعتبر الجيش الاسرائيلي جزءاً من جهاز « أمن الدولة » في الكيان الصهيوني إلى جانب كل من: الشرطة، وأجهزة المخابرات، ووزارة الدفاع، وجهاز أمن القيادات، والحرس المدني والمليشيا. ويكوّن الجيش مع وزارة « الدفاع » ما يعرف باسم « المؤسسة العسكرية » التي يشرف عليها « وزير الدفاع » الذي يعتبر شخصية

أساسية في الحكومة الاسرائيلية وفي بعض الاحيان كان يتبوأمنصب رئيس الحكومة وتجسد ذلك في مثالي : بن غوريون واسحق رابين.

ويأتي في الاهمية بعد ذلك منصب رئيس الأركان العامة التي تعد القيادة العامة للجيش ، التي تشرف مباشرة على جميع أوجه نشاط شعب الجيش المختلفة من: شعبة العمليات وشعبة الاستخبارات العسكرية، وشعبة الطاقة البشرية، وشعبة الامداد والتموين وشعبة التخطيط.

ويتابع رئيس هيئة الأركان ونائبه قيادة وتوجيه ضباط المناطق العسكرية الثلاث : الشمالية والوسطى والجنوبية، وأيضاً متابعة عمل أسلحة الجيش العديدة وهي: سلاح الجو، سلاح البحرية، سلاح المدرعات، سلاح المدفعية، سلاح المظليين والمشاة، وسلاح الهندسة .(٣٠٧) وقد تعرضت هذه التقسيمات إلى بعض التعديلات لتصبح هيكليةالاركان العامة للجيش الاسرائيلي على الشكل التالي : (٣٠٨)

وزير الدفاع

رئيس هيئة الأركان

نائب رئيس هيئة الأركان

مكتب رئيس الأركان	المراسم والمرافقة	المستشار المالي	المستشار القضائي	المفتش العام
شعبة العمليات	شعبة الاستخبارات	شعبة التخطيط	شعبة الطاقة	شعبة المهمات

القوات البرية
قيادات المناطق
المنطقة الشمالية
المنطقة الوسطى

الوحدات القتالية

الدفاع عن المنطقة

القواعد و التحصينات

سلاح الجو
القواعد
الأسراب

سلاح البحرية
القواعد
الوحدات القتالية

القيادات العملياتية
المدرعات
المدفعية
المظلات
الهندسة
الاشارة
التدريب
النقل
الخدمات النسائية
الناحال
الجدناع

* مقاربات ومقولات..

بصدد جوهردراستنا هذه نشير إلى أن قادة الكيان الصهيوني أولوا أهمية كبيرة لمسألة إستقرارالجيش، وقام علماء الاجتماع وخاصة من اليهود الشرقيين بتقديم مساهمات ومعالجات مختلفة للعلاقة القائمة أو المحتملة بين الطائفية والجيش، وانعكاس المشكلة الطائفية في الجيش. وبحثوا أيضاً في علاقة الطائفية بالظواهر التالية: عدم الولاء، عدم الاستعداد للخدمة، إنخفاض الروح المعنوية. وعالجوا كيفية إنعكاس التوترات الطائفية من طراز :التحامل والتحيز والتفرقة والاضطرابات على أداء الجيش الاسرائيلي.

وفي معالجتهم وضعوا مقاربات وفرضيات مختلفة وحددوا خارطة الامن الطائفي العملياتية (غير الرسمية) لقادة «الدولة »والجيش، وعلى أساس هذه الخارطةوجدوا أن الاسرائيلين ينقسمون إلى فئات التحدرالتالية:

١- الطائفة الاشكنازية، التي تشكل «مركز» (المجتمع)، والأكثر ولاءً للدولة، والاكثر كفاءة، والتي من المفروض أن تشكل هيكلية الجيش والمؤسسة الامنية كلها.

٢- الطائفة الشرقية المتموضعة في «المحيط» المجاور «للمركز»، وهي وفية جداً للدولة، وصاحبة كفاءات غير موحدة، والمفروض أن تزود الامن بالطاقة البشرية، والجماهيرية الحيوية للامن.٣- الطائفة الدرزية والطائفة الشركسية (بما في ذلك قسم من البدو) الموجودتان على الهامش مواليتان نسبياً وتتمتعان بكفاءات خاصةوقادرتان على توفير قوة مساندة صغيرة. ٤- الطوائف المسيحية والاسلامية الموجودة خارج المجال، والتي لا يثير ولاؤها الارتياب، وهي تتطلب رقابة مستمرة عليها للحؤول دون تحويلها إلى خطر أمني.(٣٠٩)

وحدد علماء الاجتماع في الكيان الصهيوني ثلاث مقاربات سوسيولوجية سائدة في علاقات الطوائف في هذا الكيان هي: المقاربة الثقافية، والطبقية، والتعددية. فالمقاربةالثقافية تعلق أهمية كبيرة على الايديولوجية الصهيونية المتعلقة بإلغاء الطوائف ودمجها مع بعضها بعضاً، وتقلل من شأن الفوارق الثقافية بين الطوائف. وحسب هذه المقاربة يحدث إندماج ثقافي وإجتماعي على نطاق واسع وبوتيرة سريعة جداً، إذ أن الطائفية ستضعف خلال جيل أو جيلين إلى حد كبير حتى يصبح هناك إندماج ومساواة طائفيان بين الأكثرية الحاسمة من السكان.

وتؤكد هذه المقاربة على أن الفوارق بين الطوائف في إسرائيل تختلف عن الفوارق الأثنية أو العنصرية في المجتمعات الأخرى، لأن المقصود هنا جماعات من نشأة واحدة «عادت» وتجمعت في «وطنها» بعد شتات طويل في المنفى (أ). علاوة على النشأة المشتركة فإن اليهود تجمعهم «القومية» والدين و«الهوية المشتركة» وبالتالي فإن الاختلاف بين الطوائف إنما هو محدود وعابر منذ البداية. لقد تحدر الشرقيون من خلفية أكثر تقليدية. ولذا يتمتعون بخاصية ثقافية، ولكن نظراً لكونهم لا يدعون الانتماء إلى ثقافة أو مؤسسات منفصلة، وإنما يخضعون إلى ذروة عملية إندماج طوعية فإن «المجتمع» الاسرائيلي غير منقسم في بنيته أو انه ليس تعددياً لجهة الطائفية. وإن عدم المساواة الطائفي في الموارد ومراكز القوة آخذ في التقلص كلما ذابت الفوارق المتعلقة بالأقدمية وأنماط الحياة والفكر، مع انه تبقى هناك جيوب واسعة من العوز الاقتصادي والتخلف الثقافي اللذين يتطلبان عناية خاصة.

وتجزم هذه «النظرية» بأن الجيش الاسرائيلي، سوية مع جهاز التعليم، يشكلان بوتقة الانصهار الرئيسية للطوائف في «الدولة». وليس هناك اي تميز في الجيش وفق النشأة الطائفية وبالتالي لا توجد تفرقة طائفية نحو الأسوأ أو الأفضل.(٣١٠)

وفي اطار تعميم المقاربة الثقافية السائدة، ظهرت مقاربة بديلة تلغي العلاقة بين العنصرية والطائفية. وتعتقد أيضاً بأن السياسة – نشاطات قادة الدولة وتقصيراتهم – لا تعكس علاقات القوى بين الطوائف في المجتمع الواسع وحسب، وإنما في مقدورها ايضاً، وفي ظروف معروفة، ان تشكل – أو تحافظ، وتعزز أو تضعف – العلاقات بين الطوائف.(٣١١)

تؤكد هذه المقاربة وجود هيمنة طائفية في الكيان الصهيوني. وتحدد محوران للمشكلة الطائفية أولهما ثقافي دخل طور التقلص بفضل الثقافة الصهيونية المشتركة التي تحاول استيعاب الفوارق الطائفية في الثقافات الثانوية(٣١٢) من طراز: التقليد الديني، العائلة، اللغة، الثقافة السياسية، والثقافة البروليتارية، وثقافة الفقر.

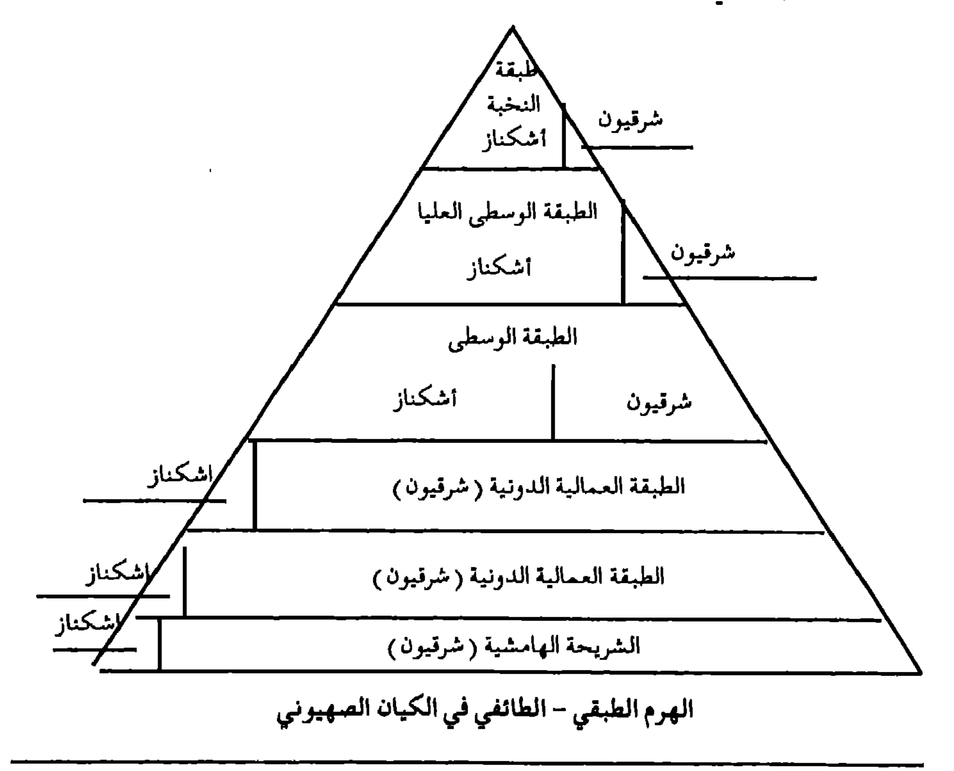
أما المحور الثاني وهو المحور الطبقي فينعكس جيداً في التكوين الطائفي البارز للطبقات «المتبلورة» بين السكان اليهود في الكيان الصهيوني ويتكون التكوين الطائفي في هذا الكيان من الشرائح و«الطبقات» الاجتماعية التالية:

١– الشريحة الهامشية المستخدمة التي تعتمد على الاعانات الاجتماعية، والمشوهون، والمجرمون، والشبان المنبوذون الخ، معظمها شرقية تقريباً.

٢- الطبقة العمالية الدونية المكونة من عمال الانتاج والخدمات غير المهنية أو حتى المهنية، والذي يضعهم دخلهم الفردي على عتبة، أو تحت خط الفقر كلها شرقية تقريباً.

٣- الطبقة العمالية العليا المكونة من عمال مهنيين، وكذلك من عمال إنتاج وخدمات أخرى ليسوا فقراء، وهذة الطبقة معظمها شرقية. ٤- الطبقة الوسطى المكونة من الموظفين والمعلمين في المدارس الابتدائية، والتقنيين، والخبراء والمهندسين، وقسم من الجامعيين، وأصحاب المحلات التجارية، وصغار التجار الخ، هذه الطبقة متوازنة من الناحية الطائفية مع أفضلية للاشكناز. ٥- الطبقة الوسطى العليا، التي تشمل معظم الاكاديميين، وأصحاب المهن الحرة، والمدراء ،وصغار أرباب العمل، معظمها من الاشكناز. -٦- طبقة النخبة المكونة من رجال السلطة، وكبار الموظفين، وكبار المدراء في القطاع الخاص وفي أصحاب المهن الحرة، وقيادة عالم الثقافة الخ. هذه الطبقة كلها تقريباً من الاشكناز.

وبناء على هذا التكوين الطائفي - «الطبقي»، فإن الهرم «الطبقي» الطائفي يتخذ الشكل التالي المحتمل:



الهرم الطبقي - الطائفي في الكيان الصهيوني

استناداً إلى المقاربات السابقة والمقولتين: « السائدة » و« البديلة » -المقصود بالسائدة: المقاربة الثقافية مطبقة، بينما يقصد بالمقولة: « البديلة »تطبيق المقاربة التعدديةأن هنالك وجهات نظر اسرائيلية مختلفة في رؤية سلبية أو إيجابية الرابطة بين الطائفية والجيش. فعلى أساس المقاربة الثقافية هنالك رابطة إيجابية بين الطائفية والجيش تتجلى في النقاط الثلاث التالية :(٣١٣)

١- أن الخدمة العسكرية الاجبارية التي تسري بصورة متماثلة على الاشكناز والشرقيين تضمن للشرقيين مكانة متساوية وإنتماء كاملاً للمجتمع.

٢-إن إنفتاح الجيش الاسرائيلي وقابليته لتحقيق الانجازات يعملان لصالح المتحدرين من أصل شرقي، إذ أن دونيتهم الطبقية في المجتمع لا تشكل حاجزاً أمام تقدمهم في الجيش. والجيش الاسرائيلي خلافاً لجيوش كثيرة اخرى، أقل مراعاة للطبقية المدنية، وهو أكثر « ديمقراطية » لجهة المقاييس المتبعه فيه من أجل الحصول على المكانة. وليست فيه قيود أمام ترقية الضباط كتلك السائدة في جيوش أخرى، وليست عنده أكاديمية عسكرية، والثقافة الثانوية ليست شرطاً للقبول في دورات الضباط، والثقافة الأكاديمية لا تمنح رتب الضباط تلقائياً ومسيرة التدريب والاعداد هي شرط أساسي للترقية، وليس هناك تقليد لتجنيد الضباط من شريحة إجتماعية واحدة، وليس هناك زمرة من الضباط منغلقة على نفسها. وعلى الرغم من أن القريبين من « المركز » (ولا سيما الاشكناز من أبناء الكيبوتسات، والموشافيم والمتخرجين من المدارس الثانوية وأبناء القدامى) هم الذين يشغلون الوظائف في الوحدات الممتازة في الجيش. ولكن الحقيقة التي مفادها أن معظم الرجال يجندون، تؤكد أن أي طبقة أو طائفة لن تحصل في الجيش على إحتكار للكفاءات والمعلومات التي يمكن إستغلالها للحصول على مناصب عليا في الحياة المدنية مثل: الاقتصاد والسياسة.

٣- نظراً لان الرتبة العسكرية هي مقياس يساهم في تكوين المكانة، وربما في إضعاف الوزن النسبي لحجم المكانة الاخرى، فإن الحصول على رتبة قائد ليس ضابطاً أو ضابطاً صغيراً، إنما هو جزاء ذو دلالة للمتحدرين من اصل شرقي الذين تميل مكانتهم الاجتماعية والطائفية نحو كونها أقل شأناً من مكانه الاشكناز.(٣١٤)

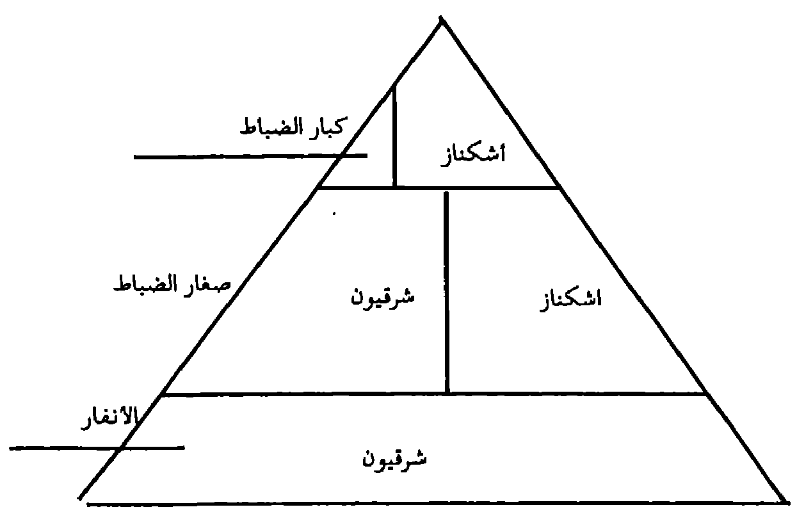
وعلى أساس المقولة البديلة فإن ملامح العلاقة الرابطة بين الطائفية والجيش تتمثل فيما يلي:

١- نظراً لان الجيش الاسرائيلي هو «جيش الشعب» هناك موازاة بين أحجام المشكلة الطائفية في الجيش والمجتمع، مع أن قوتها أكبر في الجيش، أي أن المقاربة الطائفية أكثر حدة، ولكن الهدوء الطائفي أكبر هو أيضاً. ٢- إن مساهمة الجيش الاسرائيلي في المجتمع، لجهة تحسين أوضاع الشرقيين كمواطنين مستقلين ومفيدين وإضعاف ارتباطهم الطائفي، هي مساهمة ضئيلة جداً. ٣- إن النتيجة السلبية للمشكلة الطائفية كما تنعكس على الجيش لجهة النوعية والمعنويات المتدنية للجنود الشرقيين والتوترات الطائفية في الجيش، هي نتيجة محدودة جداً. ٤- نظراً لانخفاض «مناعة» الجيش و«عزلته»، وتصاعد الغليان الطائفي في المجتمع، تبرز عدة إمكانات لتفشي المشكلة الطائفية في الجيش الاسرائيلي.(٣١٥)

«الخارطة الطبقية»- الطائفية في الجيش -.

إن تدرج الرتب العسكرية في الجيش الاسرائيلي من الأدنى إلى الأعلى يسير وفق الشكل التالي: ملازم (سيغن)، ملازم أول (سيغن ريشون)، نقيب (سيرن)، رائد (راف سيرن)، مقدم (سيغان الوف)، عقيد (ألوف ميشنيه)، عميد (تات ألوف)، لواء (ألوف)، جنرال (راف ألوف).(٣١٦) لكن بنية هذا الجيش هي بنية هرمية، والتقسيم «الطبقي» فيه بحسب الرتبة ونوع العمل الذي يمارسه الجند. وهناك تصنيفات مختلفة داخل الجيش الاسرائيلي منها: تصنيف جنود الخدمة الالزامية والاحتياط إلى أنفار وقادة ليسوا ضباطاً، وضباط صغار (من ملازم وحتى مقدم)، وكبار الضباط من (عقيد إلى عميد) وقادة الجيش (الالوية)، هذا التصنيف يتم حسب الرتبة ونوع العمل. والتقسيم أو التصنيف الطبقي في الجيش يتم وفق الوظيفة، كما في المجتمع الواسع، لكنه لا يلاحظ كثيراً، إنما يعبر عن ذاته في المهام المختلفة لوحدات وأسلحة الجيش، مثل المهام القتالية الانتقائية التي تقوم بها وحدات الاستطلاع، والمظليين والكوماندس البحري والطيران. وتقابل هذه المهام مهام خدماتية متدنية مثل: الطبخ، وقيادة المركبات والحراسة.(٣١٧)

على أساس تلك التصنيفات فإن الهرم «الطبقي» الطائفي في الجيش الاسرائيلي هو على الشكل التالي:



الهرم الطبقي الطائفي في الجيش الاسرائيلي

ولدى المقارنة بين التقسيم الطائفي – الطبقي في التجمع الاستيطاني الصهيوني، والتقسيم ذاته داخل الجيش الاسرائيلي، يذهب البروفيسور سامي سموحا إلى أن التقسيم الطبّقي الطائفي المدني. فالتمثيل الهرمي لأبناء الطرائف الشرقية في الانتقال من شريحة إلى أخرى هو تمثيل واسع ولا سيما في الجيش. ففي أوساط الأنفار هناك فئة خاصة من الجنود الاشكنازيين جميعهم من الشرقيين. إذ أن معظم الأنفار غير الأشكاليين الذين يشكلون البنية التحتية البشرية الواسعة للجيش هم شرقيون أيضاً. وفي أوساط القادة الذين هم ليسوا ضباطاً. فإن التمثيل متوازن وتتضمن شريحة الضباط الصغار في الخدمة النظامية أقلية شرقية. ولا بد من الافتراض أن الشرقيين يشكلون أقلية أكبر بين شريحة صغار الضباط في الخدمة الدائمة التي تجري التعيينات فيها بصورة روتينية جداً (بالنسبة إلى رتب الملازم والنقيب والرائد والمقدم)، كما إن نسبة الضباط الشرقيين الذين يواصلون الخدمة الدائمة هي، كما يبدو، أكبر من نسبة الضباط الاشكناز الذين يفعلون ذلك. ولكن بالنسبة إلى شريحة كبار الضباط (من رتبة عقيد وما فوق)، فإن نسبة الشرقيين لا تزال صغيرة، مع أنه تسير في خط متصاعد. ويبدو أن هناك تقسيما طائفياً شبيهاً قائم وفق الأسلحة والمهن العسكرية إذ أن الاشكناز أكثر إحتشاداً في الأسلحة والمهن المهمة والمرموقة.(١٢)

ويخلص «سموحا» إلى الانقسام الطبقي الطائفي في الجيش الاسرائيلي يعكس الانقسام الطبقي الطائفي في «المجتمع» الاسرائيلي إذ أن الجنود الاشكاليين يأتون بصورة خاصة من شريحة الشرقيين الذين يعيشون في ضائقة. ويأتي الجنود الانفار من جميع الشرائح، ولكن معظمهم شرقيون لانهم يأتون غالباً من الشرائح الأكثر دونية في المجتمع، ويفتقرون إلى معطيات تمكنهم من التقدم في الجيش. ويصل إلى رتبة القادة، الذين هم ليسوا ضباطاً، أبناء الطبقة العمالية العليا وما فوق، وأما أبناء الطبقة الوسطى العليا فيتقدمون في رتب الضباط. فالترقية في الجيش تتم إذن وفق المكانة الاجتماعية المدنية.(٣١٩)

ويفترض «سموحا» أيضاً أن التقسيم الطبقي الطائفي في الجيش إنما هو أشد خطورة منه في المجتمع لاسباب عديدة أولها: ان الجيش الاسرائيلي كونه منظمة تشدد على الانجازية، فإنه يفتقر إلى أجهزة لتخفيض وطأة التقسيم الطبقي الطائفي وضبطه في المجتمع، وهو أقل تعرضاً لضغوط خاصة أو سياسية من أجل تحقيق المساواة الطائفية. وثانيهما، أن الشريحة الدنيا في الجيش الاسرائيلي هي شرقية في حين أنها غربية في المجتمع الاسرائيلي، عدا تجنيد العرب في الجيش الاسرائيلي يسيء بصورة غير مباشرة إلى المتحدرين من أصل شرقي الذين يضطرون إلى أن يملأوا بانفسهم الوظائف الحقيرة في الجيش. وثالثهما، أن التقسيم الطبقي الطائفي في الخدمة العسكرية النظامية يتعلق بمعظمة تقريباً بمواليد البلد، الامر الذي يبرز استمراريته من جيل إلى آخر وتحويله إلى ظاهرة دائمة في المجتمع الاسرائيلي.(٣٢٠)

وقد سبق لباحث اسرائيلي آخر، (يشيعا هو بن فورات) أن عالج مسألة العلاقة بين الطائفية في التجمع الاستيطاني الصهيوني وبين واقعها في الجيش الاسرائيلي، في إطار معالجته للتفاوت الاجتماعي – الطائفي في الجيش، ووجد أن عدم وجود عدد كاف من الضباط من أصل شرقي في الجيش الاسرائيلي، لا يعود إلى أسباب (عنصرية – طائفية)، بل إلى أسباب تتعلق بمستوى الثقافة والتعليم وعدم القدرة على استيعاب التكنولوجيا الحديثة، فالانخفاض النسبي في عدد أبناء الطوائف الشرقية، في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي، ينعكس بصورة موازية في الجيش الاسرائيلي. وأبرز – بن فورات – معطيات المشكلة كما تبدو في الجدول التالي:

الأصل	١٩٦٤	١٩٧٢
الجندي والده من أصل شرقي	٣٣٪	١٩٪
الجندي والده من أصل غربي	٣٣٪	٩,٥٪
الجندي من مواليد البلد ، الآباء من أصل شرقي	٧٪	٣٥٪
الجندي من مواليد البلد، الآباء من أصل غربي	٢٢٪	٣٤٪
الجندي ووالده من مواليد البلد	٥٪	٤,٣٪

واستنتج «بن فورات» ثلاث ظواهر بارزة هي: الانخفاض العام في نسبة الجنود الذين هم وآباؤهم من مواليد الشرق والغرب، خصوصاً بالنسبة إلى مواليد الغرب. والارتفاع النسبي مرة ونصف المرة فقط في نسبة الجنود من مواليد البلد وابائهم من مواليد الغرب. والظاهرة الأكثراهمية، هي الزيادة الكبيرة حتى خمسة أضعاف في نسبة مواليد البلد الذين آباؤهم من الشرق. لذا يقول «بن فورات» أنه بينما ارتفعت نسبة الجنود الذين آباؤهم من أصل شرقي بين مجموع أفراد الجيش الاسرائيلي بخمسة أضعاف، فإن الارتفاع بين الضباط يكاد يصل بصعوبة إلى ثلاثة أضعاف. وإن الثغرة بين نسبة الأفراد من أصل شرقي في جيش اسرائيل وبين نسبتهم بين الضباط أخذت في الإزدياد، ونتيجة لذلك، قد يتطور ويزداد الشعور بالخيبة بين الذين هم من أصل شرقي، إذ ان تمثيلهم على مستوى الضباط لا يعكس نسبتهم في الجيش كما ينبغي.(٣٢١)

وأكد على جوانب من تلك الظواهر «سامي سموحا» في كتابه «اسرائيل: التعددية والصراع»، بإيراده جدولاً يبين توزيع اليهود الشرقيين والغربيين في رتبة لواء (ألوف) في الجيش الاسرائيلي خلال أكثر من عقدين من الزمن، هوا الجدول التالي:(٣٢٢)

	١٩٥١	١٩٥٥	١٩٦٠	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٣
المجموع	١٢	٦	٦	١٢	١٧	٢١
لواء شرقي	(٠)	(٠)	(٠)	(٠)	(٠)	(٠)
لواء اشكنازي	١٢	٦	٦	١٢	١٧	٢١
نسبة الشرقيين ٪	(٠)	(٠)	(٠)	(٠)	(٠)	(٠)

أي أنه خلال تلك الفترة الزمنية الطويلة النسبة لم يحصل شرقي واحد على رتبة لواء في الجيش الاسرائيلي، مقابل إحتكار الاشكناز المطلق لهذه الرتبة العسكرية.

وتتضح صورة اليهود الشرقيين داخل الجيش الاسرائيلي وحالة التمييز الحادة بينهم وبين أقرانهم من الاشكناز في المراتب العليا المتقدمة في الجيش وفي هيكلية ضباط سواء منهم العاملين أو المسرحين. ولقد إهتم بهذه الصورة بحاثة إسرائيليون كثر أهمهم وأشهرهم إلى جانب «سماحي سموحا»، نذكر «موشي ليساك» أستاذ علم الاجتماع في الجامعة العبرية بالقدس، الذي حدد علاقة الجيش بالسياسة وأساليب السيطرة الحزبية على الجيش وذلك لرصد حالة الحراك البطيء في مراتب ومهام اليهود السفارديم في الجيش. فبصدد العلاقة بين الجيش والسياسة يذكر «ليساك» أن الجيش الاسرائيلي لم يُعزل عن عملية التسيس الواسعة النطاق في اسرائيل، ويتمثل ذلك عملياً بان رؤوساء الوزارات ووزراء الدفاع كانوا يأخذون بالاعتبارات السياسية والحزبية في تعيين كبار الضباط وخاصة في السنوات العشرين الأولى من وجود اسرائيل .(٣٢٣)

ووجد «ليساك» أن أساليب السيطرة الحزبية على الجيش التي اعتمدها المباي في عقد الخمسينات والستينات تمثلت في «استخدام التعيينات كأداة للتحكم في

آلية عمل قيادة الجيش وإستمالة كبار الضباط، وتشريب قيادة الجيش الافكار السياسية للحزب. وقد بنيت السنوات الـ (٢٥) الأولى من وجود اسرائيل نجاح المباي في هذه العملية، بيد أنه مع بداية أعوام الستينات وخلال أعوام السبعينات، أخذت أهمية التعيينات والاعتبارات الحزبية في المجال العسكري تضعف » .(٣٢٤)

بالمقابل من طروحات واستنتاجات « موشي ليساك » نجد أن الكاتب الاسرائيلي « روبيك روزنتال » يرى العلاقة بين الجيش والسياسة قي الكيان الصهيوني بمنظار آخر حين يوضح آن عدم تدخل الجيش الاسرائيلي في السياسة يرجع إلى أن هذا الجيش يختلف عن كثير من جيوش العالم في مجال محافظته على إختصاصه ومهمته المحددة له » ويرى أن رجال الجيش لا يتفقون على رأي واحد . لولا أن الجيش يعتبر في الوقت ذاته من نوع جماعة محددة صاحبة هدف محدد. لذا يحاول الابتعاد عن التدخل في السياسة ويخطر على الضباط تعاطيها، طالما بقوا في الخدمة، على الرغم من أن كل واحد منهم يحمل معه فكرة معينة من الافكار الايديولوجية المعروفة في اسرائيل » ·(٣٢٥)

وقد أسهب الباحث الاسرائيلي « يونثان شم – أور » في توضيح آلية الصعود إلى قمة الهرم العسكري في الجيش والتمايز بين اليهود الشرقيين والاشكناز، وفسر بطء تقدم اليهود الشرقيين وتواضع مكانتهم في الجيش مقابل سرعة تقدم الاشكناز وتبوأهم مراكز عليا في الجيش، ووجد « يونثان شم – أور » أن آلية الصعود إلى قمة الهرم العسكري تعتمد ظاهرياً الكفاءة كمعيار، لكن عملياً هنالك أمور واعتبارات أخرى لتسريع عملية الصعود نحو قمة الهرم العسكري .فالأركان العامة تضم أشخاصاً تعلموا كيف يرتقون داخل الجهاز، حيث تتم الترقية بناء على رأي واحد من جانب المسؤول المباشر، وهذه هي نهاية المطاف الآلية أو الطريقة المتبعة لترقية الذين يمتثلون لامر هذا المسؤول. حيث يعرف الضباط أن ترقيته في الجيش تتعلق براي القائد المسؤول عنه مباشرة، وبسبب الفترة القصيرة في المنصب فإن ذلك سيكون بشكل عام شخصياً فإذا ما أعطاه قائده علاقة جيدة، فإنه سيتقدم. ويرى الكاتب المذكور أنه يمكن تجنب ذلك عبر تمديد فترة المكوث في كل منصب وفي حالة كهذه فإن فترة الخدمة المحددة –التي ستطول في كل منصب – سترغم القائد المسؤول بالذات، النظر جانباً

إلى الجنود وإلى الاطار الذي يشغلونه.(٣٢٦)

وقد تعمقت ظاهرة الولاء الشخصي في الجيش في أعقاب إدخال نظام المهنتين إلى الجيش، هذا النظام الذي أدخله موشي ديان بين الاعوام (١٩٥٣-١٩٥٨)، فهذا النظام يؤدي -على حد تعبير أحد الباحثين الاسرائيليين إلى ميول نخبوية ضمن إطار الضباط النظاميين. ومن ثم ضمن الجيش الاسرائيلي. وإن تطور الجيش وطريقة تقديم الضباط فيه، قد أوجد جيلاً جديداً من القادة يقتربون بعقليتهم من نظرائهم في الجيش الامريكي. وبعيدين عن الاباء الذي اسسوا الجيش الاسرائيلي في العقدين الاول والثاني لانشائه.(٣٢٧)

إن دراسة أصول البنية القيادية في الجيش الاسرائيلي تفيد أن ذوبان المجموعات العرقية ضمن الجيش الاسرائيلي لا يزال بعيد المنال، حيث يشكل اليهود الشرقيون - اعتباراً من السبعينات - نحو(٦٠٪) من المجندين، و(٣٠٪) من تلاميذ الضباط و(١٪) من الضباط القادة. كما تتألف القيادة العليا للجيش من نخبة إسكنازية تخرجت من الكيبوتس. ومن حركات تعود في أصولها إلى مجموعات المهاجرين الاوائل في أواخر القرن الماضي. ويذكر« شلوموفرنكل» في كتابه عن متخذي القرارات في اسرائيل أن (٣٪) فقط من ضباط الجيش من رتبة مقدم وما فوق هم أبناء الطوائف الشرقية. ويعد على الاصابع الضباط الشرقيين الذين وصلوا في الجيش إلى رتبة عميد. وفي هذا السياق يذكر باحث محايد أن الجيش الاسرائيلي يمنح فرصاً أفضل للاشكناز للاكثر تعلماً وثقافة. بينما يحرم من هذه الفرص اليهود الشرقيون. وبالرغم من أن جيلاً ثالثاً من الشرقيين ولد وتعلم في اسرائيل فإن عدداً ضئيلاً منهم وصل إلى رتب عالية مسؤولة في الجيش، وربما لا تزيد نسبتهم عن (١٠٪) من مجموع الضباط.(٣٢٨)

ولعل أهم شخصية مثلت اليهود الشرقيين في الهيئات القيادية في الجيش الاسرائيلي، هو «يتسحاق مردخاي»، الذي شغل منصب قائد المنطقة الشمالية. وهو من مواليد العراق عام (١٩٤٤)، والتحق بالجيش الاسرائيلي عام (١٩٦٢) في سلاح المظليين وتدرج حتى أصبح قائداً (ضابطاً رئيسا) لهذا السلاح. واشترك في حرب (١٩٦٧). وكان قائد سرية مظليين في سيناء في اللواء الذي ترأسه رفائيل ايتان، وبعد ذلك قاد العمليات الارهابية المسماة «العمليات الانتقامية»

وراء الحدود. وفي حرب (١٩٧٣) قاد كتيبة مظليين في سيناء، وقاد لواء اشترك في اجتياح الجنوب اللبناني (عملية الليطاني) (١٩٧٨٠)، أما في غزو لبنان (١٩٨٢)، فقاد اللواء الذي تقدم على المحور الساحلي اللبناني.

وقد عين في عام (١٩٨٣) ضابطاً رئيسياً لسلاح المشاة والمظليين، وبقي في هذا المنصب حتى (١/١١/١٩٨٥). وفي مطلع اذار (١٩٨٦) رفع إلى رتبة لواء وعين رئيساً لقسم التدريب خلفاً للجنرال يوسي بيلد. ومنذ منتصف صيف (١٩٨٧) عمل مردخاي نحو عامين قائداً للمنطقة الجنوبية. ومن تموز (١٩٨٩) عمل قائداً للمنطقة الوسطى خلفاً للواء عميرام متسناع. وعين في ربيع (١٩٩١) قائداً للمنطقة الشمالية. وتتوفر لديه خبرة واسعة في قيادة المناطق. فهو الضابط الوحيد في الجيش الاسرائيلي الذي تولى قيادة المناطق الثلاث (الجنوبية والوسطى والشمالية. وقد انجز مردخاي عدة دورات عسكرية منها: كلية القيادة والاركان في اسرائيل وبريطانيا، وهو خريج جامعة تل أبيب.(٣٢٩)

وفي سياق البحث أيضاً في الأصول الطائفية «العرقية» لرؤوساء الاركان أشار أحد الباحثين العرب إلى أن الذين شغلوا مناصب رئاسة الاركان بلغ عددهم ثمانية منهم أو (٦١,٦٪) من مواليد فلسطين وهم: يغآل يادين، مردخاي ماكليف، موشي ديان، اسحق رابين، مردخاي غور، رافائيل ايتان، موشي ليفي، وران شومرون. كذلك كان هنك أربعة منهم من مواليد أوربا الشرقية أو (٣٠,٨٪) وهم: يعقوب دروري، حاييم لاسكوف، إتسي تسور، وديفيد اليعيزر. وهناك شخص واحد من بين الذين تولوا رئاسة الاركان كان من مواليد أوربا الغربية أو (٧,٦٪) وهو حاييم بارليف المولود في النمسا في العام (١٩٢٤).

وبحسب الاصول العرقيةلهؤلاء القادة وجد أن (١٢) منهم (٩٢,٣٪) كانوا من الاشكناز أو يهود الغرب وذلك مقابل شخص واحد من اليهود السفارديم أو يهود الشرق أي يهود البلدان الآفرو -اسيوية، وهو موشي ليفي، المولود في اسرائيل لابوين من أصل شرقي .(٣٣٠)

وفي أوائل عقد التسعينات أشار أشار أحد الصحفيين الاسرائيلين المهمتين بالطائفية في الجيش الاسرائيلي إلى أن نسبة الضباط الاشكنازيين في جيش «الدفاع» تزيد عن نسبة الشرقيين بصورة كبيرة، وإن حوالي (١٢٪) من الجنود

من أصل إشكنازي ممن يؤدون الخدمة الالزامية يصلون إلى رتبة ملازم وملازم أول مقابل (٣,٣٪) من الجنود من أصل شرقي . وفي الرتب الدنيا جندي، وجندي أول تميل الكفة لصالح الشرقيين فحوالي (٢٩٪) من الجنود من أصل شرقي هم في هذه الرتب مقابل (٢٥,٤٪) من الجنود الاشكنازيين، وفي رتبة رقيب ورقيب أول هناك افضلية للاشكنازيين فحوالي (١٩٪) مقابل (١٥٪) تقريباً من الشرقيين. (٣٣١)

عينة من الضباط الشرقيين :

وخلال السنوات القليلة الماضية التي قاربت العقد من الزمن تزايد عدد اليهود الشرقيين في رتبتي عميد وعقيد . ففي شهر آب (١٩٨٦)، تم تعين العميد دافيد أحمون قائداً لوحدة الاتصال في لبنان، وهو من مواليد الدار البيضاء عام (١٩٤٧)، وهاجر إلى اسرائيل عام (١٩٤٨) وتطوع في الجيش عام (١٩٦٥) .(٣٣٢) وقبل ذلك بعدة أشهر من العام ذاته (١٩٨٦) رقي المقدم « يمزقئيل هانوف » رئيس قسم الطاقة البشرية في حرس الحدود إلى رتبة عقيد . و« هانوف » من مواليد العراق (١٩٣٣)، ويخدم في حرس الحدود منذ العام (١٩٥٦) .(٣٣٣)

كما تم تعين العميد « حجاي شالوم »- الليبي الأصل – « رئيسا » لشعبة المهمات، وذلك في شهر أيار (١٩٩٢)، و« شلوم » من مواليد ليبيا عام (١٩٤٦)،وهاجر إلى اسرائيل عام (١٩٤٩)، وإنضم للجيش عام (١٩٦٣)، وخدم في سلاح المدفعية والمدرعات وشغل وظائف مختلفة كضابط تسليح .(٣٣٤)

وفي شهر حزيران (١٩٩٣) تم تعين العميد (شاؤول موفاز » أو موباز قائداً للجيش الاسرائيلي في الضفة الغربية، و« موفاز » من مواليد إيران عام(١٩٤٨) هاجر إلى اسرائيل عام (١٩٥٧)، وانضم لسلاح المظلين عام (١٩٦٦)، وهو يحمل درجة ماجستير في إدارة الاعمال .(٣٣٥) وقد عين في عام (١٩٩٤)قائداً لمنطقة الجنوب . وهو ذاته الذي تولى سابقاً مهام قائد مدرسة الضباط في « متسبية رامون »، وقاد لواء المظليين في عام (١٩٨٦) . وكان أحد المشاركين في عملية عينتبي عام (١٩٧٦) .(٣٣٦)

أما العميد « غابي أوفير » الذي عين في شهر تشرين الثاني (١٩٩٤) قائداً

لقوات الجيش الاسرائيلي في الضفة الغربية وغزة، خلفاً لـ «موباز»، فهو من مواليد مراكش وهاجر إلى اسرائيل عام (١٩٦٥)، وتجند في لواء المظليين عام (١٩٦٨)، وبعد ذلك إنتقل إلى لواء «غولاني» برتبة قائد كتيبة إلى أن وصل إلى منصب قائد اللواء. وفي حرب (١٩٧٣) كان قائد سرية في لواء غولاني، وشارك في عملية «عينتيبي»، واستلم مهام قائد لواء إحتياطي، وبعد حرب (١٩٨٢) تولى قيادة لواء «غولاني»، وفي بداية الانتفاضة الفلسطينية عين قائداً أول لفرقة الضفة الغربية. وفي كانون الثاني (١٩٩٠) انتقل إلى سلاح المدرعات وعين قائد فرقة احتياط، وتولى قيادة قوات الجيش الاسرائيلي في لبنان لفترة قبل أن يُرفع إلى رتبة لواء.(٣٣٧)

وفي أوائل العام (١٩٩٥) عين العميد «حاييم يفرح» في منصب ضابط استخبارات رئيسي بدلاً من العميد «دوررون تامير». و«يفرح» من مواليد المغرب عام (١٩٤٥)، هاجر إلى اسرائيل عام (١٩٥٨) والتحق بالجيش عام (١٩٦٤)وشغل سلسلة وظائف في جهازات الاستخبارات، وهو مجاز في علوم الشرق الاوسط والجغرافيا من جامعة تل أبيب ودرجة ماجستير في الجغرافيا من جامعة حيفا. وفي كانون الثاني (١٩٨٩) عين قائداً لوحدة الارتباط مع القوات الاجنبية ورقي إلى رتبة عميد وفي تموز (١٩٩٢) عين ملحقاً عسكرياً في فرنسا.(٣٣٨)

إن تفحص هذه العينة العشوائية من الضباط ذوي الأصول الشرقية الذين وصلوا إلى مراتب عسكرية هامة في الجيش الاسرائيلي، يدلل على أن آلية صعود هؤلاء والقاسم المشترك فيما بينهم يتمثل في أدائهم مهام متميزة على الصعيد العسكري إزاء العرب والفلسطينين من شاكلة: المشاركة في عملية عينتبي (في أوغندا) ضد مجموعة فدائية إلى المشاركة في مختلف الحروب التي شنها الكيان الصهيوني ضد الدول العربية. وهذا الامر، اداء مهام عسكرية متميزة ضد العرب والفلسطينين، ينسحب أيضاً على الاشكناز، لكن أهميته السياسية لجهة الولاء وإثبات المصداقية وليس أهمية الانجازية في تحقيق المهام تراعى بدقة على اليهود الشرقيين بدرجة لا تقارب بتطبيقها على الاشكناز. ويضاف إلى ذلك أن قلة من الضباط هذه العينة تحمل كفاءات علمية عالية. وعلى هذا الاساس نعتبر أن العامل

الحقيقي والاساسي صاحب القول الفصل في تدرج اليهود الشرقيين في سلم الرتب العسكرية، هو الولاء السياسي وإثبات درجة عالية من العداء للعرب والفلسطينيين.

الطائفية في الجيش والصراع العربي - الصهيوني ... واقع الاحتمالات

واشارتنا إلى العامل الذي تعتبره حقيقياً وأساسياً في ترقية بعض اليهود الشرقيين إلى رتبة رائد (راف سيرن) وصولاً إلى جنرال (راف ألوف)، وهو العامل السياسي - الايديولوجي، تأتي في سياق تأكيد العامل الذي حكم مسألة التمثيل السياسي لليهود الشرقيين في كافة أجهزة السلطة الاسرائيلية الاخرى مثل: الكنيست والحكومة ورئاسة الدولة. وأيضاً مواقعهم في الاحزاب السياسية الرئيسة والثانوية داخل الكيان الصهيوني، ودورهم في الحملات الانتخابية للكنيست.

وتأتي عملية تعميق التمايز الأثني داخل الجيش الاسرائيلي لتكون مقياساً ادرجة الولاء. وهناك أسباب عديدة تجعل قيادة الدولة عموماً وخاصة الدولة العادية ورؤساء الجيش فيها بحاجة إلى الطائفية كمقياس لتخمين درجة الولاء ومستوى قدرة الفئات السكانية من أجل تخطيط أمن الدولة، أولها (الاسباب) أن الطائفية هي ظاهرة جماعية يميل رؤوساء المؤسسة الامنية إلى استخدامها مفضلين بذلك التعامل مع الجماعات من التعامل مع الافراد لاعتبارات تتعلق بالسهولة والنجاعة. وثانيهما، أن الطائفة أو يعزى إلى الطائفة عقلية أو ثقافة معينة الامر الذي يتيح إرساء التوقعات ليس على المواقف المتغيرة، وإنما على معطيات ثابتة نسبياً. وثالثها أن الطائفة عنصر طائفي، بمثابة الهوية التي تتضمن ذكريات وأماني مشتركة تشمل على موقف إزاء الدولة مثل (الغربة، العداء، الوطنية الخ). ورابعها، في معظم الحالات للطائفية بعد دولي. فعندما تجتاز، روابط الطائفة الحدود المصطنعة للدولة من شأنها أن تؤثر في مسلك الطائفة تجاه دولة أجنبية. وأخيراً، للطائفة أيضاً قاعدة إقليمية، أو تجمع جغرافي ذو انعكاسات مباشرة على الامن.(٣٣٩)

وإذا كانت الطائفية كمقياس للولاء تعتبر حاجة هامشية في الدولة العربية، فإنها في مثال الكيان الصهيوني تعتبر ضرورة، نظراً لإهمية نشوء أية ردة فعل عنيفة من اليهود الشرقيين على مكانتهم الدونية سواء في الجيش أو غيره من أجهزة السلطة في الكيان الصهيوني، وإضافة إلى ذلك أهمية مواقفهم من الصراع العربي

- الصهيوني وإحتمالات تسوية هذا الصراع.

إزاء أهمية موقف اليهود الشرقين من الصراع العربي الصهيوني، أكد بعض الباحثين الاسرائيليين على أهمية الحروب في تعديل أوضاع ومكانة اليهود الشرقيين في الجيش، فالحرب المستمرة التي تقترن بحرب نفسية متشعبة تضيف إلى الثقافة «الوطنية» مدماكاً من الاساطير، والتصورات، والقيم، ونمط حياة معين، فالنزاع الاسرائيلي - العربي يشكل أداة لرفع المعنويات وتشكيل التصورات المختلفة لليهود والعدو. وفي أساس التصور «الوطني» اليهودي شعور بالتفوق في النوعية والايمان، وعدالة النضال، في حين يتم التشديد في تصور العدو على التفوق الكمي، والعقلية والعقلانية. وفي الاسطورة «الوطنية» الرسمية يتمتع الشرقيون بهذا التصور الايجابي كيهود إسرائيليين. وتفرز الحروب المتواترة في نظر الاشكناز والشرقيين على السواء ابطالاً قوميين ووحدة محاربين، وأماني وذكريات تاريخية مشتركة وانماط تفكير وانماط سلوك وحياة متشابهة. والحقيقة التي مفادها ان الجيش الاسرائيلي، خلافاً للاحزاب مثلاً، هو مؤسسة نشات رسمياً مع إعلان الدولة، وأن حروبه وقعت خلال فترة قيام الدولة، والظروف التي تشكل تطوره هي اسرائيلية، هذه الحقيقة سهلت على الشرقين التماثل معه، والاحساس بالمشاركة في إنجازاته وانتصاراته والاستعداد للانصهار في داخله.(٣٤٠)

كما يعتقد الاسرائيليون ان «النزاع الاسرائيلي - العربي» يمكن ان يواصل القيام بوظائف توحيدية كونه نزاعاً يمس الوجود، وهو يعني بالنسبة إلى «اسرائيل» أن هزيمة في الحرب مآلها التصفية. وهذا نوع من «النضال» الذي يتطلب تعاوناً على مستوى جميع الطوائف لدرء الخطر المصيري، إذ أنه عندما يتواجد الجميع في مركب واحد فإن التهديد الامني يطغى على الانقسام الطائفي.(٣٤١)

ومقابل استنتاج الاسرائيليين ان «الطائفية هزمت في ميدان القتال»، يعتقد قسم آخر منهم أنه ليس للخدمة العسكرية، والمشاركة في الحروب، في المجتمعات المنقسمة تأثير توحيدي وحسب؛ وإنما أيضاً تأثير تقسيمي على المدى البعيد. ومما لاشك فيه أن الغليان الطائفي في السبعينات الذي بدأ بثورة الفهود السود تغذى بأعمق أشكاله من حرب الايام الستة، وحروب الاستنزاف، وحروب يوم الغفران. وقد اشترك في هذه الحروب اليهود الشرقيون بصورة جماعية وحيوية لاول مرة،

ومن الصعب تخيل هذه الحروب من دونهم. كما أن تحمل العبء الامني الذي تعاظم بعد سنة (١٩٧٣) أكد على ازدياد أهمية مساهمة المتحدرين من أصل شرقي، إذ أن الاشتراك في الجهد الامني يعزز لدى الشرقيين الرغبة في أن يصبحوا متساويين وشركاء في المجتمع الاسرائيلي ويشحذ حساسيتهم إزاء عدم المساواة والغبن. لقد باتوا يدركون أن مكانتهم في المجتمع لا تتحسن على أثر مساهمتهم في الامن، وأنهم لا يستطيعون منافسة الاشكناز على أساس متساوٍ لا في الجيش ولا في الحياة المدنية.(٣٤٢)

ويرصد الاسرائيليون ثلاثة تطورات محتملة لنشوء ارتباط مباشر بين الانقسام الطائفي وبين المؤسسة الامنية والسياسية الخارجية، أولها، امتداد «النضال من أجل المساواة الطائفية إلى الجيش. وثانيهما، نشوب أزمة ثقة لدى قسم من المتحدرين كمن أصل شرقي، قد يؤدي إلى عصيان مدني أو مكشوف. ومثال هذا الاحتمال تجسد في فترتين زمنيتين قصيرتين نسبياً، ففي عامي (١٩٦٢-١٩٦٣) نشطت في ثلاث مدن اسرائيلية كبرى الحركة السرية الطائفية «جبهة المساواة الوطنية»، التي قادها عميل سري اسرائيلي سابقاً، ومارست في الاساس نشاطاً يتعلق بإلصاق الاعلانات. وخلال السنوات (١٩٧٤-١٩٧٨) نشط مجلس الفارين من الجيش الاسرائيلي، أو مجلس المجرمين الاحداث، الذي أحرق مصانع مختلفة ومن بينها مصنع كارغل، ومبنى جريدة «هآرتس»

والتطور الثالث، هو إمكان استمرار مسار تبلور الانقسام السياسي – الطائفي عندما يتكتل معظم اليهود الشرقيين حول كتلة يمينية – صقرية، وأكثرية الاشكناز حول كتلة معتدلة نسبياً.

إن التطورين الاخيرين، واللذين يبدوان متناقضين ظاهرياً، لا يلغيان بعضهما بعضاً. فالاول يؤكد على «الطاقة الكامنة الحمائمية» لدى الشرقيين في حين أن الثاني يؤكد على «صقريتهم الفعلية». ويمكن المجيء بحجج عديدة لتعزيز هذه المقولات المتكاملة. فمن جهة تتجلى الطاقة الكامنة الحمائمية في غياب الشرقيين البارز بين حركات صقرية راد يكالية مثل «هتحياه» و«كاخ»، وفي التقارب الثقافي التعايش التاريخية مع العرب، والتي تؤهل المتحدرين من اصل شرقي ليشكلوا جسراً للسلام في الشرق الاوسط، وفي إمكان أن يؤدي تعميق الوعي

السياسي لدى الشرقيين إلى تحويلهم إلى حمائم. ومن جهة أخرى، تتجلى صقرية الشرقيين في تأييد الكتلة اليمينية - الصقرية ككتلة الليكود، وفي غياب الجمهور الشرقي عن حركات حمائمية بارزة مثل شيلي وراكح، وفي العناء والاضطهاد اللذين إختبراه اليهود في البلاد العربية خلال الجيل الذي سبق هجرتهم إلى البلد، وفي الثقافة المتدنية والتي تزيد من الانجذاب إلى الصيغ الصقرية الغيبية، وفي الحاجة إلى إظهار «العداء للعرب» للتخلص من الوصمة العربية التي يوصمها الاشكناز للشرقيين، وفي كون الشرقيين في موقع من التنافس مع العرب في اسرائيل على نفس المواردوالاعمال وما شابه ذلك.(٢٤٣)

وإجمالاً لأوجه التمييز الأثني بين اليهود الشرقيين والاشكناز في الجيش الاسرائيلي، سواء على صعيد التراتيبية أو توزعهم على أسلحة الجيش الاسرائيلي وطبيعة مهامهم، وعلى قاعدة المقاربات والمقولات الاسرائيلية التي عالجت العلاقة بين الطائفية والجيش، وصورة خارطة الأمن الصهيوني، وأيضاً الخارطة الطبقية - الطائفية في الجيش، وسمات عملية التقدم نحو المراتب العليا فيه، إضافة إلى تبيان علاقة الطائفية في الجيش بالصراع العربي - الصهيوني. ولدى ربط أوضاع اليهود الشرقيين بالمرحلة التي وصلت إليها عملية بناء المشروع الصهيوني، في ظل محاولات تسوية الصراع العربي الصهيوني، فإن أوضاع اليهود الشرقيين في الجيش الاسرائيلي، وبناءً على وظيفته المنسجمة مع السمة الاساسية للكيان الصهيوني، الا وهي سمة الثكنة، سوف تشهد حالة من المراوحة في المكان والاستقرار، بإنتظار حدوث تغييرات نوعية تطال جوهر وجود الكيان الصهيوني برمته، وخاصة التغيرات التي قد تكون مفاجئة أو محتملة كتداعيات لعملية تسوية الصراع العربي - الصهيوني.

وهناك ارتباط بين دونية اليهود الشرقيين في الجيش الاسرائيلي ودونيتهم وضعف درجة تمثيلهم في الاجهزة المختلفة للسلطة الاسرائيلية، فالتقدم بإتجاه ردم الفجوة بين اليهود الشرقيين والاشكناز في اي مجال من مجالات النشاط السياسي والامني والاقتصادي في الكيان الصهيوني تنعكس بسرعة او ببطء تبعاً لنوع مجال النشاط ودرجة تاثره بالصراع العربي - الصهيوني بشكل مباشر أو غير مباشر.

مصادر وهوامش الجزء الثاني

١- د. أحمد داوود، تاريخ سوريا القديم، (تصحيح وتحرير)،دار المستقبل العربي طبعة أولى ١٩٨٦، دمشق ص١٤-١٥.
٢- صادق حسن السوداني، النشاط الصهيوني في العراق (١٩١٤-١٩٥٢)، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد ١٩٨٠،ص٣٢-٣٣
٣- المصدر السابق ص٣٥
٤- المصدر السابق ذاته
٥- المصدر السابق ص٣٦
٦- المصدر السابق ص٤٠
٧- المصدر السابق ص٤١
٨- المصدر السابق ص٨٢
٩- المصدر السابق ص٥٢-٥٣
١٠- المصدر السابق ص٨٥
١١- لمزيد من التفاصيل حول هذه الجمعيات، إنظر المصدر السابق ص٨٦-٨٧-٨٨
١٢- المصدر السابق ص٤٨
١٣- المصدر السابق ص٥٤-٥٥
١٤- المصدر السابق ص٥٦
١٥-تفاصيل الزيارة وردود الفعل حولها، المصدر السابق ص٦٥-٦٦-٦٧-٦٨
١٦-المصدرالسابق ص١٧٤
١٧- حول ملابسات وتفاصيل صدور قانون الجنسية، راجع المصدر السابق الصفحات من ١٩٢-٢٢٠
١٨- صحيفة «الأنباء»،الكويت، ١٢/٦/١٩٨٢
١٩- د. علي قاسم عبده، ود. خيرية قاسمية، يهود البلدان العربية، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت ١٩٧١، ص١٠٣
٢٠- المصدر السابق ص١٢٢-١٢٣
٢١- عباس علي الشامي، يهود اليمن قبل الصهينة وبعدها، الطبعة الثانية١٩٨٨،ص٧٩-٨٠
٢٢- إلياس سعد، الهجره اليهودية إلى فلسطين، مركز الابحاث ببيروت ص١٠٢-١٠٣
٢٣- سهام نصار، اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية، دار الوحدة طبعة أولى ١٩٨٠ ،بيروت، ص٢١-٢٢
٢٤- علي قاسم عبده،ود. خيرية قاسمية، مصدر سابق ص١٨٠
٢٥- نصار، مصدر سابق ص٢٣-٢٤
٢٦- المصدر السابق ص٢٢
٢٧- المصدرالسابق ص٤٠-٤٤
٢٨- المصدر السابق ص١٥٩-١٦٠

٢٩- المصدر السابق ص٢٨

٣٠- يعقوب خوري، اليهود في البلاد العربية، ص٢٢-٢٣

٣١- الهادي التيمومي، النشاط الصهيوني بتونس بين ١٨٩٧و١٩٤٨، تونس ١٩٨٢، ص٤٠

٣٢- المصدر السابق ص٢٧

٣٣- المصدر السابق ص٤٣

٣٤- لمزيد من التفاصيل حول ظهور المنظمات الصهيونية في تونس، راجع المصدر السابق الصفحات من ص٦١-إلى٨٢

٣٥- المصدر السابق ص٤١-٤٨ (تفاصيل رأي التيمومي)

٣٦- سهام نصار، مصدر سابق ص٧

٣٧- علي عبده، ود. خيرية قاسمية، مصدر سابق ص١٤-١٥

٣٨- المصدر السابق ذاته

٣٩- صحيفة «الوطن»، الكويت ١٩٨٥/٣/٣ . مقال لـ« حسني عايش »، « الفلاشا آخر الاسباط المهاجرة ».

٤٠- وليم فهمي، الهجرة اليهودية إلى فلسطين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤، ص١٠٦

٤١- صادق السوداني، مصدر سابق، ص٢١

٤٢- المصدر السابق ص١٧٩

٤٣- المصدر السابق ص١٨٠

٤٤- المصدر السابق ص١٨٢

٤٥- المصدر السابق ص٢٢٣

٤٦- المصدر السابق ص٢٣١

٤٧- نادر أحمد، كتاب يكشف خفايا هجرة اليهود العراقيين إلى إسرائيل، صحيفة «الحياة»، لندن، ١٩٩٥/١/٨

٤٨- المصدر السابق ذاته

٤٩- علي عبده وقاسمية، مصدر سابق ص٨٦

٥٠- المصدر السابق ص١٠٣

٥١- صحيفة «الأنباء» الكويت ١٩٨٢/٦/١٢

٥٢- الشامي، مصدر سابق ص١٠٨

٥٣- المصدر السابق ص١٠٩/١١٠

٥٤- إلياس سعد، مصدر سابق ص١٠١/١٠٢

٥٥- صحيفة «الديار»، بيروت، ١٩٩٢/٢/٢٣ .

٥٦- صحيفة «الحياة»، لندن، ١٩٩٣/٧/١٥ .

٥٧- عبده وخيرية، مصدر سابق ص١٦١- ١٦٢

٥٨- إلياس سعد، مصدرسابق ص١١١-١١٢

٥٩- إلياس سعد، مصدرسابق ص ١٤٤

٦٠- وليم فهمي، مصدر سابق ص١١١

٦١–عبده وقاسمية، مصدر سابق ص١٩٥ /١٩٦ /١٩٧ /١٩٨
٦٢– المصدر السابق ص٢١٦
٦٣– وليم فهمي، مصدر سابق ص٢٦٩
٦٤– إلياس سعد، مصدر سابق ص١٧٦
٦٥– المصدر السابق ص١٨٢
٦٦– المصدر السابق ص١٥٧––١٦٠
٦٧– المصدر السابق ص١٦٤–١٦٧
٦٨– محمد رشاد الشريف، المجموعات الاثنية في الكيان الصهيوني، الحلقة الثالثة، مجلة «الارض»، العدد (١٢)، أيلول ١٩٨٧،ص٤٨ /٤٩
٦٩– مامون كيوان، الحكومة الاسرائيلية الجديدة من المفاوضات الائتلافية إلى التشكيل، مجلة الأرض، العدد (٩) أيلول ١٩٩٢، ص٤٥–٤٦
٧٠– محمد رشاد الشريف، مصدر سابق ص٤٩
٧١– المصدر السابق ص٥١–٥٢
٧٢– الشامي، مصدر سابق، ص١٢٠
٧٣– محمد رشاد الشريف، مصدر سابق ص٥٠–٥١
٧٤ – مامون كيوان، مصدر سابق ص٤٥
٧٥– محمد رشاد الشريف، مصدر سابق ص٤٧–٤٨
٧٦– المصدر السابق ص٤٦–٤٧
٧٧– مامون كيوان، مصدر سابق ص٤٦
٧٨– محمد رشاد الشريف، مصدر سابق،ص٥٢– ٥٣– ٥٤–٥٥– ٥٦– ٥٧
٧٩– يعقوب خوري، اليهود في البلاد العربية، دار النهار للنشر ١٩٧٠، أنظر ص١٦–٢٠
٨٠– المصدر السابق ص٤٥
٨١– المصدر السابق ص٣٨
٨٢– النشرة اليومية عن الصحافة الاسرائيلية، مؤسسة الارض،٢٨ /٩ /١٩٧٨
٨٣– حسن، عليوه، القوى السياسية في اسرائيل (١٩٤٨–١٩٦٧) مركز الابحاث الفلسطينية والمؤسسةالعربية للدراسات والنشر،بيروت،طبعة ثانية (١٩٨١) ص١٧٧
٨٤– غازي السعدي، الاحزاب والحكم في اسرائيل، دار الجليل، عمان ،طبعة أولى (١٩٨٩)ص٥٢
٨٥– المصدر السابق، ص٧٢
٨٦– المصدر السابق، ص٨٣
٨٧– المصدر السابق، ص٨٥
٨٨– جيروزاليم بوست، ٩–١–١٩٩٠
٨٩– حبيب قهوجي، الاحزاب الاسرائيلية والحركات في الكيان الصهيوني، (اشراف) مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية، دمشق، طبعة أولى (١٩٨٦)، ص٤٢٥
٩٠– السعدي مصدر سابق، ص٧٥

٩١- دافار، ١٥-١٠ ١٩٩١

٩٢- أسعد عبد الرحمن ، حقائق انتخابية، الدستور (عمان) ٧-٤-١٩٩٢

٩٣- السفير، بيروت،٢٨-١٠-١٩٨٨

٩٤- انواف الزرو، الانتخابات الاسرائيلية، «الدستور» عمان، ١٥-٣-١٩٩٢

٩٥- يديعوت احرنوت، ١٧-٧-١٩٩١

٩٦- «السفير»، بيروت، ٨-٤-١٩٩٢، نقلاً عن تقرير لوكالة اسوشيتدبرس

٩٧- أسعد عبد الرحمن، مصدر سابق

٩٨- «الدستور»، عمان ٢-١١-١٩٨٨

٩٩- «القبس»، الكويت، ٢٢-٦-١٩٨١

١٠٠- حسن، عليوه، مصدر سابق، ص١٨٠-١٨١

١٠١- قهوجي، حبيب، الاحزاب الاسرائيلية،مصدر سابق ص٣٧٢

١٠٢- «القبس»، (تقرير)اعداد محمد شريدة، نقل عن دافار، الكويت، ١٩-٨-١٩٨٤

١٠٣- توفيق أبو بكر، الانتخابات الاسرائيلية، صحيفة «القبس»، الكويت، ٢١-٦-١٩٨١

١٠٤- المصدر السابق

١٠٥- دافار، ١٥-١٠-١٩٩١

١٠٦- قهوجي، حبيب، متخذوا القرارات في الكيان الصهيوني، سلسلة ترجمات مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، رقم (٣)، دمشق طبعة أولى ((١٩٨٠)،ص١٦

١٠٧- أسعد عبد الرحمن، مصدر سابق

١٠٨- صحيفة «صوت الشعب»، ترجمة، عمان، ٢٢-٣-١٩٩٢

١٠٩- انظر: LOVSh, Misha, "Facts about Israel" Jerusalem, 1970 page 74.

١١٠- غازي السعدي، مصدر سابق)، ص١٧٦

١١١- صحيفة «الحياة»، لندن، ١١-٤--١٩٩٢

١١٢- «القبس»، ١٩-٨٨-١٩٨٤ مصدر سابق

١١٣- صحيفة«الدستور» عمان، ١-٩-١٩٨٤، نقل عن «دافار»

١١٤- السعدي، غازي، مصدر سابق، ص١٨٧

١١٥- مجلة «الأرض»، العدد (٣)، اذار (١٩٩٢، ص٨٩—-٩٠

١١٦- المصدر السابق

١١٧- يديعوت احرنوت، ١٧-٧-١٩٩١

١١٨- هارتس، ١٥-١٢-١٩٩١

١١٩- يديعوت احرونوت ١٧-٧-١٩٩١ مصدر سابق

١٢٠- هارتس، ١٣-٢-١٩٩٢

١٢١- صحيفة «النهار»، بيروت، ١٩-٣-١٩٩٢

١٢٢- السعدي، غازي، مصدر سابق، ص١٨٣

١٢٣- المصدر السابق، ص١٨٣

١٢٤- المصدر السابق، ص١٨٥

١٢٥- أنظر المصدر السابق ص١٨٩-ص-١٩٤

١٢٦- المصدر السابق، ص١٩٩

١٢٧- لمزيد من التفاصيل، راجع، أسعد رزوق، نظرة في أحزاب اسرائيل، سلسلة دراسات فلسطينية رقم (٨)، مركز الابحاث الفلسطينية، بيروت، طبعة أولى (١٩٦٦)، ص٢٧-٣٤

١٢٨- حبيب قهوجي، الاحزاب الاسرائيلية، مصدر سابق ص٣٧٣

١٢٩- المصدر السابق ص٤٥٥

١٣٠- رزوق، أسعد، مصدر سابق، ص٢٤

١٣١- للمزيد من التوضيح، أنظر، بركات نظام، جماعات المصالح في اسرائيل، شؤون فلسطينية، عدد (٢٠٥)، نيسان (١٩٩٠)،ص٧٠

١٣٢- معريف، ١١-٢-١٩٩٢

١٣٣- معريف،٢١-٨-١٩٩١

١٣٤- Don Peretz, The Government and Politicsof Israel, copyright, 1979, by Westview press, page 78

١٣٥- قهوجي، حبيب، الاحزاب، مصدر سابق ص٢٦٢-٢٦٣

١٢٦- هارتس، ١٧-٢-١٩٩٢

١٣٧- صحيفة «الدستور»، عمان، ٢٣-٣-١٩٩٢، نقلاً عن «دافار»

١٣٨-هارتس، ١٩-٢-١٩٩٢

١٣٩- يديعوت احرونوت، ٢-٤-١٩٩٢

١٤٠- السعدي، غازي، مصدر سابق، ص٤٠٥

١٤١- بركات، نظام، مصدر سابق، ص٧٤

١٤٢- صحيفة «النهار»بيروت ١٩-٣-١٩٩٢

١٤٣- صحيفة دافار ١٥-١٠-١٩٩١

١٤٤- صحيفة الدستور، عمان ٢٠-٦-١٩٩٢ عن صحيفة «الجيروزاليم بوست» ١٤٥-

١٤٥- جدعون الون، الكنيست اقرت بالاجتماع، انتخابات في ٢٣ حزيران هارتس ٥-٢-١٩٩٢ ص١

١٤٦- صحيفة معريف ١٦-١-١٩٩٢،نشرة الصحافة ٢١-١-١٩٩٢

١٤٧- صحيفة معريف ٢٥-٣-١٩٩٢، نشرة الصحافة ٣٠-٣-١٩٩٢

١٤٨- صحيفة صوت الشعب، عمان ١٨-٢-١٩٩٢

١٤٩- الرصد الاذاعي للاذاعة الاسرائيلية باللغة العربية أحداث الظهيرة ٢١-٢-١٩٩٢

١٥٠- المصدر السابق ٢٨-٢-١٩٩٢

١٥١- صحيفة الرأي، عمان ٢٩-٢-١٩٩٢

١٥٢- صحيفة هارتس ٣-٣-١٩٩٢ نشرة الصحافة ١١-٣-١٩٩٢

١٥٣- صحيفة النهار بيروت ١٩-٢-١٩٩٢، عن مقالة لـ«رندة حيدر»

١٥٤- صحيفة الديار بيروت ٦-٤-١٩٩٢

١٥٥- صحيفة الرأي عمان ٧-٢-١٩٩٢
١٥٦- صحيفة معريف ١٥-٤-١٩٩٢
١٥٧- مناحيم راهط، رئيس تسومت القدس لصالح القدس، معريف ١٤-٤-١٩٩٢ ص٦
١٥٨- هارتس ١٢-٣-١٩٩٢
١٥٩- المصدر السابق
١٦٠- صحيفة «يديعوت احرونوت» ٨-٤-١٩٩٢
١٦١ -صحيفة هارتس ٢٠-٢-١٩٩٢
١٦٢- هارتس ٤٠٢-١٩٩٢
١٦٣- صحيفة هارتس ١٦- ٣-١٩٩٢ نشرة الصحافة ٢٤- ٣-١٩٩٢
١٦٤- صحيفة هارتس٢٢-٣-١٩٩٢، نشرة الصحافة ٣٠- ٣- ١٩٩٢
١٦٥- صحيفة هارتس ٦-٤-٢٩٩٢٠، نشرة الصحافة ١٣-٤-١٩٩٢
١٦٦- صحيفة «يديعوت أحرونوت» ٢٠-٥-١٩٩٢ ص٣
١٦٧- صحيفة يديعوت أحرونوت ١١-٣-١٩٩٢
١٦٨- صحيفة الراي عمان ٢٨-٢-١٩٩٢
١٦٩- المصدر السابق
١٧٠- صحيفة معريف ١-٣-١٩٩٢
١٧١- صحيفة هارتس ١٤-٤-١٩٩٢
١٧٢- داني كير، الحاخام بيرتس لن أتراجع، يديعوت احرونوت ٥-٥-١٩٩٢ ص٥
١٧٣- صحيفة هارتس ٢٠-٢-١٩٩٢ نشرة الصحافة ٢٤-٥-١٩٩٢
١٧٤- صحيفة يديعوت احرونوت ٢١-٥-١٩٩٢ نشرة الصحافة ٢٤-١٩٩٢٠٥
١٧٥- يديعوت احرونوت ٢٠-٥-٩٩٢ص٣ - مصدر سابق
١٧٦- صحيفة معريف ١٤-٦-١٩٩٢ ص٣
١٧٧- يديعوت احرونوت ٢٠-٥-١٩٩٢
١٧٨- يديعوت احرونوت ١٦-٣-١٩٩٢
١٧٩- هارتس ١٢-٤-١٩٩٢
١٨٠- يديعوت احرونوت ١٨-٥-١٩٩٢ نشرة الصحافة ٢٤-٥-١٩٩٢
١٨١- دافار ١٧-٤-١٩٩٢
١٨٢- هارتس ١٩-٤-١٩٩٢ نشرة الصحافة ٢٩-٤-١٩٩٢
١٨٣- أمير جيلان، خبر، معريف ١٣-٥ ١٩٩٢ ص١٠
١٨٤- صحيفة الحياة لندن ٢٩-٥-١٩٩٢ تقرير من القدس، ربى الحصري
١٨٥- أسعد عبد الرحمن، الدستور ٢٨- ٤ ١٩٩٢
١٨٦- صحيفة «الحياة» لندن ١٤-٢-١٩٩٢
١٨٧- ليلى غليلي «مجموعة كبيرة تنسحب من حركة داع» هارتس ٣-٥-١٩٩٢ ص٤-١
١٨٨- صحيفة يديعوت احرونوت ٣٠-١-١٩٩٢
١٨٩- صوت الشعب، عمان ١٣-٢-١٩٩٢

١٩٠- صحيفة «السفير» بيروت ١٠-٤-١٩٩٢

١٩١- صحيفة «النهار» بيروت ١١-٤-١٩٩٢

١٩٢- صحيفة «الدستور» عمان ٢٨-٤-١٩٩٢

١٩٣- يديعوت احرونوت ٤-٥-١٩٩٢ ص٣

١٩٤- السفير، بيروت، ١٠-٤-١٩٩٢

١٩٥- صحيفة «الدستور» عمان ٢٨-٤-١٩٩٢

١٩٦- مناحيم راهط، رابين: ميرتس أفعى له ثلاثة رؤوس معريف ١١-٥-١٩٩٢

١٩٧- موشي فيول، حزب العمل ستدعو الليكود الى الحكومة وليس الى الوحدة، حداشوت ١٤-٦-١٩٩٢، ص٣.

١٩٨-مقتطفات من المناظرة التلفزيونية، حداشوت ١٧-٦-١٩٩٢ص٧.

١٩٩- مناحيم راهط، ميرتس اضعفت من الهجمات ضد العمل ، معريف ١٤-١٩٩٢٤ص٦

٢٠٠- هارتس ٤-٥-١٩٩٢

٢٠١- المصدرالسابق

٢٠٢-بارلي شاحر، مقابلة مع امنون روبنشتاين، عل همشمار ١٥-٥-١٩٩٢ص٨

٢٠٣- صحيفة معريف ٥-٢-١٩٩٢، نشرة الصحافة ١٣-٢-١٩٩٢

٢٠٤-صحيفة يديعوت احرونوت ٢٨-٤-١٩٩٢، نشرةالصحافة ٥-٥-١٩٩٢

٢٠٥- هارتس ١٢-٥-١٩٩٢، نشرة الصحافة ٢٠-٥٥-١٩٩٢

٢٠٦- نواف الزرو، قراءة في البرمج والأهداف السياسية للاحزاب الاسرائيلية عشية الانتخابات البرامابية، صحيفة الدستور، عمان ١٦-٦-١٩٩٩٢ ص١٤

٢٠٧- المصدر السابق، ص١٣

٢٠٨- نواف الزرو، قراءة في البرمج والأهداف السياسية للاحزاب الاسرائيلية، الدستور ١٩-٦-١٩٩٢، ص١٧

٢٠٩- سبيبر فلو تسكر، البرامج الاقتصادية للاحزاب متشابهة، يديعوت احرونوت ١٦-٦-١٩٩٢ ملحق،ص٢

٢١٠- نواف الزرو، الدستور ١٩-٦-١٩٩٢ مصدر سابق ص١٧-١٨

٢١١- هارتس ٢٦-٤-١٩٩٢ نشرة الصحافة ٥-٥-١٩٩٢

٢١٢- سيبر فلوتسكر، مصدر سابق

٢١٣- شاحر ايلان، هارتس ٥-٥-١٩٩٢ ص٥،خبر

٢١٤- هارتس ٣٠-٤-١٩٩٢ ص٤

٢١٥- هارتس ٢-٣-١٩٩٢ ،نشرة الصحافة ١١-٣-١٩٩٢

٢١٦- هارتس ١٨-٥-١٩٩٢

٢١٧- نواف الزرو، القواسم المشتركة بين مختلف أحزاب اليمين، طرد العرب- تهويد فلسطين - قمع الانتفاضة - صحيفة القدس ٢٢-٦-١٩٩٢ ص٨

٢١٨- هارتس١٧-٢-١٩٩٢

٢١٩- نواف الزرو، الدستور ٢٠-٦-١٩٩٢

٢٢٠- جدعون الون، ٢٨ قائمة جديدة تنوي التنافس في النتخابات، هارتس ٢-٤-١٩٩٢ ص١-٤
٢٢٢- ايلان فيش، برنامج بلاتو شارون، هارتس ٢٧-٤-١٩٩٢ ص١-٤
٢٢٣- جدعون الون، ٤٠ قائمة جديدة سجلت للانتخابات، هارتس ١٦-٤-١٩٩٢ ص٤
٢٢٤- يديعوت احرونوت ٤-٥-١٩٩٢ ص٤
٢٤٥- نداف شرجاي، القوائم الثمانية تتنافس، هارتس ١٧-٥-١٩٩٢ ص١ب
٢٢٦- يديعوت احرونوت ١١-٥-١٩٩٢، نشرة ٢٠-٥-١٩٩٢
٢٢٧- معريف ١٩-٥-١٩٩٢، ص٥
٢٢٨- يديعوت احرونوت ٢٠-٥-١٩٩٢، ص٣، وهارتس ٢٠-٥-١٩٩٢ ص٢رأ بالنسبة لرموز القوائم
٢٢٩- هارتس ١-٦-١٩٩٢ ص١-٣
٢٣٠- جدعون الون القوائم الانتخابية، هارتس ٤-٦-١٩٩٢ ص٣
٢٣١- انظر المصدر السابق
٢٣٢- يديعوت احرونوت ٣١-٣-١٩٩٢، نشرة الصحافة ٩-٤-١٩٩٢
٢٣٣- هارتس ١-٤-١٩٩٢
٢٣٤- هارتس ١٦-٤-١٩٩٢ . نشرة الصحافة ٢١-٤-١٩٩٢
٢٣٥- هارتس ٣٠-٤-١٩٩٢ . نشرة الصحافة ٥-٥-١٩٩٢
٢٣٦- معريف ١٨-٥-١٩٩٢ ص٤
٢٣٧- هداس فور، اتفاقيات فائض الاصوات / معريف ٣١-٥-١٩٩٢ ص١١
٢٣٨- الرصد الاذاعي ٢٣-٦-١٩٩٢ سعت (١٠)
٢٣٩- جدعون الون / نتائج الانتخابات الرسمية، هارتس ٢٩-٦-١٩٩٢ ص٣
٢٤٠- المصدر السابق
٢٤١- المصدر السابق والقدس ٢٧-٦-١٩٩٢-ص٩
٢٤٢- عطا الله منصور، على نار هادئة، عل همشمار ١٩-٦-١٩٩٢ ص١٧
٢٤٣- نواف الزرو، قراءة في البرنامج والاهداف، الدستور، عمان ٢٢-٦-١٩٩٢
٢٤٤- أسعد عبد الرحمن، الدستور ٤-٧-١٩٩٢ ص٤
٢٤٥- صحيفة الحياة، لندن، ٢٥-٦-١٩٩٢
٢٤٦- صحيفة الدستور ٥-٧-١٩٩٢، عن مقالةل-حاييم فاين في صحيفة الجيروزاليم بوست
٢٤٧- هارتس ٢٨-٦-١٩٩٢ ص٢
٢٤٨- ٢٤٩- ٢٥٠- حنه شاهين/ الهوة الطائفية قفي التمثيل السياسي في اسرائيل/ شؤون فلسطينية - العدد ١٣٨-١٣٩-ايلول / تشرين الاول ١٩٨٤ ص٩٨-٩٩-١٠٠
٢٥١-٢٦١- غازي السعدي / الاحزاب والحكم في اسرائيل- دار الجليل- عمان- ١٩٨٨-ص٩٩-ص١٠١-ص١٠٤-ص١٠٦-ص١١١-ص١٢-ص١١٢-ص١١٤-ص١١٦ - ص١١٧-ص١١٨-ص١١٩-ص٢٠-ص١٣٥/ ١٣٦
٢٦٢- محمد توفيق جراد- ملف الارض عن شهر تموز (١٩٩٢)- مجلة الارض عدد (٧) ص٨٩
٢٦٣-٢٦٤- غازي السعدي- مصدر سابق- ص٣٨١

٢٦٥- الجدول مركب ماخوذ عن مجلة الارض العدد (٧) ٢١/٢/١٩٨٥ ص٢٣- وعن/شيفح فايس/دافار ٨/٦/١٩٨٤ ص١٥- وارشيف مؤسسة الارض

٢٦٦- شيفح فايس- أبناء الطوائف الشرقية في الكنيست قوة متنامية- دافار ٢٩/٧/١٩٨٤ نقلاً عن مجلة الارض ٢١/٨/١٩٨٤-ص٤٩

*اورد سمير جبور في كتابه (انتخابات الكنيست الحادية عشرة- الابعاد السياسية والاجتماعية)، اسم ران كوهين من قائمة راتس - العراقي الاصل - واضافته تجعل عدد اليهود الشرقيين في الكنيست الحادية عشرة يبلغ (٣٢)عضواً.

٢٦٧- الجدول مركب ماخوذ عن: جدعون الون - بعد فترة تاقلم قصيرة حول بنية الكنيست الـ ١٣ هارتس ١٣/٧/١٩٩٢ - وعن ارشيف معلومات مؤسسة الارض

٢٦٨- حنة شاهين - الهوة الطائفية - مصدر سابق -ص١٠٤-ص١٠٥- والجدول مستخرج اصلاً من (هاميعريخت هابوليتيت هايسرائيليت) (النظام السياسي الاسرائيلي) تحرير موشيه ليساك وعمانوئيل غوتمان، تل أبيب عام عوفيد ١٩٧٧ ص٢٢٨ بالعبرية، هارتس ٦/٧/١٩٨١، ودليل معاريف ١٩٧٨ -ص١٦٥بالعبرية

٢٦٩- حنة شاهين - م.س.ذ - ص١٠٨ نقلاً عن موشيه ليساك - النظام السياسي الاسرائيلي ص٢٢٤ . (جدول جزئي).

٢٧٠- Howard R. Penniman, Israel at the Polls, American Interprise institute for publicy, Research, Washington D.c (1979) page 78.

٢٧١- مجموعة كتاب اسرائيليين - اسرائيل الثانية المشكلة السفاردية - ترجمة فؤاد جديد- منشورات فلسطين المحتلة - بيروت ١٩٨١- ص١٩٤

٢٧٢- سمير جبور - انتخابات الكنيست الحادية عشرة - مصدر سابق ص١٩٨-١٩٩

٢٧٣-٢٧٤- شلومو غينوسار - الكنيست الـ ١١ - اساتذة- نساء- جنرالات- ... دافار ٣٠/٧/١٩٨٤ - نقلاً عن نشرة «الملف» -المجلد الاول العدد (٥) آب ٩٨٤ ص٤٣٦

٢٧٥- «يوحنان بيرس» - الوضع الطائفي وتاثيرةفي وعي اليهود الشرقيين.... مجلة بوليتيكا العدد ١٤- ١٥ حزيران ١٩٨٧- نقلاً عن نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية السنة (١٤)-العدد (٨) آب ١٩٨٧- ص٩٤

٢٧٦-٢٧٧- عزيز جبر- اضواء نتائج انتخابات الكنيست - الـ١٢- مجلة الارض عدد ١٢ كانون الاول ١٩٨٨- ص١٢—١٧

٢٧٨- الازمة الطائفية والانتخابات في الكيان الصهيوني- مجلة الارض العدد (٢٤) ٧/٩/١٩٨٤ ص٤

٢٧٩- ياعيل فيبشتاين- حمائمية حرادية- لا يوجد شيء كهذه - دافار ٤/١١/١٩٨٨ نقل عن نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية العدد (١١) تشرين الثاني ١٩٨٨ ص٨٢٩

٢٨٠-٢٨١ «اسرائيل الثانية» مصدر سابق ص٣٣-١٩٢-١٩٣

٢٨٢- الازمة الطائفية والانتخابات - مصدر سابق ص٣

٢٨٣ هارتس ٣/٣/١٩٩٢

٢٨٤-د. مجدي حماد- النظام السياسي الاستيطاني - دراسة مقارنة اسرائيل وجنوب افريقيا -

دار الوحدة – بيروت ١٩٨١– ص٢٢١–٢٢٢

٢٨٥–٢٨٧– اسرائيل الثانية – مصدر سابق ص١٩٤٩–١٩٥–١٠٨–١٠٩

٢٨٨– هلدا شعبان صايغ – التمييز ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل – مركز الابحاث بيروت ١٩٧١، ص١٠٨–١٠٩

٢٨٩–٢٩١– غازي السعدي – مصدر سابق ص٣٧ وما بعدها

٢٩٢– حنة شاهين مصدر سابق ص١٠٨ جدول جزئي

٢٩٣– هلدا شعبان صايغ مصدر سابق ص١١١

٢٩٤– المشكلة السفاردية مصدر سابق ص٢٤

٢٩٥– غازي السعدي مصدر سابق ص٢٣٣–٢٤٣

٣٠٢– صحيفة «الحياة» لندن ١٤/١٠/١٩٩٣

٣٠٣– المشكلة السفاردية – مصدر سابق ص٢٢٢–٢٢٣

٣٠٤– ابراهيم عبد الكريم (مو=ؤسسة الرئاسة الاسرائيلية وانتخاب وايز مان» مجلة الارض العدد (٥)أيار ١٩٩٣–ص١٤

٣٠٥– سعيد تيم، النظام السياسي الاسرائيلي، الاهلية للنشر والتوزيع، ودار الجليل، عمان ١٩٨٩، ص٨٩–٩٠–92

٣٠٦– مجدي حماد، مصدر سابق، ص٢٢٢

٣٠٧–رياض الاشقر، الاداة العسكرية الاسرائيلية والحروب الاسرائيلية العربية المقبلة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية . الطبقة الاولى، بيروت ١٩٧٩ . ص٣–٩

٣٠٨– ابراهيم عبد الكريم، الاركان العامة في الجيش الاسرائيلي، القسم الثالث، الاطر التنظيمية والمهنية، مجلة الارض، العدد السابع، تموز ١٩٩١، ص٦٨

٣٠٩- سامي سموحا، الطائفية والجيش في اسرائيل، اطروحات للنقاش، نقلاً عن نشرة « الملف »، المجلد الاول، العدد (٩)، كانون الاول ١٩٨٤. ص٧٨٠

٣١٠- المصدر السابق ص٧٧٢-٧٧٣

٣١١- المصدر السابق ص٧٧٧

٣١٢- للمزيد من التفاصيل حول « الثقافات الثانوية »، إنظر المصدر السابق ص٢٨١-٢٨٢

٣١٣- المصدر السابق، ص٧٨٢-٧٨٢

٣١٤- المصدر السابق، ص٧٧٥

٣١٥- المصدر السابق، ص٧٨٠

٣١٦- رياض الاشقر، مصدر سابق ص١٨٤

٣١٧- سامي سموحا، الطائفية والجيش في اسرائيل: اطروحات للنقاش، نشرة « الملف » المجلد الاول، العدد (١٠) كانون الثاني ١٩٨٥، ص٨٨٥

٣١٨- المصدر السابق ذاته.

٣١٩- المصدر السابق ص٨٨٦

٣٢٠- المصدر السابق ص٨٨٩

٣٢١- يشعياهو بن فورات، (التفاوت الاجتماعي - الطائفي والفقر في اسرائيل)، نقلاً عن نشرة مؤسسة الدراسات، ملحق العدد (١٦) ١٦/٨/١٩٧٣ ص٥٢٥--٥٢٦

٣٢٢- Smooha, Sammy," Israel, Plurals and conflict" London, Henley Rottedge and Kegan Paul page 313 Table 40

٣٢٣- ابراهيم عبد الكريم، الاركان العامة في الجيش الاسرائيلي، (مكانة الجيش في التجمع الاسرائيلي ...)، مجلة الارض العدد (٦) حزيران ١٩٩١ ص٥

٣٢٤- المصدر السابق ص٧

٣٢٥- المصدر السابق ص٩

٣٢٦- المصدر السابق ص١٠

٣٢٧- المصدر السابق ص١١

٣٢٨- المصدر السابق ذاته.

٣٢٩- ابراهيم عبد الكريم، قيادة الاركان في الجيش الاسرائيلي، مجلة الارض العدد العاشر تشرين الاول (١٩٩١)، ص١٤-١٥

٣٣٠- عماد جاد، العسكريون والنظام السياسي الاسرائيلي، الفكر الاستراتيجي العربي، العدد (٣٨)، أكتوبر (١٩٩١)، ص١٧٤-١٧٥

٣٣١- ياعيل فيشباين، نسبة الضباط الاشكنازيين في الجيش ...، صحيفة دافار ١٩٩٣/٨/٢ ص٥

٣٣٢- عن النشرة اليومية عن الصحافة الاسرائيلية الصادرة عن، موسسة الارض للدراسات الفلسطينية، دمشق، ١٩٨٦/٨/٩

٣٣٣- عن النشرة اليومية عن الصحافة الاسرائيلية، ١٩٨٦/٣/١٨

٣٣٤- التقرير الشهري عن الكيان الصهيوني، مجلة الارض، العدد (٦) حزيران (١٩٩٢) ص٨٦

٣٣٥- التقرير الشهري عن الكيان الصهيوني، مجلة الارض، العدد (٩٧ تموز (١٩٩٣) ص٩٩

٣٣٦- صحيفة «السفير»، بيروت ١٩٩٤/١١/١١

٣٣٧- المصدر السابق ذاته

٣٣٨- النشرة الاسبوعية عن الصحافة الاسرائيلية، العدد (٢)، ١٩٩٥/١/١٨

٣٣٩- سامي سموحا، الطائفية في الجيش الاسرائيلي، مصدر سابق ص٧٧٧

٣٤٠- سامي سموحا، الطائفية في الجيش الاسرائيلي (اطروحات للنقاش)، مصدر سابق ص٩١

٣٤١- المصدر السابق ذاته

٣٤٢- المصدر السابق ص٨٩٢-٨٩٣

٣٤٣- المصدر السابق، لمزيد من التفاصيل انظر ص٨٩٣-٨٩٥

الجزء الثالث
الخروج الأخير

الفصل الأول

نزوع العودة

نزوح العودة

ولدت فكرة «نزوح العودة» بشكلها الجنيني مع الاعلان عن قيام الكيان الصهيوني، وتطورت في العقد السابع من القرن العشرين، في ظل الأجواء السياسية التي أعقبت حرب (١٩٧٣)، وسيادة مفاهيم تسوية الصراع العربي – الصهيوني واعتقاد بعض الجهات العربية والفلسطينية في تلك الفترة أنه بالامكان تفكيك الكيان الصهيوني وكسب ود الولايات المتحدة الامريكية ودول أوروبا الغربية في الآن ذاته، وذلك عن طريق إقتناعهم أن بروفيل العلاقة الرابطة بين واشنطن وتل أبيب قد انخفض وأن عملية «تايوانة» اسرائيل هي عملية حاصلة لا محالة، بمعنى أنه لم تعد الولايات المتحدة الامريكية بحاجة لخدمات اسرائيل، وأن مصالحها الحيوية في المنطقة العربية يمكن للعرب وحدهم أن يحققوها بشكل ناجع.

أما تفكيك اسرائيل فيمكن عن طريق حرمانها من المادة البشرية التي تحتاج إليها، ويكون ذلك بإعادة اليهود العرب من إسرائيل إلى بلدانهم العربية الاصلية. وشروط تلك الاعادة أو الهجرة العكسية تتمثل في وسائل سياسية ودعائية مختلفة.

وقد جرى التمهيد لفكرة «نزوح العودة» بشكل ساذج، ومغلوط، يقلب الامور رأساً على عقب، وذلك من خلال تحميل مسؤولية هجرة يهود البلاد العربية إلى الكيان الصهيوني للسلطات العربية فقط، وغض الطرف عن النشاط الصهيوني في تلك البلاد، الذي يعتبر المحرك الأساسي لعملية تهجير أولئك اليهود. وقد عبر عن ذلك الفهم السياسي المغلوط محمود عباس، عضو اللجنة المركزية في حركة فتح آنذاك – وهو ذاته الذي يعتبر مهندس اتفاق «أوسلو» لاحقاً – إذ قام في كتابه الشهير «الصهيونية بداية ونهاية» بعرض أسس ومعطيات فكرة «نزوح العودة»، ومهد لها أولاً بتوجيه النقد للدول العربية التي يعتبرها ساعدت اسرائيل في تهجير يهود بلدانها فيقول في هذا الاتجاه «إن عدد اليهود العرب في اسرائيل يتجاوز المليون ونصف المليون من مجموع (٢,٢٧٥,٠٠٠). إن ثلثي سكان اسرائيل من أهلنا، من إخواننا. نحن وضعناهم في الخط المعادي وفي الصف المعادي، نحن أجبرناهم على الوقوف في هذا الموقف لم نعطهم خياراً آخر لم نمنحهم فرصة اخرى، فرضنا عليهم إما الرحيل إلى اسرائيل أو الموت هلاكاً ولا خيار ثالث.

ولنعترف أننا ظلمناهم وأننا ارتكبنا بحقهم أخطاء قاتلة وأننا أجبرناهم على ما يكرهون وأغلقنا إمامهم كل طرق الحياة الكريمة ».(١)

كما اعتبر أن هنالك فرصة تاريخية سانحة لاعادة اليهود العرب إلى بلدانهم الاصلية، إذ وحسب مصادر إعلامية اسرائيلية يستند إليها محمود عباس، هنالك (١٥,٤٪) من مجموع اليهود الشرقين يرغبون في الهجرة من إسرائيل »(٢)

وروج لامكانية مساهمة منظمات يهودية معادية للصهيونية في عملية إعادة اليهود العرب إلى أوطانهم ومن تلك المنظمات : اللجنة الاميركية من أجل الاراضي المقدسة التي أسسها حبيب خيبر في واشنطن عام (١٩٦١)، وهو يهودي عاش في فلسطين وغادرها سنة (١٩٦١) وتنادي اللجنة بإعتراف الولايات المتحدة بـ منظمة التحرير الفلسطينية كممثل للعرب الفلسطينين، وان تتبع اميركا سياسة إيزنهاور في منع اسرائيل من التوسع عسكرياً وراء حدودها وأن توقف أية مساعدة لاسرائيل مالم تنسحب من الاراضي العربية وان تفتح الدول العربية أبوابها للاجئين اليهود من اسرائيل أو البلدان الاخرى، وأن يتجنب الشعب العربي وقادته مقاطعة اليهود الذين لا علاقة لهم بالنشاطات الصهيونية و« الماركسية » وأن ينضم اليهود إلى اللجنة وأن يبتعدوا عن السياسات الصهيونية و« الماركسية » التي تتبناها اسرائيل، تلك السياسات التي تشكل خطراً ليس على اليهود فحسب بل على البشرية جمعاء.(٣)

وإضافة إلى تلك اللجنة يجري التعريف بعدد اخر من المنظمات اليهودية المعادية للصهيونية مثل: منظمة « راف توف » - اي الرفيق الطيب - التي عقدت مؤتمراً لها في لندن عام (١٩٧٥). وحركة الفهود السود التي ظهرت في الكيان الصهيوني عام (١٩٧١) وأثارت موجة من الاحتجاج على أوضاع اليهود الشرقيين فيه، كحادثة « وادي الصليب » الشهيرة. ومنظمة « الميراج »التي تاسست في ١٢ / ٤ / ١٩٧٤ لحث اليهود على رفض الحق الممنوح لهم بالعودة إلى اسرائيل على ضوء قانون العودة الاسرائيلي، وطائفة « ناتوري كارتا » - حراس المدينة - ومنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (الماتزبن) ومنظمة الـ « هياس Hias » الي تساعد اليهود الروس علي الهجرة إلى بلدان أخرى غير اسرائيل. (٤)

ويعتبر محمود عباس أن هنالك جملة من الامور يجب القيام بها لانجاح فكرة « إعادة اليهود » منها: تحسين أحوال اليهود العرب المقيمين في البلاد العربية، وإفساح المجال لكل يهودي عربي غادر أرض وطنه أن يعود إلى هذا الوطن. وبذلك تكون أمتنا العربية قد ساهمت في التخفيف من هولاء الاخوة الذين يعانون اليوم

في أرضنا المحتلة أسوأ مظاهر التمييز العنصري والقهر القومي والاضطهاد الثقافي. وأن كل دولة عربية مدعوة إلى استصدار القوانين التي تتيح لليهود أن يعودوا إلى بلادهم بلا قيود أو شروط وأن تهيئ لهم كل سبل الحياة الكريمة، وأن تعيد لهم أملاكهم الموضوعة تحت الحراسة وأن تقدم لهم المساعدات والهبات والقروض لاعادة تأهيلهم في وطنهم. وأيضاً مساعدة المنظمات اليهودية المناهضة للصهيونية وممارسة عملية دعائية لهذه العملية في أميركا، وتعزيز الحوار العربي - الاوربي. (٥)

وقد أوضح نزيه قورة في كتابه «المشروع الصهيوني في مواجهة أزمته الداخلية» الخلفية النظرية لفكرة «نزوح العودة»، عبر إيراده افتراضات خاطئة منها: أن الحركة الصهيونية لم تكن في يوم من الايام، ولن تكون قوة مؤثرة في حياة الطوائف اليهودية في العالم (١). ومنذ إعلان الحركة الصهيونية عن برنامجها، أعلنت «معظم» الطوائف اليهودية في العالم بلسان أحزابها وهيئاتها، وممثليها، عن معارضتها للمشروع الصهيوني، ولم تبق فئة يهودية، سواء كانت دينية، أو علمانية أو ليبرالية، أو محافظة أو إشتراكية، إلا ووقفت موقفاً معارضاً من النشاط الصهيوني.(٦) وفصّل بشكل قسري بين موقف وسلوك اليهودي إزاء الحركة الصهيونية والهجرة إلى فلسطين من خلال قوله: إن المحك الحقيقي للموقف اليهودي يكمن في الموقف الذي يتخذه اليهود، طوافاً وأفراداً من مسألة الهجرة إلى فلسطين المحتلة، والهجرة هنا هي هجرته هو وليست هجرة غيره، فإذا كان قراره الشخصي هو الامتناع عن الهجرة إلى فلسطين المحتلة، فإن ذلك يعني أنه لا يوافق على المبدأ الاساسي للمشروع الصهيوني. وفي هذه الحالة لا يمكن أن نعتبر تقديمه للتبرعات أو خروجه في مظاهرة، أو توقيعه على عريضة لصالح الكيان الصهيوني، دليلاً على إقتناعه بالمبدأ الصهيوني الاساسي». (٧) وهنا نشير إلى أن الحكومة الصهيونية ومن ثم الكيان الصهيوني لا يستند فقط في وجوده إلى المهاجرين فقط، بل أن هنالك دوراً ووظيفة يجب أن يمارسها في محيطه الاقليمي.

وقد تابع «قورة» إنتقائيته النظرية في الترويج لفكرة «نزوح العودة»، من خلال عقد مقارنة سطحية بين أوضاع اليهود في البلاد العربية قبل هجرتهم إلى الكيان الصهيوني، وبين أوضاعهم في ذلك الكيان فيما بعد، فيجد أن مستوى قسم واسع من يهود البلاد العربية قد تدنى مادياً وثقافياً، بعد هجرتهم من البلدان العربية إلى الكيان الصهيوني، وأن الفرص كانت متاحة ولا زالت متاحة للباقين منهم في البلدان العربية، وهي أوسع بكثير من الفرص التي يستطيع منحها لهم

الكيان الصهيوني .(٨)وبذلك يمكن إغراء أولئك اليهود وجذبهم إقتصادياً للعودة إلى البلاد العربية.

ولتأكيد مصداقية فكرة «نزوح العودة» طرح «قوره» عدد من الاسئلة على الشكل التالي: هل نحث يهود البلدان العربية على بيع انفسهم للحركة الصهيونية، عن طريق سد أبواب البلدان العربية في وجوههم أم ننقذهم ونحرم الحركة الصهيونية من إمكانية تسخيرهم في خدمة اغراضها العدوانية؟ ويجيب على هذه الاسئلة بقوله: إن مقتل الحركة الصهيونية يكمن في تبني الدول العربية، مجتمعة ومنفردة، لسياسة حكيمة تجاه هؤلاء اليهود، تتيح لهم العودة بامان إلى أوطانهم العربية، أو على الاقل تتيح تسهيلات معينة لمن يريد الانتقال عب البلدان العربية إلى أية بلدان يختارونها» .(٩)

وفي وقت لاحق أسهم د. اسعد عبد الرحمن في معالجة فكرة «نزوح العودة» عبر تحديد مسوغات الفكرة، وذرائع الذين عارضوها، وقيمة تلك الذرائع، وسبل ترجمة الفكرة ومن تلك المسوغات ضرورة تبني مشروع دعوة اليهود العرب للعودة إلى أوطانهم الاصلية كحلقة من سلسلة المشاريع القتالية العسكرية والسياسية والاقتصادية التي يقتضيها تحرير العرب لأراضيهم وتحقيق أهدافهم الاستراتيجية الاخرى .(١٠)

أما مسوغات رفض الفكرة من قبل أوساط رسمية وشعبية عربية فيحددها أسعد عبد الرحمن بالمسوغات التالية: ١- الدعوة تنطوي على سحب البساط من تحت أقدام المشروع الفلسطيني الهادف إلى إقامة الدولة الديمقراطية العلمانية في فلسطين. ذلك انه إما أن يلتزم بذلك المشروع فنبقي اليهود حيث هم تتشكل منهم الدولة الديمقراطية العلمانية العتيدة، أو نسحبهم من هناك فينتفي بذلك الاساس البشري اللازم لاقامة مثل تلك الدولة. ٢- سيؤدي تنفيذ فكرة عودة اليهود العرب إلى تفريغ فلسطين المحتلة من اليهود الشرقيين مخففاً بذلك من حدة التناقض بينهم وبين اليهود الغربين من جهة، ومفسحاً المجال أمام استجلاب موجات هجرة جديدة من هؤلاء الآخيرين من جهة ثانية. ٣- سيكون الاتيان باليهود العرب إلى الدول العربية كمن جاء «بالدب إلى كرمه»، ذلك أن إحضار يهود تشعبوا بالفكر الصهيوني طوال أكثر من ربع قرن، سيجعل منهم طوابير خامسة وعملاء وجواسيس جاهزين للعمل لصالح اسرائيل وبخاصة وأنهم سيكونون عرضة في البلاد العربية للتمييز القومي والديني ضدهم، ناهيك عن أنهم سيبتلعون بما عرف عنهم من حذاقة في أعمال التجارة، إقتصاد البلدان العربية

التي يفدون إليها وسيشربون النفط العربي حتى آخر قطرة. ٤- ستقتصر عودة اليهود - إن عادوا- على الكبار في السن الذين لا يزالون يحملون معهم ارتباطهم بالأوطان التي نشأوا فيها. وعندئذ نكون قد خففنا عن اسرائيل عبئهم أولاً، وأرهقنا انفسنا بهم ثانياً، دون أن تفرغ اسرائيل من عنصرها البشري الذي تحشده لقتالنا ثالثاً

٥- اليهود في الدين والتاريخ أشرار بطبيعتهم ولذلك سيكونون دوماً أدوات خراب أو إفساد، فلم نأتي بالطاعون إلى عقر دارنا ؟. ٦- المسألة غير مطروحة فعلياً وعملياً.(١١)

ويشير د. أسعد عبد الرحمن إلى أن قيمة تلك الذرائع تتسم بكونها ذاتية وتسقط الرغبات على الواقع، وتخلط بين سلامة المبدأ وصعوبة التطبيق.(١٢) لذا يعرض لمعالم خطة عربية لدفع الهجرة المعاكسة من اليكان الصهيوني، ويحددها بالتالي: ١- نشر وترسيخ الفكر التقدمي المضاد للفكر الفاشي والشوفيني. -٢ تأكيد الدول العربية رسمياً علي المواقف المبدئي والتاريخي للامة العربية المتسامح مع «الأقليات» بشكل عام، ومع الطائفة اليهودية بشكل خاص. ٣- إنشاء وكالة عربية ترعى اليهود العرب العائدين على كافة المستويات. ٤- دفع الاتحاد السوفياتي لمقاومة الضغوط الصهيونية بشأن الهجرة.(١٣)

ويتقاطع د. أسعد عبد الرحمن في تأييد فكرة «نزوح العودة» مع المواقف الداعية والمؤيدة التي أشرنا إليها سابقاً، إذ يجد أن الدعوة إلى عودة اليهود العرب من إسرائيل إلى البقاع الاصلية التي سبق لهم وعاشوا فيها، هي الوجه الاخر للدعوة الهادفة تنفيذ الهدف الاستراتيجي للثورة الفلسطينية والخاص بإقامة الدولة العلمانية الديمقراطية في فلسطين، بل أن هذه الدعوة تشكل ركناً أساسياً من أركان الهدف الاستراتيجي للامة العربية الساعي إلى إقامة الدولة العربية العلمانية الديمقراطية.(١٤)

وفي السياق ذاته أيد عباس علي الشامي في كتابه «يهود اليمن قبل الصهينة وبعدها» فكرة «نزوح العودة»، ولكن بشكل مختلف، إذ تساءل قائلاً: «لماذا يتحتم على العرب دفع أخطاء اليهود في دول العالم ؟ ولماذا تم تهجير اليهود العرب إلى الارض العربية الفلسطينية قسراً، وعندما رجعت العافية إلى العرب وجهنا دعوة جماعية إلى اليهود ليعودوا إلى أقطارهم الاصلية ؟ دون تفكير كثير لابد أن يدرك اليهود قبل غيرهم أن حرصنا على يهود بلادنا ناجم عن حبنا لمجتمعنا بكل فئاته ونابع من حقهم علينا الدفاع عنهم كمواطنين وكجزء من أبناء

الشعب المتطلع إلى التحرر والقضاء على مصادر ووسائل الاضطهاد وبكل صوره وأشكاله. وإننا نحافظ عليهم ونحميهم، ونطالب برفع الحيف عن المغرر بهم، بل نطالب بعودتهم إلى ديارهم حتى ألا يبقوا وقوداً للحرب الظالمة التي تهيئ لها دائماً الدول الطامعة».(١٥)

*«نزوح العودة» في التطبيق العملي..

استجابت عدة دول عربية لفكرة نزوح العودة، وأصدرت قوانين وتصريحات رسمية بهذا الشأن، منها: العراق والمغرب،والسودان، وليبيا، والجمهور العربية اليمنية، ومصر. فقد دعا أنور السادات اليهود من أصل مصري للعودة إلى مصر، وكذلك فعل الرئيس العراقي، والعاهل المغربي. وردت على هذه الدعوات، الصحافة الاسرائيلية بقولها: «إن هذه الدعوات تستهدف تشجيع النزوح من اسرائيل» وتابعت صحيفة هتسوفيه قائلة:« أن يهود الدول العربية قد هاجروا إلى اسرائيل من خلال الوعي اليهودي الداخلي والتطلع إلى بلدهم ووطنهم وأنهم لن يستبدلوا هذا الوطن بأي دعوة من أجل عودتهم إلى الدول العربية، وأن يهود إسرائيل لن يعودوا للمنفى، وإن أرض اسرائيل كانت وستبقى هي الأرض التي يتطلعون إليها ولن يغادروها إلى الابد».(١٦)

ووجدت دعوة إعادة يهود العرب إلى أوطانهم الاصلية صدى خافتاً داخل الكيان الصهيوني تم التعبير عنه برسالة وجهتها لجنة العمل الخاصة بأهالي معبرة حولون إلى السفارة المغربية في فرنسا تعرب فيها عن الاسف والندم على الهجرة إلى اسرائيل وتطلب مساعدة السفارة بالعودة إلى المغرب وقالت صحيفة «علهمشمار» الاسرائيلية ان هذه اللجنة توجهت برسالة مماثلة إلى الصليب الاحمر حول نفس الموضوع، ويقول اعضاء اللجنة الثلاثة: زغوي نسيم، وكاسوس ماركوس وفنونودانيئيل: أنهم يمثلون (١٢٠) عائلة تضم حوالي (٦٠٠) نسمة هاجروا من المغرب منذ (١٠-٢٠) نسمة وسكنوا في هذا المكان في براكات أشبه بمخيمات اللاجئين. وانه لم يعتن بهم أي احد خلال عدة سنوات نظراً لانهم من المغرب وأنهم ينظر إليهم نفس النظرة للزنوج الافريقيين. وقال أعضاء اللجنة في رسالتهم أن اللجنة توجهت إلى الصليب الأحمر في اسرائيل تطلب منه أن يساعد أعضاءها على العودة إلى مراكش. إلا أن الصليب الأحمر رد عليها أن هذا الموضوع هو أمر داخلي يخص حكومة اسرائيل وأنه لا يمكنه أن يتدخل فيه.(١٧)

واستجابة لدعوة الملك الحسن الثاني عادت إلى المغرب خمس عائلات يهودية ثرية وعشرات من الشبان. وذكرت صحيفة «معريف» أن هذه العائلات عادت إلى العمل الذي كانت تعمل فيه قبل أن تهاجر إلى اسرائيل (...) وان بضع عشرات من الاسرائيليين الشبان يعملون الآن في تهريب المخدرات.(١٨)

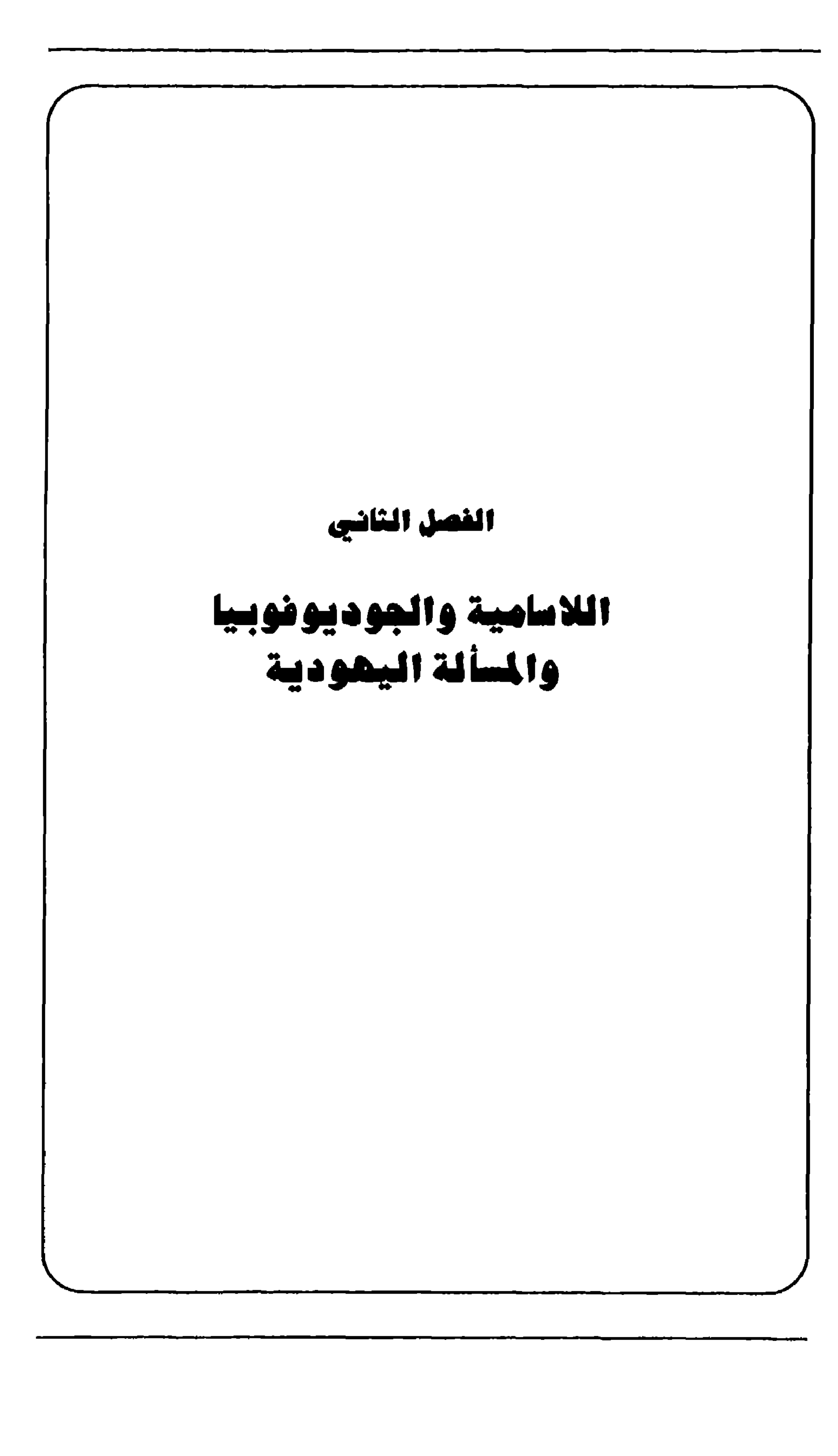
وعادت أعداد قليلة من يهود بلدان عربية أخرى، ولم تعكس استجابة اليهود العرب في الكيان الصهيوني بشكل جاد لفكرة العودة إلى تلك البلدان. كما أن السلطات الاسرائيلية تفرض قيوداً قاسية على هجرة أولئك اليهود إلى خارج إسرائيل إلى أي بلد في العالم.

ونشير إلى أنه في السنوات الأخيرة، كررت بعض الجهات العربية والفلسطينية دعوتها لعودة اليهود العرب إلى بلدانهم الأصلية، من طراز النداء الذي وجه الرئيس الليبي معمر القذافي إلى يهود ليبيا في اسرائيل للعودة إلى ليبيا. وقد رد على هذا النداء، شمعون بيرس، وزير الخارجية الاسرائيلي بقوله: «أن هذه الدعوة قبل كل شيء عملية دعائية لتحسين صورة ليبيا في الولايات المتحدة، وهذا تطور مهم ولكنه لا يغير شيئاً في العمق (...) ومن غير المقبول الموافقة على التميز بين اليهود من أصل ليبي الذين سيسمح لهم بالذهاب إلى هذا البلدوبين اليهود الاخرين الذين لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك».(١٩)

ولدى وضع فكرة «نزوح العودة» في سياقها الموضوعي من الصراع العربي – الصهيوني نجد أن هذه الفكرة لدى وضعها على المحك الحقيقي والعملي، أثبتت سذاجتها شكلاً، وعبرت عن زيف إدعاءات أصحابها ومسوقيها، ولم تؤد عملياً إلى هجرة معاكسة من اليهود العرب في الكيان الصهيوني إلى البلاد العربية، ذات حجم ملموس. فهذه الفكرة أو الدعوة يبدو واضحاً أنها تفتقر إلى وعي لجوهر الصراع العربي – الصهيوني، وطبيعة الكيان الصهيوني وكذلك الدور المنوط به تحقيقه سواء داخل رقعة الاستيطان (فلسطين) أو تجاه المحيط الاقليمي العربي.

ويضاف إلى ذلك أن الفكرة تعرضت لتحويرات عديدة وأوصلت إلى نتائج معاكسة، تصب في خدمة الكيان الصهيوني. فعلى سبيل المثال، استند أصحاب هذه الدعوة وتحديداً ممن ينتمون إلى المدرسة التسووية في الحركة الوطنية الفلسطينية، إلى إمكانية استغلال التناقضات داخل التجمع الاستطاني وتأجيجها وصولاً إلى تفكيك الكيان الصهيوني، وإقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية

العلمانية، ووجدوا في ما يسمى بالقوى اليهودية اليسارية وسيلتهم لتحقيق ذلك، لكنهم - أصحاب الدعوة - انتهوا في نهاية المطاف إلى التفاوض مع قادة تل أبيب ذاتهم وتوصلوا معهم إلى إتفاقية غزة - أريحا، أولاً التي تمخضت عن «غيتو فلسطين» في غزة وأريحا، وليس عن دولة فلسطينية ديمقراطية علمانية. وخلال هذا التحول العكسي تجاهلت الجهات التي روجت لدعوة عودة يهود البلاد العربية، ماطرأ على يهود البلاد العربية من تحولات خلال فترة وجودهم في الكيان الصهيوني من شاكلة مساهمة أقسام واسعة منهم في أكثر الأعمال العدوانية الاسرائيلية تجاه الشعب الفلسطيني خصوصاً وضد ابناء المجتمعات العربية التي عاشوا بين ظهرانيها لفترة طويلة من الزمن، ويضاف إلى ذلك، وهم - أي اليهود العرب في الكيان الصهيوني - يشكلون نسبة هامة من اليهود الشرقيين، ورغم ظروفهم وأوضاعهم السيئة نسبياً في الكيان الصهيوني وضعف تمثيلهم في مؤسساته وفي عملية صنع القرار السياسي الصهيوني، انحازوا إلى جانب أكثر الاحزاب الصهيونيةتطرفاً من طراز الليكود. كما عملوا باتجاه تحسين دورهم ودرجة تمثيلهم في اجهزة السلطة الاسرائية، في مراحل مختلفة، وذلك على خلفية قناعتهم، وفي أحسن الأحوال، إقتناع شرائح منهم، بان الكيان الصهيوني هو وطنهم ومجسد أحلامهم على إختلاف مصادرها. ولم يقدموا على مغادرة الكيان الصهيوني عائدين الى أوطانهم الأصلية، إذ لم يتوصلوا بعد الى القناعة بأن الصهيونية تمثل حلاً زائفاً لـ «المسالة اليهودية».



الفصل الثاني

اللاسامية والجوديوفوبيا والمسألة اليهودية

اللاسامية والجوديوفوبيا والمسألة اليهودية

«المسألة اليهودية» مازالت ومنذ تشكلها، تمثل ظاهرة فريدة في تاريخ البشرية وتأتي فرادتها ليس من كون اليهود لديانتهم هم أصحابها، بل لكونها أخذت تعبيرات وتفسيرات متعددة، ووضع لها حلول مختلفة إدعت غالبيتها أنها حلولاً شاملة وجذرية للمسألة اليهودية، لذا يجدر تسليط الأضواء على جذور هذه المسألة وحيثياتها، وجوهر الحلول التي وضعت لها، أولاً، ثانياً كيفية تعاطي الفكر السياسي العربي مع هذه المسألة.

قبل البحث في جذور هذه المسألة أو المسائل اليهودية حسب ما خلص إليه د. عبد الوهاب المسيري في مجمل كتاباته وأبحاثه ومنها «الايديولوجية الصهيونية»، لابد من التعريف بهذه المسألة، فهي مصطلح عام يعني المشاكل التي تواجهها الجماعات اليهودية في المجتمعات التي تعيش فيها، وهنا يمكن القول أنه لا توجد مسألة يهودية واحدة، وإنما توجد مسائل يهودية مختلفة، تختلف بإختلاف الزمان والمكان، فمشاكل يهود الامبراطورية الرومانية تختلف عن مشاكل يهود اليمن، التي تختلف بدورها عن مشاكل يهود الولايات المتحدة.(٢٠) والقول أن هنالك عدة مسائل يهودية في أماكن وأزمان مختلفة، يعتبر أمراً صائباً، ويوزع المسؤوليةعلى المجتمعات التي عاش فيها اليهود نتيجة للحراك السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي حدث فيها بشكل طبيعي أو قسري. بينما تمسك الصهاينة بالترويج لمسألة يهودية واحدة يعاني منها كافة اليهود، هو أمر له أبعاده العنصرية والسياسية. وهذا يتفق مع نظرتهم لمن يسمون بـ«الغوييم» الذين طرحوا حلاً للمسألة اليهودية يتلخص في التخلص من كافة اليهود عن طريق إبادتهم أو تهجيرهم.

تشير مصادر تاريخية كثيرة إلى أن جذور المسألة اليهودية تعود إلى ارتباط الأقليات اليهودية في «أوروبا بالذات» بمهنة التجارة والربا، حتى صاروا يشكلون مجموعة إجتماعية حضارية لها دور إقتصادي محدد، وبتعبير اخر صاروا يشكلون مايشبه الأمة /الطبقة حسب اصطلاح ابراهام ليون. وما نسميه نحن الجماعة الوسيطة. وقد كان اليهود في المجتمعات الغربية يكونون جماعات بشرية تعيش داخل المجتمعات الاقطاعية، وتضطلع بوظائف التجارة والربا وبعض الحرف التي تتطلب كفاءات خاصة وتأتي بعائد سريع. وكان اليهود يتوارثون تلك الوظائف

«مثل كل الجماعات الوسيطة» خصوصاً وأن المجتمع الاقطاعي مبني على الفصل الحاد بين الطبقات والجماعات. وقد كان الأرمن في المجتمع البولندي لهم الجيتو بهم، والقوانين والمحاكم المقصورة عليهم، كما كانوا يتحدثون لغتهم الأرمنية، وكان لهم كنيستهم الأرمنية الخاصة المختلفة عن الكنيسة الكاثوليكية التي كان يدين بها معظم البولنديين. اي أنهم كانوا كاليهود الذين كانوا يتحدثون اليديشية ولهم محاكمهم وقوانينهم وكنائسهم. وكان الأرمن يتنافسون مع اليهود إذ أن كليهما كان جماعة وسيطة يعمل في نفس المهنة وهي التجارة .(٢١)

وفي فترات لاحقة وعندما بدأت عملية التحديث في المجتمعات الأوروبية، ظهرت المسألة اليهودية في بولندة خاصة إذ أن الغالبية العظمى من يهود أوروبا ويهود العالم كانت موجودة في بولندا وأوكرانيا التي كانت تتبعها. وقد تم تقسيم بولندا عدة مرات، وتم تقسيم أعضاء الجماعة اليهودية فيها بين عدة دول، لكل دولة لغتها وسياستها وتوجهها الحضاري. فضمت روسيا الجزء الأكبر من الجماعة اليهودية وحاولت «ترويس اليهود أي صبغهم بالصبغة الروسية» وضمت المانيا جزءاً آخر واعتبرت اليهود مواطنين المانيا لتحدثهم اليديشية وهي «رطانة المانية» حتى تضرب بهم السكان السلاف. وضمت الامبراطورية المجرية – النمساوية جاليشيا وحاولت أن تفرض عليها الولاء والإنتماء لها. اما بولندا فكانت تطالب من تبقى من اليهود أن يصبغوا أنفسهم بصبغة بولندية. وكانت هذه التقسيمات تتم بسرعة وتتضمن تحولات حضارية جوهرية وعميقة دون أن تكون هناك الفسحة الزمنية اللازمة لانجاز التحول المطلوب، وقد تسبب ذلك في اخفاق كثير من اليهود في تحديث أنفسهم، كما هو مطلوب منهم، وكما حدث بين بني ملتهم في الغرب .(٢٢)

وفيما بعد إنتقلت المسألة اليهودية المفتتة من بولندا وأوروبا الشرقية إلى غرب أوربا، مع انتقال اليهود إليها، ولتفاقم هذه المسألة في المجتمعات الجديدة التي تطورت، ظهرت عدة حلول لها كان أولها يتمثل في إندماج اليهود في مجتمعاتهم، بالتزامن مع إعادة صياغة اليهودية بشكل جوهري يجعلها تتلائم مع العصر الحديث، وهو الحل الذي يستند إلى فكرحركة التنويراليهودية،الذي حاول أن يعقد مقاربة مع مستلزمات عملية التحديث في المجتمعات الأوربية،والاستجابة لديناميات المجتمعات التي عاشوا بين ظهرانيها التي دخلت طور التحديث وعرضت على اليهود شكلين اساسيين للتحديث هما: الشكل السياسي المباشر وهو ما يطلق عليه اسم «العتق»، اي منح اليهود حقوقهم المدنية والسياسية نظير أن

يدينوا بولائهم للدولة التي عرفت القومية على أساس لا ديني عرقي أو اثني. وهذا الامر خلق عند اليهود أزمة هوية، حيث أن تعريف الشريعة لليهودي على أنه «من تهودأو من ولد لأم يهودية» يتضمن عناصر أثنية تتناقض مع فكرة الولاء الكامل للدولة. اما الشكل الاخر للتحديث فهو الشكل الاجتماعي الاقتصادي عن طريق دمج اليهود في مجتمعاتهم وتحويلهم إلى قطاع إقتصادي منتج وتخليصهم من هامشيتهم الانتاجية أو اصلاحهم، أو تحويلهم إلى عنصر نافع.(٢٣)

وكان الاندماج بمثابة أول حل غير صهيوني للمسألة اليهودية، تبعه فيما بعد حل آخر يحمل بعض سمات الحل الصهيوني، لكنه ليس حلاً صهيونياً خالصاً، وتم التعبير عن هذا الحل من خلال جملة الافكار التي طرحها المؤرخ الروسي «سيمون دوفنوف»، وأخذ الحل اسم «قومية الدياسبورا». وإنطلق هذا الحل من رؤية دوفنوف للنماذج القومية التي قسمها إلى ثلاثة أقسام هي: ١- النموذج القبلي واللصيق بالطبيعة والأرض ٢- النموذج الاقليمي السياسي، وهو أقل ارتباطاً بالارض وأكثر إرتباطاً بالدولة ٣- أما النموذج الروحي فهو نموذج مستقل عن الطبيعة، لأن وجوده يستند أساساً إلى اوعي بالذات التاريخية. ويرى «دوفنوف» أن اليهود ينتمون إلى هذا النموذج، فقد فقدوا الدولة في بداية الامر ثم فقدوا الارض، ومع هذا استمر وجودهم في المنفى. وهو يرى أن على اليهود تطوير هذه الخاصية، فليس هناك ما يدعو إلى إنشاء دولة يهودية مستقلة، أو العودة إلى أرض الميعاد أو إلى إحياء اللغة العبرية. ويرى أن حل المسألة اليهودية مبني على إفتراض وجود «وحدة» بين الأقليات اليهودية المتناثرة في العالم، لكنها وحدة لا توجب التنوع، لان الحضارات اليهودية تختلف باختلاف الظروف التاريخية «والجغرافية» التي تنشأ فيها. وهو «دوفنوف»لهذا يرى أن مركز هذه الحضارة أو الحضارات كان، وسيظل متغيراً ينتقل من بلد إلى آخر، فهو آونة في بابل وآخرى في الاندلس وثالثة في روسيا. والبلد الذي تزدهر فيه الحضارة اليهودية أكثر من البلدان الاخريتنتقل إليه القيادة الفكرية. (٢٤)

ويرى د. المسيري أن الصيغة الدوفنوفية لحل المسألة اليهودية قد تحققت في الغرب. فمن الناحية الحضارية لا يزال اليهود في الولايات المتحدة أو فرنسا أو انجلترا مستمرين في خلق تراثهم الحضاري الموسوم بميسهم الخاص، وإن كان ينتمي إلى البلاد التي يعيشون فيها ومكتوباً بلغتها، وهذه الحضارات اليهودية المختلفة لها ديناميتها المستقلة عن اسرائيل. كما أن الهجرة اليهودية لا تزال متجهة بالدرجة الاولى إلى الولايات المتحدة.(٢٥)

بالمقابل لم تنشأ مسألة يهودية في المجتمعات العربية والاسلامية، في ذات الفترة التي نشأت فيها في أوربا تلك المسألة، وبعدها في فترات لاحقة، وهذا ما أشار إليه ديفيد هيرست في كتابه The Gun and Olive Branch من خلال قوله: أنه في المناسبات النادرة في التاريخ العربي، عندما إنقلب المسلمون أو المسيحيون على اليهود بينهم، لم يكن ذلك وليد معاداة السامية في المفهوم الاوربي التقليدي، بل كان وليد التطرف الناجم عن إحساس مبرر بالنقمة، فاليهود كغيرهم من الاقليات، يميلون إلى الوقوف – جرياً وراء مصالحهم طبعاً – إلى جانب سلطة ترى فيها اغلبية السكان أنها سلطة قمعية ومفروضة عليهم. وكان يعني هذا – في مراحلٍ متأخرة – أنه من العراق حتى المغرب – وجدت الطوائف اليهودية نفسها محلاً لمعاملة تفضيلية من قبل السادة البريطانيين والفرنسيين في العالم العربي ». (٢٦)

ولدى العودة إلى المجتمعات الاوروبية التي أنتجت المسألة اليهودية نجد أن مصطلح العداء للسامية Anti Semitism ، هو تعبير حديث الاستعمال اطلق بداية في ألمانيا مع نهاية القرن التاسع عشر، وشاع استعماله في فترة لاحقة للدلالة على « كره اليهود والشعور المتصل تجاههم بالعداء »، استناداً إلى فكرة التمييز بين البشر على أساس من اختلاف العرق. وهذا التعبير مضلل وجرى استعماله في غير المعنى الموضوع له أصلاً. فالسامية كما فهمها دارسو تلك المرحلة من الاوربيين عنوا في استعمالها الاشارة إلى مجموعة لغوية وثقافية من الناس لا عرقية. وتضم، في الأساس اللغات العبرية والعربية والارامية.(٢٧) ونضيف أن مصطلح « السامية » Semitic ابتكره عالم ألماني عام (١٧٨١) للاشارة إلى الجماعات التي تربطها لغات متقاربة مثل اللغتين العبرية والعربية.(٢٨)

أما مكسيم رودنسون فقد ابتدع تعبيراً جديداً هو الـ« جوديوفوبيا » – Ju-deophobia – للتدليل على شعور العداء تجاه اليهود وحدهم. وهو يميز أيضاً بين نوعين من « الجوديوفوبيا »، جاء تعبيرها الاول بدوافع دينية ويمكن فهمه في إطار الصراع التاريخي بين الديانتين اليهودية والمسيحية. اما تعبيرها المعاصر المستند إلى اساس التميز العرقي فحديث النشأة نسبياً.(٢٩)

*** الحلول الاوربية لـ« المسألة اليهودية »**

إلى جانب الحلول اليهودية غير الصهيونية لـ« المسألة اليهودية »، كانت قد ظهرت أيضاً حلول أوروبية لهذة المسألة، أطلق عليها اسم « صهيونية الاغيار ».

وتشير المصادر التاريخية إلى أن رئيس انجلترا البيوريتاني في القرن السابع عشر «أوليفركر ومويل»، وأتباعه من البيويتانيين (المطهرين) أدركوا الفائدة المادية التي يمكن لليهود تقديمها لاقتصاديات انجلترا في المجال التجاري. لذا نظموا حركة بهدف مساعدة اليهود على الاستيطان في فلسطين، وبالتالي حل المسألة اليهودية. وقاموا عام (١٦٤٩) بتقديم عريضة إلى الحكومة الانجليزية جاء فيها: «إن الامة الانجليزية مع سكان الاراضي المنخفضة سيكونون اول الناس واكثرهم استعداداً لنقل أبناء اسرائيل وبناتها على سفنهم إلى الأرض الموعودة لاجدادهم إبراهيم واسحق ويعقوب كي تصبح إرثاً دائماً لهم».(٣٠)

*** الحل الفرنسي ...**

وتبع هذه الدعوة التي لم تتمخض عن شيء، دعوة فرنسية في عام (١٧٩٨) اطلها نابليون بونابرت، عبر بيان أصدره بمجرد وصوله إلى مصر، حث فيه جميع يهود يهود أسيا وافريقيا على الالتفاف حول رايته من أجل إعادة «مجدهم الغابر» وإعادة بناء «مملكة القدس القديمة».(٣١) هذه الدعوة كانت لها أسباب سياسية ولم تكن تمثل حلاً للمسألة اليهودية آنذاك، إذ أن الحل للمسألة اليهودية بصيغته الفرنسية ظهر فيما بعد لاسباب سياسية وغير سياسية وجدها نابليون مناسبة، لدى عودته من مصر، واتجاهه بحملة عسكرية نحو شرق أوربا دعا نابليون اليهود في فرنسا في أيلول (١٨٠٦) إلى عقد السنهدرين «Sanherdrin»، وهي الهيئة القضائية العليا التي كانت قائمة في الأزمنة القديمة، واستمر اجتماعها حتى نهاية شباط (١٨٧٠) حين أعلن نابليون أن اليهود أصبح لهم كيان رسمي داخل الدولة. وأن الديانة اليهودية أصبحت إحدى الديانات الرسمية في فرنسا، وإن من حق المؤسسات الدينية اليهودية فيها ان تحظى برعاية وحماية الدولة. وتعهد نابليون بإجبار حكام الدولة الاوربية التي يحتلها على منح اليهود من سكانها الحقوق التي منحتهم إياها فرنسا كما حدث في هولندا وسويسرا.(٣٢)

هذا الحل الفرنسي للمسألة اليهودية الذي جسد إلى حد ما فكرة الاندماج، وهو الحل المعدل عن حل سابق قدمته الثورة الفرنسية وتضمن حلها: إلغاء التميز ضد اليهود وعلمة السياسية، وتقليص دور الكنيسة، وتبني فكرة المواطنة، والدمجة، وإحترام الحقوق الدينية والشخصية والمدنية. لكن إختلاف صيغ الحل

الفرنسي للمسألة اليهودية لم يقف حائلاً دون استمرار وجود المسألة اليهودية في فرنسا التي عادت للظهور في أعقاب محاكمة الضابط الفرنسي اليهودي درايفوس، وأيضاً خلال التعاون الفرنسي مع النازيين.(٣٣)

* **الحل الشيوعي ...**

وتبع الحل الفرنسي حل آخر لـ «المسألة اليهودية» هو الحل الشيوعي الذي تمحور حول الاندماج وظهر في كتابات كارل ماركس، واخذ تعبيرات أخرى فيما بعد مثلها حزب البوند من خلال موقفه من الثورة البلشفية وغيره من الاحزاب او الاجنحة السياسية التي عالجت المسألة اليهودية، وعلى العموم فإن الملامح الاساسية للحل الشيوعي وفيما بعد السوفييتي للمسألة اليهودية، تمثلت في اتخاذ الحكومة البلشفية إجراءً يقضي بعتق اليهود وإعطاءهم كافة حقوقهم السياسية، فاصبحت بناء على هذا الاجراء، معاداة اليهود جريمة تصل عقوبتها إلى الاعدام، وحدد الانتماء العرقي على اساس إختبار المواطن ووفق ما يدلي به كل فرد باختياره المحض، كما تم الاستناد في تحديد الانتماء القومي ايضاً إلى اللغة التي يدلي بها الفرد بانها لغته القومية. وحينما تشكل الاتحاد السوفيتي تقرر حل مسألة يهود الاتحاد السوفييتي عن طريق عملتين مختلفتين متناقضتين، وإن ادتا كل واحدة منهما على طريقتها، إلى دمج اعضاء الجماعة اليهودية. وكانت الطريقة الاولى تتمثل في سياسة توجيه اليهود نحو الزراعة والاستيطان الزراعي، وهي استمرار لمحاولات الحكومة القيصرية تحويل اليهود لعنصر منتج، لذا تم تاسيس لجنة توطين اليهود في الاراضي الزراعية (كومزيت)، لكن فيما بعد توصل المسؤولون السوفييت إلى قناعة مفادها ان التوطين الزراعي يؤدي إلى زيادة التماسك العائلي مما يدعم من عملية الانفصال اليهودي، وفي المحصلة فشلت هذه العملية لحل مسألة اليهود السوفييت. وفي سياق هذه العملية نذكر انه في عام (١٩٢٨) تقرر أن تكون «بيرو بيجان» هي منطقة الاستيطان الزراعي اليهودي وإحدى وسائل دمج اليهود في المجتمع السوفيتي على المستويين الاقتصادي والثقافي، ولكن لم يقدر لهذه التجربة أي نجاح، وادى الغزو النازي إلى تدمير كل المستوطنات الزراعية في أوكرانيا والقرم ولم يتم تشييدها بعد الحرب.(٣٤) ويشير د. المسيري إلى أنه فشلت تجربة بيرو بيجان، كما فشلت محاولة توجيه اليهود من

المدن التجارية إلى قطاع الزراعة لا بسبب طبيعة اليهود التجارية وانعزالتهم (كما إدعى خروتشوف) وإنما بسبب التحول العميق في الاقتصاد السوفيتي من الزراعة إلى الصناعة وهي إحدى ثمرات مشروع السنوات الخمس الاولى (١٩٣١-١٩٣٤)، وهي عملية متناقضة مع عملية التوطين الزراعي التي أشرنا إليها، ولكنها مع هذا أدت إلى دمج اليهود وتذويبهم.(٣٥)

***الحل النازي ...**

إدعى النازيون ان حلهم للمسألة اليهودية هو « حل نهائي » ويتمثل في « الابادة الجسدية الكاملة لليهود » (٣٦) وقبل أن يتبلور هذا الحل ويتخذ شكل « الهولوكوست » كان الشباب الصهيوني يعتبرون النازية بمثابة حركة « تحرر وطني »، وكانوا يهتفون « ألمانيا لهتلر، إيطاليا لموسوليني، وفلسطين لجا بوتنسكي » . وقد سجل حاييم كابلان، وهو صهيوني كان موجوداً في غيتو وارسو أثناء حصار النازي لها، أنه لا يوجد أي تناقض بين رؤية الصهاينة والنازيين للعالم فيما يخص المسألة اليهودية، فكلتاهما تهدف إلى الهجرة، وكلتاهما ترى ان لا مكان لليهود في الحضارات الاجنبية ».(٣٧)

ويعود موقف الصهاينة من النازية إلى أن الصهيونية تشارك النازية في فكرة « النبي » الذي يجسد المطلق القومي وصورة النبي العسكري (بن غوريون، الفوهرر) تسيطر على الوجدان الصهيوني سيطرتها على الوجدان النازي. ومن الموضوعات المتفرعة عن فكرة الفولك – أي الشعب الذي هو كيان عضوي متكامل، « أبدي، ونتاج للنمو الحتمي للسمات الفطرية »، يحاول التعبير عن عبقريته الخاصة به – أيضاً فكرة الاختيار.(٣٨)

أما عداء النازين لليهود، وإعتمادهم لصيغة إبادة اليهود، كأساس لمشروعهم النازي فلخصه هتلر بقوله: « لا يمكن ان يكون هناك شعبان مختاران. ونحن وحدنا شعب الله المختار ».(٣٩)

وكما هو معروف تم تنفيذ الحل النازي للمسألة اليهودية، عبر سوق اليهود إلى المعتقلات وإدخالهم إلى أفران الغاز وحرقهم أو إبادتهم، لكن الرقم الضخم لليهود ضحايا الهولوكوست الذي يُشاع أنه بلغ حوالي (٦) ملايين يهودي هو رقم مبالغ به من قبل الصهاينة لاسباب دعائية وسياسية.

لدى استعراض هذه الحلول الغربية لـ « المسألة اليهودية »، التي استمد بعضها أفكاره من حركة الاستنارة الاوروبية، ومن حركة الهسكلاة التي قادها الفيلسوف اليهودي الالماني موسى مندلسون، الذي حاول أن يحطم « الغيتو العقلي الداخلي » الذي إنشاه اليهود حول أنفسهم لموازنة الغيتو الخارجي الذي كانوا يعيشون فيه »، (٤٠) وما نتج عن أفكاره من ظهور من إسار المطلقات اللاتاريخية التي كانت تدور في فلكها.(٤١) من كل ذلك نرى الاتجاه العام نرى كيفية تشكل مناخ حضاري مناسب لعملية إنعتاق وإندماج اليهود مع الشعوب الاخرى. وهذا ما دفع معظم دول أوروبا نحو إعطاء اليهود حقوقهم المدنية والسياسية، وحقوق اليهود على اساسها قدراً كبيراً من الانعتاق والتحرر داخل الدول التي يعشون فيها. وقد أكد على هذا الامر د. عبد الوهاب المسيري بعرضه بعض التواريخ الهامة الخاصة بإعطاء اليهود حقوقهم مع ملاحظة أن هذه القوانين والاعلانات الدستورية والتصرفات التي منحتهم حقوقهم قد صدرت في أقل من (١٥٠) عاماً، وهي فترة قصيرة للغاية، حتى لو نظر إليها من وجهة نظر الفرد اليهودي، وليس من وجهة نظر التاريخ اليهودي أو الانساني :

١٧٨٧ : دستور الولايات المتحدة يعلن أنه « لن يطالب اي مواطن يبحث عن عمل .. أن يدخل إمتحاناً دينياً.

١٧٨٩ : إعلان حقوق الانسان والمواطن في فرنسا، يولد الناس ويبقون أحراراً متساوين في الحقوق »

١٧٩١ : المجلس الوطني الفرنسي يمنح اليهود الجنسية الفرنسية.

١٧٩٧ : إلغاء الغيتو في إيطاليا

١٨١٢ : فريدريك وليم الثاني ملك بروسيا يعلن أن اليهود مواطنون بروسيون

١٨٣٩ : إعلان المساواة في الحقوق في كندا

١٨٤٨ : المجلس الوطني الالماني في فرانكفورت يعلن أن « ولاء الانسان الديني لن يقرر أو يحدد حقوقه الوطنية أو السياسية ».

١٨٦٧ : إجراء تعديلات دستورية في النمسا والمجر لاعطاء اليهود حقوقهم

١٨٧٠ : سقوط روما في أيدي القوات الاتحادية التي تقرر على الفور منح الحقوق السياسية لكل اليهود في إيطاليا.

١٨٧١ : الدستور الامبراطوري الالماني يلغي كل القواعد والقواعد المبنية على الخلافات الدينية.

١٨٧٤ : الدستور السويسري يمنح الحرية الدينية للجميع

١٨٨٧ : معاهدة برلين تلغي كل القوانين التي تحد من حرية اليهود في رومانيا وبلغاريا

١٩١٧ : سقوط القيصرية في روسيا و «إلغاء كل الامتيازات والقيود الدينية والقومية »

١٩٣٦ : دستور الاتحاد السوفيتي يعلن أن «المناداة بالعزلة والكراهية العنصريةأو القومية جريمة يعاقب عليها القانون » .(٤٢)

***الحل الصهيوني . . .**

الحل الصهيوني لـ « المسألة الصهيونية » يمكن إعتباره نتاجاً لتلاقي أفكار وأهداف كلاً من الصهاينة غير اليهود، والصهاينة اليهود، إذ أن صهيونية الاغيار هي الحاضنة للصهيونية اليهودية، والاخيرة كما يقدمها د. المسيري ليست حركة صوفية أو دينية، رغم استخدامها للرموز والصور والديباجات الدينية، وإنما هي في واقع الامر نتاج ظروف عامة وخاصة، مادية وفكرية تعود غالبيتها إلى المجتمع الاوروبي في القرن التاسع عشر، ويعود بعضها إلى الوضع المادي الفكري أيضاً للأقليات اليهودية في هذا المجتمع .(٤٣)

واعتبارنا لصهيونية الاغيار بمثابة الحاضنة للصهيونية اليهودية بتعبيراتها المختلفة، ينطلق من أن الصهيونية هي نتاج لـ السياق السياسي والاقتصادي الغربي، وللسياق الثقافي الاستعماري. أما السياق الثقافي الغربي للظاهرة الصهيونية فيتمثل في : الرومانتيكية، والنيتشوية والعنصرية في صيغة معاداة اليهود. فالثورة الرأسمالية أدت إلى إهتزاز وضع اليهود المستقر داخل المجتمع الاقطاعي الذي تحول إلى مجتمع راسمالي ولم تعد الامور محددة المعالم كما كانت من قبل. فبعد أن كان اليهود يشتغلون بالتجارة الدولية ظهرت إتحادات من التجار الدوليين المسيحيين، مثل العصبة الهانسية، وهو اتحاد تجاري دفاعي تشكل من بين المدن الساحلية في شمال المانيا، ومثل اتحاد لندن. كما ظهرت أساطيل تجارية قوية تابعة لجنوى والبندقية. وقد تمتعت هذه الاتحادات والاساطيل (المسيحية) بدعم الدولة مما أضعف من قبضة التجار اليهود على التجارة الدولية واضطروا إلى الاشتغال بالتجارة الداخلية ومنها الاقراض بالربا. ولكن الجدل التاريخي كان يأخذ مجراه، وتظهر طبقات التجار المحليين والمصارف المحلية فيزاحمون التاجر والمرابي اليهودي

ثم يحتلون أماكنهما، وبدأ اليهودي يفقد وظيفته الأساسية في المجتمع الاقطاعي، وبدلاً من أن يلعبوا دوراً مثمراً، إن لم يكن منتجاً، وجد اليهود انفسهم لا على هامش المجتمع وحسب وإنما عبئاً حقيقياً عليه لا دور لهم فيه. ولذا لم يكن من الغريب أن يتم طرد اليهود من فرنسا وإنجلترا في القرن الثاني عشر.

وهذه الدورة الناجمة عن تطور المجتمع الغربي من الاقطاع إلى الراسمالية هي ما يمكن تسميته بالمسالة اليهودية، فالمسألة اليهودية ليست نتيجة اضهاد الأغيار (غير اليهود) لليهود، وليست هي مؤامرة حيكت خصيصاً ضد اليهود، وإنما هي ظاهرة إجتماعية مفهومة.(٤٤)

أما الاستعمار وفي مرحلة الامبريالية، فانتج فكراً يبشر بالعودة الجماعية لليهود ليستوطنوا فلسطين. وقد ظهر هذا الفكر أول ما ظهر في صفوف المسيحيين البروتستانت الذين يطلق عليهم إصطلاح «الاسترجاعيين».

ويعود الفكر الاسترجاعي إلى العقيدة المسيحية عن عودة المسيح المخلص في آخر الأيام ليحكم العالم هو والقديسون لمدة الف عام يسود فيها العدل والسلام. وحسب ما جاء في هذه العقيدة لن يتحقق الخلاص ولن يتم إلا باسترجاع اليهود لفلسطين (ليتم تنصيرهم). وقد ظهرت هذه العقيدة - التي يطلق عليها أحياناً اصطلاح «العقيدة الألفية» - في كتب الأبوكريفا (أي الكتب التي لا يعترف بها اليهود وسفر دانيال). وبطبيعة الحال لا يهمنا مناقشة مدى صحة هذه الافكار من منظور ديني مسيحي أو حتى يهودي، إذ ان ما يهمنا في السياق الحالي ان هذه الافكار الدينية بدأت تتحول بالتدريج إلى ما يشبه البرنامج التبشيري الديني / السياسي في القرن السادس عشر، وازدهرت في القرنين السابع عشر والثامن عشر (عصر الاكتشافات والرأسمالية المركانتيلية والأشكال الأولى من الاستعمار)، ثم وصلت إلى قمتها في القرن التاسع عشر(عصر الامبريالية وتقيسم العالم والبحث عن الاسواق ومصادر المواد الخام)، إلى ان نصل إلى شخصيات مثل اللورد بلفور صاحب الوعد المشهور، والضابط البريطاني أورد وينجيت الذي قاد عمليات الارهاب ضد العرب ودرب الصهاينة عليها، والجنرال سمتس رئيس وزراء جنوب افريقيا، وونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني والرئيس الأميركي «جيمي كارتر»، الذين يمكن أن يُطلق عليهم كلهم اصطلاح «الصهاينة الأغيار - أو الصهاينة غير اليهود». ويتمير هؤلاء الصهاينة بأن ثمة نزعة استرجاعية قوية في

فكرهم تؤثر في توجههم السياسي العام.

والرؤية الاسترجاعية تنظر لليهود باعتبارهم جماعة دينية/قومية، فهم شعب الله المختار كما جاء في العهد القديم، وهم أيضاً الشعب اليهودي (بالمعنى السياسي الحديث). وتتطلب رؤية الخلاص توطين اليهود في فلسطين، ولكن يمكن لهذا التوطين أو الاستيطان أن يخدم المصالح الربانية والامبريالية في الوقت ذاته. فإرتس يسرائيل (أو فلسطين) هي الأرض التي يتحدث عنها الكتاب المقدس، وهي أيضاً البلد الذي يقع في قلب الامبراطورية العثمانية (رجل أوربا المريض) الذي كان الجميع يتوقعون سقوطه ليرثوه وليملؤوا الفراغ الذي كان من المتوقع أن يخلقه اختفاؤه (كقوة عظمى)، وهي كذلك البلد الذي يطل على البحر الأبيض المتوسط وقناة السويس ومص وطريق الهند وبوابات الشرق، وهي إلى جانب هذا كله المكان الذي يستوعب المهاجرين اليهود الذين كانوا قد بدؤوا في قرع أبواب إنجلترا وفرنسا ودول غرب أوروبا الأخرى. في هذا الاطار يمكن فهم سلوك أول صهيوني في التاريخ الحديث أي نابليون بونابرت، وأن ندرك الأسباب الحقيقية وراء رقة قلبه الفجائية ودعوته الكريمة لليهود للعودة إلى بلادهم، فهو كان يريد توطين اليهود على طريق الهند ليضمن وجود دولة عميلة هناك تحمي مصالحه وخطوط تموينه، وتدين له بالولاء لاعتمادها الكامل عليه.

وعدد الصهاينة غير اليهود كبير للغاية ويضم شخصيات سوية وغير سوية، ومن أهم هذه الشخصيات جورج جولر (١٧٩٦-١٨٩٦) حاكم جنوب استراليا، الذي بين في خطاب له عام ١٨٥٣ أن استيلاء أي دولة على مصر وسورية (بما في ذلك فلسطين) يهدد تجارة بريطانيا، ولذلك نادى بأن تقوم إنجلترا بتطوير سورية لصالحها وذلك عن طريق نشاط أبناء اسرائيل ومساعيهم، ويشير موسى هس إلى أرنست لاهاران، سكرتير نابليون الثالث، الذي حث اليهود في كتاب المسألة الشرقية- إعادة بناء الامة اليهودية (نشر عام ١٨٦٠الذي شهد التدخل الفرنسي في لبنان على «أن يعيدوا دولتهم على أسس سياسية وإنسانية وليس دينية» ...، ثم يضيف قائلاً: ان اليهود سيكونون «بمثابة الوسيط بين أوروبا وآسيا البعيدة، وذلك كي يمهدوا الطرق التي تقود إلى الهند والصين - تلك المناطق المعزولة التي يجب أن نعرض للحضارة» (والسلع الرأسمالية التي تساندها الجيوش الامبريالية).(٤٥)

وتعتبر النتشوية أهم أساس في السياق الثقافي الغربي الذي ساهم في إنتاج الصهيونية، وتاطيرها فكرياً بجملة من الافكار والاسس الملازمة للصهيونية إذ هناك عدة نقاط تشابه بين النيتشوية والصهيونية من أهمها:

أ- النيتشوية مثل الصهيونية «ديانة» علمانية أو لا هوت دون إله، وإذا كان نيتشه قد أعلن موت الله «نعم لقد مات الله وماتت الآله جميعاً»، إلا ان أحل السوبرمان محل الخالق، وهذا ما فعلته الصهيونية فهي قد أحلت الدولة الصهيونية محل فكرة الخالق، فالدولة هي المطلق الوحيد الذي أتفق عليه الصهاينه بجميع فئاتهم. ب- والنيتشوية هي أساساً ديانة داروينية: «القوة إذن هي الفضيلة السامية، والضعف هو النقيصة والشر. الخير هو الذي يستطيع أن يحيا ويظفر، أما الشر فهو ما يخور ويهوي، هذه هي النتيجة اللازمة لمبدأ تفاني البقاء»، (وقد دفع نيتشه هذه الفلسفة إلى نتيجتها الأخلاقية (أو اللاأخلاقية) المنطقية ولم يقبل سوى شعار البقاء للأصلح كأساس لأي نسق أخلاقي. وهذه النزعة الداروينية تظهر أيضاً في الفكر الصهيوني سواء في موقفه من يهود الشتات أم من عرب فلسطين. ج- ويمكن أن نشير أيضاً إلى اهتمام الصهاينة ونيتشه بالمستقبل دون الاهتمام بالحاضر، وإنكارهما لمقولة السعادة الفردية.

إن الفكر الصهيوني، مثل معظم الحركات الفاشية في الغرب، تأثر بأفكار نيتشه، وهو في هذا لا يختلف كثيراً عن الفكر النازي.(٤٦)

يتلخص الحل الصهيوني للمسألة اليهودية «بإعادة» توطين اليهود في فلسطين، تبنته الحركة الصهيونية التي هي حركة سياسية غير صوفية أو لاهوتية، والتي أنتجت مدارس فكرية يساسية عديدة، أول تلك المدارس هي الصهيونية السياسية. واصطلاح «الصهيونية السياسية» يستخدم للتفرقة بين الارهاصات «الصهيونية» الأولى التي تتمثل في جمعيات أحباء صهيون وبيلو، من جهة، والحركة الصهيونية التي نظمها هرتزل، من جهة أخرى، فالتنظيمات الأولى كانت جماعات ذات طابع محلي، تهدف إلى الاستيطان في فلسطين، معتمدة اساساً على الصدقات التي يقدمها أثرياء اليهود، أما صهيونية هرتزل في تدعي أنها حولت المسألة اليهودية إلى مشكلة سياسية وأنها توجهت إلى الجماهير اليهودية متخطية الحاخامات و «المليونيرات». ويؤمن الصهاينة السياسيون بأن المسألة اليهودية هي مشكلة الفائض السكاني اليهودي غير القادر على الاندماج؛ أما

اليهودية ذاتها، التي كانوا لا يعرفون عنها الكثير، فهي لم تكن مشكلة مطروحة بالنسبة لهم، ولا يمكن حل المسألة اليهودية إلا بأن يصبح اليهود شعباً مثل كل الشعوب وقومية مثل كل القوميات. ولن يتأتى هذا إلا عن طريق تهجير اليهود إلى فلسطين (أو أي بقعة في العالم) ليعيشوا في وطن يهودي تحكمه دولة صهيونية تندمج في المجتمع الدولي، وتنجح في أن تحقق لليهود الشعب ما فشل الأفراد في تحقيقه لانفسهم.

ولكن هذا البرنامج لا يمكن تنفيذه إلا تحت إشراف المجتمع الدولد وبضمان فيه، فالمسألة اليهودية مشكلة سياسية ذات طابع دولي. وستقوم الدولة اليهودية باستيعاب فائض يهود العالم، أما الباقون الذين لا يرتضون الهجرة فإنهم سيندمجون في مجتمعاتهم. ومن أهم دعاة الصهيونية السياسية الكاتب الصهيوني «جاكوب كلاتزكين». وتفرع عن هذه المدرسة عدة اتجاهات منها الصهيونية السياسية والتنقيحية أو المراجعة (تيار جابو تنسكي). والصهيونية العامة، والصهيونية الراديكالية.(٤٧)

أما المدرسة الصهيونية الاساسية الثانية فهي الصهيونية العمالية التي تستند إلى الايمان بأن المسألة اليهودية هي مشكلة فائض سكاني يهودي غير قادر على الاندماج، وليست مشكلة الديانة اليهودية، أي أنها مشكلة الوضع الاقتصادي والاجتماعي لبعض قطاعات اليهود، وليست مشكلة الوضع الديني أو الحضاري لبعض قطاعات اليهود، وليست مشكلة إنتمائهم الديني أو الحضاري، وهذا يعني أنها مشكلة تنتمي إلى البناء التحتي أكثر من إنتمائها إلى البناء القومي، وتتلخص في أن التركيب الاجتماعي والحضاري لليهود يختلف عن التركيب الاجتماعي والحضاري للشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها، فاليهود كشعب (أو نصف شعب أو شبه شعب)، لا أرض له، وهذا الوضع الشاذ نتج عنه ماسماه بورخوف وآخرون «الهرم المقلوب». ومن اهم هذه المدرسة بورخوف.(٤٨) وهناك مدارس صهيونية أخرى لكنها هامشية.

رد الفعل اليهودي على الحل الصهيوني «الشامل والنهائي» للمسألة اليهودية، أو الاستجابة اليهودية لذلك الحل، إتخذت أشكالاً مختلفة تبعاً للخلفية الدينية أو الاجتماعية التي حكمت مواقف أي جماعة يهودية من هذه المسألة، في بعض الاحيان كانت هناك خلفية دينية يهودية ترى أن «العودة إلى أرض الميعاد» وإقامة

دولة لليهود فيها هي مشيئة إلهية غير محددة بزمن معين ولا يجب أن تكون هنالك تدخل بشري لفرض تلك العودة. هذه الخلفية الدينية اتخذت شكل الرفض للصهيونية، وهنالك شكل آخر سمي بـ التملص اليهودي من الصهيونية، وشكل ثالث تجسد في موقف عدم الاكتراث بالصهيونية.

وقد كشف د. المسيري إتجاهات الرفض اليهودي للصهيونية بـ ا- الرفض الاندماجي، ب- الرفض الارثوذكسي، ج- الرفض الاشتراكي (واليساري عامة).

وينطلق «الرفض الاندماجي» من الايمان بان اليهود أقلية دينية تعتنق الديانةاليهودية، وأنهم مواطنون عاديون يتجه ولائهم إلى الدول التي يعيشون فيها، وأن اليهود ليس لهم تاريخ يهودي مستقل، وإنما هم - كأقلية - يشاركون في تواريخ الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها. واليهودية الاصلاحية هي التعبير الديني عن هذا الاتجاه. ويتألف هذا التيار من اعضاء الطبقات المتوسطة في أوربا الغربية والولايات المتحدة الذين لم يجدوا صعوبة إقتصادية أو حضارية في الاندماج في مجتمعاتهم. وقد تسبب إعلان دولة اسرائيل وصداقتها مع العالم الغربي الرأسمالي في تساقط الجمعيات التي تعبر عن هذا الاتجاه، فصهاينة الخارج، هم في نهاية الأمر يهود مندمجون في مجتمعاتهم، يدينون بالولاء الفعلي لها، وإن كانوا يمارسون احاسيس صهيونية «قومية» خارج حدود أوطانهم.

أما الرفض الارثوذكسي فيستند إلى رؤية المتدينين اليهود للصهيونية بأنها حركة معادية للدين لانها تهدف إلى تحويل اليهود من جماعة دينية قومية إلى جماعة قومية وحسب. وتعبر عن هذا الاتجاه جماعة يهودية تدعى جماعة «ناطوري كارتا» - حراس المدينة - وهي جماعة قليلة العدد ويعيش بعض أعضائها في القدس.

ويصدر الرفض الاشتراكي اليهودي للصهيونية عن تصور مفاده ان اليهود هم أقلية دينية أو اثنية أو حتى طبقية، وأن ما يسري على كل الأقليات والطبقات يسري عليهم، وأن حل المسألة اليهودية يكون عن طريق حل المشاكل الاجتماعية والطبقية للمجتمع كله. ويعتبر الاشتراكيون اليهود الصهيونية بمثابة حركة ثورة مضادة اشتركت مع القوى الاستعمارية من اجل السيطرة على العالم العربي، ووضع اسفين بين الثوريين اليهود وبين الحركة الثورية العلمية. وايضاً خمد هذا التيار بعد الاعلان عن إقامة الكيان الصهيوني. وقد ضم هذا التيار في مساره العام

عدداً كبيراً من المفكرين اليهود البارزين، مثل روزا لوكسمبرغ، وليون تروتسكي، وإليا إهرنبورج، وكارل كاوتسكي، وفي السنوات الأخيرة ضمت القائمة مكسيم رودنسون وإسحق دويتشر ونعوم تشومسكي.(٤٩)

ولدى تتبع أشكال ودرجات الرفض اليهودي للحل الصهيوني للمسألة اليهودية نجد أن ذلك الرفض أمراً واقعاً، كما أنه لم يرتق في صيغة السياسية والفكرية والتنظيمية إلى مستوى يحرم الصهيونية من المادة البشرية التي كونت وما تزال التجمع الاستيطاني في الكيان الصهيوني، الذي بات مركزاً رئيساً للحياة السياسية والدينية والثقافية اليهودية، رغم أنها لم تحل مشكلة ما يسمى الـ «الدياسبورا»، غير أنها الصهيونية نقلت نقطة الثقل إلى فلسطين من وسط أوربا. وقد نجم عن ذلك - حسب سماحة - تطور بالغ الأهمية يتمثل في التراجع الحاد الذي أصاب العداء للصهيونية في الأوساط اليهودية الموزعة في العالم. ولعبت أحداث الحرب العالمية الثانية دوراً كبيراً في حسم الجدل ضمن يهود العالم لصالح الخيار الصهيوني الذي بقيت خارجه أقلية أمينة لافكار أخرى.(٥٠)

الحلول السابقة لـ «المسألة اليهودية» من شاكلة الحل الفرنسي، والحل الشيوعي، والحل النازي، والحل الصهيوني. صادرة عن بيئات سياسية وفكرية أوربية في فترات زمنية مختلفة، يتشابه بعضها البعض في غالب الأحيان، والقاسم المشترك الأعظم فيما بينها جميعاً يتمثل في إدعائها أنها حلولاً شاملة ونهائية لـ «المسألة اليهودية»، وفي أن جميعها أعادت إنتاج المسألة اليهودية ولكن بأشكال جديدة، إضافة إلى تقويم هذه المسألة للإبقاء على الدور الوظيفي الذي مارسته الجماعات اليهودية في مجتمعاتها الأوروبية، لكن هذا الدور الوظيفي يمارس اليوم في المنطقة العربية، لخدمة الغرب اساساً، في ظل تهميش متعمد لعملية تكريس حل نهائي وشامل للمسألة اليهودية. فالحلول الغربية لهذه المسألة نجحت في «تصدير المسألة اليهودية إلى الشرق وجعلها وسيلة من وسائل إخضاعه. ولقد انسجم الحل الصهيوني مع تلك الحلول فاعاد إنتاج المسألة اليهودية في شروط جديدة، إذ وضع اليهود ولأول مرة منذ تشردهم التاريخي في موقع الجلاد. وذلك لان الحل الصهيوني يقوم عضوياً وتكوينياً على قاعدة التصفية الوطنية والسياسية لشعب آخر وإيجاد مأساة جديدة، هي المأساة الفلسطينية.(٥١)

ويضاف إلى ما سبق بروز تعبيرات متعددة للمسألة اليهودية، أهمها ما يسمى

بـ « المسألة الاسرائيلية » التي ليست مسألة داخلية تخص اعضاء التجمع الاستيطاني الصهيوني وخصوصاً جيل « الصابرا » الذي ولد على أرض فلسطين، ونشأ فيها ولا يعرف له وطناً اخر، ولا يتحدث سوى العبرية.(٥٢) بل هي سياسية تتعلق بوجود ودور الكيان الصهيوني في المنطقة العربية، هذه المسألة التي انتجت القضية الفلسطينية أو ما يمكن أن يسمى مع تحفظ كبير -بـ « المسألة الفلسطينية » التي هي في حد ذاتها وبتداعياتها المتعددة، تعبر وبشكل مكثف عن أحد الأسس الهامة في مسألة اعقد نجمت عن تنفيذ الحل الصهيوني في الوطن العربي، وهي « المسألة العربية » أي مسألة السماح للأمة العربية بتحقيق وحدتها وتقدمها وإمتلاك القدرة على ممارسة دور حضاري.

وما يمكن التشديد والتأكيد عليه بخصوص الحل الذي نادت به الصهيونية، كحل جذري للمسألة اليهودية والذي يتمثل بدوره في تهجير « شعب بلا أرض إلى أرض بلا شعب »، يتلخص في أن هذا الحل الصهيوني يقدم رؤية جديدة للواقع، تجمع بين الشيء ونقيضه وتتخطاهما، انها رؤية – في تصور الصهاينة – تتخطى كلاً من معاداة السامية التي ترفض اليهود رفضاً كاملاً وتحاول تصفيتهم حضارياً بل وجسدياً، والاندماجية الليبرالية التي تحاول القضاء عليهم بطريقة إنسانية. وتدعي الصهيونية أنها تقدم الحل النموذجي المركب، فهي ستخلص العالم من اليهود (وبهذا ترضي معادي السامية) عن طريق تجميع اليهود في دولة يهودية مؤكدة بذلك كيانهم وتراثهم اليهوديين (الأمر الذين يثلج صدور المؤمنين)، ولكن الدولة اليهودية ستكون دولة قومية علمانية لا تختلف عن الدول الاخرى وبذا يمكنها أن « تندمج » في المجتمع الدولي (الأمر الذي يرضي الليبراليين العلمانيين).

وهذا البرنامج السياسي الذي يرضي جميع الأطراف قد شكل اساساً متيناً للتحالف بين القطاعين الاساسين للأقليات اليهودية في العالم الاوهما قطاع اليهود المتدينين في الشرق، الذين يودون الحفاظ على يهوديتهم، وقطاع اليهود الليبراليين في الغرب الذين يودون الابقاء على اندماجهم الذي تهدده الهجرة من الشرق، كما أن هذا البرنامج قد جعل من الممكن ان تتحالف جماهير « البرجوازية الصغيرة اليهودية » مع العناصر اليهودية الاشتراكية الثورية (ولا تزال هذه هي إحدى السمات الأساسية للحياة في اسرائيل).

ولكن البرنامج السياسي الذي يرضي «جميع» الاطراف ويرضي العدو والصديق بغض النظر عن إتجاهاتهم السياسية أو حتى نواياهم الانسانية، لا بد وأن يكون برنامجاً سحرياً قادراً على حل التناقضات، كما أن المؤمنين بهذا البرنامج لا بد وأن يكونوا على قدر كبير من التسامح وطيبة القلب حتى يقبلوا وجهة نظر عدوهم أو على الأقل يجب أن يسهم البرنامج العجائبي بسحره.

ولكن البرنامج الصهيوني لا سحر له ولا قداسة، فقد حل الصهاينة وأتباعهم كل التناقضات بتجاهلها وذلك باتخاذ موقف هيجلي مثالي من الواقع والتاريخ، والرؤية الهيجلية المثالية للتاريخ تفترض أن ثمة فكرة مطلقة لا وجود مادي أو نسبي لها، تحرك كل الظواهر، وتكون بمثابة المحرك الأول (والأخير) للتاريخ، وتسبغ عليه معنى عقلانياً وتبين «الحقيقي» من الزائف، ولان الحقيقي الوحيد هو النهائي المطلق فإن هذه الرؤية الهيجلية تفرض أن كل المتناقضات في جوهرها «غير حقيقية» لأنه مهما كان عمقها فما هي إلا حلقة في سلسلة ضخمة تؤدي إلى هذا المطلق الخالي من التناقض: الفكرة المطلقة أو الدولة البروسية أو اليهودية. (٥٣)

ولجهة الديناميات المحركة للحركة الصهيونية، والتي تجعل قادتها يطورون النظرية الصهيونية بشكل يلائم المتغيرات الذاتية والموضوعية، فإن مرد ذلك يعود إلى أن الحركة الصهيونية كانت دائماً تمتلك لها حد أدنى عملي معلن وموضع جدل شديد من جميع الأطراف. وحد أقصى تحوطه الهالات الصوفية، أما الذي يقرر الحد الادنى المعلن فهو قوة الصهيونية الذاتية، والظروف العملية المحيطة بها، وكلما قلت الضغوط الخارجية وزادت القوة الذاتية الصهيونية كلما صعد الحد الادنى محاولاً عبثاً الوصول إلى الحد الأقصى.(٥٤) والامثلة على هذا الامر كثيرة لدى تتبع قرارات المؤتمرات الصهيونية منذ المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في بازل عام (١٨٩٧) حتى آخر المؤتمرات الصهيونية، فعلى سبيل المثال، لم تصبح فكرة الدول اليهودية الشعار الرسمي للحركة الصهيونية الا عام (١٩٤٢) في مؤتمر بالتيمور إلاّ أن المؤتمرين الصهاينة قد عبروا في قرارات هذا المؤتمر «عن أملهم في انتصار الانسانية والديمقراطية» وما شابه، كما أنهم رحبوا بالتعاون مع العرب بل وبالبعث العربي اليهودي المشترك، ورغم أن الغيبيات بدأت في الظهور إلا أن الصياغة كانت لا تزال إلى حد كبير علمانية. أما قرارات المؤتمر السابع والعشرين الذي عقد بعد حرب حزيران (١٩٦٧) وبعد ضم أراضي عربية، فجعلت حدود

الدولة اليهودية تقترب بعض السيء من الحدود «التاريخية» وبعد توحيد القدس، فنجد أن الأهداف المعلنة قد قطعت شوطاً كبيراً في رحلتها إلى المطلق، فأهداف الصهيونية هي وحدة الشعب اليهودي ومركزية دولة اسرائيل في حياته، وجمع «الشعب اليهودي» في «وطنه التاريخي» عن طريق الهجرة من جميع البلاد، وتدعيم دولة اسرائيل القائمة «على مثل الأنبياء في العدل والسلام»، والمحافظة على أصالة «الشعب اليهودي» بتنمية التعليم اليهودي واللغة العبرية (اليهودية) والقيم الروحية والثقافية اليهودية. أي أن الدوائر الهندسية المتسقةوالاساطير المعادية للتاريخ قد أصبحت برنامجاً معلناً، ولا غرو فقد عقد المؤتمر في منتصف «صرة العلم». أما قرارات المؤتمر الثامن والعشرين فهي استمرار لنفس النزعة الصوفية فقد أعلن المؤتمرون أن حق الشعب اليهودي في أرض فلسطين غير قابل للطعن، وأنه في حرب الأيام الستة صد المعتدون وحررت أرض الاباء واعتقت القدس وإصبحت مدينة واحدة.(٥٥)

وإذا أسقطنا ديناميات ما يمكن تسميته بـ«مرونة» الصهيونية أو «عصرانيتها» على السلوك السياسي الذي تسلكه الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة إزاء الصراع العربي – الصهيوني، نجد أن برنامج تلك الحكومات يتعرض للتغير إزاء القضايا المصيرية المتعلقة مباشرة بالمشروع الصهيوني من شاكلة: الاستيطان، والهجرة، والقدس وينوس ما بين الحد الادنى والحد الاقصى، ويتمثل المؤشر العلني على ذلك في ارتفاع أو إنخفاض بروفيل العلاقات الأميركية – الاسرائيليةعلى ضوء المتغيرات الاقليمية والدولية، فعلى سبيل المثال حدث توتر بين واشنطن وتل أبيب خلال عهد إدارة بوش إزاء مسألة المستوطنات، فيما اعتبرت واشنطن أن استمرار عملية بناء المستوطنات في الاراضي الفليسطينية المحتلة تعرقل عملية التسوية، وجدنا أن الحكومة الاسرائيلية السابقة – التي ترأسها «اسحق شامير» – ليكود – تصلبت وتمسكت بتسريع عملية الاستيطان، إلا ان تسلم «اسحق رابين» للسلطة في أعقاب إنتخابات الكنيست الثالثة عشرة، أوجد مخرجاً من حالة التوتر والخلاف هذه بأن إبتدع – (اسحق رابين) – مسألة التمايز بين المستوطنات الامنية والمستوطنات السياسية لارضاء واشنطن وفي الآن ذاته عمد لاحقاً وعندما خفتت الضغوط الاميركية عاد لتسريع عملية الاستيطان للوصول إلى الحد الاقصى لجهة تهويد الارض الفلسطينية.

* حصاد الحل الصهيوني

منذ أن بلورت الحركة الصهيونية مشروعها لحل «المسألة اليهودية» الذي نتج بدوره عن وعي زائف لها يجعل من اليهودية رابطة قومية، وحتى الوقت الراهن، تم العمل لاقامة دولة يهودية صرفة، لكن الذي حدث تمثل في أن العمل اليهودي لم ينجح في تجميع أكثر من (٢٠٪) من يهود العالم في فلسطين المحتلة، وهؤلاء لا يزالون بحاجة ماسة إلى دعم الأكثرية المتبقية في الخارج ومساعدتها، إذ فشلت المؤسسات الصهيونية الاستيطانية في أداء مهامها كما كان متوقعاً منها في إطار العمل الصهيوني العام. وهذا الفشل يهدد الشق اليهودي من المشروع الصهيوني، ويعرض أمنه الاستراتيجي للخطر، ويشكل أزمة حقيقية للمشروع بأكمله، ولذلك تحاول قيادته أن تعوض هذا الفشل، وبالتالي، تلا في، ما يترتب عليه من نتائج . عبر بناء الشق الامبريالي العدواني منه وتطويره وتقويته، وقد زاد من ذلك (عسكرة) الكيان الصهيوني، الذي صادرت آلته العسكرية مهام مؤسساته الاستيطانية، فغلب عليه طابع الثكنة العسكرية على سمة الدولة العادية. وكان لذلك . أثر بارز في تقليص الهجرة اليهودية الكيان. نجمت عنه. بطبيعة الحال. ثغرةأمنية إسترتيجياً. إ نعكست راهناً في أن الكيان يحتل قطعة من الأرض أكبر من قدرته على إستيطانها. وهذا يزيد من أعباء الكيان الأمنية، وبالتالي، من نتيجة الحتمية لذلك أي المزيد من تقلص الهجرة إليه. وبذلك، وعلى هذا الصعيد، يكون الكيان قد أقحم نفسه في حلقة مفرغة من زيادة الأعباء الأمنية على مستوطنيه،مما يكبح وتيرة الهجرة إليه من الخارج، ويزيد نسبة النزوح منه إلى الخارج.

وأنتجت الحركة الصهيونية دولة يهودية عنصرية وليس دولة اليهود الذين رفضوا الاعتراف بها على أنها دولتهم المنشودة من جهة، إضافة إلى أن هذه الدولة اليهودية العنصرية، بأهدافها المعلنة المتمحورة حول تهويد فلسطين أرضاً وشعباً وسوقاً لم توفر الاجماع اليهودي حول فكرة الصهيونية، يتم تجسيده بهجرة يهود العالم جميعهم إلى فلسطين، كما أنها لم تستطع تغييب الشعب الفلسطيني، من جهة ثانية.

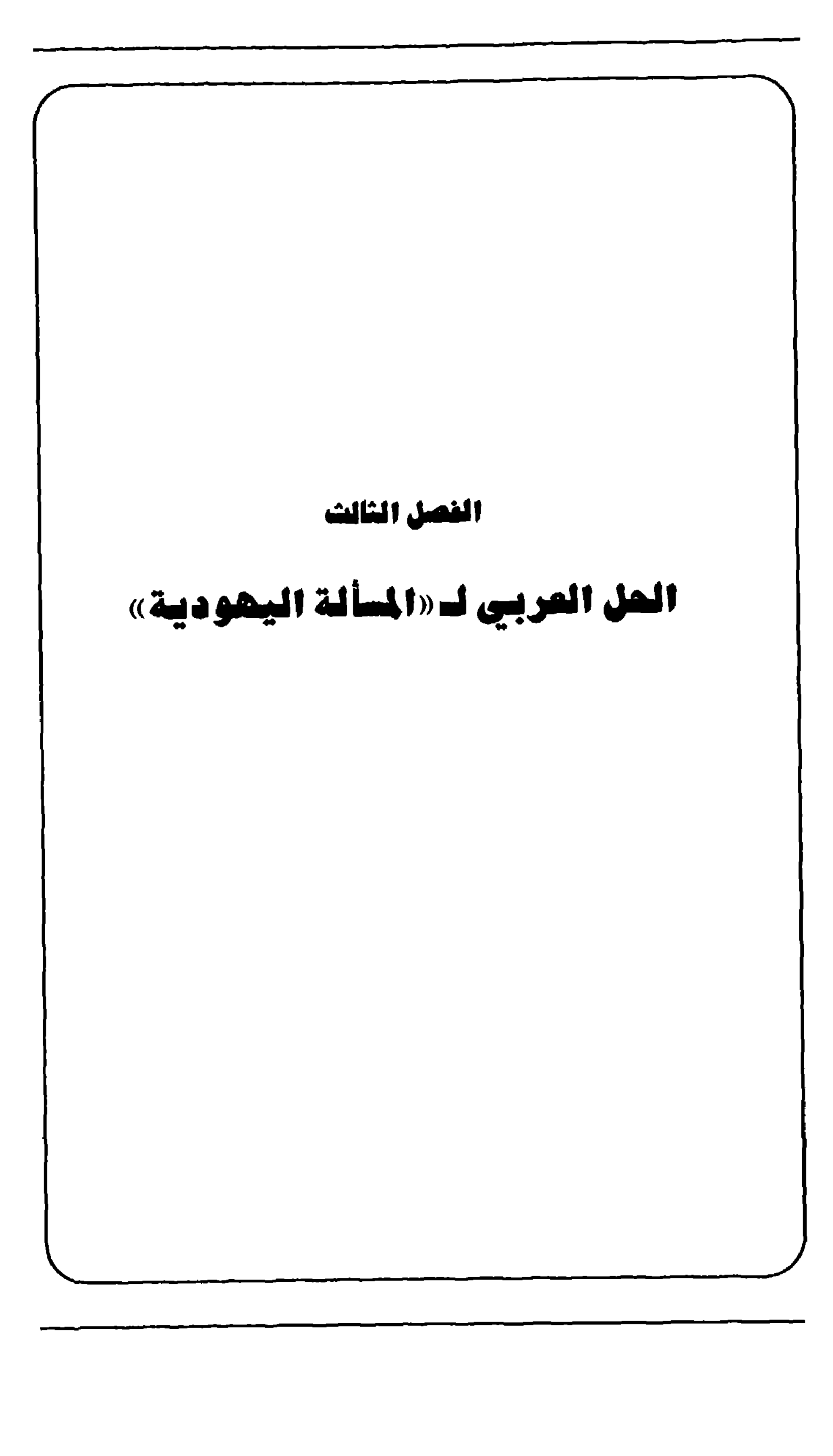
وما فعلته الصهيونية بالنسبة للمسألة اليهودية لم تتعدى إعادة إنتاج المسألة اليهودية في شروط جديدة، إذ وضع اليهود ولأول مرة منذ تشردهم التاريخي في

موقع «الجلاد»، ولم تحل مشكلة ما يّسمى الـ«دياسبورا»، بل نقلت نقطة الثقل إليها من وسط أوربا، وقد نجم عن ذلك تطور بالغ الأهمية يتمثل في التراجع الحاد الذي أصاب العداء للصهيونية في الأوساط اليهودية الموزعة في العالم. ولعبت أحداث الحرب العالمية الثانية، دوراً كبيراً في حسم الجدل ضمن يهود العالم لصالح الخيار الصهيوني الذي بقيت خارجه أقلية أمينة لأفكار اخرى. وهذا المعطى الجديد لا يضع العرب في مواجهة «القضية الاسرائيلية» فحسب بل «القضية اليهودية» بكل تاريخها وتعقيداتها والحساسيات التي تثيرها. (٥٧)

إختصاراً يمكن القول أن الحل الصهيوني لـ«المسألة اليهودية» افضى إلى إنشاء غيتو جديد لجزء من يهود العالم، يدعى انه «الملاذ الآمن» لجميع يهود العالم، هذا الغيتو اتخذ في جوهره شكل الثكنة التي تؤدي دوراً ووظيفة إزاء محيطها الاقليمي وإزاء اليهود مع إختلاف طبيعة هذا الدور وتلك الوظيفة في المحيطين.

إزاء اليهود أفضى الحل الصهيوني بصيغتة الاسرائيلية الراهنة إلى إنقسام الغيتو الجديد إلى غيتوات فرعية، أو إلى غيتوين متداخلين ومتعارضين في الآن ذاته، هذا على الأقل على صعيد الانقسام الطائفي العام. أما على صعيد تركيبة الغيتو الجديد فنحن أمام غيتوات كثيرة ومتعددة وذلك لكثرة المجموعات الأثنية «اليهودية» المكونة، والتي نشأت فيما بينها تعارضات كثيرة تمحورت في غالبيتها حول مسألة الهوية. واتخذت ومازالت حتى الوقت الراهن صيغة الجدل حول السؤال الاساسي: من هو اليهودي ؟.

كما نجم عن الحل الصهيوني لـ«المسألة اليهودية»، الصراع العربي - الصهيوني، الذي يعد من أعقد الصراعات في العالم نظراً لتعقيداته وتشابك العوامل المحلية والاقليمية والدولية في تركيبته. هذا الصراع الذي انتج ما يمكن تسميته بـ«المسألة العربية»، التي هي في جوهرها مسألة تقدمها (الأمة العربية) وتطورها وإنجاز وحدتها التي يعيقها المشروع الصهيوني بشقيه اليهودي (الصغير) والامبريالي (الكبير).



الفصل الثالث

الحل العربي لـ«المسألة اليهودية»

الحل العربي لـ« المسألة اليهودية»

سنبحث في هذا الفصل في الحل العربي لـ« المسألة اليهودية »،من حيث بنيته وجوهره وشكله، بعد أن سلطنا الضوء على الحلول الأخرى لهذه المسألة وما انتجته من فشل ومآس، طالت اليهود بطبيعة الحال، لكنها حولت جزءاً منهم إلى جلادين لم يتوجهوا نحو خصومهم الذين ارتكبوا بحقهم المجازر لنيل حقوقهم أو كرامتهم المهدورة، للثأر. بل تحالفت قيادتهم المزعومة – أي قادة الحركة الصهيونية – نحو أعداء اليهود وتواطئت معهم، وهذا الأمر يتجلى بوضوح في العلاقة التي كانت قائمة بين قادة تلك الحركة مع أقطاب النازية، وأيضاً في تواطؤالصهاينة مع رجالات القيصر في افتعال حادثة « كيشنيف ». وأيضاً في عقد الشراكة بين الحركة الصهيونية وقادة الامبراطورية، هذه الشراكة التي أفضت إلى تطوع الصهيونية للقيام بمهمة تحشيد الأقليات أو الجماعات اليهودية في شتى بقاع العالم والعمل على تهجيرهم إلى فلسطين للقيام بوظيفة قمع وتفتيت الأمة العربية، أي القيام بدور « الثورة المضادة» تجاه هذه الأمة على كافة الصعد الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك خدمة لمصالح الغرب عموماً. وهذه الخدمة ليست مجانية بطبيعة الحال، بل هي مقابل ثمن يتمثل في قيام الغرب على اختلاف مراكزه الامبريالية بمد الصهيونية بأسباب الحياة ودعم الشق اليهودي من المشروع الصهيوني على قاعدة الشراكة والمصلحة المتبادلة لاقامة « دولة اليهود »، الحل الزائف لـ« المسألة اليهودية ».

كما أن قادة الكيان الصهيوني واصلوا وبأشكال مختلفة إلتزامهم بعقد الشراكة مع الغرب، وغضوا الطرف عن ما أرتكب بحق اليهود في أوروبا، مقابل اعتذار أوروبي عنها وقبولهم تعويضات عن دماء اليهود التي سُفكت، وذلك استمراراً لذات المسار الذي سلكه أسلافهم من قادة الحركة الصهيونية الذين وعلى سبيل المثال لا الحصر وقعوا مع الألمان النازين في صيف عام (١٩٣٣) اتفاق « الانتقال – الهاعفراة »– فقد توصلوا – قادة الكيان الصهيوني عام (١٩٥٢) إلى إتفاقية جديدة. مع الألمان، وقعها المستشار الألماني « كونراد اديناور» ووزير خارجية إسرائيل « موشي شاريت »، سميت باتفاقية التعويضات التي نصت علي أن تدفع

ألمانيا (٧١٤) مليون دولار لاسرائيل في مدة تتراوح مابين (١٢-١٤) عاماً، وأن تدفع (١٥٧,١)مليون دولار لـ « مؤتمر المطالب اليهودي »، بالاضافة إلى (٦٢) مليون دولار تدفع للمجلس اليهودي المركزي في ألمانيا. ولقد استلمت اسرائيل لغاية عام (١٩٦٥)ما مجموعة (٨٦٢ر٥٠٠) مليون دولار. ومنذ العام (١٩٦٥) ولغاية (١٩٨٥) واستناداً إلى اتفاق جديد للتعويضات، تشير المصادر إلى أن قيمةمبالغ التعويضات التي تم دفعها من قبل الحكومة الألمانية إلى الكيان الصهيوني سواء أكانت تعويضات للافراد أو للحكومة، وصلت إلى (٧٧٨٦) مليون دولار. واضافة إلى التعويضات فان حجم الاستثمارات الالمانية في الكيان الصهيوني بلغ حتى آواخر عام (١٩٨٦) - على سبيل المثال - قرابة (٥٠) مليون مارك منها (٩) ملايين تدفقت على اسرائيل خلال عام (١٩٨٦)فقط. وجميع تلك التعويضات المادية الاقتصادية ولاحقاً العسكرية أسهمت في تشكيل البنى التحتية للكيان الصهيوني في كافة المجالات، ففي المجال الاقتصادي مثلاً شكلت التعويضات الالمانية نقطة تحول في تطور اقتصاد اسرائيل إذ مثلت من (٢٠٪) إلى (٣٠٪) من مجموع الواردات الاسرائيلية وكانت قيمتها في عام (١٩٥٤) تمثل (١٢٪) من الدخل « القـــومي »، و (١٢٪) من كل الواردات، و (٣٠٪) من الواردات الاستثمارية. ولقد استخدمت التعويضات الالمانية في ارساء قاعدة الصناعة الاسرائيلية من بناء هياكلها الاساسية كالموانئ والاسطول التجاري وشبكة السكك الحديدية والمواصلات السلكية واللاسلكية ومصفاة تكرير البترول ومصانع للاسمدة والصناعات الغذائية. وتولت ألمانيا الغربية « سابقاً » بناء الاسطول التجاري الاسرائيلي وقدمت أكثر من نصف وحداته. وبالمقابل انتعشت صناعة السفن في ألمانيا.(٥٨)

*العرب واليهود

قبل البحث في الحل العربي لـ « المسألة اليهودية »، سنشير إلى الخلفية التاريخية للعلاقات بين العرب واليهود التي يصفها بعض المستشرقين الأمريكيين بأنها تعود إلى أكثر من (٤) آلاف عام، وذلك استناداً إلى اعتقادهم وترويجهم بأن اسرائيل بذاتها هي « قبيلة عربية »، تساوقاً منهم مع ما يعتقده مستشرقون أو مستعربون إنجليز بأن « اسرائيل السابقة » تعود في أصولها إلى الجزيرة العربية

وتحديداً جنوبها (اليمن) وما خروج اليهود من اليمن في العصر الحديث إلا تكراراً لخروج قديم يعود إلى حوالي (٤) آلاف عام.(٥٩)

ويشير أولئك المستشرقون إلى أن العلاقات ما بين العرب واليهود مرت بحالات مد وجزر، لذا فإنهم يميزون بين أربع مراحل في تاريخ العلاقات ما بين العرب واليهود، مختلفة في عمرها الزمني. إذ تعود المرحلة الأولى إلى ما قبل التاريخ وتحديداً إلى قرابة ألفي عام، وتنقسم بدورها إلى فترتين: الأولى تشكلت فيها الاصول المشتركة بينهما باعتبارهم ساميين، والثانية تمتد لفترة أخرى من الزمن حيث ظهر التلمود الذي أشار إلى العلاقة الحميمة مع العرب واجمالاً تمتد هذه المرحلة من عام (١٥٠٠) قبل الميلاد وحتى العام (٥٠٠) بعد الميلاد.

أما المرحلة الثانية، فتمتد من العام (٥٠٠) ميلادي إلى (١٣٠٠) ميلادي، وحسب إعتقاد المستشرقين أيضاً - وهي مرحلة حميمة في العلاقات - تأثر العرب بدينهم الجديد (الاسلام) تأثروا باليهودية، وفي الجزء الثاني من هذه المرحلة أثروا في تشكيل اليهودية التقليدية.

وتمتد المرحلة الثالثة قرابة ستة قرون من العام (١٣٠٠)م إلى العام (١٩٠٠)، حيث إضمحل دور العرب في التاريخ العالمي وكذلك خبا دور اليهود الشرقيين في التاريخ اليهودي.

المرحلة الرابعة والاخيرة في العلاقات ما بين العرب واليهود، بدأت منذ أوائل القرن الحالي، واتسمت بالمواجهة بينهما، وعادت فيها العلاقة بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين، وهاجر خلالها أولئك اليهود إلى اسرائيل.(٦٠)

وقد بحث المستشرقون هذه المراحل في العلاقة ما بين العرب واليهود، في محاولة منهم لاكتشاف خلفية اختلاف مسارات هذه العلاقة خلال التاريخ وصولاً إلى المرحلة الراهنة التي تتسم بسمة المواجهة وخاصة في المرحلة التي أعقبت الاعلان عن قيام اسرائيل. ووجدوا - المستشرقون - أن هنالك فترة طويلة تاريخية من العلاقات الحميمة بين الطرفين لا تبرر حالة المواجهة الراهنة بينهما، وعمم غالبية هؤلاء المستشرقون أموراً مغلوطة جرى توظيفها سياسياً، من شاكلة الادعاء أن إضطهاد اليهود و«معاداة السامية» بمفهومها الاوروبي، هو أمر عرفته المجتمعات الاسلامية والعربية. ويعرضون تاريخ الطوائف اليهودية في المجتمعات العربية والاسلامية على انه سلسلة متصلة في غالب الاحيان من الاضطهاد والعسف

المستند إلى موقف « متاصل » بالعداء في الدين الاسلامي. وهذا الامر شجعه الصهاينة وأبرزوه بأشكال مختلفة، وعلى سبيل المثال لا الحصر، يصف أحد كتب التاريخ المقررة في الكيان الصهيوني على طلبة المدارس الثانوية العليا، حياة اليهود في المجتمعات الاسلامية على النحو التالي : « عاش اليهود في أحياء سكنية فقيرة شبيهة بالغيتو، تفتقد إلى المقومات الأولية للصحة، وعانوا الكثير من الاوبئة والامراض. وقد عُرفت هذه الغيتوات في المغرب باسم الملّة، وفي تونس باسم الحارة. وكان اليهود يعتمدون في عيشهم على مهن بدائية وتجارة المفرق الصغيرة. كما كان يحظر على اليهودي المغربي تعليم أطفاله (...)ان مصير اليهود في سوريا والعراق، فكان شبيهاً بمصير إخوانهم يهود المغرب (...) ولم تكن هناك شروط ملائمة لتطوير يهودي خاص في الدول الاسلامية، ان الاضطهاد والقهر السياسيان، قد حرمهم أية فرصة إقتصادية، إذ عاشو في فقر مدقع وتعاسة كاملة. وإن هذا هو السبب في أن يهود الدول الاسلامية لم يؤدوا دوراً نشطاً في التاريخ اليهودي، ولم يسمح لهم بأن يساهموا بأي قسط في الحركة الاجتماعية اليهودية، أو في حركة المقاومة اليهودية ».(٦١)

وقد كان الرد من قبل أحد الباحثين العرب على المزاعم الصهيونية بوجود مسألة يهودية في الدول العربية باعتقاده أن « هنالك شعوراً بالعداء إزاء اليهود، وهو ظاهرة جديدة نسبياً، ناجمة عن نزاع سياسي عادي ولا يمكن فهمه إلا في إطار الصراع الذي جرى على ارض فلسطين بين الحركة الصهيونية وقوى التحرر العربي. وأية محاولة لرد هذا الشعور إلى دعاوى دينية قديمة في ضوء العلاقة بين الاسلام والمسيحية، أو تفشي « معاداة السامية » في المجتمعات الاسلامية على النحو الذي جرى في أوروبا، هي محاولة عقيقة مجافية للواقع وطبيعة الاشياء. ان هذا الشعور بالعداء لا يستند إلى نص لاهوتي بتحميل الذنب لليهود وادانتهم، كما لا يستند إلى قاعدة من التميز العرقي، أو محكوم بنظرة دونية لعرق معين، إنما يعكس إحساساً بالصدمة والمرارة لما حدث في فلسطين.

ولم تكن الهجرة الواسعة لليهود العرب ممكنة من دون توفر عوامل كان من أهمها :

١- النشاط المحموم الذي قامت اسرائيل والدوائر الصهيونية العالمية به لحمل هؤلاء على الهجرة، في الوقت الذي تطلعت « الدولة العبرية »الفتية إلى مصادر

جديدة للقوى البشرية.

٢- إدامة الحرب وحالة العداء التي تتحمل مسؤوليتها، اساساً، الزعامة الاسرائيلية التي سعت من ورائها لخدمة اغراض عديدة، كان على رأسها تصفية وجود الطوائف اليهودية في المجتمعات الاسلامية وضمان انتقالها إلى اسرائيل. وكذلك إعطاء فرصة لاغلاق أسوار الغيتو الجديد الذي أقامته في المنطقة العربية - لأطول أمد ممكن - في محاولة لصهر المجموعات الاثنية والقومية والثقافية المختلفة من المهاجرين في المجتمع الجديد.

٣- الدعم الذي لاقته اسرائيل على الساحة الدولية من قبل حكومات الدول الغربية، وخصوصا الولايات المتحدة، الامر الذي مكنها من ممارسة الضغط على الحكومات العربية لفتح أبواب الهجرة وتسهيلها، إلى ضمان توفير الدعم المالي اللازم لاستيعاب الأعداد الكبيرة من المهاجرين خلال فترة قصيرة نسبياً

٤- العجز وسوء الفهم وأحياناً التواطؤ التي تميزت المواقف الرسمية العربية بها، والمتمثلة في سلسلة من السياسيات التي عادت بالضرر الشديد على القضية الفلسطينية، والنابعة في الاساس من عدم شعبية هذه الحكومات، وخضوعها للتأثير الاستعماري وجهلها - شبه المطلق - بطبيعة الحركة الصهيونية وأساليبها.

ان النجاح الذي حققته الحركة الصهيونية في فلسطين لا يقاس بمساحة الأرض والمعايير الجغرافية فقط، بل أيضاً - وهذا هو الأهم - بالتسليم بمنطقها؛ وهو ما حدث بالنسبة إلى تحديد الموقف من اليهود العرب الذي اتسم، ولا يزال يتسم بالتخبط مما ساعد في تحقيق الأهداف التي عملت الحركة الصهيونية لها. واليوم، أصبح في وسع العرب الاقرار بحقيقة مؤسفة جديدة، انه إذا ماكان صحيحاً الافتراض ان «المسألة اليهودية» ظهرت في أوروبا في نهاية القرن الماضي كنتيجة لظهور العداء للسامية هناك، فقد أصبح لدى الشرق اليوم «مسألته اليهودية الخاصة» النابعة في الاساس، من قيام اسرائيل وحالة العداء التي أعقبت ذلك.(٦٢)

وما سبق ما هو إلا مثال عن صورة «المسألة اليهودية» في الفكر السياسي العربي التي ترافقت بطرح حلول من شاكلة عودة يهود البلاد العربية من الكيان الصهيوني إلى بلدانهم الاصلية التي أشرنا إليها في الفصل الأول من هذا الجزء من الكتاب. فهذه الصورة والحل المرافق لها ما هو إلا تعبير عن درجة وعي هذه المسألة وعن تبني الفكر السياسي العربي لتقديم الحركة الصهيونية لنفسها، وفيما يدعوه

«جوزيف سماحة» بتصديق العرب لكذبة الآخر (الصهيونية) والاقتناع والترويج بها، إذ برز هذا الأمر في تصديق العرب أن المعركة كلها إنما ما هي صراع على الأرض بين اليهود والفلسطينيين وقول الصهيونية أن اليهود كانوا أحقّ بها، وان الاضطهاد الذي تعرضوا له عبر التاريخ، وفي أوروبا تحديداً يضفي بعداً أخلاقياً إضافياً على هذا الحق الاصلي، لأنه يضغط في اتجاه تأمين ملجأ ليهود العالم. فما المشكلة في ان يكون هذا الملجأ أرضهم التي لم ينسوها قط» .(٦٣)

حول مسألة الحق الصهيوني في فلسطين نذكر فقط بأن ناحوم غولدمان و وايزمان عالجا هذه المسألة فغولدمان يعتقد أن الحق الأعلى هو للصهيونية في فلسطين أما وايزمان فيوضح ذلك بصورة أخرى بقولة «النزاع بيننا وبين العرب ليس نزاعاً بين الصواب والباطل، بل هو نزاع بين حقين، إنما الحق الأعلى هو حقنا » ويبرر ذلك غولدمان بوجود سببين في غاية البساطة هما : أولهم «السبب الميتافيزيقي، أو الديني – الصوفي فالتاريخ اليهودي بنظره لا يمكن تصوره دون المركز المحوري لفلسطين، بينما في الحضارة العربية تلعب فلسطين دوراً ضئيلاً للغاية. أما السبب الثاني فهو أن العرب يملكون مساحات شاسعة الأطراف ومن المتعذر عليهم استيطانها في مدى مائة عام، وفلسطين تؤلف جزءاً يسيراً من هذه المساحة كما أنها لا تلعب دوراً حاسماً .(٦٤)

بالمقابل اعتنق كثيرون من الفلسطينيين والعرب مفهوم الحق الصهيوني، لكن الصراع العربي – الصهيوني، وابتدعوا مفاهيم جغرافية للصراع تستند إلى أن «هذه الأرض لنا»– فلسطين– وأن توارثها جرى عبر قرون من الزمن. ولقد كانت الحركة الوطنية الفلسطينية التقليدية هي السباقة إلى إعتماد هذا الفهم الجغرافي للصراع وأيدتها في ذلك قوى عربية محافظة كان جل اهتمامها أن تثبت الطبيعة التوسعية للكيان الصهيوني، التي ستلتهم أراضي عربية جديدة .(٦٥)

وبقيت العفوية هي السائدة في النظرية والممارسة العربية إزاء الكيان الصهيوني وتعاطيها مع المشروع الصهيوني برمته، وذلك نتاجاً لجهد مارسته الصهيونية استطاعت من خلاله نشر وعي سياسي زائف في أوساطنا (العرب) وحتى بين المثقفين ورجال الفكر والاعلام، عن طبيعة المشروع الاستيطاني الصهيوني. لقد جعلتنا نفهم ذلك المشروع كما أرادت لنا ذلك. وبالتالي تصدينا له على هذا الأساس من الفهم المشوه ولاغزو إن اعترت عملنا على هذا الصعيد حالة من الانفصام،جعلته في أزمة مستمرة. أما هي (الحركة الصهيونية) ففهمتنا

كما نحن، وأيضاً قاتلتنا على هذا الاساس. وبينما اتسم صراعنا مع المشروع الصهيوني بالشرخ بين الذاتي والموضوعي، وبالتالي ظل يعاني من حالة انفصام بين النظرية والتطبيق، الأمر الذي قاده إلى حالة من إختلال أوجه النشاط، فقد أدارت الحركة الصهيونية معنا صراعاً تحكمه حالة من الانسجام بين الشكل والمضمون، وإن جرى تحت غطاء كثيف من التمويه على مرتكزات ذلك المشروع.

ولعل من أخطر المفاهيم السياسية التي زرعتها الصهيونية في فكرنا بشكل عام، وكرستها عبر الصراع، هو اعتبار «إسرائيل دولة اليهود» فالحقيقة هي أنها دولة يهودية عنصرية، ولكنها ليست دولة اليهود. لقد رفض هؤلاء الإعتراف بها على هذا الأساس، وقبلنا نحن به. وعليه حتى دون الاقرار بذلك، تصبح الصهيونية حركة «انعتاق قومي» يهودي، بينما هي في الحقيقة حركة سياسية مفبركة، سعت لتوظيف اليهود في خدمة المصالح الامبريالية، ساهم في تشكيلها قطاع صغير من اليهود المندمجين في المجتمعات الغربية،لتسخير التجمعات اليهودية وتحت وطأة المسألةاليهودية، في مشاريع المراكز الامبريالية.(٦٦)

وقد نتجت حالة التبني العربي السائد لمعظم الطروحات الصهيونية المقدمة، في أساسها من الخلل في منهج العرب في رؤيتهم ومن ثم تعاطيهم مع الظاهرة الصهيونية، وهذا الامر أوضحة د. عبد الوهاب المسيري، عندوا أكد أن هنالك منهجان أساسيان في تناول الظاهرة الصهيونية أولهما منهج تآمري وثانيهما علمي أو موضوعي.

المنهج الأول، نظر إلى الصهيونية بإعتبارها تعبيراً عن شر ميتافيزيقي متأصل في النفس أو الطبيعة اليهودية، وكل ما يأتي به الصهاينة أو الإسرائيليون، إنما هو تعبير عن هذا الشر. ونقائض هذا المنهج وانعدام إمكاناته التفسيرية مسألة واضحة تماماً،فالنظرية التي تفسر لك كل شيء لا تفسر شيئاً على الاطلاق - إذ أنها تساوي بين إنشاء مستوطنة في الضفة الغربية وإكتشاف عصابة مخدرات يديرها مجموعة من اليهود، وبين اندلاع الحرب العالمية الثالثة. فالدراسات التآمرية، تتفق دون ان تدري، مع منطلقات الصهيونية وتروج لها، فكل من الصهاينة والمؤمنين بالمؤامرة اليهودية يخلع على اليهودي شخصية غير مستقرة في وطنها تنتقل من مكان لآخر لا تنتمي إلى أي وطن أو شعب، وكل منها ينزع اليهودي من سياقه التاريخي والجغرافي - ويسقط عنه «زمنيته»، وبدلاً من رؤية أعضاء الأقليات اليهودية كجزء من ظواهر إجتماعية تقبل التفسير، يصبح هؤلاء معجزات تتحدى العقل.ومن هنا ترى أن من يتحدثون عن «الشر اليهودي» وعن «الطبيعة

اليهودية» هم في واقع الأمر أدوات غافلة وغير واعية في يد الصهيونية التي تريد أن تشيع مثل هذا الادراك لليهودي. (٦٧)

أما المنهج الثاني، العلمي أو الموضوعي، فهو لا يصدر عن أية منطلقات ميتافيزيقية مسبقة، وإنما يحاول أن يرصد الظاهرة الصهيونية في أصولها وبنائها وحركتها، ويجمع المعلومات والحقائق لاظهار طبيعة الظاهرة الصهيونية وللتوصل لنبوءات بخصوص مستقبلها. لكن هذا المنهج تتخلله ثلاث نقائص أساسية: أولهما، تسلل عدد هائل من المفاهيم الصهيونية داخله. فالمصطلح الصهيوني (وبالتالي المفاهيم الصهيونية) تم صكه في الغرب بعناية وحذر شديدين. ولذلك نجد مصطلحات مثل «التاريخ اليهودي» و«الهوية اليهودية» وهي مصطلحات تشير ولا شك إلى ظواهر محسوسة، فالتاريخ والهوية أمور خاضعة للملاحظة والرصد والدراسة والتقييم والتنبؤ. ولكننا إن دققنا النظر وجدنا أن مقولة «التاريخ اليهودي» في واقع الأمر مقولة غيبيةتخبئ الكثير من المفاهيم الصهيونية، إذ كيف يمكننا أن نتحدث عن تاريخ واحد حيث لا يوجد اقتصاد مشترك او نظام سياسي واحد أو ثقافة يهودية واحدة أو لغة يهودية مشتركة (فالعبرية كانت عبر التاريخ لغة الصلاة والأمور الدينية) أو نسق رمزي مشترك .الأبحاث التي تتقبل مثل هذة المقولات تجد نفسها تدور داخل حدود ضيقة متحيزة تؤكد بعض العناصر الهامشية، وتهمش (أو يسقط تماماً) بعض العناصر الاساسية، ثم يجد الباحث نفسه يراكم الحقائق داخل هذه الحدود ويبحث عن انماط مستمرة حيث لا انماط ولا استمرار، فتفرض عليه المقدمات المتحيزة الكامنة، نتائج مضللة. ثم يجد نفسه في نهاية المطاف يكتشف خصوصية يهودية لا تضرب بجذورها في الواقع، وإنما في المقولات الصهيونية الكامنة! ولنضرب مثلاً على ذلك: إن رأينا اليهود (وليس أعضاء الأقليات اليهودية في القرن التاسع عشر في روسيا) يتحركون داخل التاريخ اليهودي (وليس داخل التاريخ الروسي) فإننا سنبحث عن أسباب ظهور الصهيونية داخل نطاق يهودي ضيق فنهتم بمدى اضطهاد اليهود، بدل أن ننظر إلى الديناميات الحضارية الأشمل والأكثر فعالية مثل تعثر التحديث في روسيا القيصرية وظهور التشكيل الاستعماري الغربي.

والنقيصة الثانية عكس الأولى تماماً، وهي اتجاه أصحاب المنهج العلمي لدراسة بعض جوانب الظاهرة الصهيونية مثل النظام السياسي الاسرائيلي وكأنه يشبه أي نظام سياسي آخر في العالم. وعلى سبيل المثال: كتب أحد علماء السياسة العرب يقول: إن اسرائيل تتبع نظام الحزبين على النمط البريطاني، وفي ذهنه بالطبع حزبا

العمال والمحافظين في مقابل المعراخ والليكود. والمقارنة صادقة لكن بشكل سطحي للغاية فالحزب داخل النظام الاستيطاني الصهيوني يضطلع بوظائف تختلف تماماً عن وظائف الحزب في النظام الرأسمالي الديمقراطي الغربي، كما أن بنية الحزب وطريقة تمويله في إنجلترا مختلفتان تماماً عن مثيلتيهما في اسرائيل، إذ لا يوجد نظير للمنظمة الصهيونية العالمية في النظام السياسي البريطاني. وبذا يتم تناول النظام السياسي أو البنية الاقتصادية أو البناء الطبقي في اسرائيل وكأنها لا تختلف عن نظائرها في المجتمعات الأخرى. وهذا بطبيعة الحال مناف تماماً للواقع، فالظواهر الصهيونية الاسرائيلية لها أبعادها الخاصة وقوانين حركتها المتميزة. ومما يجدر ذكره في هذا المضمار، أن بعض الصهاينة يحاولون قدر استطاعتهم أن يطرحوا تصوراً للصهيونية على أنها تشكيل قومي مثل أي تشكيل قومي اخر، وان اسرائيل هي دولة صغيرة مثل أي دولة صغيرة أخرى.

أما النقيصة الثالثة في مرتبطة تماماً بسابقتها وإن كنا قد صنفناها باعتبارها عنصراً مستقلاً فإن هذا يعود لأهميتها. ويمكن القول إن دراسة «أزمة» مجتمع ما تشكل تحدياً خاصاً لعالم السياسة والاجتماع، لأن الاصطلاح يتعامل مع عامل الذات والموضوع.، ومع الرؤية والواقع الخارجي، ومع الحالة العقلية والتجربة المادية، ومع التوقعات والأداء. إذ إن الحكم على مدى نجاح أو فشل مجتمع ما، ومدى احساسه بالرضا أو بالأزمة تجاه ادائه، لا يمكن ان يتم بشكل موضوعي آلي بسيط. فالنجاح شانه شان الفشل، والرضا شانه شان الأزمة، مرتبطان بدوافع أعضاء الجماعة الإنسانية وبتوقعاتهم وبرؤيتهم لانفسهم وللآخرين وبما نسميه «المعنى» وهو الدلالة الداخلية التي يراها الإنسان في ما يقع له من أحداث وفي ما يحيط به من ظواهر. فالدوافع والوعي (مهما كان زيفهما ومهما كانت درجة انفصالهما عن الواقع) يشكلان جزءاً أساسياً من واقع الأنسان. فالإنسان ليس مثل الحيوان، مجموعة من الخلايا والأعصاب والرغبات المادية، وسلوكه ليس مجرد افعال وردود افعال مشروطة بالبيئة المادية أو العضوية، فهو أكثر تركيباً من ذلك بمراحل. واعتقد أن كثيراً من الدراسات العربية تسقط هذا البعد الهام للظاهرة الصهيونية باعتبارها ظاهرة اجتماعية / تاريخية مركبة، وباعتبار أن الصهاينة والاسرائيليين بشر لا يمكن رد سلوكهم إلى مجموعة من العناصر والملابسات المادية. ولذا نجد كثيراً مما كتب عن اسرائيل يسقط فكرة «المعنى تماماً (أي المعنى الذي يخلعه الصهاينة على أفعالهم وأفعال الآخرين) ويتجاهل قضية التوقعات، فياتي الحكم على مدى نجاح الظاهرة الصهيونية أو فشلها بمقاييس كمية خارجية

عامة مثل «قوة المجتمع العسكرية» و «مستوى تقدم المجتمع الاقتصادي» و «معدلات الدخل المرتفعة للمواطن الاسرائيلي» و «مدى اتساع حدود الدولة الصهيونية أو ضيقها»، دون أن يؤخذ في الاعتبار إدراك المستوطنين الصهاينة أنفسهم لهذه الظواهر وكيفية استجابتهم وتفسيرهم لها، ودون تحديد لطبيعة توقعاتهم من مجتمعهم الصهيوني سواء من الناحية المادية أوالمعنوية. وطريقة الإدراك العامة هذه للكيان الصهيوني تفقده خصوصيتة و«تطبعه» من الناحية المعرفية - أي تنظر إليه باعتباره كياناً سياسياً عادياً طبيعياً مثل الكيانات السياسية الأخرى.(٦٨)

وإلى جانب الوعي الزائف للمسألة اليهودية الذي ساد الأوساط العربية السياسية وكذلك الفلسطينية، من شاكلة الاعتقاد أن هذه المسألة لا تخصنا وليست له صلة مباشرة من قريب أو بعيد، كان هنالك وعي آخر - زائف - أيضاً يتشكل ازاء الصراع العربي - الصهيوني؛ الذي هو ليس بأي حال من الأحوال صراع ديني بين اليهودية والاسلام، وهذا الوعي الزائف الجديد إمتداد للقديم المتعلق بالظاهرة الصهيونية، إنه وعي يرى أن هنالك حلاً ميكانيكياً لـ «المسألة اليهودية» يترافق مع حل تسووي للصراع العربي الصهيوني. ويتمثل الحل الميكانيكي لـ «المسألة اليهودية» الذي يستند إلى فصل تعسفي بين «المسألة اليهودية» والصراع العربي - الصهيوني، بأن يهاجر كل يهودي أتى إلى فلسطين، أن يعود إلى موطنه الأصلي. وهذه الهجرة المعاكسة في حال حدوثها يجب أن تتحرك على قاعدة الدفع - والجذب، وتحديداً بالنسبة ليهود الدول العربية. ويتمثل عامل الدفع في مجمل الظروف التي يعيشها اليهود العربي ونظيره الشرقي بالمعنى الواسع للكلمة، سواء أكانت إقتصادية أم سياسية أم إجتماعية. في حين يتمثل عامل الجذب في توفير المجتمعات الأصلية كل الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المؤاتية لليهودي. وهذا العامل في حال تجسيده واقعاً يمثل إعترافاً واضحاً من المجتمعات الأصلية التي عاش بين ظهرانيها اليهودي، وخاصة العربية أن هنالك اضطهاداً كان يعاني منه اليهودي. وفي الحالين لن يعود هذا اليهودي الذي عاش لعقود في الكيان الصهيوني، لن يعود إلى موطنه سواء أكان صهيونياً في الأساس بوعيه ووجدانه أم كان مدفوعاً للهجرة وغير مقتنعاً بالأفكار الصهيونية، وتعود عدم عودته في الحالين إلا أنه وخلال فترة إقامته في الكيان الصهيوني تعرض لعملية غسل دفاع في سبيل صهينته في الأوعية الاستيطانية من

المدرسة إلى الجيش إلى سائر أوجه النشاط الاقتصادي،إضافة إلى انه وفي أسوء الظروف التي يمكن أن يعيشها داخل الكيان الصهيوني في داخل حيه أو غيتوه الجديد المصغر في الموشاف أو مدينة للتطوير أو غير ذلك، في ظل تلك الظروف نجده ينغلق حول ذاته وتنوس في مخيلته درجة ولاءه أو إنتمائه ما بين يهوديته ونموذج الصهيوني وما بين جنسيته وأصله في البلد الذي كان يعيش فيه، فهو تارة يضع نفسة في موقع الدفاع عن ولائه لاسرائيل باثبات درجة قناعته بالصهيونية من خلال ممارسته لدورة في الآلة العسكرية الصهيونية، وتأييدها لأشد الأحزاب الصهيونية تطرفاً. وتارة أخرى يجد نفسه في خلافه مع اليهودي أو الشرقي أيضاً يندفع نحو التمسك «بقطريته» فتنقلب هويته فيصبح عندئذ عراقي أو مغربياً يهودياً وليس مواطناً اسرائيلياً. وهذا ما يظهر تحديداً في صفوف يهود البلاد العربية وتارة بين يهود ينتمون لذات البلد مثل حالة العداء بين يهود حلب ويهود دمشق.

أما وعي صورة الصراع العربي – الصهيوني في الأوساط العربية، والمعزولة عن المسألة اليهودية، فهو وعي يجد أن هنالك إمكانية لتسوية وحل هذا الصراع أو لحرب خاطفة كفيلة بحله. ونقائص هذا الوعي بتجلياته ا لمختلفة تتمثل في جملة من المسائل ذات الأولويات المختلفة، الناجمة بطبيعة الحال عن خلط بين أسس الصراع وجوهره وسبل حله. وفي هذا المجال انقسم الفكرالسياسي العربي إلى فكرين متمايزين ساد أحدهما في مرحلة من الزمن، وساد الآخر في مرحلة زمنية أخرى. الأول وجد أن هدفه يمكن تجسيده من خلال «تدمير اسرائيل» عبر «الحرب الشاملة» استناداً إلى «وحدة عربية» شاملة بغض النظر عن الفترة اللازمة للاستعداد لهذه الحرب وخوضها لاحقاً وغض الطرف عن الغرب. أما الفكر الثاني «الجديد» فيتمثل هدفه في تصعيب وجود اسرائيل من خلال عملية عسكرية مستمرة خلال فترة زمنية قصيرة يتم خلالها نسج علاقات مع الغرب خلال فترة من الزمن تتضافر فيها الضغوطات السياسية مع العسكرية.

حالة الانفصام والانقسام في الفكر السياسي العربي صورها بوضوح ورصدها المستشرق الصهيوني يهوشا فاط حراكابي، عندما أوضح أن هنالك ثلاث مدارس عربية تتعاطى مع الصراع العربي الصهيوني. تدعى المدرسة الأولى بمدرسة التآكل والاضمحلال، والثانية بـ مدرسة إعادة اسرائيل إلى ابعادها الطبيعية ومدرسة الكفاح المستمر.وأوضح الفروقات بين هذه المدارس في الجدول التالي : (٦٩)

المسألة	مدرسة التآكل والاضمحلال	مدرسة اعادة اسرائيل إلى ابعادها الطبيعية	مدرسة الكفاح المستمر
١- الهدف	تفتيت إسرائيل، تذويب ذاتياً على مراحل	اسرائيل التي تتقلص مما يؤدي إلى احتمال صعوبة حياتها	ابادة اسرائيل لاستبدالها بدولة فلسيطنية
٢- الزمن	التفتيت عملية طويلة ولكن ضمن المستقبل المنظور	السلم او زوال اسرائيل للجيل القادم	ابادة اسرائيل ليست عملية طويلة فيما إذا احسن العرب العمل واسرعو به
٣- الوسائل	عسكرية وسياسية	سياسية اساساً وعسكرية ايضاً	عنيفة اساساً
٤- دور الحرب النظامية وحرب العصابات	كلاهما وسيلة دولية متكررة ووسيلة متممة	الحرب والتهديد بها لدفع العملية السياسية وحرب العصابات هامشية	حرب العصابات مستمرة تتخللها حروب نظامية
٥- محتوى مطلب اسرائيل	معنى واسع يشير إلى مرحلية لاضعاف اسرائيل	محدد يشير إلى جميع الاراضي العربية المحتلة ١٩٦٧	معنى واسع ليشمل الانسحاب
٦- محتوى ومطلب حل المسألة الفلسطينية	معنى واسع وخطوة في عملية تؤدي إلى التفتيت	محدد يجب على الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية للفلسطينيين	معنى واسع حيث تنفي فلسطين واسرائيل كلاً منهما الاخرى
٧- الموقف من القرار ٢٤٢	قبوله تكتيكي	قبوله في المرحلة الراهنة استراتيجي	رفضه استراتيجية مركزية
٨- دور الفلسطينيين	ثانوي رغم انهم يجسدون مركز المسألة السياسية الاساسية	هامشي ويجب اضعافه	مركزي ولكنه ليس شاملاً وهم يضمنون استمرار الصراع
٩- التهديد الاساسي ضد السياسة العربية	اساء فهم مسيرة التاريخ	اللاواقعية واهمال النظام العالمي	الجمود الناتج عن اتفاقية مؤقتة
١٠- الدوافع الايديولوجية والبراغماتية	ابادة اسرائيل عقيدة ايديولوجية وقدرية تاريخية والسياسة دون مستوي العقيدة	اعمال الضرورات الدبلوماسية وسيطرة الاعتبارات السياسية على الاعتبارات الايديولوجية براغماتية	تزمت ايديولوجي والفراق بين الفكر والعمل يؤدي إلى هزيمة ذاتية براغماتية واقعية مرفوضة
١١- الموقف من الشرق والغرب	الغرب عدو اساسي وقد يساعد في وقف الحرب	يجب جر المعونة الاميركية للضغط على اسرائيل وجعل الحرب محدودة	الغرب اساساً عدو وارتباطه باسرائيل عميق ولا يمكن تغييره
١٢- تأثير النزاع على المجتمعات العربية	لا تقيم وزن لهذه المسألة فهي محايدة لانه مضر ومفيد معاً	كثير الضرر لامتصاصه الموارد والطاقات عن واجب البناء الداخلي	مفيد يخلق دوافع قوية للتحديث والبعث ودافع باتجاه الوحدة
١٣- الموقف من التاريخ	التاريخ يقف مع العرب متفائلة بسبب القدرية التاريخية	سينتصر العرب إذا كانو واقعيين وفهموا مسيرة التاريخ	سيربح العرب إذا وعوا القيمة المطلقة للنضال ومارسوه
١٤- حصول اسرائيل على السلاح الذري	غير مكترثة لان الحصول على الذرة لا يوقف قضم اسرائيل	يجب على العرب الحصول على الذرة	قد يشل النضال العربي على جميع المستويات
١٥- الموقع الفكري وممن تتالف	ما وراء مستوى السياسة وتجلب اهتمام المثقفين مؤثرة كمصدر فكري وغير موجودة على شكل اي مؤسسة	الدول العربية المعتدلة وبعض الفلسطينيين وخاصة الضفة الغربية والاحزاب الشيوعية	الدول العربية المتطرفة ، منظمة التحرير، وخاصة جبهة الرفض

أشكال من الحل العربي لـ «المسألة اليهودية»

خلال العقود الطويلة الماضية من الزمن، طرحت أشكال ونماذج عربية متعددة لحل المسألة اليهودية، وتحديداً قبل فيام الكيان الصهيوني، ومن تلك الحلول ما استند إلى مسألة الديمقراطية والاستنارة، ففي عام (١٩١٣) قال رفيق بك العظم، وهو احد المثقفين العرب الذين إهتموا بالظاهرة الصهيونية منذ البداية، أنه يدرك قيمة «الرأس مال اليهودي والعملة اليهودية والذكاء اليهودي» إلى درجة تجعله حريصاً على ألاّ يثير عداوة اليهود، ولكنه أضاف مع ذلك أنه لا يمكن أن يتخذ موقفاً محدداً من الصهاينة لأنه لم يكن قد تفهم الظاهرة الصهيونية بعد، ولكنه حينما درس موقف الصهاينة ورؤيتهم اكتشف لتوه أن الصهيونية، باتجاهها نحو عزل نفسها، ستثير عداوة العرب ضدها، وبالتالي وجد أن الصراع ناشب لا محالة.

وفي عام (١٩٢١) كانت بعض القيادات العربية تطالب بإقامة مجتمع ديمقراطي يضم العرب واليهود، تحكمه حكومة يتم إنتخابها بشكل ديمقراطي، بل إن هؤلاء الزعماء العرب كانوا على استعداد لتقبل منطق الديمقراطية حتى نهايته،ولذلك لم يترددوا في القول إنه لو كانت أغلبية أفراد هذه الدولة من اليهود، فإنهم سيكونون هم الحكام، أما إذا كانوا أقلية فإنه سيتم تمثيلهم حسب عددهم ولكن القيادات الصهيونيةوصفت مثل هذه الاقتراحات والمشاريع بأنها «مضحكة» من وجهة نظر يهودية، وهي بالفعل كذلك مادامت نقطة البدء عندهم هي دولة يهودية لا تضم سوى اليهود وحسب.(٧٠)

وهنالك حل عربي آخر،أنصاره من مؤيدي تسوية الصراع العربي - الصهيوني، ويتمثل هذا الحل في أن التسوية أوعملية «السلام» ستؤدي بتداعياتها اللاحقة إلى تغيير عميق في الدولة الصهيونية.(٧١) وقد يضرب عمقاً هذا التغيير إليالدرجة التي يتحول فيها جوهر الكيان الصهيوني من «ثكنة» إلى «سوبر ماركت»، وخلال عقود من الزمن، وفي حال غياب النخبة الحاكمة في الكيان الصهيوني ذات الصبغة الايديولوجية، فان النخبة القادمة الشابة، التي ولدت وعاشت في ظل بيئة التسوية ستفقد صلتها شيئاً فشيئاً بالصهيونية، إذ أن توفر الشرعية الاقليمية للكيان الصهيوني لامد طويل نسبياً من الزمن، سيضع الصهيونية في مرحلة ما بعد التسوية، في منزلة لزوم ما لا يلزم، أي أنها ستتحول إلى ذكرى فقط، وبهذه الحالة تفقد الحركة الصهيونية مغزاها وتأثيرها.

وبالمقابل، وعلى النقيض من رؤية أصحاب هذا الحل، المغرقة في تفاؤلها الساذج، يُعتقد أن العقيدة الصهيونية في ظل السلام لن تتورع عن استنباط الأخطار الوهمية، لأن إعتقادها بوجود تلك الأخطار يضمن لها الاستمرار والفاعلية ويؤهلها للمضي في ممارسة نشاطها لدى الأوساط اليهودية في العالم.(٧٢)

وأمامنا نموذج آخر لحل «المسألة اليهودية»، حلاً عربياً، يستند في أساسه إلى عدة «افتراضات» أو «حقائق» أو للدقة «مقولات» نعرض لها بإيجاز :

- **المقولة الأولى** : تتمثل في القول أنه ليس هناك بالمعنى العميق للكلمة مشكلة فلسطينية مطروحة في وجه العرب. ولو كانت هذه المشكلة ناجمة عن تهجير قسم من الشعب العربي من أرضه من أجل إنشاء «وطن قومي» لشعب آخر، حيث يقيم، منذ قرون، أوضاعاً تتراوح بين الدونية والاضطهاد ومشاريع الابادة، لو كان هذا الموضوع لكان الحل سهلاً نوعاً ما. تجري محاولة لاعادة هذا الشعب إلى أرضه، يتم اقتراح تسوية تقوم على تقاسيم فلسطين، وفي حال العجز عن ذلك، يبذل الجهد المطلوب لتوطين هذا الشعب بين إخوانه العرب الكثيرين في أرضهم الفسيحة. صحيح أن الخسارة تكون كبيرة وان الفلسطينيين يكونون اكبر الخاسرين على الإطلاق غير ان ذلك يبقى أقل بكثير من الثمن الذي جرى دفعة حتى الآن بشرياً ومادياً، من أجل ما يبدو أنه الاصرار العربي على الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني.(٧٣)

المقولة الثانية : ترى ان القضية الفلسطينية ليست قضية العرب الاولى أو المركزية، إنها قضية هامة وفرعية. لكن القضية الاولى والمركزية للعرب هي التدرج نحو الوحدة العربية. هذا هو ردهم الكبير على المشروع المضاد لهم، والذي تتقاطع عنده قضاياهم : التنمية، التحديث، الاستقلال الفعلي، الالغاء العقلاني والطوعي للحدود المفتعلة والفاصلة بينهم،ودخولهم العصر، وتحويل علاقاتهم الداخلية.

-**المقولة الثالثة** : ومترابطة مباشرة مع المقولة الثانية تتمثل في أن القضية التي تواجه العرب ليست «القضية الفلسطينية» بل «القضية الاسرائيلية». وذلك ان الوجود الصهيوني في فلسطين يختلف جذرياً عما تقدم. انه يتذرع بإيجاد «وطن قومي» يهودي من أجل أن يلعب دوراً محورياً في إعاقة التقدم العربي ومنعه بالقوة

وربط المنطقة ومصالحها بعجلة المشاريع الاستعمارية ومصالحها.

-**المقولة الرابعة** : تصف اسرائيل بأنها كيان ودور. وقد يكون التعايش مع الكيان صعباً بعض الشيء إلا انه ممكن. أما التعايش مع الدور فهو مستحيل. لانه بالضبط دور عدواني لا يهدف إلى التوسع الجغرافي فحسب، أساساً إلى تجيير المحيط العربي لصالح قوى أجنبية وتركه مستباحاً أمامها.(٧٤)

- **المقولة الخامسة** : تفيد ان الصراع في المنطقة يدور بين حل صهيوني لـ «القضية اليهودية»، لا يمكنه أن يكون إلا على حساب الفلسطينين والمستقبل العربي، وهو الحل الصاعد منذ عقود، وبن مشروع حل عربي لمستقبل الامة ولـ «القضية اليهودية»، وهو مشروع يتلقى الهزائم ويعجز عن بلورة نفسه.(٧٥)

المقولة السادسة : تفيد أن التسوية الاقليمية هي ثمرة الفشل العربي المتمادي في تنظيم المقاومة وتتويج لحال التراجع ودفع لها إلى الامام. وإن هذا الاسلام يعني الهزيمة، وحماية آثاره تعني تكريسها وتطويرها، وهذا هو عنوان المرحلة المقبلة.(٧٦)

على أساس هذه المقولات يكون الحل العربي لـ «المسالة اليهودية»، نتاجاً لحالة تجدد الحركة القومية العربية، إذ أن هذه الحركة هي الأقدر على تعيين مصدر التناقضات الجديدة، وعلى تقديم رؤية مطابقة لوضع المنطقة والعالم، وعلى حشد أوسع جبهة ممكنة لاطلاق دورة جديدة من محاولات النهوض العربي، وهي الاقدر على صياغة برامج وتكتيكات ملائمة، وهي الاقدر من غيرها على تعيين مواقع ضعف الخصم وحصارها، وعلى انتهاج سياسة تحالفات داخلية وخارجية قائمة على تقدير للواقع كما هو وليس على تصورات له تخضعه لثنائيات لا أساس لها.(٧٧) وفي حال تبلور هذه الحركة القومية المتجددة، وبناء على حقيقة مفادها ان معظم سكان اسرائيل الحالين عرب يهود، فإنه يفترض بالامة العربية التي فقدتهم، ان تصل إلى حيث تستطيع استعادتهم. ذهب «الابن الضال» بعيداً، غير إن التسامح من موقع القوة، قادر على إعادته. إن المزج بين الحصاروالتضييق والخنق وقطع «المصل الخارجي» وإقتراح المخرج الديمقراطي الذي يؤمن لليهود حقوقهم كمواطنين وليس كامةضمن العرب،يشكل الملامح العامة لبرنامج الحركة القومية العربية، لحل معضلة الأمة العربية أولاً، وتقديم مشروع حل عربي لـ «القضية الاسرائيلية».ولا يمكن لهذا الحل إلا ان يكون «حلاً نهائياً للمسالة اليهودية» لأنه يضمن الخروج مرة وإلى الأبد من اللعنة التي طاردت اليهود طويلاً ومن محاولة

الحل الاستعماري -الصهيوني، توظيفها.(٧٨)

الأشكال الثلاثة السابقة تعبر عن وجوه متعددة لحل عربي لـ «المسألة اليهودية»، أو تعبيرات مختلفة لمحاولة طرح حل عربي لهذه المسألة. وقد استوقفتنا لتمايزها عن بعضها، ولاختلاف سياقاتها الفكرية والسياسية، فالحل الأول بالرغم من استناده إلى بعد ديمقراطي مأمول ومرتجى، إلا أنه يغالي في تسطيحة للمسألة وكرمه الديمقراطي، وفي الآن ذاته يقلل من أهمية البعد الديني لهذه المسألة، ويعتبر أيضاً الديمقراطية تستند فقط إلى مبدأ الغلبة العددية.

أما الحل الثاني فيتغاضى عن الواقع الراهن، واقع الهزيمة وتغييب حقوق الأمة العربية والشعب الفلسطيني، ويهرب نحو فضاء أحلام يقظة سياسية، ونحو تكهنات سياسية يمكن أن تتحقق في الآن ذاته، وهذا الامر هو الغالب. فتخلي الكيان الصهيوني عن صهيونيتة في ظل السام العتيد، هو أمر طوباوي. ويعتبر مستحيلاً، وسبب استحالة ذلك يعود الى أن الصهيونية من حيث بنيتها الفكرية وتعبيرها السياسي المكثف في الكيان الصهيوني، ليست إلا نتاجاً للسياقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الأوربية، التي تضافرت جميعها مع السياق التاريخي واللاهوتي والسياسي اليهودي. لذا فإن نكوص وارتداد الكيان الصهيوني عن هذه السياقات مجتمعة ليست قراراً سياسياً بأي حال من الأحوال، وكذلك ليس عملية سهلة، بل هو عملية معقدة تتشابك فيها السياقات السالفة الذكر مع سياقات جديدة عربية ويهودية معاً، وتحتاج من حيث الأساس لوعي صحيح وسليم للصراع العربي - الصهيوني. وهذا الأمر غير متوفر في حده الأدنى لدى أنصار التسوية، أنصار هذا الحل، إذ أنهم لم يندفعوا نحو التسوية نتيجة لتبلور أوضاعهم الذاتية وتعبيراتهم السياسية، ونتيجة فهمهم ووعيهم غير الزائف للصراع، بل اندفعوا نحو التسوية بناءً على رغبة ومصلحة الولايات المتحدة الأميركية - القوة العظمى الباقية - في خفض بروفيل الصراع، وإن ادعت علناً أنها تريد إخماده. كما أن ما تم التوصل إليه من إتفاقات تسووية مع بعض أطراف الصراع العربي - الصهيوني، لم يقدم مؤشراً صغيراً واحداً على إمكانية حدوث تغير جوهري في الكيان الصهيوني في المستقبل البعيد وليس المستقبل المنظور فحسب. يضاف إلي ذلك أن المسار العام للمفاوضات بمحطاته المختلفة لم يقدم دليلاً ماضحاً واحداً على أن ما يقدمه الصهاينة على طاولات المفاوضات يعتبر تراجعاً ولو شكلياً عن ركائز المشروع الصهيوني في فلسطين، فالاستيطان تتسارع وتيرته، والقدس ما زالت في عيون تل أبيب «عاصمة أبدية»، ومحاولات جذب

مهاجرين جدد إلى الكيان الصهيوني مازالت مستمرة. أما مسألة الأرض والسيادة عليها، وما يُثار حولها من إنسحابات إسرائيلية محتملة منها، فلا يمكن إعتبارها تقليصاً جغرافياً للكيان الصهيوني، واستنكافاً من الصهاينة عن نظرية «التوسع الاقليمي» أو ارتداداً على شعار «أرضك يا اسرائيل من الفرات حتى النيل»، وطياً للخرائط الصهيونية والتوراتية المتعلقة بـ«الأرض الموعودة» أو «الأراضي المقدسة»، بل هي وفي سياقها السياسي الراهن إنسحابات شكلية وتكتيكية تتم لأغراض سياسية صرفة، وعلى قاعدة «الكلفة» و«المردود» حسب المنطق التجاري أو الاقتصادي الذي تغلف به عملية التسوية الراهنة، فانسحاب القوات الاسرائيلية من مئات الامتار أو بضعة كيلو مترات من غزة أو أريحا أو الحدود مع الأردن، يعتبر ثمناً زهيداً مقابل الترويج السياسي والاعلامي الفاقع من قبل سلطة الحكم الذاتي والحكومة الاردنية أنهم استردوا حقوقهم من الاسرائيليين. وفي ذات الوقت مقابل ما يحققه الكيان الصهيوني من شرعية وجود اقليمية وإنفتاح على الجوار ونسج شبكة علاقات واسعة على كافة المستويات مع هذا الحوار في ظل إختلال كبير في موازين القوى لصالحة.

الحل الثالث بمقولاته الصحيحة نسبياً، وهو «حل عابر» لـ«المسألة اليهودية»، نظراً لخلطة بين الطموح والواقع، واسقاطة للبعد الديني للصراع، الذي وظفه الغرب وكذلك الصهاينة، توظيفاً ناجعاً وملائماً ومنسجماً بدرجة من الدرجات مع المشروع الصهيوني بشقيه الامبريالي واليهودي. ويتقاطع هذا الحل مع الحل الأول المشار إليه، في الاستناد إلى البعد الديمقراطي، وفي الآن ذاته يتناقض مع الحل الثاني تماماً، من خلال رفضه للتسوية جملة وتفصيلاً كونها تمثل «فشلاً عربياً في تنظيم المقاومة». لكنه رغم كونه «حلاً عابراً»، يبقى أساساً صالحاً لعملية إغناء وتطوير اسسه لجهة بلورة حل عربي شامل ونهائي ليس لـ«المسألة اليهودية» فحسب بل لمسألة نهوض الأمة العربية التي ما زالت مهزومة في صراعها مع الصهاينة. وهذا نتيجة لحالة الأزمة العميقة التي يعاني منها الفكر السياسي العربي في إدارته للصراع العربي – الصهيوني، والواضحة في هدر طاقاته الاستراتيجية الهائلة، وعفويته، إضافه إلى تبنيه للمقولات الصهيونية كما قدمتها الصهيونية، الذي قاده راهناً إلى الانتقال في موقفه من الرفض المطلق للكيان الصهيوني، إلى الاقرار بوجوده كحقيقة، وإلى القبول به بدرجات مختلفة تتراوح ما بين ما يسمى بـ«السلام البارد» و«السلام الساخن المتهافت».

الحل الشامل لـ «المسألة اليهودية»

الخروج الأخير

إيجاد حل لـ «المسألة اليهودية» بمعطياتها وتعقيداتها والتحولات التي طرأت عليها، تستدعي بداية تحديد جوهرها ورصد آلية إعادة إنتاجها في فترات مختلفة، والكشف عن ما أنتجته الحلول التي وضعت لها بتعبيراتها المختلفة.

إن جوهر المسألة اليهودية يتمثل في عدم قدرة اليهود على الإنخراط الكامل والإندماج في المجتمعات البشرية من حولهم في مواطنهم الأصلية، وغياب هذه القدرة يعود إلى أمرين أولهما هو فقدان اليهود في تلك المجتمعات للدور الوظيفي الذي كانو يمارسونه على هامش عملية الانتاج في تلك المجتمعات بسبب التغيرات الجذريةالتي طالت جميع أوجه النشاط فيه. والأمر الثاني هو مجموعة الطقوس التوراتية الدينية التي تدفع اليهود للإعتقاد أنهم متفوقون ومتمايزون عن الشعوب الأخرى، وتكثيف هذا يتمثل في مقولة «شعب الله المختار».

وقد نتجت هذه المسألة في بيئة أوروبية وضمن سياقات سياسية وإقتصادية إجتماعية وثقافية تضافرت معها سياقات يهودية إنعزالية. اعيد إنتاج هذه المسألة في مناطق مختلفة من أوروبا بفعل المتغيرات التي حدثت فيها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والتي ذهقت ملوكها نحو إستخدام اليهود وتوظيفهم في تحقيق مصالح سياسية، وهذا ماحدث في شرق إوروبا وغربها وتجسد في مشاريع الإستيطان المختلفة التي رعتها الإمبراطوريات الأوروبية وشكلت إطاراً وحاضنة لمايسمى «صهيونية الأغيار» التي وجدت فيها الصهيونية اليهودية شريكاً كبيراً يمكن التوصل معه إلى عقد شراكة عمل لإنجاز المشروع الصهيوني بشقيه الإمبريالي واليهودي، ففي هذا المشروع يتسع هامش الوظيفة التي يقوم بها الصهاينة اليهود، أكثر بما لايقاس بوظيفتهم على هامش المشروع الفرنسي، الذي يحصر تلك الوظيفة ويقوننها على مقاس طموحات نابليون، وكذلك الحل النازي الذي وظف اليهود لصالح صعوده بشكل مؤقت ومن ثم وجد أن إبادتهم -لليهود- هو الحل النهائي والشامل لـ «المسألة اليهودية» برمتها.

التحول الكبير الذي طرأ على المسألة اليهودية تمثل في تحويلها من مسألة إجتماعية دينية إلى مسألة سياسية، وكان هذا التحول ثمرة للشراكة بين «صهيونية

الأغيار»و «الصهيونية اليهودية»، الذي تجسد في الالتقاء حول الحل الصهيوني القاضي بتهجير يهود العالم إلى فلسطين وإقامة «وطن قومي» لهم فيها، وممارسة دور ووظيفة في خدمة المراكز الامبريالية على إختلافها. هذا الحل ثم تجسيده عبر محطات مختلفة أهمها وعد بلفور(١٩١٧)، الذي شكل البيئة المناسبة لاندلاع الصراع العربي -الصهيوني بشكله العنيف، هذا الصراع أنتج في مراحله المختلفة إضافة إلى الحروب والمآسي،ما يمكن تسميته بـ«المسألة العربية»، وفي سياقها «المسألة الفلسطينية». وإعادة إنتاج المسألة اليهودية بمسمى جديد هو «المسألة الاسرائيلية».

ومنذ إندلاعه مر الصراع العربي - الصهيوني، بمراحل مختلفة وفي كل مرحلة من مراحلة، إختلفت أشكالة، وكذلك الحال بالنسبة للأطراف المنخرطة فيه. ويمكننا تلمس ست مراحل، لكل واحدة منها سماتها وميزاتها الخاصة التي تميزها عن سابقتها والتي تليها. وتمتد المرحلة الأولى قرابة العقدين من الزمن (١٨٩٧-١٩١٧)، وخلالها تحددت الملامح الأولية للصراع بتحديد الخطوط الأساسية للمشروع الصهيوني في فلسطين والتعبير عن ذلك من خلال صياغة «وعد بلفور»، واضافة إلى ذلك تحدد البعد الدولي للصراع من خلال كون «وعد بلفور» بحد ذاته نتاجاً وثمرة لالتقاء مصالح ومخططات القوى الكبرى آنذاك مع مصالح الحركة الصهيونية العالمية. وفي الجهة المقابلة شهدت هذه الفترة بداية عملية تبلور المشروع النهضوي العربي ممثلاً بتشكيل النويات الأولى للحركة القومية العربية، وظهور الأفكار الجنينية الأولى للفكر السياسي العربي.

أما المرحلة الثانية وتمتد لثلاثة عقود من الزمن (١٩١٧-١٩٤٨) فتتميز عن سابقتها بحدوث حالة الاشتباك على مختلف المستويات بين الأطراف المنخرطة بالصراع، إذ شهدت هذه المرحلة بداية التنفيذ العملي والدؤوب للمشروع الصهيوني في فلسطين، اي تبلورت في هذه المرحلة البيئة المناسبة لانفجار الصراع وتحديد الشكل العسكري شكلاً أساسياً لحله. بعد أن استطاعت الحركة الصهيونية بالتحالف مع سلطات الانتداب البريطاني، وعلى هامش عملية تقسيم فلسطين، إن تضع حجر الأساس للمشروع الصهيوني والمتمثل ببناء القوة الضاربة والحامية لـ«القاعدة» التي سيتم فيها وعلى رقعتها بناء ذلك المشروع.

وامتدت المرحلة الثالثة للصراع قرابة عقدين من الزمن، وتم خلالها تكريس واقع «الهزيمة -النكبة». وتم فيها تغييب البعد أو الطرف الفلسطيني المنخرط في الصراع العربي - الصهيوني وإحلال البعد العربي ممثلاً بالأطراف العربية محله، تلك الأطراف ونتيجة لأوضاعها الذاتية وخضوعها لاملاءات الظروف السياسية الموضوعية

والإقليمية المستجدة، وجدت أن التوصل إلى « هدنة » مع إسرائيل وتخفيض بروفيل الصراع معها، هو الشكل الملائم لها. فسارعت تباعاً إلى عقد اتفاقيات هدنة معها. لكن تلك الاتفاقات لم تشكل بالنسبة لأطراف الصراع وخاصة اسرائيل نهاية المطاف للصراع، بل بداية لمرحلة جديدة من مراحله. لذا ونتيجة لحدوث متغيرات إقليمية وعربية تحركت الآلة العسكرية الاسرائيلية لخوض حرب (١٩٥٦) بالتحالف مع بريطانيا وفرنسا.

ثم كانت حرب حزيران (١٩٦٧) التي مثلت نقلة نوعية ثانية في المسار العام للصراع العربي –الصهيوني، وتركت آثاراً عميقة على طبيعة مواقف جميع الأطراف المنخرطة في هذا الصراع، وعلى الصعد والبنى الذاتية كافة.

عقد من الزمن هو مدة المرحلة الرابعة من الصراع العربي – الصهيوني (١٩٦٧–١٩٧٧) ورغم المدة الزمنية القصيرة، إلا إنها شهدت تحرك ومبادرة الأطراف كافة لاحداث نقلات وإطلاق مسارات فرعية في الصراع. فالولايات المتحدة التي استثمرت توصلها إلى عقد شراكة مع الكيان الصهيوني في المرحلة السابقة من الصراع، بادرت ومارست دوراً فاعلاً في صياغة القرار الشهير (٢٤٢) وهيأت الأرضية الملائمة لانطلاق مبادرات لتسوية الصراع العربي – الصهيوني على قاعدة الإيحاء مباشرة ومداورة بكون التسوية تشكل « بديلاً » لحالة « الصراع ».

كما حدث خلال هذه الفترة، حالة إنقسام سياسي داخل الكيان الصهيوني حول عملية مرحلة تجسيدالمشروع الصهيوني، إذ برز مبدأ « وحدانية الشعب اليهودي » ومبدأ « تكامل أرض اسرائيل »وعلى اساسهما تبلورت مشاريع التسوية من طراز مشروع آلون ومشروع بيغن.

وعلى الجانب العربي، بادر الفلسطينيون إلى لعب دور بارز من خلال تأطير حركتهم الوطنية ومأسستها وصياغة مشروعهم التحرري المعبر بـ « الميثاق الوطني الفلسطيني »لكن وبعد سنوات قليلة، عمدت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية إلى التجاوب مع أجواء الطروحات السياسية المتعلقة بتسوية الصراع وعبرت عن ذلك ببرنامج « النقاط العشر » الشهير، الذي كرس توجهاً سياسياً جديداً كان في أحد جوانبه أحد ثمار هزيمة المقاومة الفلسطينية في عمان، وفي الآن ذاته مدخلاً للانخراط في الحرب الأهلية اللبنانية.

كما بادرت سوريا ومصر إلى خوض حرب (١٩٧٣) بفعل عسكري متميز أسهم بدوره في إنتاج « تضامن عربي » من طراز خاص، سرعان ما تمت عملية تجميده في أعقاب إندلاع الحرب الأهلية اللبنانية وزيارة الرئيس المصري أنور السادات إلى

القدس.

وكان هذا منعطفاً أساسياً من الرفض المطلق والمبدئي للاعتراف بوجود الكيان الصهيوني إلى القبول المشروط بذلك وعلى اسس مختلفة متفاوته في بروفيلها.

المرحلة الخامسة من الصراع (١٩٧٧-١٩٩٠) شكلت إختباراً لنتائج ومعطيات المرحلة السابقة، لكن التيار السياسي التسووي تعرض لعدد من الانتكاسات سواء من قبل الخروقات الاسرائيلية التي حدثت على صعيد العلاقة مع مصر وعلى صعيد جنوح قيادة هذا الكيان نحو الإمعان في استخدام الألة العسكرية في محيطها الاقليمي القريب والبعيد على السواء. وخصوصاً تنفيذ عملية «سلامة الجليل» عام (١٩٨٢)،وأيضاً الانتكاسات التي واجهها هذا التيار لدى محاولته تعميم نموذج المعاهدة المصرية - الاسرائيلية على الواقع اللبناني بصيغة ١٧/أيار الشهيرة. وأيضاً باندلاع الانتفاضة الفلسطينية أواخر العام (١٩٨٧)، إذاشكلت فعلاً مقاوماً متميزاً أربك أنصار التسوية على مختلف مواقعهم وإنتماءاتهم.

أما المرحلة السادسة (١٩٩٠-١٩٩٤)، التي بدأت مع انعقاد مؤتمر مدريد، الذي جاء نتيجة لمبادرة الولايات المتحدة لتسوية الصراع بناء على المتغيرات العالمية والاقليمية التي حدثت قبل حرب الخليج الثانية وبعدها. فشهدت وخلال مدة قصيرة، التوصل إلى اتفاقية «غزة-اريحا،أولاً» وإلى إنهاء حالة «الحرب» بين الأردن والكيان الصهيوني. وذلك بالتوازي مع تسارع عملية الترويج لبيئة إقليمية جديدة تتلائم مع «عهد السلام» العتيد، والسمة الرئيسية لهذة المرحلة تثبيت لحجر الزاوية في العلاقات الاسرائيلية -العربية الرسمية، على أساس أشمل وأعم من الاسس التي قامت عليها العلاقات الاسرائيلية -المصرية.

خلال مراحل الصراع العربي - الصهيوني هذه بقي جوهر المشروع الصهيوني ثابتاً، ولم يتعرض لتحولات بنيوية جذرية، فكون هذا الجوهر يمثل ثكنة استيطانية وإمتداداً للمركز الامبريالي، وثباته على هذه الحال، كان هو المحرك لاستمرار عملية تهويد فلسطين أرضاً وشعباً وسوقاً، وفي الآن ذاته الحفاظ على الآلة العسكرية الاسرائيلية بسماتها وتفوقها «النوعي» على قريناتها العربيات، جاهزة للقيام بالوظيفة المنوطة بها بهدف التحكم بحركة الأمة العربية عبر المزج بين وسائل مختلفة تتراوح ما بين السحق العسكري، والتطويع السياسي والتخريب الاقتصادي والتزييف الفكري.

والتسوية الراهنة هي استمرار للصراع العربي - الصهيوني واستكمالاً للصراع، ونتيجة لاملاءات المركز الامبريالي وضغوطه التي استجابت لها الكيان الصهيوني وفي نيته إصرار على محاولة إعادة صياغة شروط التسوية ومتطلباتها بما يتلائم والمرحلة

التي وصلت إليها عملية إنجاز الشق اليهودي من المشروع الصهيوني، الذي مازال ينمو على هامش المشروع الصهيوني العام في شقه الامبريالي. بينما استجابت الأطراف العربية للتسوية على قاعدة أزمتها وهزيمتها. وعلى العموم لم تنطلق عملية تسوية الصراع من أرضية تبلور الأوضاع الذاتية للأطراف المنخرطة فيها، بحيث تكون معبرة عن ضرورة موضوعية، تمليها المرحلة التاريخية التي تمر بها شعوب المنطقة. هذه التسوية يبدو أنها عمقت أزمة الوضع العربي برمته. فهذه التسوية تؤسس لحروب جديدة، كونها لا تمثل تطوراً دراماتيكياً طرأ على مسار الصراع وأحدث تغييراً جذرياً في جوهره. ولم تتجمع دلائل كافية تؤكد وقوع التغيير الجذري. فالسلوك التفاوضي الاسرائيلي سواء تمتع بمباركة المعارضة اليمينية والدينية أونال شجبها وادانتها، لا يؤشر صراحة إلى إنتفاء حالة العداء تجاه الفلسطينين والعرب. إذ نجد على سبيل المثال لا حصر أن رئيس الوزراء الاسرائيلي وغيره من القيادات الاسرائيلية تعلن جهاراً احتقارها وعدم ثقتها باقطاب سلطةالحكم الذاتي في غزة واريحا، كما تقزم وتحور القضايا التفاوضيةمحل الخلاف معه وتخلط بين مفاهيم السيادة والشرعية وجوهر القضايا المكونة للصراع.

وبوصلة المفاوض الاسرائيلي على المسار السوري، تتمثل في توفير الامن على الصعيدين الاستراتيجي والمرحلي لاسرائيل.لذلك يطرح هذا المفاوض تعبيرات ومفاهيم ضبابية من طراز الانسحاب في الجولان اوعلى الجولان احياناً. ويحاول استعارة نموذج الانسحاب من شبه جزيرة سيناء لتطبيقه على هضبة الجولان. وكذلك الحال مع بعض التعديلات على صعيد المسار اللبناني.

ويمكن القول بإختصار ان الإسرائيليين ليسوا على قناعة تامة بان الصراع العربي - الصهيوني قد انتهى إلى غير رجعة، فهم بسلوكهم اليومي ومراقبتهم واشرافهم على عملية تنفيذ إتفاق غزة - أريحا أولاً يضعون الخطط اللازمة لاعادة إحتلال مناطق الحكم الذاتي من جديد إن دعتهم الضرورة إلى فعل ذلك. وفي ذلك الوقت سيكون هذا الإتفاق بالنسبة لهم أمراً وكانه لم يكن.

وإن إستقامت التسويات الشرق أوسطية وكتب لها الإنجاز باشكال مختلفة وحسب مصلحة وفهم الإدارة الأمريكية، فإن تغير شكل الصراع مع بقاء جوهره ثابتاً سيدفع منطقةالشرق الأوسط نحو شفير درب جديد للالام، إذ ان الشكل الاقتصادي للصراع سيعمق صراع شمال - جنوب الذي إتضح إلى درجة لا لبس فيها أنه جوهر الصراع العالمي. وفي الآن ذاته لن يبقى معزولاً عن أبعاده الإجتماعية والايديولوجية وحتى السياسية التي لم تختف نهائياً.

ونشيرإلى درجة التشابك بين الصراع العربي - الصهيوني والصراع العالمي لا ترجح إمكانية نجاح الحلول ذاتها عالجت بعض الصراعات العالمية أو الإقليمية. إذ لا يمكن الفصل بين الصراع «في» الشرق الأوسط مابين أطرافه الراهنه وبين الصراع «على»الشرق الأوسط. فالصراع «على» الشرق الأوسط هوأساس الصراع العربي - الصهيوني .وما حدث على صعيد تسويته لم يتعد حدود تغيير شكل الصراع وحرفه عن مساره أو تجميده عند مرحلة معينة، وهذا لن يقود إلى الإعتقاد ان الصراع قد انتهى أو أصبح قاب قوسين أو أدنى من ذلك، بل أن مستقبله مفتوح وقد ترافقه صراعات ونزاعات أخرى. فنتاج التسوية الراهنة يمكن اعتباره اخطر من الحرب ذاتها، وتكاليفها باهظة ومردودها شر مستطير.

بناء على ما سبق، إن حل المسألة اليهودية، ومواجهة الحل الصهيوني لها الذي يتخذ شكل إستعمار صهيوني موظف في خدمة المراكز الامبريالية، أنتج الصراع العربي - الصهيوني، يستلزم أولاً نشر وعي سليم لهذا الصراع فهو الكفيل بتهيئة البيئة العربية لحل هذا الصراع، هذا الحل الذي سيستلزم موضوعياً تفكيك الكيان الصهيوني، وهذاتحقيقه ممكن من خلال تكامل مسارين أولهما يتحرك باتجاه تحقيق وحدة الأمه العربية واستقلالها الفعلي وتقدمها الاجتماعي الكفيل بتحويل الوجود اليهودي في المنطقة العربية إلى حقيقة إجتماعية لاسياسية عنصرية. أما المسار الثاني فيتحرك تحت تأثير المسار الأول نحو تخلي الكتلة البشرية الاستيطانية في فلسطين عن صهيونيتها، وخروجها عن إرادة الذين حولوا اليهود إلى أداة موظفة في خدمة المشاريع الاستعمارية على اختلاف مسمياتها، لكونهم - أي اليهود - عانوا تاريخياً وتحديداً منذ اندلاع العربي - الصهيوني، الكثير من المآسي، وفي الآن ذاته قاموا بدور الجلاد إزاء الشعب الفلسطيني والأمة العربية التي ليست مسؤولة باي حال من الأحوال عما آلت إليه أوضاع اليهود سواء في أوروبا التي أنتجت المسألة اليهودية، وعن الوضع الشاذ للكيان الصهيوني في قلب المنطقة العربية.

إن احتمالات قيام ردة يهودية على الصهيونية ليست أمراً طوباوياً، بل يمكن تحقيقه تحت تأثير تشكل واقع حضاري عربي، لا يمكن للصهاينة مواجهته كونهم لا يمثلون بذاتهم حضارة لها أبعاد إنسانية يسعون إلى نشرها.

*مصادر وهوامش الجزء الثالث

١- محمود عباس، الصهيونية بداية ونهاية، مكان وتاريخ النشرغير محدد، لكن من المعروف أنه صدر عام ١٩٧٧،ص٨٦/ ٨٧

٢- المصدر السابق .ص٧٥

٣- المصدر السابق ص١٣٦/ ١٣٧

٤- المصدر السابق ص١٤٢-١٥٥

٥- المصدر السابق،إنظر التفاصيل ص١٧٩-١٨٩

٦- نزية قورة، المشروع الصهيوني في مواجهة ازمته الداخلية، مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، دمشق تاريخ النشر غير مذكور، ص٥١

٧- المصدر السابق ص٥٢ .

٨- المصدر السابق ص٦٠ .

٩- المصدر السابق ص٨٧.

١٠- د. أسعد عبد الرحمن، عودة العرب اليهود: المسالةوالحل، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (٥٩)، تموز/آب/أيلول ١٩٧٦، ص١٠١

١١- المصدر السابق ص١٠١-١٠٢

١٢- المصدر السابق ذاته.

١٣- المصدر السابق ص١٠٦ .

١٤- المصدر السابق ص١٠٧ .

١٥- عباس علي الشامي، يهود اليمن قبل الصهينة وبعدها، مكان النشر غير مذكور، صنعاء ١٩٨٨، ص١٨

١٦- النشرة اليومية عن الصحافة الاسرائيلية، ٢٩/ ٧/ ١٩٧٧ .

١٧- النشرة اليومية عن الصحافة الاسرائيلية، ٢٧/ ٨ ١٩٧٩ .

١٨- النشرة اليومية عن الصحافة الاسرائيلية،٩/ ١٠/ ١٩٧٩ .

١٩- صحيفة «السفير»، بيروت، ٢٠/ ٤/ ١٩٩٣ .

٢٠- د. عبد الوهاب المسيري، الايديولوجية الصهيونية، دراسة حالة في علم الاجتماع المعرفة، طبعة ثانية مزيدة ومنقحة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والاداب، الكويت، حزيران ١٩٨٨،ص١٣ .

٢١- المصدر السابق ص١٨-١٩ .

٢٢- المصدر السابق ص٢٢ .

٢٣- المصدر السابق ص١٤ .

٢٤- المصدر السابق ص٢٧-٢٨ .

٢٥- المصدر السابق ص٢٩ .

٢٦- عباس شبلاق، حول شعور العداء لليهود في الدولة العربية، مناقشة لوجهات النظر السائدة، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد (٢) ربيع (١٩٩٠)،ص٩٠ .

٢٧- المصدر السابق ص٨٢ .

٢٨- S.D. Goitein, "Jews and Arabs, Their contacts through the ages, Scho cken Books, New York, 5th printing, 1970, page 19

٢٩- عباس شبلاق، مصدر سابق ص٨٣ .

٣٠- د. أمين عبد اللة محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الاولى، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، شباط (١٩٨٤)، ص١٣ .

٣١- المصدر السابق ص١٥ .

٣٢- المصدر السابق ص١٧ .

٣٣- جوزيف سماحة، سلام عابر. .نحو حل عربي لـ «المسالة اليهودية»، دار النهار للنشر، بيروت (١٩٩٣)، ص٢٣ .

٣٤- د. عبد الوهاب المسيري، هجرة اليهود السوفييت، الحلقة السابعة «الجماعات اليهودية تحت ظلال الثورة البلشفية، صحيفة «القبس»، الكويت ٢٦/٤/١٩٩٠ .

٣٥- المصدر السابق ذاته .

٣٦- جوزيف سماحة، مصدر سابق ص٢٦ .

٣٧- د. عبد الوهاب المسيري، الايديولوجية الصهيونية، مصدر سابق ص١١٢-٢١٢ .

٣٨- حول التشابه بين الصهيونية والنازية، انظر المصدر السابق ص٢١٤-٢١٦ .

٣٩- المصدر السابق ص٢١٧ .

٤٠- د. عبد الوهاب المسيري، نهاية التاريخ. دراسة في بنية الفكر الصهيوني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت طبعة أولى ١٩٧٩،ص١٠ .

٤١- المصدر السابق ص١١ .

٤٢- المصدر السابق ص١٦-١٧ .

٤٣- د. عبد الوهاب المسيري، الاستعمار الصهيوني وتطبيع الشخصية اليهودية، دراسات في بعض المفاهيم الصهيونية والممارسات الاسرائيلية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، (١٩٩٠)، ص١٧.

٤٤- المصدر السابق، ص٢٠.

٤٥- المصدر السابق، ص٢٣-٢٤

٤٦- المصدر السابق ص٤٠

٤٧- د. المسيري، الايديولوجية الصهيونية، مصدر سابق ص٩٦-٩٧.

٤٨- المصدر السابق ص٩٩-١٠٠.

٤٩- المصدر السابق ص٢٢٩-٢٣٠.

٥٠- جوزيف سماحة، سلام عابر...، مصدر سابق ص٢١.

٥١- المصدر السابق ص٢٧-٢٨.

٥٢- د. المسيري الايديولوجية الصهيونية، مصدر سابق ص٢٦٢

٥٣- د. المسيري، نهاية التاريخ، مصدر سابق ص٦٠-٦١.

٥٤- المصدر السابق ص٧٠.

٥٥- المصدر السابق ص٧١.

٥٦- د. إلياس شوفاني، المشروع الصهيوني وتهويد فلسطين، مركز الدراسات الفلسطينية، دمشق ١٩٩٠،ص٣٧.

٥٧- جوزيف سماحة، مصدر سابق، ص٢٢-٢٨.

٥٨- لمزيد من التفاصيل حول مختلف المساعدات الاوروبية والاميركية التي قدمت لاسرائيل وساهمت في تشكيل بنيتها الاقتصادية والامنية راجع دراستنا المنشورة في مجلة الأرض العدد (١٠)، تشرين الاول (١٩٩٢).

٥٩- S.D. Goiten , Jews and Arabs, مصدر سبق ذكره ص٥

٦٠- المصدر السابق ص١٠-١١.

٦١- عباس شبلاق، حول شعور العداء لليهود في الدول العربية، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد (٢) ربيع (١٩٩٠).ص٨٥-٨٦.

٦٢- المصدر السابق ص٩٦-٩٧.

٦٣- جوزيف سماحة، مصدر سابق ص٦٠.

٦٤- د. اسعد رزوق، مقالات في الصهيونية الحديثة، دار الحمراء للطباعة والنشر بيروت

(١٩٩٠)، ص٥٥.

٦٥- سماحة، مصدر سبق ذكره.

٦٦- د. إلياس شوفاني، التسوية في نظر اسرائيل إستكمال للصراع وليس بديلاً عنه، مجلة النور، لندن، العدد (٤٦) آذار (١٩٩٥) ص٣١-٣٢.

٦٧- د. المسيري، الاستعمار الصهيوني، مصدر سابق ص٧-٨.

٦٨- المصدر السابق ص٨-٩-١٠.

٦٩- يهوشا فاط حراكابي، الاستراتيجيات العربية وردود الفعل الاسرائيلية، ترجمة احمد الشهابي، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت، تاريخ الاصدار غير مذكور، ص١٦٠-١٦١.

٧٠- د. المسيري، الاستعمار الصهيوني، مصدر سابق ص٨٧-٨٨.

٧١- المصدر السابق ص٩٠.

٧٢- د. أسعد رزوق، مصدر سابق ص١٨٥.

٧٣- جوزيف سماحة، مصدر سابق ص١٩.

٧٤- المصدر السابق ص٢٠-٢١.

٧٥- المصدر السابق ص٢٢.

٧٦- المصدر السابق ص١١٤.

٧٧- المصدر السابق ص١٤١.

٧٨- المصدر السابق ص١٤٣-١٤.

خـــاتمــــة

بعد أن قدمنا في الجزء الأول صورة شاملة لأوضاع اليهود في شتى أقطار الوطن العربي، وموقعهم في المجتمعات العربية، والتحولات التي طرأت على وجودهم فيها حتى الوقت الراهن. وبعد أن سلطنا الأضواء في الجزء الثاني على الدور الذي مارسته الحركة الصهيونية بين صفوف يهود البلاد العربية وتهجيرهم إلى فلسطين، وعلى صورتهم بعد ذلك داخل الكيان الصهيوني من خلال الكشف عن كيفية تعاطي النظام السياسي الاسرائيلي معهم، وما نتج عنه من مسألة هوية الكيان وصراع الطوائف داخله (الاشكناز والسفارديم). إضافة إلى بحثنا في الحلول التي طرحت لحل «المسألة اليهودية»، إلى جانب معالجة فكرة «نزوح العودة». وتقديمنا لملامح الحل العربي لهذه المسألة، وهو في الآن ذاته أساس حل الصراع الصهيوني –العربي. نجد أن خروج يهود الكيان الصهيوني عن إدارة صهيونيتهم، المترافق مع خروج الأمة العربية من حالة الهزيمة. كلا الخروجين يكمل بعضها الآخر ويفضي إلى حل المسألة اليهودية حلاً شاملاً ونهائياً. إذ أن تفكيك «الغيتو الصهيوني الجديد» في الشرق الأوسط، يعتبر شرطاً ضرورياً ولازماً، لاخراج الشرق الأوسط ويهوده من اسار صراع معقد حضاري في جوهره. وقدرة الأمة العربية على انتاج حضارة عربية قادرة على التصادم مع الحضارة الغربية التي يعتقد أنها قد دخلت طور الانهيار، هي الان قدرة كامنة يمكن إطلاقها وإخراجها إلى حيز الوجود في حال إنعدام وغياب معوقات ذلك الخروج المتمثلة في الصراع العربي – الصهيوني الذي أدى إلى إهدار الطاقات الهائلة للامة العربية، هذا الهدر الذي تم أيضاً في ظل وجود نخب حاكمة في الشرق الاوسط لم تمتلك سوى وعياً زائفاً للصراع، وتماهت مع أعداء شعوبها، ولم تستند بفعالية إلى شعوبها في رفض محاولات الهيمنة واستعباد الأمة العربية.

تلك هي صورة اليهود في الشرق الأوسط، وصورة الخروج الأخير من الغيتو الشرق أوسطي الجديد. فمتى تنطلق عملية الخروج من ظلام العبودية والصهينة نحو فضاء حضارة إنسانية جديدة ؟.

هذا الخروج لا يشكل عملية تسوية الصراع العربي – الصهيوني الراهنة رغم "تقدمها" في بعض مساراتها، لن تشكل ممراً مناسباً له، إذ أن هكذا تسوية تتجاهل جملة من الثوابت الصهيونية التي لم يتنكر لها قادة الكيان الصهيوني وليس في نيتهم فعل ذلك سواء في المستقبل المنظور أو المتوسط أو البعيد، فلن يكون هذا الكيان في يوم من الأيام بمثابة "اسرائيل بلا صهيونية" ولن يتخلى عن صهيونيته التي

ليست بالقشرة البرانية التي يمكن انتزاعها والتضحية بها مقابل "محاسن" التسوية وكذلك الحال بالنسبة للآلة العسكرية الصهيونية، وأيضاً للعلاقة مع يهود الشتات إذ أن "الجالوت" - النفي - سيتحول ومعاداة السامية كحافز إلى الانتقال إلى حالة صهيونية جديدة. وهذا هو المقصود بـ "سلب الجالوت" أي تجاوز المنفى عن طريق الاستعانة بوجود العداء للسامية. كما أن هذه التسوية ستؤدي إلى حالة دمج جوهري بين الاعتبارات السياسية واليهودية في جميع أوجه نشاط الكيان الصهيوني الداخلية والخارجية على حد السواء ولن يكون هناك فصل بين "اسرائيل" والصهيونية بل ستكون هنالك معادلة جديدة محفزة لقادة الكيان الصهيوني لبسط فهمهم للسلام الصهيوني، وتلك المعادلة على الشكل التالي:

العداء للسامية = العداء للصهيونية = العداء لاسرائيل = العداء للتسوية

لذا يمكن القول أن التسوية الراهنة هي وفي نظر قادة الكيان الصهيوني استكمال للصراع وليست بديلاً عنه، فقبولهم - غير المتوفر- أن تكون التسوية بديلاً للصراع تشترط توفر عدة معطيات أهمها التنكر للصهيونية والتخلي عنها وهذا الأمر غير مقبول لديهم إذ أنه سيعمق الأزمة الاستراتيجية التي يعاني منها الكيان الصهيوني، الناجمة عن اختلال التوازن في عملية تثبيت ركائز المشروع الصهيوني وخاصة ركائز وأسس الشق اليهودي منه. هذا الاختلال في حال عدم معالجته سيؤدي احتمالات مصيرية منها : اندلاع حرب أهلية بين الجماعات الأثنية اليهودية المكونة للكيان الصهيوني، وارتفاع حدة التوتر بين العلمانيين والمتدينين داخل هذا الكيان، أي إلى تفتيت هويته التي هي صهيونية أساساً وغيابها سيجر الأمور إلى "مسادا جديدة" وانهيار ما يسمى بـ "الهيكل الثالث".

كما أن هذه التسوية ستعيق لا محالة أي استقرار حقيقي في المنطقة العربية وستؤدي إلى توليد الصراع العربي - الصهيوني بصيغ وأشكال جديدة تتمحور كما في العقود السابقة من الزمن ليس حول الوجود لجماعة بشرية تمتلك مقومات الأمة فحسب بل جوهر هذا الوجود وهويته ووظيفته. وفوق ذلك ستمنع هكذا تسوية كما الحرب امكانية تبلور تشكيل حضاري عربي قادر على لعب دور حضاري وانساني في مواجهة تشكيل حضاري غربي لم يخرج البشرية من طور البربرية والعنصرية بل أعاد انتاجها بصيغ جديدة معدلة من طراز الصهيونية.

ملحـــــق

الصحف اليهودية والصهيونية
في البلاد العربية
النشأة.. المسار.. والأهداف؟!

يعتبر العام (١٨٦٣) بداية لظهور الصحافة اليهودية في البلاد العربية، في حين يعتبر العام (١٨٩٨) بداية لظهور الصحافة الصهيونية، بما تحمله من مضامين وافكار تعبر صراحة عن الايديولوجيا الصهيونية واهدافها وخاصة المتعلقة بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، يمثل في الآن ذاته حلاً لـ « المسألة اليهودية ».

ونظراً لوجود تمايز واضح بين الصحافة اليهودية والصحافة الصهيونية، باعتبار الأولى نتاجاً لتطور المجتمع الذي عاش اليهود بين ظهرانيه وارتباطهم بقضاياه ومشكلات تطوره العمودي والافقي. واعتبار الصحافة الأخيرة (الصهيونية)، صحافة وافدة وموجهة، مرتبطة مباشرة بالمنظمة الصهيونية العالمية وفروعها المختلفة في البلاد العربية. سنفصل في بحثنا هذا بين هاتين الصحافتين، ونعرض لنشأة وتطور وموضوعات كل منهما على حدة لاستخلاص دور كل واحدة بين جمهورها اليهودي أولاً والعربي ثانياً. دون التطرق إلى أساليب العمل الصحافي اليهودي والصهيوني والقضايا الفنية الصحفية من حيث الشكل الاخراجي وعدد صفحات المجلات والصحف اليهودية والصهيونية، إذ ان هذه الأمور خارج سياق الأهداف العامة لهذا البحث.

***الصحافة اليهودية ... لا مبالاة بالصهيونية !!**

كما ذكرنا اعلاه، يعود صدور أول صحيفة يهودية في البلاد العربية إلى العام (١٨٦٣)، حيث ظهرت في العراق صحيفة « هادوفر » الناطقة باللغتين العربية والعبرية، والتي اهتمت بشؤون الطائفة اليهودية. ومثل ظهورها تعبيراً عن اهتمام يهود العراق بالطباعة، وامتلاكهم لعدد هام من المطابع من أهمها: مطبعة « ميخور » ومطبعة « دنكور ». وقد سبق ظهور « هادوفر » صدور كتاب مطبوع باللغة العبرية في العام (١٨٥٥). وإضافة إلى ذلك وفي سياق تطور أوضاع اليهود في العراق في كافة المجالات ومنها الطباعة وتجارة الورق ظهرت في العراق عام (١٩١٠) مجلة عبرية تدعى « Jeshurum » تبعتها في الصدور مجلة أخرى تدعى « هامجيد Hamaggid » . ولدى تصاعد وتطور سيطرة اليهود على الطباعة وكثرة المطابع اليهودية مثل: مطبعة « ايشاع »، والتجارية، والمطبعة الوطنية، وشركة الطباعة والتجارة المحدودة لصاحبها الصحفي والمحامي « أنور شاؤول »، التي تعتبر اكبر مؤسسة للطباعة في العراق (آنذاك). نتيجة لهذا صدرت عدة مجلات وصحف يهودية اهتمت بشؤون اليهود والشؤون الاقتصادية للعراق مثل « النشرة الاقتصادية »، و« الحاصد » و« الدليل »، و« البرهان »، و« بريد العراق »، ظهرت جميعها في مدينة بغداد في حين ظهرت في مدينة البصرة دورية « دليل العائلة ».

ولم يكتف يهود العراق باصدار صحف ومجلات خاصة بهم، بل امتد نشاطهم الاعلامي إلى ميدان الصحافة العربية سواء منها الحزبية أو الخاصة. ففي مجالات الصحافة الحزبية سيطر « نعيم

قطان» على صحافة الحزب الوطني الديمقراطي. وكان المسؤول عن تحرير المقال الافتتاحي لجريدة «صوت الأهالي». واشراف «مراد المعماري» على السياسة الخارجية في الصحيفة الناطقة بلسان الحزب. كما اشرف الصحفي اليهودي جاكسون على جريدة «التيمز Times» العراقية وبرز أيضاً الصحفي «سليم بصون» الذي عمل في عدة صحف عربية، مثل صحيفتي: «الشعب» و«البلاد».

وكذلك كان حال الصحافة اليهودية في مصر. إذ يعود صدور أول صحيفة يهودية في مصر إلى العام (١٨٧٧)، إذ ظهرت صحيفة «أبو نضارة زرقا»، وهي صحيفة هزلية فكاهية، لصاحبها «يعقوب بن صنوع». وقد صدر (١٥) عدداً منها في مصر قبل انتقالها إلى باريس، وفي تلك الأعداد قدم ابن صنوع نقداً للحياة الاجتماعية والسياسية في البلاد. واستطاع تجاوز قرار الحكومة المصرية بمنع دخول الصحيفة إلى البلاد، من خلال إصدار صحيفته تحت أسماء مختلفة مثل: «رحلة أبي نضارة زرقا» و«أبو نضارة مصر للمصريين» و«الحاوي» و«التودد» و«المنصف».

ونظراً لحساسية موضوعاتها وعلاقتها المباشرة بشؤون مصر، اعتبرت موضوعات وأفكار صحيفة «أبو نضارة» منبراً فرنسياً وذلك لترويجها لافكار مؤيدة للسياسة الفرنسية إزاء مصر. في حين اعتبرها اخرون مجرد وسيلة للارتزاق استخدمها ابن صنوع الذي ايد الأفكار الصهيونية إلا انه لم ينشر شيئاً في صحيفته عن الصهيونية.

وكانت صحيفة «الكوكب المصري» ثاني صحيفة يهودية تصدر في مصر. وقد أصدرها «موسى كاستيلي» صاحب المطبعة المشهورة -المطبعة الكاستيلية- وصحيفته هي صحيفة سياسية علمية ادبية تجارية، عمرت لمدة اربع سنوات من عام (١٨٧٩ - ١٨٨٣).

اما صحيفة «الميمون» الادبية الفكاهية فقد صدرت عام (١٨٨٩) باللغة العربية الفصحى والعامية. وقصد من وراء اصدارها الكسب المادي فقط. في حين اهتمت صحيفة «الحقيقة» التي صدرت في الأسكندرية في العام ذاته بالمسائل اليهودية، فمنذ صدورها بدات في نشر قصة مسلسلة امتدت لعشرين عدداً تحت عنوان «السلسبيل في اسرار بني اسرائيل» وتتحدث عن الاضطهاد والعنف اللذين يتعرض لهما اليهود في الشتات بعيداً عن أرض آبائهم واجدادهم، وعن الاضطهاد الذي لاقوه على يد بختنصر. كما اهتمت هذه الصحيفة بنشر اخبار اليهود سواء في مصر أو باقي دول العالم.

وفي عام (١٨٩٠) اصدر يهود مصر صحيفة «نهضة اسرائيل» بدون رخصة رسمية في بداية الأمر، واخذت الصحيفة تنشر بعض مباحث دينية وتاريخية، اعترض عليها حاخام باشي الطائفة اليهودية في القاهرة، وبعض عقلاء واعيان الطائفة لما ينشا عن هذه المباحث من حركة الخواطر التمسوا من نظارة الداخلية المصرية ان تامر باقفالها، فاجابت النظارة التماسهم، وخصوصاً ان الصحيفة لم تصدر وفقاً لقانون المطبوعات.

كذلك اصدر «دافيد يارص» صحيفة «اليانصيب» عام (١٨٩٤)، واصدر «سليم رومانو»

صحيفة «حظ الحياة» سنة (١٨٩٥). وأصدر «زكي وروفائيل كوهين» صحيفة «النصيب» عام (١٨٩٨).

وعلى العموم لم يول يهود مصر إصدار صحف طائفية خاصة بهم عناية كبيرة خلال الفترة التي سبقت انعقاد مؤتمر بال عام (١٨٩٧) باستثناء صحيفة «الحقيقة»، وصحيفة «نهضة اسرائيل» التي تخصصت في الشؤون اليهودية. وتلتها في درجة الاهتمام مجلة «التهذيب» الناطقة بالعربية لمحررها «مراد فرج» أحد أعضاء اللجنة الملية للطائفة اليهودية. وإضافة إلى ذلك اهتمت «التهذيب» بنشر أخبار طوائف القرائين في العالم لايجاد شبه رابطة معنوية وروحية بين قرائي مصر وباقي القرائين في العالم. ودافعت عن اليهود ضد تهمة الدم التي التصقت بهم، وجلبت عليهم كثير من الاحيان الاعتداءات من الناس الذين يعيشون بين ظهرانيهم وعمدت إلى تنفيذ الأسس التي يستند عليها أولئك المدعون في اتهامهم. وشاركت «التهذيب» في تناول الشؤون المصرية، ولكن كانت المشاركة بقدر ضئيل وهامشي، اقتصرت على تهنئة المسلمين بأعيادهم ومناسباتهم الدينية.

وقد أدى تعرض «التهذيب» للحديث عن الفروق بين المذهب القرائي والمذهب الرباني، وطبيعة العلاقة بين اليهود الربانيين واليهود القرائين إلى ان تقدمت طائفة الربانيين بشكاوى إلى المسؤولين في الطائفة الأخرى من ان «التهذيب» تتعرض لهم، وتذكر من مذهبهم مالا يحبون، فما كان من المجلة إلا ان بادرت على الفور إلى الاعتذار، وإلى التأكيد على أنها لم تقصد سوى مجرد البحث الطاهر والعلم الشريف.

وقد حدثت خلال الفترة التي ظهرت فيها «التهذيب» نزاعات طويلة بين اللجنة الملية للطائفة و«فرج يعقوب شماس» و«موسى ابراهيم منشه» حول يانصيب المدرسة الخيرية لطائفة القرائين فاصدر الأخيران صحيفة باسم «اظهار الحقيقة» هاجم فيها اللجنة الملية و«مراد فرج» مما دفع حاخام الطائفة إلى التقدم بشكوى إلى نيابة محكمة مصر الابتدائية ضد الصحيفة بسبب ما فيها من قبائح ولكن تمت تسوية المسألة فاحتجبت الصحيفة عن الظهور.

وتتالت لاحقاً عملية صدور الصحف اليهودية ففي عام (١٩٣٧) مثلاً أصدرت «جمعية الشبان القرائين» بالقاهرة مجلة «الشبان القرائين» Les Jaunesses Karaimes باللغتين العربية والفرنسية وتولى إدارتها ورئاسة تحريرها «توفيق ابراهيم عبد الواحد». وكانت تصدر مرتين في الشهر، وهدفت موضوعاتها إلى العمل على نهضة الطائفة ورقيها، واظهار «القومية اليهودية» خالدة مخلدة، وتكوين وحدة ورابطة قومية للطائفة القرائية، وايجاد رابطة متينة بين القرائين في مصر والقرائين في شتى بقاع العالم والعمل على الاتصال بهم أدبياً وفكرياً.

واصدر «إبراهيم يعقوب مزراحي» الشهير بـ«البرت مزراحي» عام (١٩٤٤) صحيفة «التسعيرة» وهي صحيفة اسبوعية سياسية جامعة خاصة بنشر تسعيرة المواد التموينية. ويذكر

«مزراحي» أنه ما إن صدر من «التسعيرة» سبعة اعداد حتى بلغ عدد المشتركين فيها خلال هذه الفترة القصيرة نحو أربعة عشر ألفاً كلهم من التجار وأصحاب المصانع والشركات الذين يهمهم إقتناء التسعيرة ولكنه إضطر إلى إغلاق باب الاشتراكات إبتداءاً من العدد الثاني عشر إسكاتاً لمن ادعوا انه يسلك سبلاً غير شريفة في الحصول على الاشتراكات. وتحولت «التسعيرة» فيما بعد إلى صحيفة فكاهية هزلية، ولكنها لم تستمر في هذه اللهجة الساخرة طويلاً. اذ عادت إلى الصدور كجريدة سياسية إنتقادية عام (١٩٤٦). وخاضت الجدل الذي كان دائراً حول النشاط الصهيوني في مصر وحول مشكلة فلسطين، ومنذ البداية اوضحت الصحيفة انها ضد فكرة تدخل اليهود المصريين في مشكلة الوطن القومي وناشدتهم الابتعاد عن تلك المشكلة حتى تظل العلاقات بينهم وبين مواطنيهم المصريين على ما هي من متانة وإخلاص متبادل. اي ان هذه الصحيفة انتهجت خطاً معادياً للصهيونية. وواصلت «التسعيرة» الصدور حتى عام (١٩٥٤) إلى ان صدر القرار الوزاري رقم (٦٤) بشأن عدم إنتظام بعض الجرائد والمجلات ومن بينها صحيفة «التسعيرة».

وسارت مجلة «الكليم» التي اصدرتها «جمعيةالشبان الاسرائيلين القرائين» السير على الطريق ذاته الذي سارت عليه مجلة «الشبان القرائين» لجهة التعبير عن شؤون طائفة القرائين وتعزيز الروابط مع طائفة الربانيين. وبعد قيام الكيان الصهيوني استمرت «الكليم» في الصدور وتجاهل الموضوعات المتعلقة بـ«الوطن القومي» واستمرت في الصدور حتى شهر نيسان (١٩٥٦)، مرة كل شهر بدلاً من مرتين ثم توقفت عن الصدور إعتباراً من ٤/٥/١٩٥٧، وذلك لسحب تامينها بناء على طلب اصحابها.

اما صحيفة «الصراحة» التي صدرت عام (١٩٥٠) فتعتبر ثاني صحيفة يوميةيصدرها يهودي في مصر – صول مزراحي – وهي صحيفة يومية سياسية وفدية، إنتقدت حكومة الوفد، لكنها تجاهلت احداث الثورة المصرية.

كما صدرت صحف يهودية أخرى في كل من فلسطين ولبنان مثل: صحيفة «الاخبار» التي صدرت في يافا، وصحيفة «العالم الاسرائيلي» في بيروت، لصاحبها «سليم المن».

وعلى العموم، يمكن القول ان عدداً من الصحف اليهودية، صدر قبل وبعد ظهور الحركة الصهيونية، في مختلف البلاد العربية، إلا ان هذا الامر انحصر في العراق ومصر بالدرجة الاولى وفلسطين ولبنان بدرجات هامشية. ولجهة موضوعاتها فقد اهتمت بشؤون اليهود ولم تبد اهتماماً بالافكار الصهيونية. اما اللغة التي استخدمتها فكانت خليطاً من العربية والعبرية والفرنسية وفي بعض الاحيان كانت تحمل لغات مزدوجة او متعددة. وهذا ما يظهره الجدول التالي الذي يسلط الضوء على الصحافة اليهودية

جدول يبين نشوء واهتمامات أهم الصحف والمجلات اليهودية الصادرة مابين (١٨٦٣- ١٩٥٠)

الرقم	الصحيفة / المجلة	رمان الصدور	المكان	صاحبها / الجهة المصدرة	لغتها	اهتماماتها
١	هادوفر	١٨٦٣	بغداد	–	عبرية – عربية	شؤون الطائفة
٢	هحفتصيليت (الزنبق)	١٨٦٥	فلسطين	–	العبرية	عامة
٣	أبو نظارة زرقا	١٨٧٧	القاهرة	يعقوب بن صنوع	العربية	هزلية فكاهية
٤	«هلفانون» جبل لبنان	–	لبنان	–	العبرية	عامة
٥	الكوكب المصري	١٨٧٩	القاهرة	موسى كاستيلي	العربية	سياسية علمية أدبية
٦	الميمون	١٨٨٩	القاهرة	موسى كاستيلي	العربية	فكاهية أدبية
٧	الحقيقة	١٨٨٩	الاسكندرية	فرج مزراحي	العربية	علمية أدبية تاريخية
٨	نهضة اسرائيل	١٨٩٠	القاهرة	–	العربية	الأبحاث الدينية التاريخية
٩	اليانصيب	١٨٩٤	القاهرة	–	العربية	شؤون الطائفة
١٠	حظ الحياة	١٨٩٥	القاهرة	سليم رومانو	العربية	شؤون الطائفة
١١	النصيب	١٨٩٨	القاهرة	روفائيل كوهين	العبرية	شؤون الطائفة
١٢	العائلة	١٨٩٩	القاهرة	استير مويال	العبرية	شؤون الطائفة
١٣	هامجيد	١٩٠٠	بغداد	–	العبرية	شؤون الطائفة
١٤	التهذيب	١٩٠١	القاهرة	مراد فرج	العربية	شؤون الطائفة
١٥	مصر	١٩٠٤	القاهرة	اسحاق كارمونا	العربية	شؤون الطائفة
١٦	المستقبل L'independent	١٩٠٧	تونس	–	الفرنسية	شؤون الطائفة
١٧	المدافع Le defenseur	١٩٠٨	تونس	نسيم حداد وليكتور سالوم	الفرنسية	شؤون الطائفة
١٨	العدالة Le Justice	١٩٠٨	تونس	ماروخي سماجة	الفرنسية	شؤون الطائفة
١٩	الارشاد	١٩٠٨	القاهرة	فرج سليم ليشع	العربية	شؤون الطائفة
٢٠	العصا	؟	القاهرة	افراهام جالانتي	العبرية / اللادينو	شؤون الطائفة
٢١	Jeshurum	١٩١٠	بغداد	–	العبرية	شؤون الطائفة
٢٢	اسرائيل	١٩١٠	القاهرة	–	عربي عبري فرنسي	شؤون الطائفة
٢٣	المجلة الاسرائيلية لمصر	١٩١٢	الاسكندرية	جمعية أصدقاء الثقافة العبرية	الفرنسية	ثقافية عامة
٢٤	النهضة اليهودية	١٩١٢	القاهرة	–	الفرنسية	شؤون الطائفة
٢٥	الأخبار	١٩١٣	يافا	استير مويال	العربية	شؤون الطائفة
٢٦	اسرائيل	١٩٢٠	القاهرة / الاسكندرية	ماتيلدا موصيري	عربي عبري فرنسي	شؤون الطائفة
٢٧	النجمة اليهودية	١٩٢٠	تونس	–	–	–
٢٨	العالم الاسرائيلي	١٩٢١	بيروت	سليم المن	العربية	شؤون الطائفة
٢٩	الأخبار الماسونية	١٩٢٤	القاهرة	موسى جرونشتين	العربية	ثقافية عامة
٣٠	الاتحاد الاسرائيلي	١٩٢٤	القاهرة	طائفة القرائين	العربية	شؤون الطائفة
٣١	فلسطين	١٩٢٤	القاهرة	لوسيان سيكوتو	الفرنسية	سياسية
٣٢	الحياة اليهودية	١٩٢٦	القاهرة	–	الفرنسية	شؤون الطائفة
٣٣	التلفون	١٩٢٧	القاهرة	ايلي عزرا كوهيلا	العربية والفرنسية	شؤون الطائفة
٣٤	الوطن	١٩٢٨	القاهرة	–	العربية	–

تابع الجدول

الرقم	الصحيفة / المجلة	زمان الصدور	المكان	صاحبها/ الجهة المصدرة	لغتها	اهتماماتها
٣٥	البريد اليهودي	١٩٢٨	بغداد	–	العربية	–
٣٦	العدد اليهودي	١٩٢٨	البصرة	–	العربية	–
٣٧	انفور ماسيون	١٩٢٩	الاسكندرية	ايلي بوليتي	الفرنسية	شؤون الطائفة
٣٨	الصوت اليهودي	١٩٣١	الاسكندرية	البيرت سترانسلسكي	الفرنسية	شؤون الطائفة
٣٩	البرهان	الثلاثينات	بغداد	–	العبرية	شؤون الطائفة
٤٠	الحاصد	الثلاثينات	بغداد	–	العبرية	اقتصادية
٤١	الدليل	الثلاثينات	بغداد	–	العبرية	اقتصادية
٤٢	النشرة الاقتصادية	الثلاثينات	بغداد	–	العربية	اقتصادية
٤٣	بريد العراق	الثلاثينات	بغداد	–	العربية	عامة جامعة
٤٤	دليل العائلة	الثلاثينات	البصرة	–	العبرية	شؤون الطائفة
٤٥	كاديما «إلى الامام»	١٩٣٦	القاهرة	–	العربية	شؤون الطائفة
٤٦	المنبر اليهودي	١٩٣٦	الاسكندرية	مندل كلكشتين	الفرنسية	
٤٧	الشبان القرائين	١٩٣٧	القاهرة	جمعية الشبان القرائين	العربية والفرنسية	شؤون القرائين
٤٨	التسعيرة	١٩٤٤	القاهرة	البيرت مزراحي	العربية	اقتصادية عامة
٤٩	الكليم	١٩٤٥	القاهرة	جمعية الشبان القرائين	العربية	اقتصادية ثقافية
٥٠	الكاتب المصري	١٩٤٥	القاهرة	اخوان هراري	العربية	ثقافية سياسية
٥١	المصباح	١٩٤٦	القاهرة	البيرت مزراحي	العربية	
٥٢	الصراحة	١٩٥٠	القاهرة	صول مزراحي	العربية	–

*الصحافة الصهيونية .. بوق ايديولوجي موّجه ... !!

بالمقابل يعود ظهور اول صحيفة صهيونية إلى العام (١٨٩٨) إذ صدرت صحيفة In-formation، الناطقة بالفرنسية وقبل عرض نشاة هذا النوع من الصحافة نشير إلى ان صدور طائفة كبيرة من الصحف الصهيونية يعود إلى تصاعد النشاط الصهيوني في البلاد العربية، وتشكل مؤسسات صهيونية عديدة في مختلف البلاد العربية، ارتبطت مباشرة أو مواربة بالمنظمة الصهيونية العالمية. ففي مصر، يعود تاسيس اول جمعية صهيونية - جمعية بركوخبا الصهيونية التي راسها «جاك هارملين»، وشغل منصب سكرتيرها «جوزيف ليبوفيتش. وكان ذلك في القاهرة وكان معظم اعضاء هذه الجمعية من الاشكنازيم. وتاسست فروع لها في عدد من المدن المصرية مثل الاسكندرية وبور سعيد وطنطا والمنصورة.

وخلال عقد ونيف من الزمن (١٩٠٠-١٩١٢) تاسست في القاهرة فقط حوالي (٨) جمعيات صهيونية من بينها: «جمعية ابناء صهيون» «Peny Zion» و«جمعية الادب العبري» و«جمعية احباء صهيون»، و«لجنة التنسيق الصهيونية» و«دائرة هرتزل». في حين بلغ عدد

الجمعيات الصهيونية التي تأسست في مدينة الاسكندرية ما بين عامي (١٨٩٨-١٩١٣) نحو (٧) جمعيات صهيونية من أشهرها الجمعية التي أسسها شارلي بغدادلي في الاسكندرية وتحولت فيما بعد إلى فرع لجمعية بركوخبا الصهيونية، و«جمعية أمل صهيون»، و«جمعية عمال صهيون»، و«جمعية زئير زيون»، و«الاتحاد الصهيوني» الذي ظهر عام (١٩١٣) وضم غالبية الجمعيات السابقة، وذلك للتخلص من الشرذمة التنظيمية التي كانت سائدة ولتركيز النشاط الصهيوني في مصر للحصول على نتائج إيجابية بالنسبة للمنظمة الصهيونية العالمية.

وفي الفترة اللاحقة والممتدة ما بين (١٩١٣-١٩٤٣)، تم فك وتركيب الجمعيات الصهيونية الكبيرة «كالاتحاد الصهيوني» مرات عديدة، وظهرت منظمات صهيونية جديدة مثل: «منظمة الصهيونيين المصريين» التي أسسها «ليون كاسترو» الذي شغل منصب سكرتير لجنتها المركزية، بينما شغل منصب رئيسها جاك موصيري. كما أنه وبعد مؤتمر «سان ريمو» تأسست في القاهرة لوحدها (٥) جمعيات صهيون. وعاد في العام (١٩٤٣) «الاتحاد الصهيوني» للظهور كحاضنة تنظيمية لمختلف التنظيمات والجمعيات الصهيونية العاملة في مصر.

هذا النشاط الصهيوني الملحوظ في مصر، وفي خضم المتغيرات السياسية التي مرت بها البلاد في مراحل مختلفة، ظهرت الصحف الصهيونية. ففي البداية أصدرت جمعية بركوخبا الصهيونية صحيفة «التهذيب» وصحيفة «الرسول الصهيوني»، وصحيفة «مباسرت زيون» خلال عامي (١٩٠١-١٩٠٢) في كل من القاهرة والاسكندرية. وفي عام (١٩١١) أصدر «نسيم ملول» صحيفة «السلام» في القاهرة وهي ناطقة باللغة الفرنسية على غرار الصحف السابقة. وفي عام (١٩٢٤) أصدر «ليون كاسترو» صحيفة «الحرية» في القاهرة باللغة الفرنسية، وهو ذاته الذي سبق أن أصدر عام (١٩١٨) المجلة الصهيونية La Revue Sioniste لتكون لسان حال المنظمة الصهيونية التي أسسها في مصر.

أما صحيفة «الشمس» الشهيرة فقد صدرت في ١٤/٩/١٩٣٤ كجريدة اسبوعية جامعة، لصاحبها ورئيس تحريرها المسؤول سعد يعقوب مالكي، وهي صحيفة ناطقة باللغة العربية. ونذكر أن رئيس تحريرها كان متمتعاً بالحماية الايطالية. وحاولت «الشمس» التغطية بداية على أهدافها وهويتها الصهيونية بادعاء صاحبها أنها: تهدف إلى نشر الفضيلة والثقافة ومحاربة الفساد حرصاً على سلامة المجتمع المصري. والعناية بشؤون الطائفة اليهودية، والمحافظة على كيان اليهود كشرقيين من الاضمحلال نتيجة لفقدانهم لغتهم العربية.

وقد استعانت «الشمس» في تحريرها إلى جانب الكتاب اليهود المصريين ببعض الكتاب الصهاينة في فلسطين امثال إبراهيم المالح رئيس المجلس المالي بالقدس، والياس ساسون، وإيزاك (اسحق) شموس، وهما من موظفي الوكالة اليهودية عملا كمراسلين للصحيفة، وموسى شرتوك رئيس القسم السياسي بالوكالة اليهودية.

وتناغمت «الشمس» في موضوعاتها مع أهداف الصهيونية ومع مراحل الصراع في فلسطين خلال عهد الانتداب البريطاني وبعده، فقد بدات هذه الصحيفة عام (١٩٤٧) بمطالبة بريطانيا بالجلاء عن فلسطين لانها لا تملك أداة تنفيذ توصيات لجنة الامم المتحدة. التي دعت إلى تقسيم فلسطين إلى: دولة عربية ودولة يهودية ومنطقة دولية تشمل القدس والاماكن المقدسة – وعلى بريطانيا أن تترك فلسطين وديعة في أيدي الأمم المتحدة.

وبعد نشوب حرب فلسطين تجاهلت صحيفة «الشمس» هذه الحرب تماماً وإقتصرت المواد التي كانت تنشرها بعد إعلان إنشاء دولة إسرائيل على أمور تتعلق بالدين اليهودي فقط ومسائل اخرى لا علاقة لها بفلسطين خوفاً من السخط العربي.

وادعت «الشمس» أن للصهيونية في فلسطين غايتين «نبيلتين» هما: خلاص اليهود من موقفهم الصعب في المجتمع الاوربي، والمجيء بهم إلى هذا البلد ليحيوا تحت سمائه حياة حرة كريمة. والعمل يداً واحدة مع عرب فلسطين بما يعود على الوطن القومي وأهله بالخير. لذا عملت «الشمس» على دعم عملية الهجرة إلى فلسطين وتشجيعها. وزعمت أن الهجرة اليهودية تؤدي إلى زيادة عدد السكان العرب على عكس ما يدعيه معارضوها وذلك لأن المهاجرين علموا العربي العيشة الصحية والنظام في حياته مما أدى إلى انخفاض نسبة الوفيات فقد كان عدد العرب في فلسطين عام (١٩١٩) حوالي (٤٥٧) ألف عربي ارتفع عام (١٩٢٢) إلى (٥٩٠) الفاً ثم وصل إلى (٧٩٤) الفاً عام (١٩٣١). وفوق ذلك نشرت «الشمس» عرضاً لكتاب صدر في فلسطين يحوي تفصيلات عن الأموال التي تدفقت على فلسطين منذ الاحتلال البريطاني حتى نهاية عام (١٩٣٩)، واستنتجت من تفصيلات هذا الكتاب أن سر التقدم السريع في فلسطين يرجع إلى سيل الأموال الجارف الذي جره اليهود إلى البلاد حيث بلغ مجموع الاموال التي وظفها اليهود خلال (٣٢) سنة في شراء الأراضي والزراعة والبناء وإنشاء المعامل، بلغ (١٠٥) ملايين جنيه.

ونتيجة للشكاوى التي رفعتها للحكومة المصرية جامعة الدول العربية ضد صحيفة «الشمس» واتهامها بانها تدأب على الطعن في رجال العروبة والجامعة العربية والدس للقضايا العربية عامة والدعوة إلى تأييد مطامع الصهيونية في القطر الشقيق (فلسطين)، وبانها تصدر بأموال الحركة الصهيونية في مصر، لكل هذه الاسباب أصدرت الرقابة العامة المصرية بتعطيل «الشمس» إعتباراً من ١١/٦/١٩٤٨ ومصادرة جميع نسخها، التي قد تكون موجودة أعداد منها في المكاتب او بأيدي الباعة.

أما في تونس، فقد صدر فيها في الفترة الواقعة ما بين (١٨٩٧) وأوائل عقد الخمسينات من القرن الحالي أكثر من (٣٠) جريدة يهودية ذات إنتماء صهيوني واضح. ولم تجد هنالك سوى صحف قليلة يهودية الطابع فقط. واغلب الصحف الصهيونية التي صدرت في تلك الفترة صحف ناطقة باللغة الفرنسية، وتعتبر لسان حال المنظمات الصهيونية التي تشكلت في تونس، والتي

كانت في الوقت ذاته (المنظمات) فروعاً للتيارات التي حفلت بها الحركة الصهيونية ومن تلك المنظمات نذكر: منظمة الاغودات اسرائيل والاغودات صهيون، واومان، واوهافي صهيون، وباركوخبا، وبحوري صهيون، وبرو صيون، ومجمع الدراسات والتوثيق اليهودي، والحزب الصهيوني التنقيحي الموحد (فرع تونس)، والشبيبة الصهيونية التونسية، وعمال مزراحي (فرع تونس)، والصندوق التاسيسي اليهودي (فرع تونس)، والفيدرالية الصهيونية التونسية والمابام (فرع تونس)، والماباي (فرع تونس)، والهاتكفاه، والويزو (فرع تونس)، والهاشومير هاتسعير، واليوشبات صيون.

وقد اختلفت اعمار الصحف الصهيونية وتوقيت صدورها وشكله فكانت اسبوعية تارة اولى ونصف شهرية تارة ثانية وشهرية تارة ثالثة وغير منتظمة تارة رابعة. ومن أهم تلك الصحف نذكر صحيفة «البستان» التي صدرت عام (١٩٠٤) واستمرت لمدة عامين في الصدور، وكانت ناطقة باللغتين العبرية والعربية. وكذلك صحيفة «الاتحاد» التي ظهرت عام (١٩٠٤) أيضاً، وصحيفة «الصباح» الشهيرة التي صدرت للمرة الأولى عام (١٩٠٤) واستمرت ثلاثة اعوام ثم عادت للصدور ثانية عام (١٩١٢) واستمرت حتى العام (١٩٤٠)، وكانت كسابقاتها تحمل لغة مزدوجة هي العبرية والعربية. وبعد ذلك ظهرت أول صحيفة صهيونية ناطقة بالفرنسية هي «العدالة التونسية» Le JudismTunisien عام (١٩١٢) واستمرت لمدة عامين أيضاً. وتلتها في الصدور صحف اخرى مزدوجة اللغة عبرية عربية او فرنسية، ففي العام (١٩١٤) ظهرت صحيفة «تونس» Tunisia وبعد اعوام قليلة تبدل اسمها واصبح «L,Egalite» ، واستمرت في الصدور حتى عام (١٩٣٩). وعلى المسار ذاته سارت صحف صهيونية اخرى مثل صحيفة «الصوت اليهودي» La voix Juive التي صدرت عام (١٩٢٠)، وصحيفة «صوت اسرائيل» Lavoix D, Israel التي صدرت عام (١٩٢٠) واستمرت في الصدور حتى العام (١٩٢٧) ثم توقفت لتعود في الصدور عام (١٩٢٩) لتستمر عاماً واحداً فقط.

اما صحيفة «كاديما» - إلى الامام - La Kadima فقد ظهرت عام (١٩٣٣) واستمرت في الصدور لمدة عام أيضاً وهي ناطقة باللغة الفرنسية. وتبعتها في الصدور صحيفة Le Haloutz (١٩٣٣) وصحيفة «Tel Aviv» (١٩٣٦)، ومجلة «اسرائيل» التي ظهرت عام (١٩٣٨) لمدة عام وعادت للصدور عام (١٩٤٥) للتوقف عن الصدور نهاية في العام (١٩٥١).

وكما ذكرنا اعلاه فقد كانت الصحف الصهيونية بمثابة صحف حزبية تعبر عن لسان فروع للتيارات الصهيونية التي تواجدت في تونس، ومنها: التيار التنقيحي، والتيار الصهيوني العام، والتيار المزراحي والتيار الاشتراكي الديمقراطي وتيار الهاشومير ها تسعير والتيار الخيري. لكن أهم

هذه التيارات تياران إثنان هما: التيارالتنقيحي والتيار الصهيوني العام. وكانت جريدة «اليقظة اليهودية» Le Reveil Juif معبرة عن هذا الاتجاه الأول لفترة قصيرة، لتتصدى فيما بعد جريدة «إلى الامام» La Kadima لمهمة التعبير عن هذا التيار الصهيوني في العام (١٩٣٣) لكنها لم تعمر طويلاً بسبب تردي أوضاعها المالية. وتخلي صاحبها عن الكتابة للصندوق القومي اليهودي (فرع تونس).

وقد عمل الصهاينة التنقيحيون من خلال جريدتي «اليقظة اليهودية» و«إلى الأمام» على تنشيط الهجرة اليهودية إلى فلسطين، إلا انه لم يستجب لهم في الفترة بين (١٩٣٢-١٩٣٩) سوى (٩٠) شخصاً اي بزيادة قدرها (٣٠) شخصاً بالمقارنة مع الذين هاجروا قبل العام (١٩٣٢) وهذا ما دفع احد التنقيحيين للتشائم وتانيب اليهود المتقاعسين بلهجة متشنجة وللكتابة في جريدة «اليقظة اليهودية» ما يلي: «ان يهود تونس بصفتهم إحدى قبائل اسرائيل لا يريدون المشاركة بقسطهم في إعادة تعمير أرض اسرائيل، الا تباً لشبابنا اليهودي في تونس وصفاقس وسوسة، وتباً لمثقفينا الذين يعتقدون انهم محور العالم، وتباً ليهودنا المصرفيين وقناصي الصفقات الذين ترزح كواهلهم تحت اثقال النفاق والمراوغة».

وقد كان دور الصحافة الصهيونية مكملاً للدور الذي انتجته اللاسامية المدعومة من السلطة السياسية الحاكمة، ودور التعليم، وفشل حركة المطالبة بالمواطنة الفرنسية. وكل ذلك ادى إلى تعميق الوعي الصهيوني لدى يهود تونس.

وإضافة للصحف الصهيونية التي صدرت في تونس، ظهرت في الجزائر والمغرب صحف صهيونية ايضاً من بينها «In formation Juive» التي صدرت في الجزائر عام (١٨٩٨) وصحيفة «الحرية» التي ظهرت في الدار البيضاء عام (١٩٢٦) وهي صحيفة ناطقة باللغة الفرنسية.

وفي المشرق العربي ظهرت صحف صهيونية موازية لكن بنبرة صهيونية غامضة وغير مباشرة مثل صحيفتي «السلام» و«تجارة الشرق»، اللتين اصدرهما كل من: سليم المن وتوفيق مزراحي على التوالي وباللغة الفرنسية ايضاً، في فترات مختلفة من الزمن.

ولدى المقارنة بين الصحف الصهيونية، نجد ان الأولى بلغ عددها التقريبي حوالي (٥٢) صحيفة وجريدة تمركزت وازدهرت في بلدان المشرق العربي (العراق، لبنان، مصر) بالدرجة الأولى فيما اهتمت الصحف الصهيونية (الثانية) بتجمعات اليهود في دول المغرب العربي، إذ صدرت فيها اكثر من (٣٣) صحيفة صهيونية تحت اشراف وتمويل الجمعيات الصهيونية المعبرة عن تيارات في الحركة الصهيرنية في فترات مختلفة من الزمن. وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

الصحف والمجلات والنشرات الصهيونية الصادرة مابين (١٨٩٨ - ١٩٥٠)

الرقم	الصحيفة / المجلة النشرة	زمان الصدور	المكان	صاحبها الجهة المصدرة	لغتها	اهتماماتها
١	In formaion Juive	١٨٩٨	الجزائر	جمعيات صهيونية	الفرنسية	الافكار الصهيونية
٢	الصدى اليهودي L'Echo Juif	١٨٩٨	الجزائر	جمعيات صهيونية	الفرنسية	الافكار الصهيونية
٣	الحرية La Liberte	١٩٠١	طنجة	جمعيات صهيونية	الفرنسية	الافكار الصهيونية
٤	El - Eco Israelite	١٩٠١	طنجة	جمعيات صهيونية	الفرنسية	الافكار الصهيونية
٥	التهذيب	١٩٠١	القاهرة	جمعية بركوخبا	العربية	يهودية وصهيونية
٦	الرسول الصهيوني	١٩٠١	الاسكندرية	جمعية بركوخبا	الفرنسية	يهودية وصهيونية
٧	مباسرت زيون	١٩٠٢	الاسكندرية	جمعية بركوخبا	الفرنسية	يهودية وصهيونية
٨	البستلن	١٩٠٤	تونس	–	الفرنسية	صهيونية لا سامية
٩	الاتحاد	١٩٠٤	تونس	–	الفرنسية	صهيونية
١٠	الصباح	١٩٠٤	تونس	يعقوب كوهين	الفرنسية	صهيونية
١١	السلام	١٩١١	القاهرة	نسيم ملول	الفرنسية	صهيونية لا سامية
١٢	صوت صهيون La Voix De Sion	١٩١١	تونس	الاغودات صهيون	الفرنسية	صهيونية
١٣	مجلة تونس Tunis Revue	١٩١١	تونس	منظمة اليوشبات صهيون	الفرنسية	صهيونية
١٤	La Judaism Tunisien	١٩١٢	تونس	جمعية صهيونية خارجية	الفرنسية	صهيونية
١٥	مبشرات صهيون	١٩١٣	تونس	جمعية صهيونية خارجية	عبرية عربية	صهيونية
١٦	Tunisia (Legalite)	١٩١٤	تونس	جمعية صهيونية خارجية	الفرنسية	صهيونية
١٧	المجلة الصهيونية	١٩١٨	القاهرة	ليون كاسترو	الفرنسية	صهيونية
١٨	متسرايم (مصر)	١٩١٩	القاهرة	–	العربية	صهيونية
١٩	La voix Juive	١٩٢٠	تونس	جمعيات صهيونية	الفرنسية	صهيونية
٢٠	La voix D' Israel	١٩٢٠	تونس	التيار الصهيوني العام	الفرنسية	صهيونية
٢١	كل صهيون Kol sion	١٩٢٠	تونس	الاغودات	الفرنسية	صهيونية
٢٢	La Civi lisation	١٩٢٠	تونس	–	العبرية	صهيونية
٢٣	L Averir Sioniste	١٩٢٢	تونس	–	الفرنسية	صهيونية
٢٤	La Revue Israelite	١٩٢٤	تونس	–	الفرنسية	صهيونية
٢٥	الحرية La Liberte	١٩٢٤	القاهرة	ليون كاسترو	الفرنسية	صهيونية
٢٦	المستقبل المشرق Laverir Tllustre	١٩٢٦	الدار البيضاء	يوناثان طورش	الفرنسية	صهيونية
٢٧	L'oEuvre Israelite	١٩٢٦	تونس	التيار الصهيوني العام	الفرنسية	صهيونية
٢٨	La voix D' Israel	١٩٢٩	تونس	التيار الصهيوني العام	الفرنسية	صهيونية
٢٩	Le Petit Matin	–	تونس	–	الفرنسية	صهيونية
٣٠	الصخرة العبرية La voix Juive	١٩٣١	الاسكندرية	البرت سطاروسلسكي	الفرنسية	صهيونية

تابع الجدول السابق

الرقم	الصحيفة / المجلة	زمان الصدور	المكان	صاحبها / الجهة المصدرة	لغتها	اهتماماتها
٣١	الاتحاد المغربي Union Maracaine	١٩٣١	المغرب	التيار التنظيمي	الفرنسية	الهجرة الصهيونية
٣٢	الصوت اليهودي	١٩٣١	الاسكندرية	-	الفرنسية	شؤون الطائفة
٣٣	L' Aurore	١٩٣٣	تونس	-	الفرنسية	الافكار الصهيونية
٣٤	إلى الامام La Kadima	١٩٣٣	تونس	التيار التنظيمي	الفرنسية	البرنامج الصهيوني
٣٥	Le Haloutz	١٩٣٣	تونس	-	الفرنسية	صهيونية الاتجاه
٣٦	الشمس	١٩٣٤	القاهرة	سعد يعقوب	العربية	صهيونية سياسية
٣٧	Tal Aviv	١٩٣٦	تونس	مالكي	الفرنسية	صهيونية
٣٨	La nouvelle Aurore	١٩٣٦	تونس	-	الفرنسية	صهيونية
٣٩	La Semain Juive	١٩٣٧	تونس	-	الفرنسية	صهيونية
٤٠	Les Cahiers Du Betar	١٩٣٧	تونس	-	الفرنسية	صهيونية
٤١	La Gazette D' Israel	١٩٣٨	تونس	-	الفرنسية	صهيونية
٤٢	La Voix Juive	١٩٤٣	تونس	-	الفرنسية	صهيونية
٤٣	السلام	١٩٤٦	بيروت	سليم المن	الفرنسية	صهيونية
٤٤	تجارة الشرق	١٩٤٦	بيروت	توفيق مزراحي	الفرنسية	صهيونية
٤٥	Les Wouvelles Juives	١٩٥٠	تونس	-	الفرنسية	صهيونية

إجمالاً، يمكن القول ان الاتجاه العام للصحافة اليهودية عبر عن إهتمام اليهود الاصليين للبلاد العربية بقضاياهم الخاصة المتعلقة بشؤون الطائفة الدينية والأجتماعية والتربوية إضافة إلى الشؤون الاقتصادية، والشؤون العامة للبلاد، واعرب بعض حاخامات الطوائف اليهود في عدة دول عن إنتمائهم للمجتمع العربي الذي يعيشون بين ظهرانية، واظهروا عدم إكتراث بالأفكار الصهيونية.

اما الصحف الصهيونية التي اصدرها في غالب الاحيان اليهود الاشكناز المتمتعون بحماية الدول الاجنبية في الاقطار العربية، والمنضوون اصلاً في منظمات تابعة بشكل مباشر او غير مباشر للمنظمة الصهيونية العالمية، فكانت صحافة حزبية إيديولوجية تؤدي وظيفة البوق الاعلامي وهدفت إلى تعميم الافكار الصهيونية وزرع الشقاق في المجتمعات التي عاش اليهود فيها لدفع يهود تلك المجتمعات للهجرة نحو فلسطين.

كما نلمس تدخل الصحف الصهيونية السافر في شؤون البلاد العربية الداخلية والخارجية فبعض المؤسسات الإعلامية الصهيونية من الباطن واليهودية من الخارج، شوهت قضية فلسطين. وحاولت في مصر على سبيل المثال لا الحصر توجيه الصحافة العربية المصرية او السيطرة عليها من

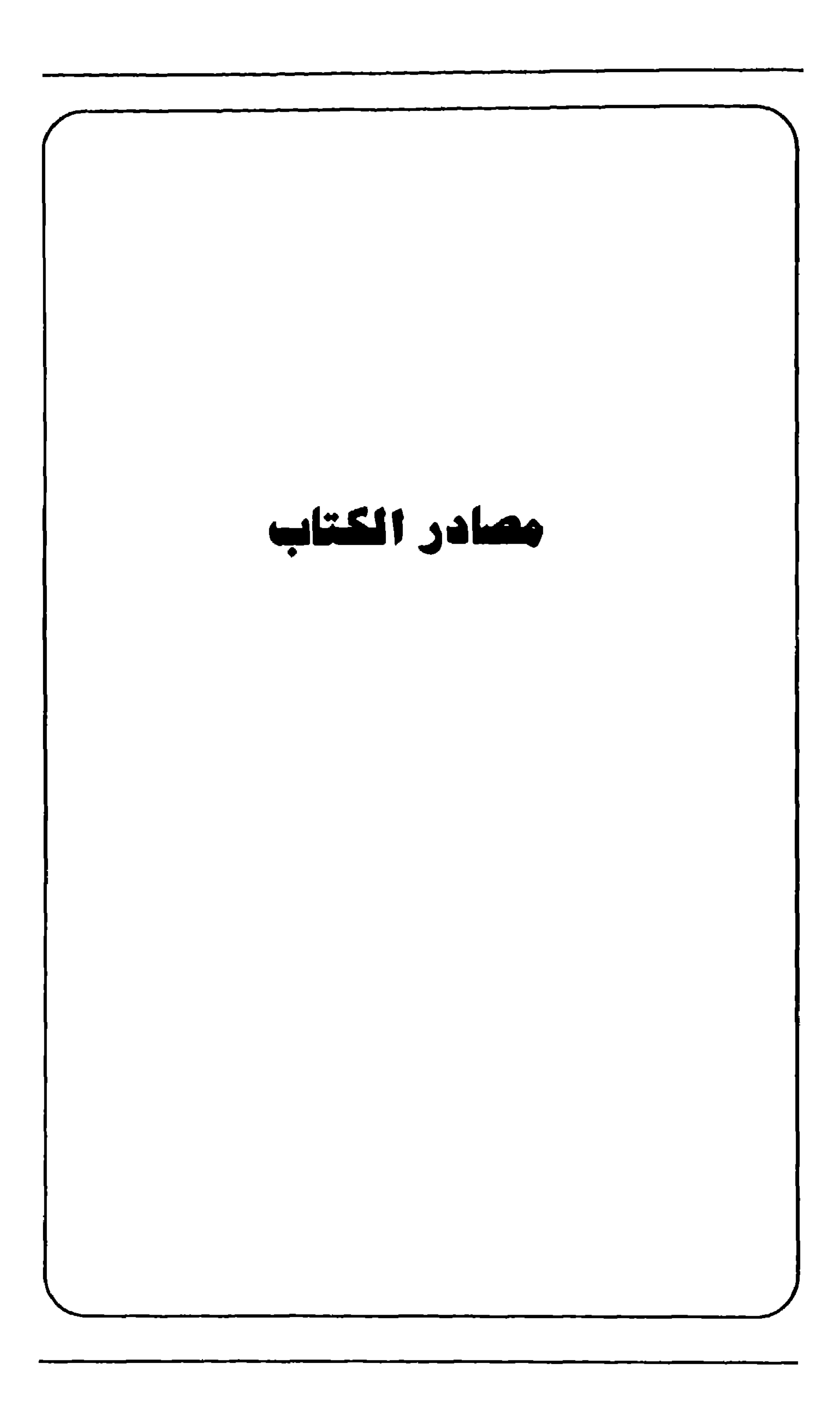
خلال استخدام وسائل ضغط مختلفة من شاكلة الاعلانات والمصروفات السرية عن طريق شراء ذمم «بعض» الصحافيين والكتاب من أهل البلاد. ونذكر هنا الدور الذي قامت به «شركة الأعلانات الشرقية» SOCie`te` Oriental de publicite` –التي كانت مصرية في الظاهرة ويهودية في الباطن – وبرز هذا الدور في دفع مبالغ طائلة لبعض الصحف المصرية مقابل نشر بعض الاعلابات التجارية والمشبوهة لشغل مساحات كبيرة في تلك الصحف وهذا ما حدث مع صحيفة «مصر الفتاة» على سبيل المثال لا الحصر.

ومن أساليب السيطرة أيضاً نذكر، متابعة ما ينشر في الصحف المصرية من معلومات حول اليهود أو مقاولات تدعيم خط بعض الصحف الصهيونية. وهذا ما فعلته صحيفة «الشمس» الصهيونية» التي كانت تعيد نشر مقاولات كاملة نشرتها الصحف المصرية ووجدت فيها ما يدعم خطها. وإضافة إلى ذلك هنالك أسلوب التغلغل في المراكز الصحفية الحساسة في الصحف المصرية وقد نجح بعض الصهاينة في ذلك، ففي «دارالهلال» أكبر مؤسسة صحفية في مصر قبل الثورة كان «البير انكونا» يشغل منصب مدير الأعلانات في هذه الدار، كما كان رئيس للتحرير في مجلة «إيماج Image ، وكذلك كان يشغل منصب مدير الاعلانات في صحيفة «الاهرام» يهودي اسباني يدعى«إيخمان»، وفي صحيفة «الاساس» وجد يهودي آخر يدعى كوهين.

وتتميز الصحف الصهيونية التي برزت في بلدان المغرب العربي وخصوصاً في تونس بانها صهيونية صراحة، وإنقسمت إلى ثلاثة أنواع هي: الصحافة الناطقة بالعبرية والعربية وهي الأكثر إنتشاراً والصحافة الناطقة بالفرنسية وتتشكل قاعدتها من المثقفين. والصحافة ذات اللغات المتعددة كالعربية والعبرية والفرنسية، وهي تحاول أن تكون جسراً بين النوعين السابقين.

ويلاحظ من الجدولين السابقين ورود أسماء متشابهة ومكررة لبعض الصحف اليهودية والصهيونية وهذا لا يعني وجود تكرار بل ان بعض الصحف صدرت وتحمل الاسماء ذاتها في مراحل مختلفة مع إختلاف في توجهاتها أو تشابه في ذلك. وإضافة لذلك يلحظ كثرة عدد الصحف الصهيونية التي صدرت في بعض البلدان العربية واختفائها في بلدان أخرى وهذا لا يعني ان النشاط الصهيوني لم يكن موجوداً بل كان مشكل ذلك النشاط مختلفاً وسرياً في غالب الاحيان، كما اعتمد العنف ضد اليهود والعرب في فترات محدودة على غرار النشاط الصهيوني الارهابي الذي حدث في العراق في الربع الثاني من القرن الحالي.

تلك هي التوجهات العامة للصحف اليهودية والصهيونية التي صدرت خلال الفترة الممتدة ما بين (١٨٦٣– ١٩٥٠). والتمايزات والفروقات فيما بينها تؤكد على ان الفكر الصهيوني فكر وافد إلى البلاد العربية وبين يهود هذه البلاد. وان محاولات خلق «مسالة يهودية» في البلاد العربية، هي محاولات صهيونية مفبركة جاءت في سياق تهجير يهود البلاد العربية نحو فلسطين لتجسيد الافكار الصهيونية واقعاً مادياً قائماً وتهويد فلسطين ارضاً وشعباً وسوقاً.



مصادر الكتاب

*الكتب :

أ- باللغة العربية :

١- إبراهيم، سعد الدين،وآخرون، المجتمع والدولة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨ .

٢- الأشقر، رياض،الاداة العسكرية الاسرائيلية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت، طبعة أولى ١٩٧٩ .

٣- ابن الخوجة، د. محمد الحبيب، يهود المغرب العربي، معهد البحوث والدراسات العربية (جامعة الدول العربية)، القاهرة ١٩٧٣

٤- التيمومي، الهادي، النشاط الصهيوني، بتونس (١٨٩٧-١٩٤٨) تونس ١٩٨٢ .

٥- السوداني، صادق حسن السوداني، النشاط الصهيوني في العراق (١٩١٤-١٩٥٢) منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد ١٩٨٠ .

٦- السعدي، غازي، الاحزاب والحكم في اسرائيل، دار الجليل، عمان، ١٩٨٩ .

٧- الشامي، عباس علي، يهود اليمن قبل الصهينة وبعدها، صنعاء ١٩٨٨ .

٨- المسيري، عبد الوهاب، الايدلوجية الصهيونية،سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت حزيران ١٩٨٨ .

٩- المسيري،د. عبد الوهاب، نهاية التاريخ، دراسة في بنية الفكر الصهيوني المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩ .

١٠- المسيري، د. عبد الوهاب، الاستعمار الاستيطاني وتطبيع الشخصية اليهودية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٩٠ .

١١- تيم، سعيد، النظام السياسي الاسرائيلي، دار الجليل، ودار الاهلية، عمان ١٩٨٨ .

١٢- جديد، فؤاد (ترجمة)، اسرائيل الثانية، المشكلة السفاردية، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت ١٩٨١

١٣- حماد، د. مجدي، النظام السياسي الاستيطاني، دراسة مقارنة بين اسرائيل وجنوب افريقيا، دار الوحدة، بيروت ١٩٨١ .

١٤- خوري- يعقوب، اليهود في البلاد العربية، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٧٠ .

١٥- داوود، احمد، تاريخ سوريا القديم، (تصحيح وتحرير)، دار المستقبل العربي، دمشق،١٩٨٦ .

١٦- رزوق- د. أسعد، في احزاب اسرائيل، مركز الابحاث الفلسطينية. بيروت ١٩٦٦ .

١٧- رزوق، د. اسعد، مقالات في الصهيونية الحديثة، دار الحمراء للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٠.

١٨- سعد، إلياس، الهجرة اليهودية إلى فلسطين، مركز الابحاث (م.ت.ف)، بيروت ١٩٦٩

١٩ سماحة، جوزيف، سلام عابر. نحو حل عربي للمسالة اليهودية، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٩٣.

٢٠- شوفاني، د. الياس، المشروع الصهيوني وتهويد فلسطين، مركز الدراسات الفلسطينية، دمشق ١٩٩٠

٢١- صايغ، هلدا شعبان، التمييز ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل، مركز الابحاث

(م.ت.ف)، بيروت ١٩٧١.
٢٢- عباس، محمود، الصهيونية بداية ونهاية، مكان وزمان النشر غير مذكورين.
٢٣- عبده، علي ابراهيم، وقاسمية د. خيرية، يهود البلاد العربية، مركز الابحاث (م.ت.ف)، بيروت ١٩٧١.
٢٤- عليوه، حسن، القوى السياسية في اسرائيل (١٩٤٨-١٩٦٧) مركز الابحاث (م.ت.ف)، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، طبعة ثانية ١٩٨٨.
٢٥- فهمي، وليم، الهجرة اليهودية إلى فلسطين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤.
٢٦- قورة، نزية، المشروع الصهيوني في مواجهة أزمته الداخلية، مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية، دمشق، تاريخ النشر غير مذكور
٢٧- قهوجي، حبيب، الاحزاب الاسرائيلية والحركات في الكيان الصهيوني، مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية، دمشق، ١٩٨٦
٢٨- قهوجي، متخذو القرارات في الكيان الصهيوني، سلسلة ترجمات رقم (٣)، مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية، دمشق ١٩٨٠.
٢٩- كتن، هنري، فلسطين في ضوء الحق والعدل، ترجمة وريع فلسطين، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٠.
٣٠- محمود، د. امين عبد الله، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الاولى، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، شباط ١٩٨٤.
٣١- نصار، سهام، اليهود المصريين بين المصرية والصهيونية، دار الوحدة، بيروت، ١٩٨٠.

ب- باللغة الانجليزية:

١- Howard R, Penniman , Israel at the Polls, American Enter Prise Institute for publicy , Research, Washington D.C, 1979
٢- Louvsh, Mish , Facts about Israel, Jerusalem, 1970
٣- Perets , Don, The Goverment and Politics of Israel, copyright, 1979 west-view press.
٤- S.D.Goitein, Jews and Arabs, Their Contrcts through the ages, schocken-Books, Newyork, 5th Printing 1970.
٥- Smooha, Sammu, A"Israel: Plurals and conflict", London, Henley Rottedge and kegan paul 1978.

الصحف العربية

١- الشرق الأوسط، ١٩/١١/١٩٩٤
٢- الشرق الاوسط، ٢٣/٨/١٩٩٤
٣- الشرق الاوسط، ٢٠/١١/١٩٩٤

٤- تشرين، ٤/٦/١٩٩١
٦- الشرق الاوسط، ٢١/١١/١٩٩٤
٧- الشرق الاوسط، ٦/١/١٩٩٥
٨- السفير، ٣١/٨/١٩٩٢
٩- الحياة، ١١/١/١٩٩٤
١٠- الشرق الاوسط، ٢/٦/١٩٩٣
١١- السفير، ٢٤/١٢/١٩٩٣
١٢- السفير، ٤/٦/١٩٩٢
١٣- الحياة، ١٨/١٠//١٩٩٤
١٤- النهار، ٢٢/٤/١٩٩٣
١٥- النهار، ٥/٣/١٩٩٤.
١٦- الشرق الاوسط ٦/٣/١٩٩٤
١٧- الحياة ١٩/١٠/١٩٩٤
١٨- الانباء، ١٢/٦/١٩٨٢
١٩- الشرق الاوسط ٢٢/١١/١٩٩٤
٢٠- الشرق الاوسط ٢٣/١١/١٩٩٤
٢١- السفير، ٢٢/١٠/١٩٩١
٢٢- السفير، ١١/٨/١٩٩١
٢٣- القبس، ٢٩/١/١٩٨٥
٢٤- الشرق الاوسط، ٢/٩/١٩٩٣
٢٥- الشرق الاوسط، ١١/٢/١٩٩٤
٢٦- الحياة، ١٢/١١/١٩٩٣
٢٧- الشرق الاوسط٢٤/١١/١٩٩٤
٢٨- القبس، ٣/٢/١٩٨٩
٢٩- السفير، ٨/١/١٩٩٤
٣٠- الشرق الاوسط، ٢٥/١١/١٩٩٤
٣١- السفير، ٢٠/٤/١٩٩٣
٣٢- الشرق الاوسط، ٩/١٢/١٩٩٣
٣٣- الشرق الاوسط، ٢٦/١١/١٩٩٤
٣٤- الانباء، ١٢/٦/١٩٨٢
٣٥- الوطن، ٣/٣/١٩٨٥
٣٦- الحياه، ٨/١/١٩٨٥
٢٧- الديار، ٢٣/٢/١٩٩٢
٢٨- الحياة، ١٥/٧/١٩٩٣
٣٩- الدستور، ٧/٤/١٩٩٢
٤٠- السفير ٢٨/١٠/١٩٨٨

٤١- الدستور، ١٥٥/٣/١٩٩٢
٤٢- السفير ٨/٤/١٩٩٢
٤٣- الدستور، ٢/١١/١٩٨٨
٤٤- القبس ١٢/٦//١٩٨١
٤٥- القبس، ١٩/٨/١٩٨٤
٤٦- القبس ٢١/٦/١٩٨١
٤٧- صوت الشعب، ٢٢/٣/١٩٩٢
٤٨- الحياة، ١١/٤/١٩٩٢
٤٩- الدستور ١/٩/١٩٨٤
٥٠- الدستور، ٢٣/٣/١٩٩٢
٥٢- النهار، ١٩/٣/١٩٩٢
٥٣- الدستور، ٢٠/٦/١٩٩٢
٥٤- صوت الشعب ١٨/٢/١٩٩٢
٥٥- الراي،٢٩/٢/١٩٩٢
٥٦- النهار- ١٩/٢/١٩٩٢
٥٧- الديار ٦/٤/١٩٩٢
٥٨- الراي ١٧/٢/١٩٩٢
٥٩- الراي، ٢٨/٢/١٩٩٢
٦٠-الحياة، ٢٩/٥/١٩٩٢
٦١- الدستور، ٢٨/٤/١٩٩٢
٦٢- الحياة ١٤/٢/١٩٩٢
٦٣- صوت الشعب ١٣/٢/١٩٩٢
٦٤- السفير ١٠/٤/١٩٩٢
٦٥- النهار ١١/٤/١٩٩٢
٦٦- الدستور ٢٨/٤/١٩٩٢
٦٧- السفير ١٠/٤/١٩٩٢
٦٨- الدستور ١٦/٦/١٩٩٢
٦٩- الدستور، ١٦/٦/١٩٩٢
٧٠- الدستور، ١٩//٦/١٩٩٢
٧١- القدس، القدس،٢٢/٦/١٩٩٢
٧٢- الدستور ٢٠/٦/١٩٩٢
٧٣- الدستور ٢٢/٦/١٩٩٢
٧٤- الدستور ٤/٧/١٩٩٢
٧٥- الحياة ٢٥/٦/١٩٩٢
٧٦- الدستور ٥/٧/١٩٩٢
٧٧- الحياة ١٤/١٠/١٩٩٣

٧٨- السفير ١٩٩٣/٤/٢٠
٧٩- القبس، ١٩٩٠/٤/٢٦
٨٠- السفير، ١٩٩٤/١١/١١

مجلات ودوريات عربية

- «الوسط»، العدد (٩٤)، ١٩٩٣/١١؟١٥.
- «المجلة»، العدد (١٩٧)، ١٩٩٣/٢٦-٢٠
«السؤال»، العدد (١٥-١٦)، ١٩٩٢/٢/٢٥-١/٢٥
شؤون فلسطينية، الأعداد: (٥٩)، (١٣٨-١٣٩)، ٢٠٥ الأعوام ١٩٧٦، ١٩٨٤، ١٩٩٠
- مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد (٢) ربيع ١٩٩٠
- مجلة «الأرض»، العدد (١٢)، كانون الأول ١٩٩٣
- مجلة «الأرض»، العدد (١٢)، أيلول ١٩٨٧
- مجلة «الأرض»، العدد (٩)، أيلول ١٩٩٢
- مجلة «الأرض»، العدد (٣)، آذار ١٩٩٢
- مجلة «الأرض»، العدد (٧)، تموز ١٩٩٢
- مجلة «الأرض»، العدد (١٢)، كانون الأول ١٩٨٨
- مجلة «الأرض»، العدد (٢٤)، ١٩٨٤/١/٧
- مجلة «الأرض»، العدد (٥)، أيار ١٩٩٣
- مجلة «الأرض»، العدد (٧) تموز ١٩٩١
- مجلة «الأرض»، العدد (٦)، حزيران ١٩٩١
- مجلة «الأرض»، العدد (١٠)، تشرين الأول ١٩٩١
- مجلة «الفكر الاستراتيجي العربي»، العدد (٣٨) اكتوبر ١٩٩١ ص١٧٤-١٧٥

***نشرات:**

- نشرة «الملف»، المجلد الأول، العدد (٥) آب ١٩٨٤
- نشرة «مؤسسة الدراسات الفلسطينية»، السنة (١٤)، العدد (٨) آب ١٩٨٧
- نشرة «مؤسسة الدراسات الفلسطينية»، السنة (١١) تشرين الثاني ١٩٨٨
- النشرة اليومية والاسبوعيةعن الصحافة الاسرائيلية الصادرة عن مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، دمشق
تواريخ: ١٩٨٣/٨/٩، ١٩٨٦/٣/١٥، ١٩٨٦/١١/١٧، ١٩٧٨/٩/٢٨، ١٩٩٢/١/٢١، ١٩٩٢/٣/٣٠، ١٩٩٢/٣/١٤، ١٩٩٢/٤/١٣، ١٩٩٢/٥/٢٤، ١٩٩٢/٤/٢٩، ١٩٩٢/١٢/١٣، ١٩٩٢/٥/٥، ١٩٩٢/٥/٢٠، ١٩٩٢/٣/١١، ١٩٩٢/٤/١٩، ١٩٩٢/٥/٥، ١٩٧٧/٧/٢٩، ١٩٧٩٨/٢٧، ١٩٧٩/١٠/٩، ١٩٨٦/٨/٩، ١٩٨٦//٣/١٨، ١٩٩٥/١/١٨.
- نشرة «الملف» المجلد الأول العدد (٩)، كانون الأول ١٩٨٤
- نشرة «الملف» المجلد الأول العدد (١٠) كانون الثاني ١٩٨٥

نشرة مؤسسة الدراسات (ملحق)، العدد(١٦)، ١٦/٨/١٩٧٣

***صحافة اسرائيلية مترجمة**

جيروز ليم بوست ٩/١/١٩٩٠

– دافار ١٥/١٠/١٩٩١

– يديعوت احرونوت ١٧/٧/١٩٩١

– دافار ١٥/١٠/١٩٩١

– يديعوت احرونوت، ١٧/٧/١٩٩١

– هآرتس ١٣/٢/١٩٩٢

– معريف ١١/٢/١٩٩٢

– معريف ٢١/٨/١٩٩١

– هآرتس ١٧/٢/١٩٩٢

– هآرتس ١٩/٢/١٩٩٣

– يديعوت احرونوت ٢/٤/١٩٩٢

– دافار ١٥/١٠ ١٩٩١

– هآرتس ٥/٢/١٩٩٢

– الرصد الاذاعي للإذاعة الاسرائيلية باللغة العربية ٢١/٢/١٩٩٢

– معريف ١٥/٤/١٩٩٢

– معريف ١٤/٤/١٩٩٢

هآرتس ١٢/٣/١٩٩٢

– يديعوت احرونوت ٨/٤/١٩٩٢

– هآرتس، ٢٠/٢/١٩٩٢

– هآرتس، ٢/٤/١٩٩٢

– يديعوت احرونوت ٢٠/٥/١٩٩٢

– يديعوت احرونوت ١١/٣/١٩٩٢

– معريف ١/٣/١٩٩٢

– هآرتس ١٤/٤/١٩٩٢

– يديعوت احرونوت ٥/٥/١٩٩٢

– معريف ١٤/٦/١٩٩٢

– يديعوت احرونوت ١٦/٣/١٩٩٢

– هآرتس ١٢/٤/١٩٩٢

– دافار ١٧/٤/١٩٩٢

– معريف ١٣/ ٥/١٩٩٢

– هآرتس ٣/٥/١٩٩٢

– يديعوت احرونوت ٣٠/١/١٩٩٢

– يديعوت احرونوت ٤/٥/١٩٩٢

- معريف ١١/٥/١٩٩٢
- حداشوت ١٤/٦/١٩٩٢
حداشوت ١٧/٦/١٩٩٢
- معريف ١٤/٤/١٩٩٢
- هآرتس ٤/٥/١٩٩٢
- عل همشمار ١٥/٥/١٩٩٢
- يديعوت احرونوت ١٦/٦/١٩٩٢
- هآرتس ٥/٥/١٩٩٢
- هآرتس ٣٠/٤/١٩٩٢
- هآرتس ١٨/٥/١٩٩٢
- هآرتس ١٧/٢/١٩٩٢
- هآرتس ٢/٤/١٩٩٢
- هآرتس ٢٧/٤/١٩٩٢
- هآرتس ١٦/٤/١٩٩٢
- يديعوت احرونوت ٤/٥/١٩٩٢
- هآرتس ١٧٧//٥/١٩٩٢
- معريف ١٩/٥/١٩٩٢
- يديعوت احرونوت ٢٠/٥/١٩٩٢
- هآرتس ١/٦/١٩٩٢
- هآرتس ٤/٦/١٩٩٢
- معريف ١٨/٥/١٩٩٢
- معريف ٣١/٥/١٩٩٢
- الرصد الاذاعي ٢٣/٦/١٩٩٢
- هآرتس ٢٩/٦/١٩٩٢
- عل همشمار ١٩/٦/١٩٩٢
- هآرتس ٢٨/٦/١٩٩٢
- هآرتس ١٣/٧/١٩٩٢.

ملاحظة:

تم الاستناد في مادة الفصلين الثاني والثالث من الجزء الثاني بدراسات سابقة (للمؤلف) نشرت في أعداد متفرقة من مجلة «الأرض» الصادرة عن مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية في دمشق، وذلك خلال الأعوام ١٩٩٢، ١٩٩٣، ١٩٩٤، ١٩٩٥، وتم ادخال بعض التعديلات عليها.

الفهـــــرس

اليهود في الشرق الأوسط

الخروج الأخير من الجيتو الجديد

هذا الكتاب يعرض أفكاره وموضوعاته في ثلاثة أجزاء مترابطة مع بعضها البعض، ويتكون كل جزء من عدد من الفصول. فيعرض الجزء الأول لواقع اليهود في مختلف البلاد العربية وأصولهم التاريخية، وظروفهم الإجتماعية، والإقتصادية ودرجة مشاركتهم السياسية، والتطورات التي طرأت على أعدادهم، خلال تسعة عقود من الزمن. وذلك عبر فصلين، يتناول أولهما توزع اليهود في الشطر الشرقي من الوطن العربي (الآسيوي). ويتناول ثانيهما، توزع اليهود وأحوالهم على كافة المستويات في الشطرالغربي من الوطن العربي (الإفريقي). ويخصص الجزءالثاني بفصوله الثلاث، لعرض ظروف هجرة اليهود من البلاد العربية وتوجهات النشاط الصهيوني في البلاد العربية قبل وبعد قيام الكيان الصهيوني وواقع حال يهود البلاد العربية في الكيان الصهيوني. وثانيهما يعرض باقتضاب للنظام السياسي في إسرائيل ولموقع اليهود الشرقيين وبضمنهم (اليهودالعرب) في العملية الإنتخابية وصولاً إلى إنتخابات الكنيست الثالثة عشرة وتشكيل الحكومة الإسرائيلية الراهنة. ويخصص الفصل الثالث لبحث مسالة التمثيل السياسي لليهود الشرقيين في أجهزة السلطة في إسرائيل.

أما الجزء الثالث، فيعرض فكرة (نزوح اليهود) من إسرائيل أوما أصطلح عليه إسم «نزوح العودة» أي عودة يهود البلاد العربية إلى بلادهم الأصلية، والمواقف المؤيدة والمعارضة لهذه الفكرة، وكذلك الظروف السياسية التي شكلت حاضنة لها.

ويعرض الفصل الثاني من هذا الجزء وبتكثيف الحلول الغربية الأوربية للمسالة اليهودية التي واجهتها أوروبا، بينمايعرض الفصل الثالث للتعبيرات الجديدة للمسالة اليهودية التي تواجهها الأمة العربية في خضم الصراع العربي -الصهيوني وسبل حلها، برؤية عربية جديدة.

٣١.٥٠



المملكة الأردنية الهاشمية - عمان / وسط البلد
خلف مطعم القدس / ص.ب ٧٧٧٢ - هاتف ٦٣٨١٨٨
فاكس ٦٥٧٤٤٥ ◆ منشورات [illegible] العام ١٩٩٦ م
◆ الغلاف: زهير أبو شايب.